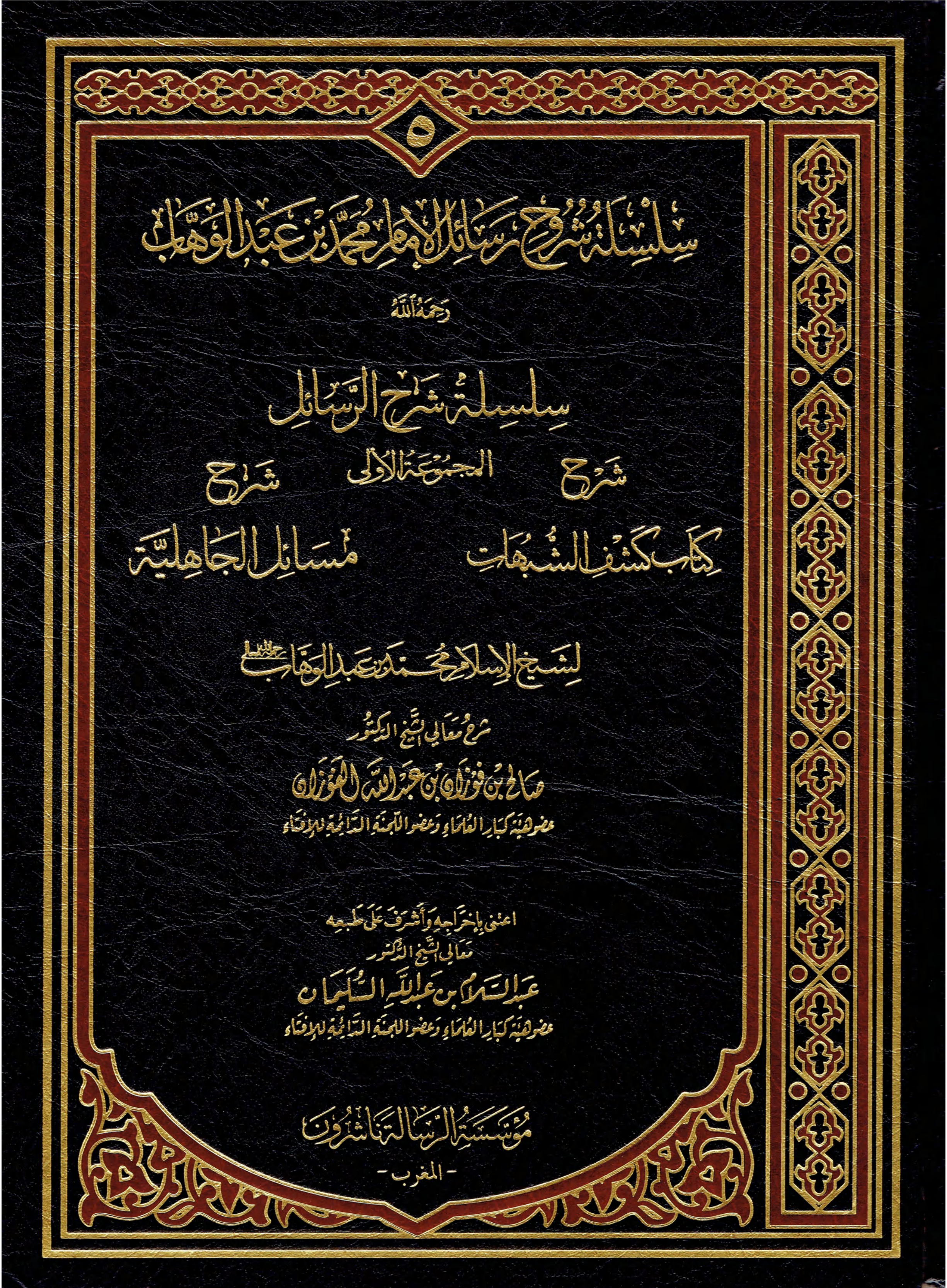
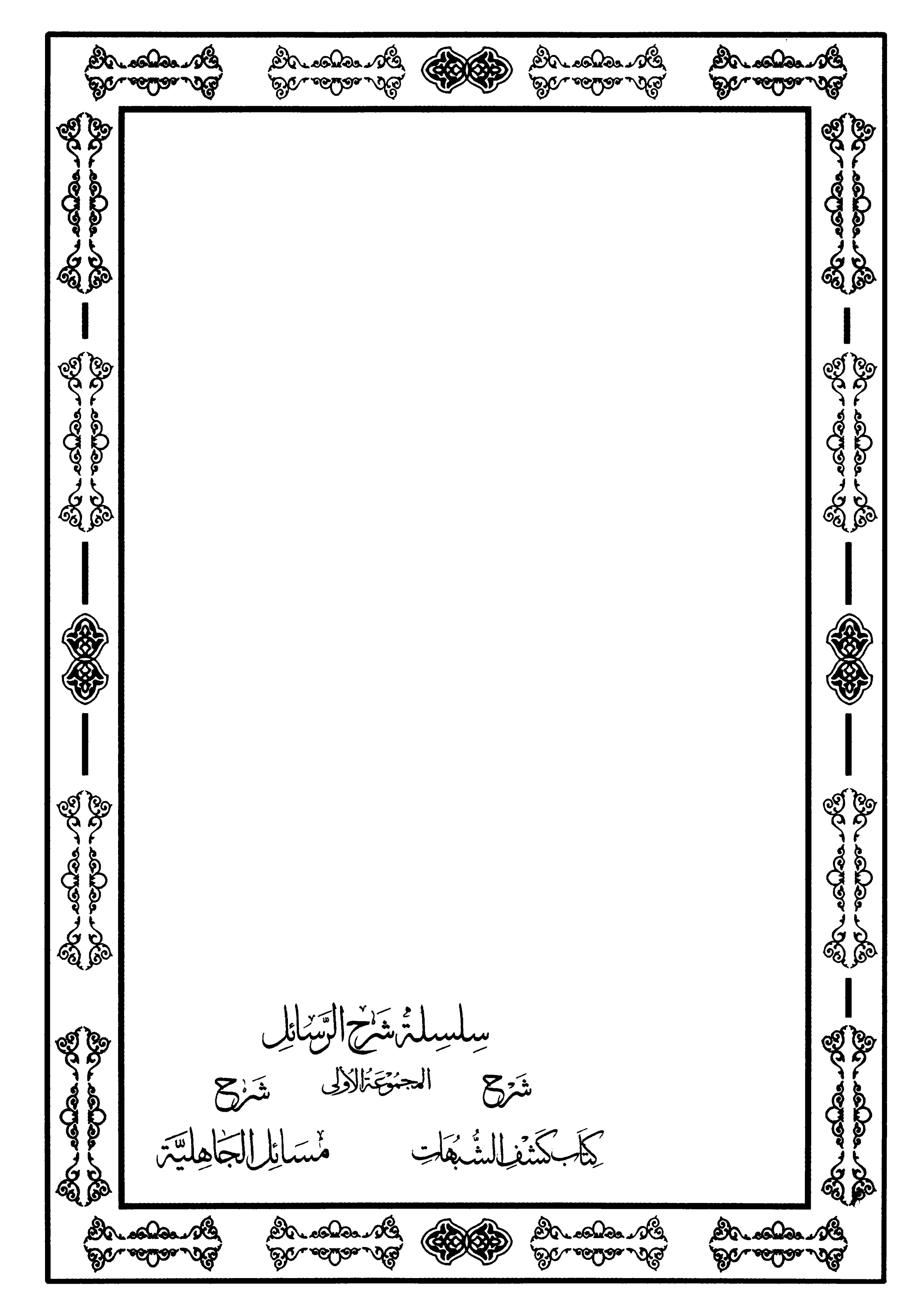

٥
سلسلة شروح رسائل الإمام محمد بن عبد الوهاب
رحمه الله
سلسلة شرح الرسائل
المجموعة الأولى
شرح
كتاب كشف الشبهات
شرح
مسائل الجاهلية
لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب
شرح معالي الشيخ الدكتور
صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان
عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء
اعتنى بإخراجه وأشرف على طبعه
معالي الشيخ الدكتور
عبد السلام بن عبد الله السليمان
عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء
مؤسسة الرسالة ناشرون
- المغرب -


سلسلة شرح الرسائل
المجموعة الأولى
شرح
كتاب كشف الشبهات
شرح
مسائل الجاهلية



الطبعة الأولى
١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م

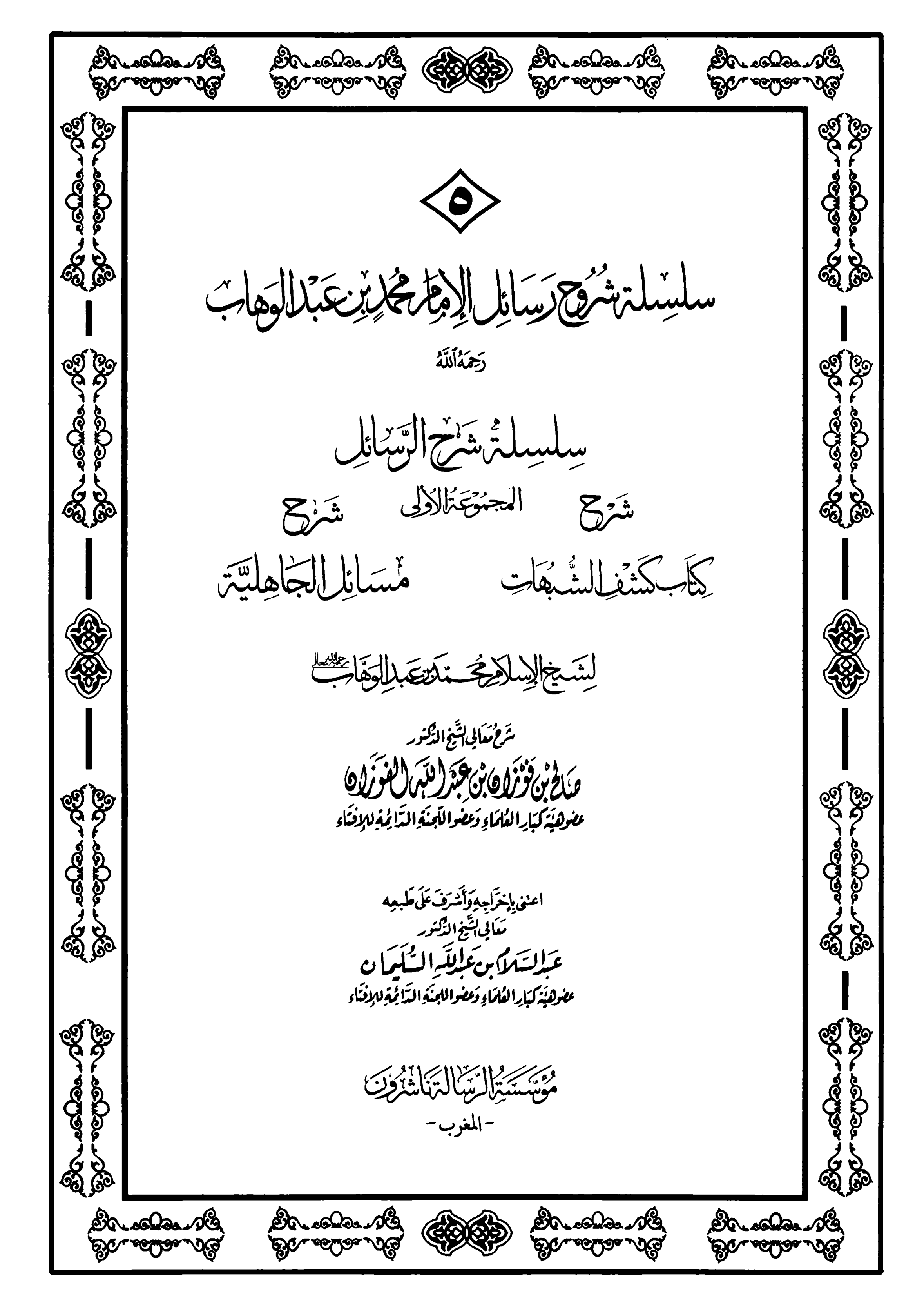
Dépôt légal : 2020MO4597
ISBN: 978-9920-9037-4-5

دار المأثور للطباعة والنشر والتوزيع

المدينة المنورة: أمام البوابة الجموبية للجامعة الإسلامية - هاتف: ٠١٤٨٤٥٣٨٠٠
الرياض: ص ب: ٢٤٠٦٣٥ - الرمز البريدي: ١١٣٢٢ - جوال: ٠٥٦٦٦٠١٦٢٧
هاتف: ٠١١٤٢٥٣٨٨٣ - فاكس: ٠١١٢٧٧٣٧٩
القاهرة: جوال: ٠١١١٢٣٧١٢٨٠ - www.daralmathour.com

مؤسسة الرسالة ناشرون
- المغرب -

الدار البيضاء _ المغرب
26 شارع ادريس الحريزي
طابق 3 الرقم 6
جوال : 00212630216055
Errissala.nachiroun@gmail.com



٥

سلسلة شروح رسائل الإمام محمد بن عبد الوهاب

رحمه الله

سلسلة شرح الرسائل

المجموعة الأولى

شرح كتاب كشف الشبهات

شرح مسائل الجاهلية

لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى

شرح معالي الشيخ الدكتور

صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

اعتنى بإخراجه وأشرف على طبعه

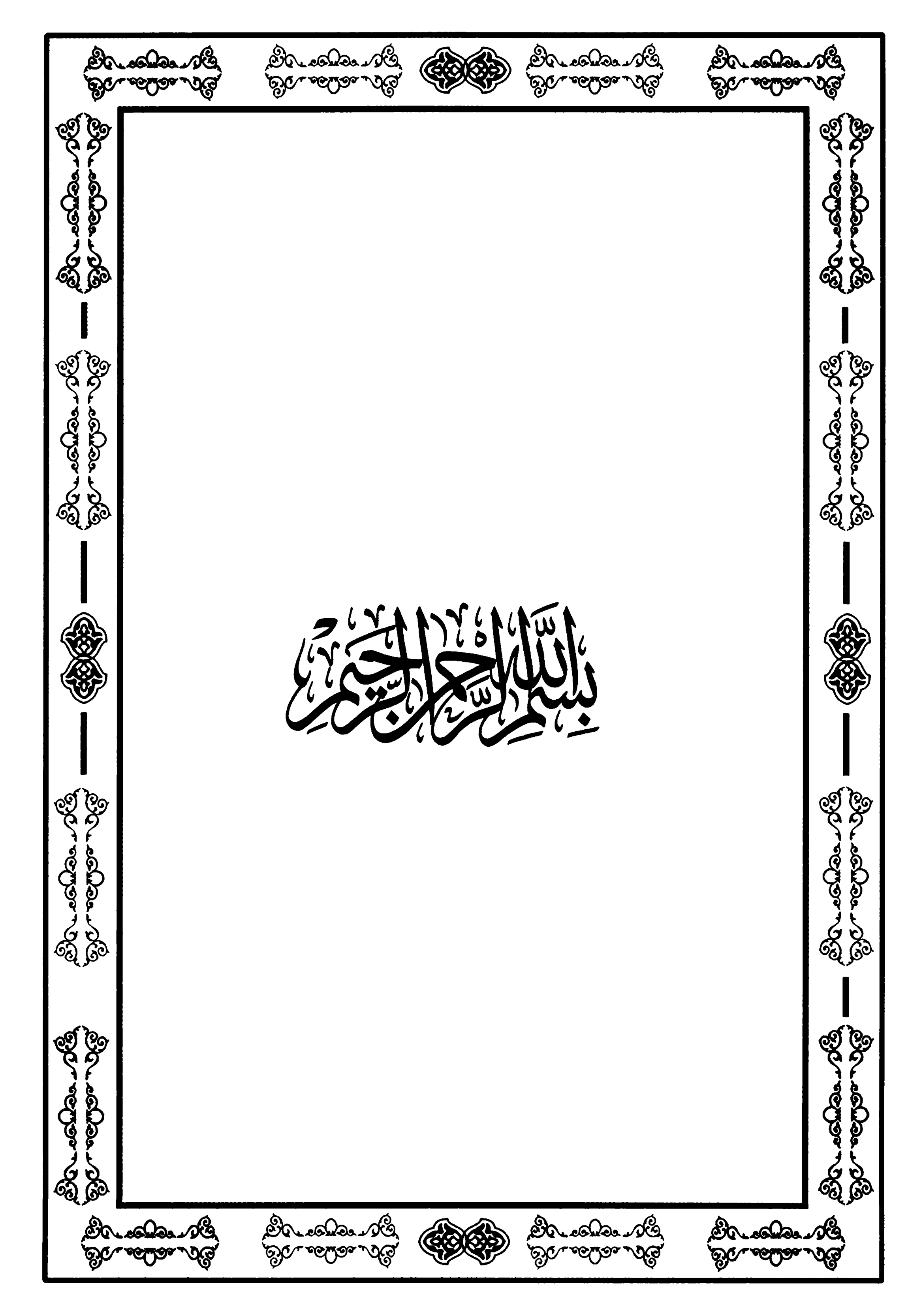
معالي الشيخ الدكتور

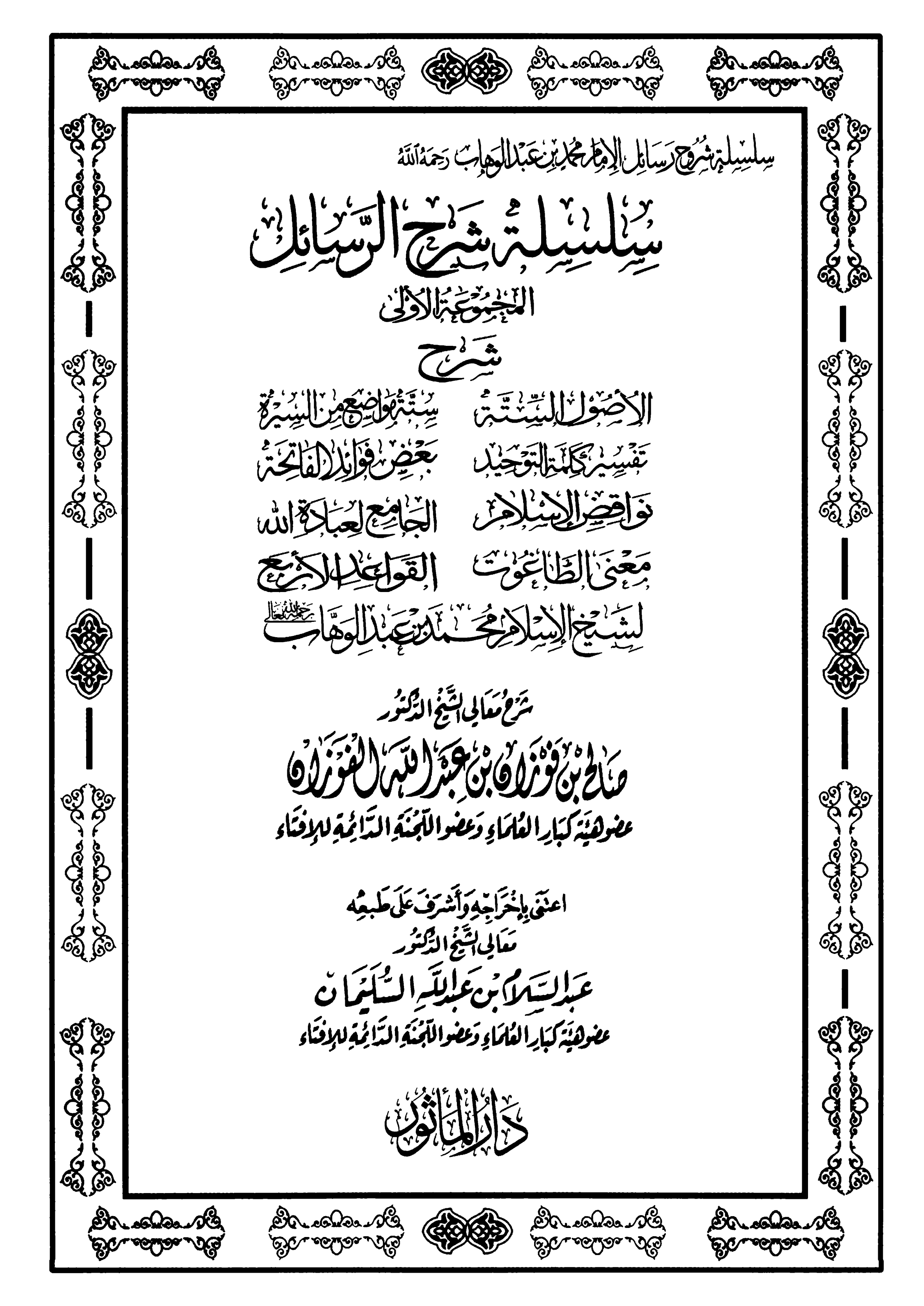
عبد السلام بن عبد الله السليمان

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

مؤسسة الرسالة ناشرون

- المغرب -


بسم الله الرحمن الرحيم



سلسلة شروح رسائل الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

سلسلة شرح الرسائل

المجموعة الأولى

شرح

الأصول الستة — ستة مواضع من السيرة

تفسير كلمة التوحيد — بعض فوائد الفاتحة

نواقض الإسلام — الجامع لعبادة الله

معنى الطاغوت — القواعد الأربع

لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى

شرح معالي الشيخ الدكتور

صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

اعتنى بإخراجه وأشرف على طبعه

معالي الشيخ الدكتور

عبد السلام بن عبد الله السليمان

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

دار المأثور



مقدمة الشارح

الْحَمد للَّه رب العالَمين، والصلاة والسلام على نبينا مُحَمَّد وآله وصحبه وبعد:

فهذا شرح لرسائل شيخ الإسلام: مُحَمَّد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ كنت قد ألقيته فِي الدرس الأسبوعي.

فقام الشيخ: عبد السلام السليمان بتفريغه من الأشرطة وتَخريج الأحاديث الواردة فيه وإعداده للطباعة، ثُمَّ راجعته بعد انتهاء الشيخ عبد السلام من عمله فيه، وأذنت له بطباعته رجاء الاستفادة منه. واللَّه ولي التوفيق.

كتبه:

صالح بن فوزان بن عبد اللَّه الفوزان

١٤٢٤/٧/٢٣هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمد للَّه رب العالَمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فهذه مَجموعة من الرسائل من تأليف الإمام الْمُجدد الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب رحمه الله.

قام بشرحها فِي دروسه العلامة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان عضو هيئة كبار العلماء، فعرضت على الشيخ تفريغ هذا الشرح فوافق على ذلك وراجعه وأصلحه بِمَا يناسب أن يَخرج كتابًا، مع إضافة الأسئلة الْمُهمة الَّتِي تتعلق بشرح الرسالة.

أسأل اللَّه أن يَجزي شيخنا الشيخ صالحًا خير الجزاء وأن ينفع بعلمه الإسلام والمسلمين، وأن يغفر للإمام الْمُجدد الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب وأن يَجزيه عنا وعن المسلمين الأجر والمثوبة.

عبد السلام بن عبد اللَّه السليمان

الجمعة ٨ رجب ١٤٢٤هـ

شرح

الأصول الستة



الحمد للَّه رب العالمين، وصلى اللَّه وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -إمام الدعوة الإسلامية، وحامي حمى الملة الحنيفية-:

من أعجب العجاب، وأكبر الآيات الدالة على قدرة الْمَلك الغلاب ستة أصول بَيَّنَها اللَّه تعالى بيانًا واضحًا للعوام فوق ما يظن الظانون، ثم بعد ذلك غلط فيها كثير من أذكياء العالَم وعقلاء بَنِي آدم إلا أقل القليل [١].

---

[١] بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمد للَّه رب العالَمين، وصلى اللَّه وسلم وبارك على نبينا مُحمَّد وعلى آله وصحبه أجْمَعين.

لا شك أن اللَّه سبحانه أنزل القرآن تبيانًا لكل شيءٍ، وأن الرسول ﷺ بيَّن هذا القرآن بيانًا شافيًا، وأعظمُ ما بيَّنه اللَّه ورسوله فِي هذا القرآن قضية التوحيد والشرك؛ لأن التوحيد هو أصل الإسلام وأصل الدين، وهو الذي تبنى عليه جميع الأعمال، والشركُ يبطل هذا الأصل، ويفسده ولا يكون له وجودٌ؛ لأنهما أمران متضادان ومتناقضان لا يَجتمعان أبدًا، فلذلك اللَّه سبحانه بين هذا الأصل فِي كتابه فِي جميع القرآن، فلا تكاد تَخلو سورةٌ من ذكر التوحيد

وذكر الشرك، والناس يقرءون هذا القرآن ويرددونه.

ولكن قلَّ من يتنبه لِهذا البيان، ولذلك تَجد كثيرًا من الناس يقرءون القرآن ويقعون فِي الشرك ويُخِلُّون بالتوحيد، مع أن هذا الأمر واضحٌ فِي كتاب اللَّه وفِي سنة رسول اللَّه ﷺ؛ لأنَّهم يَمشون على العوائد وما وجدوا عليه آباءهم ومشايخهم، فالأصل عندهم ما وجدوا عليه آباءهم ومشايخهم وأهل بلدهم، ولا يفكرون فِي يومٍ من الأيام أن يتأملوا ويتدبروا القرآن، ويَعرضوا عليه ما كان عليه الناس، هل هو صحيحٌ أو غير صحيحٍ؟

بل أخذهم التقليد الأعمى لآبائهم وأجدادهم، واعتبروا أن القرآن إنَّمَا يُقرأ للبركة وحصول الأجر بالتلاوة، وليس المقصود أنه يُقرأ للتدبر والعمل بِمَا فيه.

قلَّ من الناس من يقرأ القرآن لِهذا الغرض، إنَّمَا يقرءونه للتبرك به أو التلذذ بصوت القارئ، والترنّم به، أو لقراءته على الْمَرضى للعلاج.

أما أن يُقرأ للعمل به والتدبر والصدور عما فيه، وعرض ما عليه الناس على هذا القرآن، فهذا لا يوجد إلا فِي قليلٍ من الناس، لا نقول: إنه معدومٌ، لكنه فِي أقل القليل، ولذلك تَجد القرآن فِي وادٍ، وأعمال بعض الناس فِي وادٍ آخر لا يفكرون فِي التغيير أبدًا، ولو حاول مُجددٌ أو داعٍ إِلَى اللَّه أن يغير ما هم عليه، لقاموا فِي وجهه واتهموه بالضلال، واتهموه بالخروج على الدين وأنه أتى بدينٍ جديدٍ وأنه وأنه.....

كما حصل لِهذا الشيخ نفسه لَمَّا حاول رَحِمَهُ اللَّهُ أن يرد الناس إِلَى القرآن وما دل عليه القرآن، ويغيِّر ما هم عليه من العادات والتقاليد الباطلة، ثاروا فِي وجهه وبدَّعوه وفسَّقوه، بل وكفَّروه واتَّهموه باتهاماتٍ، لكن فِي الْحَقيقة هذا لا يضر وليس بغريبٍ، فإن الأنبياء قيل فيهم ما هو أشد من ذلك، لَمَّا أرادوا أن يغيروا ما عليه الأمم من عبادة غير اللَّه قيل فِي حق الأنبياء ما قيل، فكيف بالدعاة والعلماء؟! فلا غرابة فِي هذا، وهذا لا ينقص من أجر العالِم والداعية، بل هذا

الأصل الأول: إخلاص الدين للَّه تعالَى وحده لا شريك له [٢].

يزيد فِي حسناته عند اللَّه ﷻ.

وإنَّما يرجع بالنقص على من قاله ومن تفوَّه به وكتبه، فإن هذا يرجع عليه، أما العلماء الْمُخلصون والدعاة إِلَى اللَّه، فلا يضرهم ما قيل فيهم بل يزيد فِي درجاتهم وحسناتهم، ولَهم قدوةٌ بالأنبياء وما قيل فِي حقهم وما اتُّهموا به، واللَّه تعالَى يقول لنبيه: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ [فصلت: ٤٣].

فالشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي هذه الكلمات يبين شيئًا من هذا الأمر العجيب: أن الناس يقرءون القرآن، ويكثرون من قراءته ويَختمونه ويَحفظونه ويرتِّلونه، ويركزون اهتمامهم بألفاظ القرآن وتَجويده وأحكام المد، وأحكام الإدغام، والغنة، والإقلاب، والإظهار، والإخفاء، ويعتنون بِهذا عنايةً فائقةً، وهذا شيءٌ طيبٌ.

ولكن الأهم والْمَقصود ليس هذا، الْمَقصود تدبر الْمَعاني، والتفقه فِي كتاب اللَّه ﷻ وعرض أعمالنا وأعمال الناس على كتاب اللَّه: هل هي موافقةٌ لكتاب اللَّه أو مُخالفةٌ؟

هذا هو الْمَطلوب: أن نصحح أوضاعنا، وأن ننبه على أخطاء الناس، لا بقصد التشهير وقصد النيل من الناس، بل بقصد الإصلاح والنصيحة.

[٢] الشرح: الأصل الأول من هذه الأصول الستة: (إخلاص الدين للَّه وحده لا شريك له) هذا أصل الأصول وقاعدة الدين، وهذا هو الْمُعترك بين الأنبياء وبين الأمم، فالأنبياء يريدون أن يصححوا هذا الأصل الذي خلق اللَّه الْخَلق من أجله وربط سعادتهم به.

فليس الْمُهم أن الإنسان يصوم ويصلي ويكثر من العبادات، الْمُهم الإخلاص، فقليلٌ مع الإخلاص خيرٌ من كثيرٍ مع عدم الإخلاص، فلو أن الإنسان يصلي الليل والنهار، ويتصدق بالأموال، ويعمل الأعمال لكن بدون

وبيان ضدِّه الذي هو الشرك باللَّه [٣].

إخلاص فلا فائدة فِي عمله؛ لأنه لابدَّ من الإخلاص.

والإخلاص معناه: ترك الشرك وإفراد اللَّه -جل وعلا- بالعبادة، ولا أحد يستحق العبادة مهما بلغ من الكمال ومن الفضل إلَّا اللَّه، لا الْمَلائكة الْمُقربون، ولا الأنبياء والرسل، ولا الأولياء والصالِحون، هذا هو الأصل، ولا يتحقق هذا الأصل إلا بترك الشرك، أما من يَخلط بين العبادة للَّه وبين الشرك بغيره، فهذا عمله حابطٌ.

وأما الذي يُخلص عمله للَّه ﷷ فهذا هو السعيد، ولو كان عمله قليلًا، فقليلٌ من العمل مع الإخلاص، فيه الخير، وفيه النجاة؛ وحديث البطاقة لا يَخفى: «رجلٌ يبعث يوم القيامة تعرض عليه أعماله مكتوبةً فِي سجلاتٍ، كل سجلٍّ منها مدَّ البصر، مَملوءةً بالسيئات، توضع هذه السجلات فِي كِفَّةٍ، وتوضع هذه البطاقة الَّتِي فيها «لا إله إلا اللَّه» قالها هذا الرجل من قلبه بإخلاصٍ ويقينٍ وإيْمَان؛ فرجحت هذه الكلمة بِجميع السجلات، وطاشت بِجميع السجلات»[1].

هذا هو الإخلاص فهو ما قالَها مُجرد لفظٍ، وإنَّما قالها عارفًا بِمعناها، معتقدًا بِما دلت عليه، لكنه مات قبل أن يتمكن من العمل، فكيف بالذي عنده أعمالٌ كثيرةٌ صالِحةٌ وخالصةٌ لوجه اللَّه ﷷ؟!

هذا فيه دلالة على أن الإخلاص وإن كان قليلًا فقد ينجي اللَّه به صاحبه، ويكفِّر عنه جميع الذنوب والسيئات، وأنه إذا فقد الإخلاص فلا فائدة من كثرة الأعمال.

[٣] **ضد التوحيد: الشرك باللَّه** ﷷ، فالتوحيد: هو إفراد اللَّه بالعبادة، والشرك: هو صرف شيءٍ من أنواع العبادة لغير اللَّه ﷷ، كالذبح والنذر

---

(١) حديث البطاقة: أخرجه الترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠).

وكون أكثر القرآن فِي بيان هذا الأصل من وجوه شتى بكلام يفهمه أبلَدُ العامة [٤].

والدعاء والاستغاثة . . . إِلَى آخر أنواع العبادات، هذا هو الشرك، والشرك الْمَقصود هنا: هو الشرك فِي الألوهية، أما الشرك فِي الربوبية، فهذا غير موجودٍ فِي الغالب.

فالأمم كلها مقرةٌ بتوحيد الربوبية اضطرارًا، لَمْ يَجحده إلا من تظاهر بالإنكار، مع أنه يعترف به فِي الباطن؛ لأن الإقرار به ضروريٌّ، فالْجَميع يعرف أن هذا الْخَلق وهذا الكون لابدَّ له من خالقٍ، وهذا الخلق الذي يسير لابدَّ له من مدبِّرٍ، ليس موجودًا بِمجرد الصدفة أو موجودًا من نفسه ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ [الطور: ٣٥-٣٦].

فالإقرار بتوحيد الربوبية ضروريٌّ وفطريٌّ لكنه لا يكفي، لَمْ يكفِ المشركين إقرارُهم به كما فِي القرآن، فالقرآن صريحٌ فِي هذا ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ﴾ [الزخرف: ٨٧] ماذا يُجيبون؟ يُجيبون: (اللَّه)، أي: اللَّه هو الذي خلقنا، هذا توحيد الربوبية، فالْمَطلوب هو توحيد الألوهية، هذا الذي حصل فيه النزاع والْخِلاف والْخِصام بين الرسل والأمم، وبين الدعاة إِلَى اللَّه وبين الناس، هذا هو الذي فيه الْخُصومة، فيه القتال، وفيه ما يتعلق بذلك من الولاء والبراء وغير ذلك.

---

[٤] اللَّه -جل وعلا- يقول: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦] هل هذا كلامٌ غامضٌ؟ العوام يفهمونه ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ يفهمون من هذه الآية الأمر بالعبادة والنهي عن الشرك، ولو أنَّهم لَمْ يتعلموا، يعرفون هذا من لغاتهم، هذه آيةٌ واحدةٌ، والقرآن مَملوءٌ من مثل هذا.

هذه الآيات يَمرون عليها ويقرءونها، لكن لا يفكرون فيها، يقول اللَّه تعالَى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦].

وهم يقولون: يا علي، يا حسين، يا بدوي، يا تيجاني، يا عبد القادر، يصرخون ويصيحون وينادون بأعلى أصواتهم: يا فلان يا فلان، وفلانٌ هذا ميتٌ!!!

وهذا الذي ينادي الميت ويصرخ ربَّما أنه يَحفظ القرآن بالقراءات السبع أو العشر، ويَجوِّده تَجويدًا منقطع النظير، «**يُقيمه إقامة السهم**»[1] -كما قال النَّبِي ﷺ- لكنه يعتنِي بِحروفه ويضُيع حدوده.

يقول الإمام ابن القيم: القرآن كله فِي التوحيد؛ لأنه إما أمرٌ بعبادة اللَّه وترك الشرك، وإما بيانٌ لِجزاء أهل التوحيد، وجزاء أهل الشرك، وإما فِي أحكام الحلال والحرام، وهذه من حقوق التوحيد، وإما قصصٌ عن الرسل وأمَمهم وما حصل بينهم من الْخُصومات، وهذا جزاء التوحيد والشرك.

فالقرآن كله توحيدٌ، من أوله إِلَى آخره، ومع هذا يقرءون هذا القرآن وهم مقيمون على الشرك الأكبر، ويقولون: لا إله إلا اللَّه، ولا يعملون بِهَا، هم فِي وادٍ، والقرآن ولا إله إلا اللَّه فِي وادٍ آخر، إِنَّمَا هي ألفاظ على اللسان فقط.

لو تسأل واحدًا منهم: ما معنى لا إله إلا اللَّه؟ لقال لك: لا أدري، أنا لَمْ أتعلم.

فنقول له: إذن أنت تقول: لا إله إلا اللَّه ولا تعلم ما معناها، هل هذا يليق بالمسلم؟!

تقول كلامًا لا تعرف معناه ولا تهتم به، أو تقول: سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته، مثلما يقول الْمُنافق فِي القبر إذا سئل: يقول: «**سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته**»[2] مُجرد مُحاكاة.

---

(١) سنن الترمذي (٢١٨٨)، وسنن ابن ماجه (١٦٨)، ومسند أحمد (٣٥٩٦)، وسنن الدارمي (٢٠٤).

(٢) صحيح البخاري (٨٦)، وصحيح مسلم (٩٠٥)، وسنن النسائي (٢٠٦٢)، وسنن ابن ماجه (١٢٦٥)، ومسند أحمد (٢٦٣٨٥)، وموطأ مالك (٤٤٧).

ثم لَمَّا صار على أكثر الأمة ما صار؛ أظهر لَهُم الشيطان الإخلاص فِي صورة تنقُّص الصالحين، والتقصير في حقوقهم [٥].

وأظهر لَهُم الشرك باللَّه فِي صورة مَحبة الصالِحين وأتباعهم [٦].

كما قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١] شبَّههم اللَّه بالبهائم الَّتِي تسمع صوت الراعي وتسمع الْحُداء، وتَمشي على صوت الراعي وهي لا تفهم معناه.

[٥] **إذا قيل لَهم**: لا تَدْعوا الْمَخلوقين، ولا تستغيثوا بِهم، ادعوا اللَّه واستغيثوا باللَّه، واسألوا اللَّه، وتوجهوا إِلَى اللَّه، لا تتوجهوا إِلَى القبور والأموات.

يقولون: أنت تتنقص الأولياء، هؤلاء الأولياء قدرهم عندنا أن نُجلَّهم ونَحترمهم ونهتف بأسمائهم، هذا قدرهم فأنت تتنقصهم ولا تعترف بفضلهم، هكذا يقولون لدعاة التوحيد.

فنقول لَهم: نَحن نُحب الصالِحين، ونُحب أولياء اللَّه، ونواليهم ونُجلُّهم ونَحترمهم، ولكن لا نعطيهم شيئًا من حق الرب ﷻ ولا نعطيهم شيئًا من العبادة؛ لأنها ليست حقًّا لَهم، وهم لا يرضون بِهذا، ولا يرضون بأنهم يُدعَون مع اللَّه ويُستغاث بِهم فِي الشدائد.

[٦] **هم يقولون**: إن استغاثتهم بالصالِحين واستنجادهم بِهم اعترافٌ بفضلهم وإجلالٌ لَهم، هذا ما زيَّن لَهم الشيطان، والْمُراد بالشيطان شيطان: الْجِن وشيطان الإنس، علماء الضلال شياطين الإنس يتكلمون ويكتبون ويؤلفون فِي الدعوة إِلَى الشرك، ويزعمون أن هذا من تعظيم الصالِحين، ومن الاعتراف بفضلهم، ومن موالاتهم، وأن عدم دعائهم وعدم الاستغاثة بِهم من الجفاء فِي حقهم، ومن بغضهم، إِلَى آخر ما يقولون، هذا موجودٌ فِي كتبهم.

الأصل الثاني: أمر اللَّه بالاجتماع فِي الدين، ونهي عن التفرق فيه، فبيَّن اللَّه هذا بيانًا شافيًا تفهمه العوام [٧].

---

[٧] هذا الأصل موجودٌ فِي القرآن، قال تعالَى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣]. ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٥]. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٥٩]. ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

فلا يَجوز للمسلمين أن يتفرقوا فِي دينهم، بل يَجب أن يكونوا أمةً واحدةً على التوحيد ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

لا يَجوز لأمة مُحَمَّد أن تتفرق فِي عقيدتها، وفِي عبادتها، وفِي أحكام دينها، هذا يقول: حلالٌ، وهذا يقول: حرامٌ بغير دليل، لا يَجوز هذا. لا شك أن الاختلاف من طبيعة البشر، كما قال اللَّه سبحانه: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨-١١٩].

لكن الاختلاف يُحسم بالرجوع إِلَى الكتاب والسنة، فإذا اختلفت أنا وأنت فإنه يَجب علينا أن نرجع إِلَى كتاب اللَّه وسُنة رسوله ﷺ، قال تعالَى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ [النساء: ٥٩].

أما ما يقال: كلٌّ يبقى على مذهبه، وكلٌّ يبقى على عقيدته، والناس أحرارٌ فِي آرائهم، ويطالبون بِحرية العقيدة، وحرية الكلمة، هذا هو الباطل الذي نهى اللَّه عنه فقال: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

فيجب أن نَجتمع فِي عرض اختلافنا على كتاب اللَّه حَتَّى فِي مسائل الفقه، إذا اختلفنا فِي شيء نعرضه على الأدلة، فمن شهد له الدليل صرنا معه، ومن أخطأ الدليلَ، فإننا لا نأخذ بالْخَطأ.

إن اللَّه -جل وعلا- لَمْ يتركنا نَختلف ونتفرق بدون أن يضع لنا ميزانًا يبين

الصحيح من الخطأ، بل وضع لنا القرآن والسُّنة ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ يعني: القرآن، ﴿وَٱلرَّسُولِ﴾ يعني: السنة، والرسول ﷺ يقول: «**إني تاركٌ فيكم ما إنْ تَمسَّكتم به لن تضلوا بعدي: كتابَ اللَّه وسنَّتي**»[1].

فكأن الرسول ﷺ موجودٌ بيننا بوجود السُّنة مدونةً ومصححةً وموضحةً، وهذا من فضل اللَّه ﷻ على هذه الأمة، أنه لَم يتركها فِي متاهةٍ، بل تركها وعندها ما يدلُّها على اللَّه ﷻ ويدلُّها على الصواب، أما الذي لا يريد الْحَق، ويريد أن كل واحدٍ يبقى على مذهبه وعلى نِحْلَته.

ويقول: نَجتمع فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه. هذا لا شك أنه كلام باطل.

فالواجب أن نَجتمع على كتاب اللَّه وسُنة رسوله، وما اختلفنا فيه نردُّه إلَى كتاب اللَّه وسُنة رسوله، لا يعذر بعضنا بعضًا ونبقى على الاختلاف؛ بل نردُّه إلَى كتاب اللَّه وسُنة رسوله، وما وافق الْحَقَّ أخذنا به، وما وافق الخطأ نرجع عنه. هذا هو الواجب علينا، فلا تبقى الأمة مُختلفةً، وربَّما يذكر الذين يدعون إلَى البقاء على الاختلاف حديث: «**اختلاف أمتِي رحمةٌ**»[2] وهذا الْحَديث يروى ولكنه ليس صحيحًا.

الاختلاف ليس رحمةً، الاختلاف عذابٌ، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ [آل عمران: ١٠٥] فالاختلاف يشتت القلوب ويفرق الأمة، ولا يُمكن للناس إذا صاروا مُختلفين أن يتناصروا ويتعاونوا أبدًا،

(١) أخرجه مالك فِي الْمُوطأ (٣).

(٢) أورده العراقي فِي الْمُغني عن حمل الأسفار (١/ ٢٨)، والفتني فِي تذكرة الموضوعات (٩٠)، والألباني فِي السلسلة الضعيفة (٥٧) وقال: لا أصل له، وقد جهد الْمُحدثون فِي أن يقفوا له على سند فلم يُوفَّقوا.

بل يكون بينهم عداوةٌ وعصبيةٌ لفِرَقهم وأحزابهم، ولا يتعاونون أبدًا.

إنَّمَا يتعاونون إذا اجتمعوا واعتصموا بِحبل اللَّه جميعًا، وهذا هو الذي أوصى به النَّبِي ﷺ فقال: «**إن اللَّه يرضى لكم ثلاثًا: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بِحبل اللَّه جميعًا ولا تفرَّقوا، وأن تُناصحوا مَنْ ولَّاه اللَّه أمرَكم**»(١). هذه الثلاث يرضاها اللَّه لنا.

والشاهد منها قوله: «**وأن تعتصموا بِحبل اللَّه جميعًا ولا تفرقوا**» وليس معنى هذا أنه لا يوجد اختلافٌ ولا يوجد تفرق.

طبيعة البشر وجود الاختلاف، ولكن معنى هذا: أنه إذا حصل اختلافٌ أو تفرقٌ يُحسم بالرجوع إلى كتاب اللَّه وسُنة رسوله ﷺ وينتهي النزاع وينتهي الاختلاف، هذا هو الحق.

وليس تَحكيم القرآن أو تَحكيم السُّنَّة مقتصرًا على مسألة النزاع فِي الخصومات بين الناس فِي الأموال، حيث يسمون الْحُكم بِمَا أنزل اللَّه، أنه الْحُكم بين الناس فِي أموالِهم ونزاعاتهم فِي أمور الدنيا فقط.

لا؛ بل هو الحكم بينهم فِي كل اختلافٍ وكل نزاعٍ، والنزاع فِي العقيدة أشد من النزاع فِي الأموال، والنزاع فِي أمور العبادات وأمور الحلال والحرام أشد من النزاع فِي الْخُصومات فِي الأموال، إنَّمَا الْخُصومات فِي الأموال جزءٌ أو جزئيةٌ من الاختلاف الذي يَجب حسمه بكتاب اللَّه ﷻ، والصحابة كان يَحصل بينهم اختلافٌ لكن سرعان ما يرجعون إِلَى كتاب اللَّه وسُنة رسوله ﷺ فينتهي اختلافهم.

---

(١) أخرجه مسلم (١٧١٥)، ومالك فِي الْمُوطأ (٢/ ٩٩٠)، والبخاري فِي الأدب المفرد (٤٤٢)، وأحمد (٨٣٣٤) و(٨٧١٨) و(٨٧٩٩)، وابن حبان (٥٧٢٠) من حديث أبِي هريرة.

ونهانا أن نكون كالذين تفرقوا واختلفوا قبلنا فهلكوا [٨].

فقد حصل بينهم اختلافٌ بعد وفاة النَّبِي ﷺ حول من الذي يتولَّى الأمر من بعده؟ وسرعان ما حسموا النزاع ورجعوا وولَّوا أبا بكرٍ الصديق، وانقادوا له وأطاعوا له، وزال الاختلاف، وانحسمت الفرقة الَّتِي حصلت فيمن يتولَّى الأمر بعد الرسول ﷺ، فهم يَحصل بينهم اختلافاتٌ لكن يرجعون إِلَى كتاب اللَّه وسُنة رسوله ﷺ، ثُمَّ يذهب الاختلاف فيما بينهم.

وإن الرجوع إِلَى كتاب اللَّه يُزيل الأحقاد ويُزيل الأضغان، فلا أحد يعترض على كتاب اللَّه ﷻ فإنك عندما تقول لإنسان: تعالَ إِلَى قول الإمام الفلاني أو العالِم الفلاني لا يقتنع.

لكن لو قلت له: تعالَ إِلَى كتاب اللَّه وإِلَى سُنة رسوله ﷺ، فإن كان فيه إيْمَانٌ فهو يقتنع ويرجع.

قال اللَّه تعالَى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١] هذا قول الْمُؤمنين، أما الْمُنافقون إن كان الْحَق لَهم جاءوا مذعنين، وإن كان الْحَق عليهم تولَّوا وأعرضوا كما ذكر اللَّه عنهم.

فلا يسع الْمُؤمنين أن يبقوا على اختلافهم فِي جميع الاختلافات، لا فِي الأصول ولا فِي الفروع، كلها تُحسم بالكتاب والسُّنَّة، وإذا لَمْ يتبين الدليل مع أحد الْمُجتهدين، وصار لا مرجِّح لقول أحدهم على الآخر، ففي هذه الْحَالة لا يُنكر على من أخذ بقول إمام معين، ومِنْ ثَمَّ قال العلماء: «لا إنكار فِي مسائل الاجتهاد» أي: المسائل الَّتِي لَمْ يظهر الدليل فيها مع أحد الطرفين.

[٨] لَمَّا بقوا على اختلافهم، هلكوا وتناحروا فيما بينهم وتقاتلوا، هذا شأن أهل الاختلاف، أما شأن أهل الاجتماع فهو القوة وزوال الحقد من قلوبهم.

وذكر أنه أمر الْمُسلمين بالاجتماع فِي الدين، ونَهاهم عن التفرق فيه[٩].

ويزيده وضوحًا ما وردت به السنَّة من العجب العجاب فِي ذلك [١٠].

ثم صار الأمر إلَى أنَّ الافتراق فِي أصول الدين وفروعه هو العلم والفقه فِي الدين [١١].

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

ولا يرضي الناس ولا ينهي النزاع إلا الرجوعُ إِلَى كتاب اللَّه وسُنة رسوله ﷺ.

[٩] قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ۖ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ۚ﴾ [الشورى: ١٣]. أي: لا يصير كل واحدٍ له دينٌ؛ لأن الدين واحدٌ ليس فيه تفرق.

[١٠] نعم، ثبت عن الرسول ﷺ من الأحاديث ما يَحثُّ على الاجتماع وينهى عن التفرق والاختلاف.

مثل حديث: «**فإنه من يَعِش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسُنتي وسُنة الْخُلفاء الراشدين**» الْحَديث(١).

[١١] صار الأمر مع الأسف عند الْمُتأخرين: أن الاختلاف فِي الأصول والفروع هو الفقه، مع أن الواجب العكس: أن الاجتماع هو الفقه فِي دين اللَّه.

هم يقولون: إن التفرق وإعطاء الحرية للناس وعدم الْحَجْر عليهم هذا هو الفقه.

ونَحن نقول: الفقه هو: الاجتماع على كتاب اللَّه وسُنة رسوله ﷺ.

---

(١) أخرجه أحمد (١٧١٤٢)، وابن ماجه (٤٣)، وابن أبِي عاصم فِي السنة (٣٣) و(٤٨)، والحاكم (١/ ٩٧) من حديث العرباض بن سارية.

وصار الأمر بالاجتماع لا يقوله إلا زنديق أو مَجنون [١٢].

وبعضهم يقول: هذا من سَعة الإسلام أنه إذا حرم علينا أحد شيئًا نَجد من يفتي بِحلِّه، اتُّخذوا الناس هم المشرِّعين، فعلى رأي هؤلاء إذا قال فلانٌ: هذا حلالٌ، صار حلالًا لنا ولو كان حرامًا فِي كتاب اللَّه أو سُنة رسوله.

فنقول: نرجع إِلَى كتاب اللَّه، فمن شهد له بالْحَق أخذنا به، ومن شهد عليه بالخطأ تركناه، هذا هو الواجب.

[١٢] الذي يأمر بالاجتماع وترك الْخِلاف يقولون عنه: هذا خارجٌ على الأمة، هذا زنديقٌ؛ لأنه يلغي أقوال العلماء، فنحن لا نلغي أقوال العلماء، إنَّمَا نعرضها على كتاب اللَّه، نَحن لَمْ نكلَّف باتباع الناس، إنَّمَا أُمرنا باتباع القرآن والسُّنة، هذا هو الْحَق، ما أُمرنا باتباع فلانٍ وفلانٍ، واللَّه تعالَى لَمْ يَكِلنا إِلَى آرائنا واجتهاداتنا، بل أنزل علينا كتابه وأرسل إلينا رسوله، وإذا رجعنا إِلَى كتاب اللَّه وسُنة رسوله ﷺ زال الشقاق وزال الاختلاف واجتمعت الكلمة.

أتدرون أنه إِلَى عهدٍ قريبٍ كان فِي الْمَسجد الحرام أربعة مَحاريب، كل أصحاب مذهبٍ يصلُّون جماعةً وحدهم مع أهل مذهبهم بِجوار الكعبة، حَتَّى قيَّض اللَّه مَنْ جمعهم على إمامٍ واحدٍ وزال -ولِلَّه الْحَمد- هذا الْمَظهر السيئ.

هذا كله من اتباع الْمَذاهب واتباع الآراء، حَتَّى الصلاة فرَّقوها، صار الحنفي لا يصلي وراء الحنبلي، والحنبلي لا يصلي وراء الشافعي، ولا يصلون فِي وقتٍ واحدٍ، هذا يصلي فِي أول الوقت وهذا فِي آخره؛ لأن فلانًا يرى تأخير الصلاة، وفلانًا يرى تقديمها، يريدون أن يرضوا جميع الناس.

وهذا وجدناه فِي بعض البلاد الأخرى باقيًا إِلَى الآن، حَتَّى الْجُمعة لا يصلونها فِي وقتٍ واحدٍ، بعضهم لا يصليها إلا عند العصر؛ لأن فلانًا قال كذا وكذا، وإذا أراد أحدهم أن يصلي مبكرًا ذهب يصلي مع فلانٍ، وإذا أراد

الأصل الثالث: أن من تَمام الاجتماع السمع والطاعة لِمَن تأمَّرَ علينا ولو كان عبدًا حبشيًّا [١٣].

فبيَّن النبي ﷺ هذا بيانًا شائعًا ذائعًا بكل وجه من أنواع البيان شرعًا وقدرًا [١٤].

أحدهم أن يتأخر صلى مع فلانٍ، ولكن عندنا -ولِلَّه الْحَمد- فِي هذه البلاد فِي ظل هذه الدعوة الْمُباركة عادوا فِي الْمَسجد الحرام إِلَى ما كان عليه السلف الصالح يصلون جميعًا فِي وقتٍ واحدٍ وخلف إمامٍ واحدٍ.

[١٣] **الأصل الثالث: طاعة ولي الأمر المسلم**؛ لأنه لا يتم هذا الاجتماع إلا بطاعة ولي الأمر، فلا اجتماع إلا بإمامٍ، ولا إمامة إلا بسمع وطاعةٍ، فوليُّ الأمر المسلم جعله اللَّه رحمةً للمسلمين لإقامة الحدود، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونصرة المظلوم من الظالِم، وحفظ الأمن.

هذا من رحمة اللَّه ﷻ والصحابة لَمَّا توفِّي الرسول ﷺ لَمْ يدفنوه حَتَّى بايعوا إمامهم؛ لأنَّهم يَخشون من الاختلاف ومن الفتنة، لأنَّهم يعرفون أنه لا يصلح أن يعيشوا ولا ليلةً واحدةً بدون إمام؛ لأن هذا من ضروريات الدين.

ولا يُمكن أن يكون هذا إلا بالسمع والطاعة لوليِّ الأمر، ولِهذا يقول -جل وعلا-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩]. بعد طاعة اللَّه وطاعة رسوله لابدَّ من طاعة أولي الأمر، وقوله: ﴿مِنكُمۡ﴾ أي: من المسلمين، دلَّ على أنه يُشترط فِي ولي الأمر أن يكون مسلمًا.

[١٤] حيث قال ﷺ: «**أوصيكم بتقوى اللَّه والسمع والطاعة وإن تأمَّر عليكم عبد، فإنه من يَعِش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسُنتِي وسُنة الخلفاء الراشدين الْمُهديين**»(١).

---

(١) تقدم تَخريجه فِي الصفحة (٢٠).

(ثم صار هذا الأصل لا يعرف عند أكثر من يدَّعي العلم فكيف العمل به)

[١٥].

الأصل الرابع: بيان العلم والعلماء، والفقه والفقهاء [١٦].

هذا الأصل الثالث: السمع والطاعة: «**اسمعوا وأطيعوا وإن تأمَّر عليكم عبدٌ**»[١] فلا يُمكن أن تَحصل جماعةٌ للمسلمين إلا بولي أمرٍ مسلم ولو لَمْ يكن ذا نسب عربي بل لو كان مَملوكًا.

[١٥] صار هذا الأصل لا يُعرف عند كثيرٍ مِمَّن يدعي العلم، فيجهلون مسألة السمع والطاعة وما لَها من فضلٍ وما لَها من أهميةٍ، فكيف بالعوام وهم أشد جهلًا فِي هذا؟

فصار الشجاع -الذي يأمر بالْمَعروف وينهى عن المنكر عندهم والذي لا تأخذه فِي اللَّه لومة لائم، عندهم-: هو الذي يَخرج على إمام المسلمين، ويَخلع يد الطاعة، وينادي بالثورة على الحكام المسلمين بِمجرد حصول خطأ منهم، أو معصية لا تصل إِلَى حد الكفر.

وصار حديث الْمَجالس والندوات والْمُحاضرات فِي تتبع عثرات الولاة وتفخيمها والنفخ فيها، حَتَّى يئول الأمر إِلَى تفرُّق الكلمة، وتنفير الرعية من طاعة ولي الأمر حَتَّى يَختلَّ الأمن وتُسفك الدماء، ويئول الأمر إِلَى فساد أشد من الفساد الذي يَحصل من الصبر على طاعة ولي الأمر الفاسق والظالِم الذي عندهم لَمْ يصدر منه كفر بواح عندهم عليه من اللَّه سلطان.

[١٦] هذا أصلٌ عظيمٌ: وهو بيان المراد بالعلم؟ وهو أن العلم هو العلم الشرعي المبنِي على كتاب اللَّه وسُنة رسوله ﷺ، هذا هو العلم النافع، أما علوم الدنيا من الْحِرف والصناعات والطب وغير ذلك، هذه لا يطلق عليها

---

(١) صحيح البخاري (٧١٤٢)، وسنن ابن ماجه (٢٨٦٠)، ومسند أحمد (١١٧١٦).

وبيانُ مَن تشبَّه بهم وليس منهم [١٧].

العلم بدون قيد.

فإذا قيل: العلم، والذي فيه الفضل، فإن المراد به العلم الشرعي، أما علم الْحِرف والصناعات والمهن فهذه علومٌ مباحةٌ ولا يطلق عليها اسم العلم بدون قيدٍ.

إنَّمَا يقال: علم الْهَندسة، وعلم الطب، لكن للأسف أصبح الآن فِي عُرف الناس إذا قيل: العلم، فإنه يراد به العلم الْحَديث، ويقولون إذا سمعوا شيئًا من القرآن: هذا يشهد له العلم الْحَديث، وإذا جاء حديثٌ قالوا: هذا يشهد له العلم.

صار العلم الآن يطلق على علم الْحِرف والصناعات والطب وغير ذلك، مع أنه قد يكون جهلًا؛ لأنه قد يعتريه شيءٌ من الخطأ الكثير؛ لأنه مَجهودٌ بشري، خلافَ العلم الشرعي فإنه من اللَّه، فهو ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨] وهم علماء الشرع الذين يعرفون اللَّه ﷻ أما علماء الْهَندسة والصناعة والاختراع والطب، فهؤلاء قد يكونون يَجهلون حق اللَّه -جل وعلا- ولا يعرفون اللَّه، وإن عرفوه فمعرفتهم قاصرةٌ، لكن الذين يعرفون اللَّه هم علماء الشرع، قال تعالَى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ لأنَّهم يعرفون اللَّه بأسمائه وصفاته، ويعرفون حقه ﷻ وهذا لا يَحصل بعلم الطب وعلم الْهَندسة، وإنَّما قد يَحصل به توحيد الربوبية فقط، أما توحيد الألوهية فهذا إنَّمَا يَحصل بعلم الشرع.

[١٧] الْمَقصود بيان من تشبَّه بأهل العلم وليس هو من أهل العلم، إنَّمَا يُحاكي أهل العلم ويتشبَّه بِهم وهو لا يَملك رصيدًا من العلم، وهذا ضرره عظيم على نفسه وعلى الأمة؛ لأنه يقول على اللَّه بغير علم، ويُضل الناس بغير

وقد بيَّن اللَّه تعالى هذا الأصل فِي أول سورة البقرة من قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾ [البقرة: ٤٠]. إلَى قوله قبل ذِكْر إبراهيم عليه السلام: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [البقرة: ١٢٢] [١٨].

علم، قال تعالَى: ﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۚ﴾ [الأنعام: ١٤٤] وقد قيل: «يفسد الدنيا أربعةٌ: نصف فقيه، ونصف نَحوي، ونصف طبيب، ونصف متكلم؛ هذا يفسد البلدان، وهذا يفسد اللسان، وهذا يفسد الأبدان، وهذا يفسد الأديان».

[١٨] اللَّه -جل وعلا- فِي سورة البقرة أنزل آيات كثيرة فِي بنِي إسرائيل لتذكيرهم بنعمة اللَّه عليهم، وأمرَهم باتباع مُحَمَّد ﷺ الذي يعرفون نبوته ورسالته فِي كتبهم، وبشرت به أنبياؤهم، بدأها من قوله: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ﴾ [البقرة: ٤٠] وختمها بقوله: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧] ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ﴾ [البقرة: ١٢٣] ثُمَّ ذكر إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- فقال: ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ﴾ [البقرة: ١٢٤].

كل هذه الآيات ما بين الآية الأولى والآية الأخيرة، آياتٌ كثيرةٌ كلها فِي بني إسرائيل لتذكيرهم بنعمة اللَّه بإرسال الرسل وإنزال الكتب، وأن الواجب عليهم أن يؤمنوا برسول اللَّه مُحَمَّد ﷺ.

وبنو إسرائيل هم أولاد يعقوب، فإسرائيل هو يعقوب؛ لأنَّهم من ذريته وهم اثنا عشر سبطًا، كل ابنٍ من أبنائه صار له ذريةٌ، وكل ذريةٍ يسمون السِّبط بِمثابة القبائل فِي العرب، قال تعالى: ﴿وَقَطَّعۡنَٰهُمُ ٱثۡنَتَيۡ عَشۡرَةَ أَسۡبَاطًا أُمَمٗاۚ﴾ [الأعراف: ١٦٠].

ويزيده وضوحًا ما صرحت به السنَّة فِي هذا من الكلام الكثير البيِّن الواضح للعامي البليد [١٩].

ثم صار هذا أغرب الأشياء، وصار العلم والفقه هو البدع والضلالات [٢٠].

وخيار ما عندهم لبس الْحَق بالباطل [٢١]، وصار العلم الذي فرضه اللَّه تعالَى على الْخَلق ومَدَحَه لا يتفوَّه به إلا زنديق أو مَجنون [٢٢].

---

[١٩] نعم جاءت الأحاديث الَّتِي فيها من الحثِّ على تعلم العلم والترغيب فيه، وبيان ما هو العلم النافع وما هو العلم الذي لا ينفع الشيء الكثير، وإذا راجعت كتاب «**جامع بيان العلم وفضله**» لابن عبد البر أو غيره، عرفت هذا.

[٢٠] صار العلم والفقه عند بعض الْمُتأخرين هو البدع والضلالات؛ لأَنَّهم تركوا العلم الصحيح المبنِي على كتاب اللَّه وسُنة رسوله ﷺ، وصار العلم عندهم: قال فلانٌ وقال فلانٌ، وحكاياتٌ.

كقولهم: إن القبر الفلاني ينفع من كذا، وإن البقعة الفلانية رأى فيها فلانٌ فِي المنام كذا، هذا علم هؤلاء، أو يبحثون عن الأحاديث الْمَوضوعة والْمَقبورة الَّتِي قبرها أهل العلم، وبينوا أنَّها مكذوبةٌ، فتجد الْمُخرفين يَجعلونها صحيحةً ويزينون لَها أسانيد، ويرمِمونها ويقولون: هذه أحاديث صحيحة، ويتركون الأحاديث الصحيحة الواردة فِي البخاري ومسلم والسنن الأربع والْمَسانيد الْمُعتبرة، يتركونها لأنها ليست فِي صالِحهم.

[٢١] يَجب أن يُميز الحق من الباطل ويفصل بينهما، أما إذا خُلط بينهما فهذا هو التلبيس والغش والتدليس على الناس.

[٢٢] لأنه يُخالف ما هم عليه، فالعلم الذي أثنى اللَّه عليه وعلى أهله ومدحه صار عندهم جهلًا، ومن تفوه به -أي: تكلم به- فهو مَجنونٌ؛ لأَنَّهم يقولون: إن العلم الذي فرضه اللَّه يغير ما عليه الناس!! ويغير دين آبائنا وأجدادنا!!

وصار مَنْ أنكره وعاداه وصنَّف فِي التحذير منه والنَّهي عنه هو الفقيه العالِم [٢٣].

الأصل الْخَامس: بيان اللَّه سبحانه لأولياء اللَّه، وتفريقه بينهم وبين الْمُتشبهين بهم من أعداء اللَّه والْمُنافقين والفجار [٢٤].

---

[٢٣] من صنَّف فِي التحذير من العلم النافع، ومدح العلم الْمَذموم ونشره فِي الناس يقولون عنه: هذا هو الفقيه، هذا هو العالِم، أما من نشر العلم الصحيح يقولون عنه: هذا لا يصلح، وهذا جاهلٌ، وهذا يريد أن يفرق الناس، إنا نريد التجميع لا نريد التفريق، أي: التجميع ولو على الباطل، ولا نريد التفريق الذي فيه تَمييز الحق من الباطل، وتَمييز الطيب من الْخَبيث، وهذا مُحال، فإنه لا يَحصل الاجتماع على الباطل، وإنَّما يَحصل الاجتماع على الحق، والشاعر يقول:

إذا ما الجرح رَمَّ على فسادٍ تبيَّن فيه إهمال الطبيبِ

[٢٤] نعم، هذا أصلٌ عظيمٌ، وهو التفريق بين أولياء اللَّه وأولياء الشيطان؛ لأن أهل الباطل صاروا يسمون أولياء الشيطان أولياء اللَّه، حَتَّى إن هذا الأمر التبس على الناس؛ ولذلك صنف شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ كتابًا نافعًا مفيدًا سماه: «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان».

قال اللَّه تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ثُمَّ بيَّنهم بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣]. هؤلاء هم أولياء اللَّه، جمعوا بين الإيْمان وبين التقوى، بين العلم النافع والعمل الصالح، هؤلاء هم أولياء اللَّه، ليس أولياء اللَّه من خرج على شرع اللَّه وغيَّر دين اللَّه، ودعا إِلَى عبادة القبور والأضرحة، هذا ولي الشيطان، وليس الولي هو الساحر والكاهن والْخُرافي الذي يُظهر للناس مَخاريقَ سحرية، ويقول: هذه كراماتٌ!! وهي فِي الحقيقة مَخاريق شيطانيةٌ.

ويكفي فِي هذا آيةٌ من سورة آل عمران (٣١) هي قوله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [٢٥].

وآيةٌ فِي الْمَائدة (٥٤)، وهي قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [٢٦].

---

[٢٥] مَحبة اللَّه هي أعظم أنواع العبادة، وعلامة مَحبة اللَّه: اتباع الرسول ﷺ، فالذي لا يتبع الرسول ليس وليًّا للَّه، ولا يُحب اللَّه، وهؤلاء الْمُخرفون يقولون: لا يكون وليًّا للَّه إلا إذا خرج عن طاعة الرسول ﷺ، فهم عندهم الولاية فِي الخروج عن سُنة الرسول ﷺ والاعتماد على الخرافات والبدع، هذه هي الولاية عندهم!!

هم يقولون: نَحن نعبد اللَّه لأننا نُحبه، لا نعبده خوفًا من ناره ولا طمعًا فِي جنته، وإنَّما نعبده لأننا نُحبه.

فيقال لَهم: تُحبونه على طريقة من؟ هل تُحبونه على طريقة الرسول ﷺ، أو على طريقة غيره؟ إنه لا يُحب اللَّه إلا من اتبع الرسول ﷺ، هذا هو الفاصل بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان.

[٢٦] هذه صفات أولياء اللَّه، أنَّهم يُحبون اللَّه ويُحبهم اللَّه، ويكونون ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ يعنِي: يُحبون الْمُؤمنين، وفيهم ولاءٌ للمؤمنين، وفيهم بغض وبراءةٌ من المشركين ﴿يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ هذه أربع صفات هي صفات أولياء اللَّه، وأما الذين يأمرون بعبادة غير اللَّه يدعون مَنْ فِي القبور والأموات والأضرحة، ويسمون خوارق الشيطان كراماتٍ من اللَّه، فهذه صفات أعداء اللَّه.

وآيةٌ في يونس (٦٢-٦٣) وهي قوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [٢٧].

ثم صار الأمر عند أكثر من يدعي العلم، وأنه من هداة الْخَلق وحُفَّاظ الشرع إِلَى أن أولياء اللَّه لابد فيهم من ترك اتِّباع الرسل، ومن تَبِعهم فليس منهم [٢٨].

---

[٢٧] فأنت تأخذ من هذه الآيات الثلاث صفة أولياء اللَّه، الأولى فِي سورة آل عمران، والآية الثانية فِي سورة الْمَائدة، والثالثة فِي سورة يونس، فيها صفات أولياء اللَّه، من اتصف بِهَا فهو وليٌّ للَّه، ومن اتصف بضدها فهو وليٌّ للشيطان..

[٢٨] إذا خرج عن الشرع، يقال عندهم: هذا عارفٌ وصل إِلَى اللَّه ليس بِحاجة إِلَى اتباع الرسول، يأخذ عن اللَّه مباشرة.

يقولون: أنتم تأخذون دينكم عن ميت عن ميت -يعني: بالأسانيد- ونَحن نأخذ ديننا عن الحي الذي لا يَموت، يزعمون أنَّهم يأخذون عن اللَّه مباشرةً.

وَمنْ يأخذ عن الرُّسل فليس من الأولياء عندهم، فلا يكون وليًّا عندهم إلا من خرج عن طاعة الرسول ﷺ.

ولا يصير الولي الآن فِي عرف كثيرٍ من الْمُتأخرين إلا من بُني على قبره قبةٌ أو مسجدٌ، أما الْمَدفون الذي دفنه على السُّنة الذي لَمْ يوضع على قبره شيءٌ، فهو عندهم ليس بوليٍّ ولو كان من أفضل الناس.

ثُمَّ أيضًا عندهم الولي له زيٌّ خاصٌّ، بأن يلبس عمامةً ويلبس ثوبًا خاصًّا.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: ليس لأولياء اللَّه علامةٌ يتميزون بِهَا، بل يكونون كسائر الناس ما يُعرفون، والرسول ﷺ يقول: «**رُبَّ أشعث أغبر مدفوعٍ بالأبواب لو أقسم على اللَّه لأبَرَّه**»[١].

---

(١) سنن الترمذي (٣٨٥٤).

الأصل السادس: رد الشبهة التِي وضعها الشيطان فِي ترك القرآن والسنَّة واتباع الآراء والأهواء الْمُتفرقة الْمُختلفة، وهي أن القرآن والسنَّة لا يعرفهما إلا الْمُجتهد الْمُطلق [٢٩].

والْمُجتهد هو الْمَوصوف بكذا وكذا أوصافًا لعلها لا توجد تامة فِي أبي بكر وعمر [٣٠].

هذه صفات أولياء اللَّه أنهم لا يُظهرون أنفسهم، بل يَحرصون على الاختفاء؛ لأجل الإخلاص للَّه ﷻ.

إذن من صفات أولياء اللَّه: التواضع، والاختفاء وعدم الظهور.

[٢٩] هذا هو الأصل الأخير وهو مهمٌّ جدًّا، وهو أنَّهم يقولون: إنَّا لا نعرف معاني الكتاب والسُّنة، ولا يُمكن أن نعرفها، لا يعرفها إلا العلماء الكبار.

فيقال لَهم: القرآن فيه أشياء واضحةٌ يعرفها العامي ويعرفها المتعلم، تقوم بِهَا الحجة على الخلق، وفيه أشياء لا يعرفها إلا العلماء، وفيه أشياء لا يعلمها إلا اللَّه سبحانه وتعالى.

نعم يوجد فِي القرآن والسُّنة أمور لا يعرفها إلا الْمُجتهد الْمُطلَق، لكن توجد أشياء كثيرةٌ يعرفها العوام، ويعرفها المتعلم الذي حاز على قدر يسير من العلم، مثل قوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦]، وقوله: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ [الْمَائدة: ٧٢].

ومثل: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ [الإسراء: ٣٢].

ومثل: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ [الْمَائدة: ٣].

ومثل: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ﴾ [النور: ٣٠].

هذه أمورٌ واضحةٌ يعرفها العامي إذا سمعها.

[٣٠] يضعون شروطًا للمجتهد المطلق قد لا توجد تامةً فيمن هم من أفضل

ومن طلب الْهُدى منهما فهو: إما زنديق، وإما مَجنون؛ لأجل صعوبة فهمهما، فسبحان اللَّه وبِحمده، كم بيَّن اللَّه سبحانه شرعًا وقدرًا، خلقًا وأمرًا فِي رد هذه الشبهة الْمَلعونة من وجوه شتى بلغت إلَى حد الضروريات العامة، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧]. ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٠ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ [يس: ٧-١١] [٣١].

الناس مثل أبِي بكر وعمرَ، وهذا الشروط وضعوها من عند أنفسهم.

يقول اللَّه تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النساء: ٨٢]. هذا عامٌّ للمسلمين.

كلٌّ يعرف من القرآن ما يسَّر اللَّه له، فالعامي يَحصل على ما يستطيع، والمتعلم يَحصل على ما يستطيع، والراسخ فِي العلم يَحصل على ما يستطيع. ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد: ١٧]. كل وادٍ يأخذ من السيل قدره، كذلك العلم أنزله اللَّه، وكل قلبٍ يأخذ منه بقدرٍ، قلب العامي وقلب المتعلم وقلب العالِم وقلب الراسخ فِي العلم، كل واحد يأخذ بقدره، وبقدر ما أعطاه اللَّه من الفهم، أما أنه لا يفهم شيئًا من القرآن إلا الْمُجتهد الْمُطلق، فهذا كلام غير صحيح.

ويقولون: مُحاولة فهم القرآن من التكليف بِمَا لا يُستطاع، والشروط الَّتِي ذكرها العلماء وقالوا لابدَّ أن تتوفر فِي الْمُفتي يريدون بِهَا: الْمُجتهد المطلق. ولا يريدون أنَّها لابد أن تتوفر فِي كل مَنْ يريد أن يتدبر القرآن ويستفيد منه، ثُمَّ هي شروط لاستنباط الأحكام الغامضة الخفية، وليست شرطًا فِي فهم الأمور الواضحة مثل التوحيد والشرك، والواجبات الظاهرة والْمُحرمات الظاهرة.

[٣١] هذه الآيات فِي المعرضين عن تدبر كلام اللَّه وكلام رسوله ﷺ، وفِي

آخره والْحَمد للَّه رب العالَمين، وصلى اللَّه على نبينا مُحمَّدٍ وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلَى يوم الدين [٣٢].

* * *

آخرها الذي مَنَّ اللَّه عليه وهو ﴿مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾ [يس: ١١] فهذا مَثلٌ للفريقين.

[٣٢] ختم الرسالة بِمثل ما بدأها به بِحمد اللَّه والصلاة والسلام على رسوله وهذا من مَحاسن التأليف والتعليم وذلك بالثناء على اللَّه أولًا وآخرًا.

والصلاة والسلام على رسوله معلم الخير والداعي إِلَى اللَّه، صلى اللَّه عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه وسار على نهجه وتَمسك بسُنته إِلَى يوم الدين. والْحَمد للَّه رب العالمين.

* * *

الأسئلة

*** أثابكم اللَّه فضيلة الشيخ، ما رأيكم فيمن يقول: إن المقصود بأُولي الأمر الذين ذُكروا فِي الآية هم العلماء وليسوا الأمراء؟**

هذا غلطٌ، لأن الآية شاملةٌ تشمل العلماء والأمراء، هذا هو الصحيح، أنَّها فِي الأمراء وفِي العلماء، كلهم يقال لَهم: أولي الأمر.

*** أحسن اللَّه إليكم، هل الذين يذهبون للكُهَّان والعرَّافين يكفرون كفرًا أكبر، ويعامَلون معاملة الْمُرتدين؟**

نَحن نقول ما قاله الرسول ﷺ: **«من أتى عرافًا أو كاهنًا فصدَّقه فيما يقول فقد كفر بِمَا أُنزل على مُحمد»**(١).

*** أثابكم اللَّه، سؤالٌ يقول: ما ردكم على هذا التعبير الذي يدرَّس فِي المدارس: «أن الْمَادة لا تفنى ولا تُستحدث من العدم، مع أن اللَّه بديع السموات والأرض»؟**

هذا كلام أهل الطبيعة، الذين يقولون بالطبيعة ولا يقرُّون بالخالق، والحق أن كل شيءٍ يوجد من عدم ويفنى بعد وجوده إلا اللَّه ﷻ، فإنه لا بداية له ولا نهاية: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧].

*** فضيلة الشيخ، هناك بعض الإخوة ينتسبون إلى جماعة التبليغ، ويدعوننا كثيرًا للخروج معهم، ويستدلون على كونهم على الحق بكثرة من يهتدون على أيديهم من الكفار وغيرهم فِي أنْحاء العالَم، فكيف نرد عليهم؟**

---

(١) سنن الترمذي (١٣٥)، وسنن أبِي داود (٣٩٠٤)، وسنن ابن ماجه (٦٣٩)، ومسند أحمد (٩٠٣٥)، وسنن الدارمي (١١٣٦).

نرد عليهم، بأن نقول: من الذي اهتدى على أيديهم فِي التوحيد؟ هل واحدٌ من الكفار أو من المبتدعة أو من القبوريين اهتدى على يد جماعة التبليغ وترك الشرك، وتاب إلى اللَّه من الشرك، وعرف التوحيد أو لا؟ إنَّما هم يتوِّبون الناس من الذنوب، لكن الشرك لا يتعرضون له قطُّ ولا يُحذِّرون منه، ولذلك تكثر فِي بلادهم عبادة الأضرحة والقبور ولا يتعرضون لَها، فما معنى هذا؟! وأي دعوةٍ هذه؟! ثم إنهم يتوِّبون الناس من المعاصي ويُدخلونهم فِي البدع التي يسيرون عليها فِي منهجهم المعروف.

*** أثابكم اللَّه، ما حكم صلاة التسبيح؟**

لَم تثبت عن النَّبِي ﷺ، والنبي ﷺ يقول: «**مَنْ عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ**»[1]، وما دامت لَمْ تثبت، فلا يَجوز العمل بِهَا، وأيضًا فيها غرابةٌ من ناحية صفتها، فالنبي ﷺ نهى عن قراءة القرآن فِي الركوع والسجود، وهي فيها قراءةٌ للقرآن فِي الركوع والسجود، وفيها صفاتٌ مُخالفةٌ للصلوات المشروعة، مِمَّا يدل على أنَّها ليس لَها أصلٌ.

فالذي يريد الْخَير فهو موجود فِي الصلوات المشروعة، صلِّ يا أخي صلاة الضحى، صلِّ صلاة الليل، والوتر، والرواتب مع الفرائض، الباب مفتوحٌ.

وصلى اللَّه على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* *

(١) صحيح البخاري (٢٦٩٧)، وصحيح مسلم (١٧١٨)، وسنن أبِي داود (٤٦٠٦)، وسنن ابن ماجه (١٤)، ومسند أحمد (٢٣٩٢٩).

شرح

ستة مواضع

من السيرة



الْحَمد للَّه رب العالَمين، وصلى اللَّه وسلم وبارك على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال شيخ الإسلام الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب رحمه اللَّه وعفا عنه... آمين:

تأمَّل -رحمكَ اللَّه- ستةَ مواضع من السيرة، وافْهَمها فَهمًا حسنًا [١].

بسم الله الرحمن الرحيم [١]

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: **(تأمل -رحمك اللَّه- ستة مواضع من السيرة، وافهمها فهمًا حسنًا)** السيرة: المراد بِهَا سيرةُ الرسول ﷺ، وهي الطريقة الَّتِي كان يسير عليها الرسول ﷺ منذ بعثته إِلَى أن توفاه اللَّه عَزَّ وَجَلَّ فِي العبادة، وفِي المعاملات، وفِي الدعوة إِلَى اللَّه عَزَّ وَجَلَّ، وفِي الجهاد والهجرة، وفِي التعليم، فكل أفعاله وأقواله وتصرفاته ﷺ هي سيرته -عليه الصلاة والسلام-، وهذا أمر مهم أن المسلم يدرس سيرةَ الرسول ﷺ من أجل أن يقتدي به؛ لأن اللَّه -جل وعلا- قد جعله قدوة لنا.

قال تَعَالَى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١] فهو قدوتنا -عليه الصلاة والسلام-، فلندرس سيرته من أجل أن نقتدي به فِي ذلك، وهذا هو المطلوب من دراسة السيرة والتفقه فيها، ليس المقصود أن السيرة تُقرأ فِي مناسبة مبتدَعة مثل مناسبة الْمَولد، فإن هذه القراءة لا تسمن ولا تغنِي من جوع؛ لأنها ليست للتفقه فيها؛ وإنَّما هي للتبرك جريًا على العادة فقط، فلا تفيد شيئًا؛ لأن تَخصيصها بوقت معين ثُمَّ تطوى،

لعل اللَّه أن يفهمك دين الأنبياء لتتبعه، ودين المشركين لتتركه [٢].

هذا الأمر لا ينفع ولا يفيد، السيرة مطلوبٌ دراستُها دائمًا، ولا نقصد بالدراسة مُجرد أننا نقرؤها من أولِها إِلَى آخرها ونقول: قرأنا السيرة، لا، لابد أن نتفقه فيها ونقتدي بالرسول ﷺ فِي أفعاله وأقواله، هذا هو المقصود.

وقد كتب الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ كتابًا عظيمًا فِي فقه السيرة وهو: «زاد المعاد فِي هدي خير العباد» وكتب بعض المعاصرين كتابات منها ما هو صحيح، ومنها ما هو سيئ، ومنهم من انْحرف وجاء بالشركيات، وحث على التبرك بالآثار، وجعل هذا هو الْمَقصود من قراءة السيرة، ولكن هذا لا عبرة به؛ لأن كلًّا ينفق مِمَّا عنده، الذي عنده شيء جيد ينفق شيئًا جيدًا، والذي عنده شيء رديء ينفق رديئًا، والْحَمد للَّه، نسأل اللَّه أن يهدينا وإياكم، ويهدي هؤلاء إِلَى سواء السبيل، وأن يردهم إِلَى الْحَق، ونَحن لا نتندر بِهم؛ لئلا يصيبنا ما أصابهم، ولكن نسأل اللَّه العافية، نسأل اللَّه أن يهديهم وأن يردهم إِلَى الصواب.

فالْمَقصود من دراسة سيرة الرسول ﷺ: هو الاعتبار والعمل، والاقتداء بالرسول ﷺ، وأخذ الأحكام منها، هذا هو الْمَطلوب؛ لأن حياته ﷺ كلها خير، وكلها علم، وكلها عمل صالح، كلها جهاد، وكلها دعوة، وكلها تعليم.

حياته ﷺ فائضة بالْخَير العظيم من جميع النواحي، كلها عبادة.

فعلينا أن نعتنِي بسيرته ﷺ، والشيخ أخذ منها ستة مواضع مهمة والبقية موجودة فِي سيرته ﷺ، لكن هذه المواضع تتعلق بالعقيدة.

[٢] هذا الْمَقصود من دراسة السيرة، أنك تفهم دين الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-، تفهم التوحيد لتتبعه، وتفهم الشرك من أجل أن تَجتنبه، فلا يكفي أن الإنسان يعرف الْحَق فقط بل لابد أن يعرف الْحَق ويعرف الباطل، يعرف الْحَق من أجل أن يعمل به، ويعرف الباطل من أجل أن يتجنبه؛ لأنه إذا لَمْ يعرف

فإن أكثر من يدعي الدين ويدعي أنه من الْمُوحدين لا يفهم السنة كما ينبغي [٣].

الباطل وقع فيه وهو لا يدري.

فأنت عندما تسير فِي طريق وأنت لا تعرف هذا الطريق، وفيه حُفر وفيه مهالك، ربَّما تهلك وأنت لا تدري، تقع فِي الحفر وأنت ما دريت، لكنك إذا درست الطريق، فعرفت ما فيه من المسالك، وما فيه من الأخطار، فإنك تكون على بينة، تتجنب المهالك الَّتِي فِي الطريق.

هذا فِي الأمور الحسية، كذلك فِي الأمور العقدية من باب أولَى، فلابد أن تعرف الباطل، تعرف الشرك، وما هي أنواعه وما هي أسبابه، وما هي الوسائل الَّتِي توصل إليه حَتَّى تتجنبها. يقول الشاعر:

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقِّيه ... ومن لا يعرف الشر من الخير يقع فيه

حذيفة بن اليمان -رضي اللَّه تعالَى عنه- الصحابي الجليل يقول: كان الناس يسألون النَّبِي ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مَخافة أن أقع فيه[١].

فلابد من معرفة الخير ومعرفة الشر، والبعض اليوم يقول: تعرف الحق، وليس من الضروري أن تعرف ما يضاده.

وهذا باطل؛ لأنك إذا لَمْ تعرف الباطل يظل خافيًا فتضل عن الحق، لاسيما ودعاة السوء ودعاة الضلال على استعداد لإضلال الناس.

[٣] المشركون يتقربون إِلَى اللَّه بالشرك يظنون أنه خير؛ لأَنَّهم لا يعرفون الشرك، فصاروا يتقربون به إِلَى اللَّه!!

فهم يذبَحون للأولياء والصالِحين، ويتبركون بقبورهم ويستغيثون بِهم،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٠٦) و(٧٠٨٤)، ومسلم (١٨٤٧) و(٥١)، وأحمد (٢٣٢٨٢)، وابن ماجه (٣٩٧٩).

ويقولون: نَحن نعلم أنَّهم ليس لَهم من الأمر شيء، وأنهم لا ينفعون ولا يضرون، لكن هم صالِحون نريد منهم أن يتوسطوا لنا عند اللّه سبحانه، كما قال اللَّه عن أسلافهم: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ هم يعترفون أنَّهم لا يضرونهم ولا ينفعونهم ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: ١٨]. اتَّخذوهم شفعاء فقط، وفِي الآية الأخرى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٣٧]. لَمْ يتعلموا، فهم يَحسبون أن هذا خير.

وهذا هو واقع غالب الناس اليوم، الكثير من المنتسبين إِلَى الإسلام هذا واقعهم، يتقربون إِلَى اللَّه بالشرك، مثل ما تقرب المشركون الأولون، يذبَحون للقبور وينذرون لَها، ويطوفون بِهَا ويتبركون بِهَا، ويقولون: ما عَبَدْنا غير اللَّه، لكن هؤلاء رجال صالِحون، ونَحن قصدنا أنَّهم يتوسطون لنا عند اللَّه فقط.

واللَّه يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، ما أرادوا الشرك ولا قصدوه، وإنَّما ظنوا أنَّهم يؤدون عبادة وقربة إِلَى اللَّه سبحانه، يقربونهم إِلَى اللَّه زلفى، انظر كيف يأتي الشيطان إِلَى بني آدم، وكيف يأتي شياطين الإنس إِلَى بني آدم ويزينون هذه الأمور.

نقول لَهم: أنتم ما تعبدون أصنامًا، أنتم تتوسطون بالناس الصالِحين بينكم وبين اللَّه.

واللَّه -جل وعلا- اعتبر هذا شركًا فقال: ﴿وَيَعْبُدُونَ﴾ جعله عبادة ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ﴾ نزه نفسه عن ذلك فقال: ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨] فسماه شركًا.

وهم لا يسمونه شركًا، يسمونه طلب الشفاعة، فيجب التنبه لهذا.

أنت درستَ فِي العقيدة أن الشرك حرام، وأنه أكبر الكبائر، وأنه لا يُغفر،

الموضع الأول: قصة نزول الوحي، وفيها أن أول آية أرسله الله بِهَا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ إِلَى قوله: ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾ [المدثر: ١- ٧] [٤].

لكنَّ فهم الشرك أين هو؟ لابد أن تعرف من أعمال الناس وتطبيقاتهم ما هو شرك وما هو توحيد.

هم يقولون: هذا من التوسُّل بالأولياء والصالِحين، وهذا هو التوحيد، وهذا يُحبه اللَّه، وأن هؤلاء عباده، وأنهم صالِحون، واللَّه يُحب هذا، فيتقربون إِلَى اللَّه بهؤلاء، يسمونه الدين ويسمونه التوحيد، يسمون الشرك توحيدًا لِجهلهم وعمى بصائرهم.

[٤] **(الموضع الأول: قصة نزول الوحي)** أي: بدء الوحي على الرسول ﷺ.

كان ﷺ قبل البعثة مُخالفًا لِما عليه المشركون، لَمْ يعبد الأصنام، وكان مُخالفًا لِما عليه قومه، فكان يذهب إِلَى غار جبل حراء، وهو غار فِي أعلى الجبل مواجه للكعبة، فكان يَجلس فيه الأيام والأشهر يعبد اللَّه ﷻ ويعتزل عن الناس، يعبد اللَّه ﷻ على دين إبراهيم، على الحنيفية دين إبراهيم -عليه الصلاة والسلام-، جاءه ملك وهو فِي الغار، فقال له: اقرأ، قال: «**ما أنا بقارئ**» لأنه ما كان يقرأ -عليه الصلاة والسلام- قال تعالَى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾ [العنكبوت: ٤٨] كان أُمِّيًا -عليه الصلاة والسلام- لا يقرأ ولا يكتب.

والملك يقول له: اقرأ. وهو يقول: «**لست بقارئ**» يعني: لا أُحسن القراءة.

ثم يضمه ضمة شديدة، ثم يرسله ويقول له: اقرأ. فيقول: «**ما أنا بقارئ**»، ثم يضمه ضمة شديدة ثم يرسله ويقول له: اقرأ. فيقول: «**ما أنا بقارئ**». أي: ما أُحسن القراءة. ثُمَّ فِي النهاية قال له: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ

﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١-٥] فحفظها النَّبِي ﷺ، وهذا أول ما نزل عليه من الوحي، وصار بذلك نبيًّا نبأه اللَّه باقرأ.

ثُمَّ ذهب إِلَى خديجة -رضي اللَّه تعالَى عنها- أم الْمُؤمنين، وذكر لَها ما حصل له، وكان خائفًا ترعد فرائصه مِمَّا رأى من هول الموقف ومَجيء الملك إليه فِي هذا المكان، وقال لَها: «**لقد خَشيتُ على نفسي**».

فقالت: كلا واللَّه لا يُخزيك اللَّه أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتقري الضيف، وتَحمل الكَلَّ، وتُكسب الْمَعدم -أو الْمُعدوم- استدلت بصفاته ﷺ الطيبة على أن اللَّه لا يوقع به ما يَخشاه (لا يُخزيك اللَّه أبدًا)[1]؛ لأن صفاته صفات حميدة، وهذا من فقهها -رضي اللَّه تعالَى عنها- فهي أول من طمأن الرسول ﷺ وناصره وآنسه من هذه الوحشة، وهذا موقف عظيم منها.

ثُمَّ قال: «**دثروني**» أي: غَطّوني، وغطته، وبينما هو كذلك جاءه الملك فقال له: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ فصار بذلك رسولًا؛ لأنه بهذا أُمر بالتَّبليغ، وفِي الأول لَم يؤمر بالتبليغ، قيل له: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ لَم يؤمر بالتبليغ، صار نبيًّا بذلك، ثم جاءته الرسالة وهي أنه أُمر بالتبليغ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنْذِرْ ۝ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [المدثر:١-٥].

الرجز: الأصنام، هذا مَحل الشاهد: وهجرها: تركها والابتعاد عنها ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ لابد من الصبر؛ لأن المهمة ثقيلة جدًّا وطويلة وتَحتاج إلى صبر، هذا أول ما بعث اللَّه به رسوله ﷺ، بالنهي عن الشرك، أول شيء أمره بأن ينهى عن الشرك ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾، ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ أنذر عماذا؟ أنذر الناس عن الشرك وعبادة الأصنام أنذرهم عنها.

---

(١) أخرجه البخاري (٣) و(٣٣٩٢) و(٤٩٥٣) و(٤٩٥٥) و(٦٩٨٢)، ومسلم (١٦٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

فإذا فهمت أنَّهم يفعلون أشياء كثيرة، يعرفون أنَّها من الظلم والعدوان مثل الزنا [٥]، وعرفت أيضًا أنَّهم يفعلون شيئًا من العبادة يتقربون بِهَا إِلَى اللَّه مثل الحج والعمرة، والصدقة على المساكين والإحسان إليهم وغير ذلك [٦].

وأجلّها عندهم الشرك، فهو أجلّ ما يتقربون به إِلَى اللَّه عندهم، كما ذكر اللَّه عنهم أنَّهم قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، **ويقولون:** ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: ١٨]. [٧].

أول شيء أنه أُمر بالإنذار وأُمر بهجر الأصنام وتركها، مِما يدل على خطورة الشرك.

[٥] هؤلاء أهل الجاهلية كانوا يُمارسون القبائح: الزنا والربا والكبائر.

[٦] ومع هذا عندهم بقايا من دين إبراهيم -عليه الصلاة والسلام-؛ كانوا يَحجون ويعتمرون، وكانوا يتصدقون على الْمُحتاجين، هذه الأفعال طيبة لكن ليس معها توحيد، والعمل وإن كان عملًا طيبًا، إذا لَم يكن معه توحيد فإنه لا يفيد صاحبه.

ويعملون أعمالًا سيئة إِلَى جانب هذه الأعمال الطيبة، يعملون أعمالًا سيئة أعظمها الشرك، يفعلون الزنا ويأكلون الربا ويأكلون الميسر، وهذه كبائر، لكن أعظمها الشرك، من عبادة الأصنام وغيرها.

ويتقربون بها إِلَى اللَّه، يتقربون بهذا الشرك إِلَى اللَّه من جهلهم، يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] انظر كيف يفعل الجهل بأصحابه، يَجعل الحق باطلًا والباطل حقًّا، يَجعلون الشرك توحيدًا وتقربًا إلى اللَّه ﷻ.

وهذا يعطيك وجوب الاهتمام بأمر العقيدة وأمر التوحيد والفقه فِي ذلك

[٧] اعترفوا أنهم يعبدونهم حيث قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ﴾ لكن يقولون: ما

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٠] [٨].

قصدنا بهذه العبادة إلا أنهم يقربوننا إلَى اللَّه، ويظنون أن هذا عمل طيب، لأنه تعظيم للَّه وإجلال للَّه، حيث إنهم يقربوننا إليه لأننا لا نصل إليه إلا بعبادتهم، فهم يقربوننا إلى اللَّه لأنهم صالِحون، وهم يعنون الملائكة، ويعنون الأنبياء مثل عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، يتخذونهم وسائط بينهم وبين اللَّه ليقربوهم إلَى اللَّه زلفى.

[٨] كيف اتَّخذوا الشياطين أولياء من دون اللَّه، وهم يتقربون بالصالِحين: بعيسى وبعزير، وبالملائكة؟ نعم، اتَّخذوا الشياطين؛ لأن هؤلاء الصالِحين لا يرضون بذلك، ولَم يأمروهم بذلك، وإنَّما الذي أمرهم بهذا الشياطين، هي التي أمرتهم بعبادة المسيح وعبادة الملائكة وعزير وغيرهم من الأنبياء والصالِحين، فهم يعبدون الشياطين فِي الْحَقيقة حيث أطاعوهم فِي عبادة هؤلاء ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٠]، يَحسبون أن هذا هو الهدى، وأنه طريق خير وطريق صلاح، ولِهذا يقول -جل وعلا-: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ [الفرقان: ١٧-١٨].

وقال تعالَى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾ نزهوا اللَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَى أن يُعبد غيره معه ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤٠-٤١] فالملائكة تبرءوا منهم وأخبروا أنَّهم ما أمروهم بِهذا، وإنَّما الذي أمرهم بِهذا هم الشياطين من الجن والإنس، فصارت عبادتهم للشياطين الذين أمروهم.

فبرأ اللَّه عباده الصالِحين من أن يأمروهم بذلك، ومع هذا يَحسبون أنَّهم مهتدون، فدل على أنه ليس العبرة أن يكون الإنسان حسن النية، أو كونه ما

فأول ما أمره اللَّه به الإنذار عنه، قبل الإنذار عن الزنا والسرقة وغيرهما [٩].

وعرفت أن منهم من تعلق على الأصنام، ومنهم من تعلق على الملائكة وعلى الأولياء من بني آدم [١٠].

ويقولون: ما نريد منهم إلا شفاعتهم [١١].

قصد الشر، ليس العبرة بِهذا، العبرة بالاتباع للرسل ومن سار على نهجهم، وحسنُ النية مع قبح الفعل لا ينفع، فلم يكن هذا عذرًا لَهم؛ لأن اللَّه أرسل الرسل وأنزل الكتب لإنكار ذلك.

[٩] أول ما أُمر الرسول ﷺ بالإنذار عن الشرك حيث قال اللَّه تعالَى: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [المُدثر: ٥] وذلك قبل أن يؤمر بالإنذار عن الزنا وشرب الخمر وأكل الربا، إنَّمَا هذه نُهي عنها فيما بعد، ولكن أول ما أُمر به ترك الشرك.

لَمْ يقل: حذرهم من الكبائر ومن الزنا ومن الربا ومن الخبائث الَّتِي كانوا يعملونها، بل أول ما أمره بالنهي عن الشرك.

وأول ما أُمروا به التوحيد قبل أن يؤمروا بالصلاة والزكاة والصيام والحج؛ لأن التوحيد هو الأساس، ولا فائدة فِي الصلاة والحج والصيام والأعمال الصالِحة مع عدم وجود التوحيد.

[١٠] كانوا فِي الجاهلية متشتتين فِي عباداتهم ومعبوداتهم، منهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد الصالِحين، ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار، والنبي ﷺ لَمْ يُفرق بينهم، بل نهاهم جميعًا وقاتلهم جميعًا، لَمْ يُفرق بين من عبد الملائكة والصالِحين ومن عبد الأصنام؛ لأن الكل سواء؛ لأنه لا فرق بين من يعبد صنمًا، ومن يعبد وليًّا أو عبدًا صالِحًا.

[١١] يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣] ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] هذا قصدهم، تقربوا إِلَى اللَّه بعبادتهم

ومع هذا بدأ بالإنذار عنه فِي أول آية أرسله اللَّه بِهَا، فإن أحكمت هذه المسألة فيا بُشراك [١٢].

خصوصًا إذا عرفت أن ما بعدها أعظم من الصلوات الخمس [١٣].

ولَم تفرض إلا فِي ليلة الإسراء سنة عشر بعد حصار الشِّعب وموت أبِي طالب، وبعد هجرة الحبشة بسنتين [١٤].

هؤلاء، ما قصدهم الشرك، وإذا كانت الأفعال شركًا وكفرًا فلا يُنظر إِلَى المقاصد هل هي حسنة أو ليست حسنة.

[١٢] أي: إذا فهمت هذه الْمَسألة، أن أول ما يؤمر به التوحيد، وأول ما يُنهى عنه الشرك، فإنه لا فائدة فِي صلاح باقي الأمور مع فساد العقيدة، هذه مسألة عظيمة ومطلب عظيم يَجهله كثير مِمَّن ينتسبون إِلَى الإسلام اليوم.

فإذا فهمته فيا بشراك بالعلم النافع.

[١٣] أي: ليس بعد هذه المسألة الَّتِي هي التوحيد أعظم من الصلوات الخمس؛ لأنها الركن الثاني من أركان الإسلام بعد الشهادتين، ومع هذا لَمْ يأمر اللَّه ﷻ بالصلوات الخمس إلا قُبيل الهجرة، فالرسول ﷺ مكث فِي مكة ثلاث عشرة سنة لَمْ يؤمر بالصلاة.

وإنَّما أُمر بالصلاة قُبيل الهجرة فِي ليلة الْمِعراج، فلماذا تأخر الأمر بالصلاة؟ من أجل أن يتأسس التوحيد؛ لأنَّهم لو صلوا ما نفعتهم صلاتهم إلا مع التوحيد.

[١٤] إنَّمَا فُرضت الصلاة ليلة الإسراء والمعراج فِي السنة العاشرة من البعثة، وقصة الحصار: أن الرسول ﷺ كان يدعو إِلَى التوحيد وينهى عن الشرك، وكان المشركون يضايقونه ويضايقون أصحابه، وكان عمه أبو طالب يدافع عنه ويَحميه من أذى قومه، سخره اللَّه له مع أنه مشرك، لكن اللَّه -جل

فإذا عرفت أن تلك الأمور الكثيرة والعداوة البالغة، كل ذلك عند هذه المسألة قبل فرض الصلاة، رجوت أن تعرف المسألة [١٥].

وعلا- سخره لنبيه يَحميه ويدافع عنه.

فلما مات أبو طالب وماتت زوجة النَّبِي ﷺ خديْجة رضي الله عنها، وهما اللذان يدافعان عنه، تسلط الكفار عليه زيادة، وضيقوا عليه الْخَناق هو وأصحابه، وكانوا من قبل قد حاصروهم فِي الشِّعب، فِي شِعب من شعاب مكة، وقاطعوهم، منعوا عنهم الأرزاق والبضائع، ومنعوا التزوج منهم، حاصروهم فِي هذا الشعب حَتَّى آلمهم الجوع.

وكتبوا بذلك صحيفة وقعوا عليها وعلقوها فِي الكعبة لِمقاطعة مُحَمَّد ومن معه؛ ولَمَّا مات الذي كان يدافع عنه فسنحت لَهم الفرصة فاشتد أذاهم له ومن معه ومع هذا ما أُمر بالصلاة من بعثته إِلَى هذه الفترة؛ لأن المقام مقام تصحيح عقيدة قبل كل شيء.

ولَمَّا اشتد أذاهم على الرسول ﷺ وضايقوه، أمر من معه من ضَعَفة الصحابة، مِمَّن ليس لَهم من يدافع عنهم، أمرهم بالهجرة إِلَى الحبشة؛ لأن فيها ملكًا وهو النجاشي لا يُظلم أحد عنده، وهو نصراني إذ ذاك، لكن لا يُظلم أحد فِي أرضه، هذه هي الهجرة الأولى، وفيهم عثمان وفيهم من أكابر الصحابة، وذلك لأجل الفرار بدينهم، وكان هذا سببًا لإسلام النجاشي رحمه الله، حين سمع القرآن وسمع من الصحابة وهداه اللَّه للإسلام فأسلم.

وأرسلت قريش إِلَى النجاشي بهدايا ومغريات يقولون: هؤلاء مارقون شاردون منا ردهم علينا، فأبى أن يردهم عليهم، فكذب اللَّه ظن المشركين وعادت رسلهم خائبين، واستمر النجاشي رحمه الله فِي حماية المسلمين عنده إِلَى أن قيض اللَّه الفرج.

[١٥] إذا عرفت هذه المسألة، وهي مسألة أنَّهم ما عادوا رسول اللَّه ﷺ

الموضع الثاني: أنه ﷺ لَمَّا قام ينذرهم عن الشرك ويأمرهم بضده وهو التوحيد [١٦].

لَمْ يكرهوا ذلك واستحسنوه وحدثوا أنفسهم بالدخول فيه، إِلَى أن صرح بسب دينهم وتَجهيل علمائهم، فحينئذٍ شمروا له ولأصحابه عن ساق العداوة [١٧].

وضايقوه وحاصروه هو وأصحابه إلا من أجل الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك، وإلا لو سالمهم وعبد ربه هو ومن يتبعه وتركهم، ما قالوا له شيئًا، بل كانوا سيفرحون بِهذا.

وهذه دعوة أهل الكفر اليوم يقولون: دعونا نتعايش ودعونا نتهاود، ولا تقولوا شيئًا فِي ديننا، ونَحن لا نقول شيئًا فِي دينكم، وهم يكذبون لأَنَّهم يُحاربون الإسلام.

وهم يقولون: أنتم لا تقولوا فِي ديننا شيئًا ونَحن لا نقول فِي دينكم شيئًا وهم يُحاربون الإسلام على أقصى ما يُمكن، ويقتلون المسلمين ويشردونهم وهم يقولون: دعونا نتحاور ونتهاود.

ولو أنه ﷺ ما دعا إِلَى التوحيد ولا نهى عن الشرك، ما ثارت ثائرتهم.

[١٦] لو كان يأمرهم بالتوحيد وينهاهم عن الشرك عمومًا ولَم يتعرض لِما هم عليه.

وهم يقولون: الذي نَحن عليه ليس بشرك، الذي نَحن عليه تقرب إِلَى اللَّه بالأولياء والصالِحين، ونَحن لا نشرك باللَّه إنَّمَا هذا تقرب إِلَى اللَّه وتوسل إليه.

ولو أن الرسول اقتصر على النهي عن الشرك دون تفصيل وبيان، لَمَا اعترضوا عليه؛ لأنَّهم يرون أنَّهم غير مشركين.

[١٧] أي: لأنَّهم يفسرون الذي هم عليه أنه ليس بشرك، لكن عندما تقول لَهم: هذه الأضرحة وهذه القبور الَّتِي تعبدونها وتنذُرون لَها وتذبَحون لَها،

وقالوا: سَفَّهَ أحلامنا وعابَ ديننا وشتم آلِهتنا [١٨].

ومعلوم أنه ﷺ لَمْ يشتم عيسى وأمه ولا الملائكة ولا الصالِحين [١٩].

لكن لَمَّا ذكر أنَّهم لا يُدعون ولا ينفعون ولا يضرون جعلوا ذلك شتمًا [٢٠].

فإذا عرفت هذا عرفت أن الإنسان لا يستقيم له إسلام -ولو وحد اللَّه وترك الشرك- إلا بعداوة المشركين والتصريح لَهم بالعداوة والبغض، كما قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ

عملكم هذا هو الشرك، عند ذلك تثور ثائرتهم، هذا هو الذي فعله الرسول ﷺ، نهاهم عن عبادة اللات والعُزى ومَناة والأصنام، وقال لَهم: لستم على شيء، وهؤلاء الذين يدعونكم إليها هؤلاء علماء ضلال، فحينما قال لَهم ذلك ثارت ثائرتهم حمية لدينهم، وهذا هو الذي عليه غالب العالَم اليوم.

[١٨] لو أنه ما شتم آلِهَتهم ولا عاب دينهم ما قالوا له شيئًا، فلو اقتصر على قوله: الشرك قبيح والتوحيد طيب، ولا عاب آلِهَتهم ولا سب دينهم، لَمَا عارضوه.

[١٩] الرسول ﷺ ما سبَّ الصالِحين، وإنَّما سب عبادةَ غير اللَّه ﷻ، وبين أن أنبياء اللَّه وعبادَه الصالِحين والملائكة لا يرضون أن يُعْبَدوا من دون اللَّه.

[٢٠] لَمَّا قال: إن عيسى لا ينفع ولا يضر، وإن الملائكة لا تنفع ولا تضر، وإن الصالِحين لا ينفعون ولا يضرون، عدُّوا ذلك تنقصًا للصالِحين، ويقولون لأهل التوحيد: أنتم لا تبنون على أضرحتهم. وهذا من حقهم علينا.

يقولون: حقًّا علينا إكرامهم والبناء على قبورهم، هذا من حقهم علينا، وهذا من تقديرهم، وعندما نتوسل بِهم إِلَى اللَّه، هذا من تقديرهم وتعظيمهم.

وأنتم تقولون: هذا باطل ويعتبرون هذا شتمًا وسبًّا لَهم. هذا الذي يفسرون به أعمالَهم، وهذا موجود الآن على ألسنتهم وفِي كتبهم.

وَرَسُولَهُۥ﴾ .... [الْمُجادلة: ٢٢] [٢١].

فإذا فهمتَ هذا فهمًا جيدًا عرفتَ أن كثيرًا من الذين يَدَّعون الدين لا يعرفونها [٢٢].

---

[٢١] هناك من ينتسبون للدعوة والعلم ولا يرضون بِمعاداة الكفار ويقولون: إنَّمَا أمرنا بعداوة الْمُحاربين فقط.

يقولون: نعاديهم لأنَّهم حاربونا، لأنَّهم أخذوا أوطاننا، أما أن نعاديهم من أجل دينهم فلا نعاديهم.

واللَّه -جل وعلا- قال: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [الْمُجادلة: ٢٢].

فلم يقتصر على الْمُحاربين فقط، بل إن اللَّه جعل سبب الكره لَهم هو الْمُحادة للَّه ولرسوله، وأي مُحادة للَّه ورسوله أعظم من الكفر، وأعظم من الشرك باللَّه ﷻ؟ لا تَجوز مودة الكفار كلهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ يعني: مَحبوبين ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الْمَائدة: ٥١]. ﴿لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الْمُمتحنة: ١].

[٢٢] هذا صحيح، فإنك لو تسأل كثيرًا من العلماء والْمُتعلمين عن هذه المسألة، -مسألة الولاء والبراء- تَجدهم لا يعرفونها، يقولون: لا يلزم بُغْضهم، ديننا ما هو دين عداوة، ديننا دين مودة ودين مصالَحة ودين كذا، يعتبرون هذا من مدح الدين، فمودة المشركين -عندهم- لا بأس بِهَا، ويعتبرونها من الْمُصالَحة معهم.

ونقول: مصالَحتهم على أمور السياسة لا مانع منها، لكن مصالَحتهم على ترك بعض أمور الدين لا تَجوز.

وإلا فما الذي حمل المسلمين على الصبر على ذلك العذاب والأسر والضرب والهجرة إِلَى الحبشة [٢٣].

مع أنه ﷺ أرحم الناس، لو يَجد لَهم رخصة لأرخص لَهم، كيف وقد أنزل اللَّه تعالَى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠] **[٢٤].**

---

[٢٣] ما سبب ما نال المسلمين فِي مكة؟ هل لأنَّهم مسلمون يصلون ويصومون؟ لا . . . بل لأنَّهم أبغضوا الكفار وعادوهم، ونهوا عن الشرك باللَّه ﷻ، هذا هو السبب، وإلا لو أنَّهم صاموا وصلوا واشتغلوا بالذكر ولَم يتعرضوا لأحد، ما حصل لَهم أذى بالضرب والْحَبس والأسر، ولَمَا احتاجوا إِلَى الصبر؛ لأن الصبر لا يكون إلا على شيء مكروه.

[٢٤] مع رحمته ﷺ بأصحابه ما رخص لأصحابه بالتنازل عن شيء من الدين، ما رخص لَهم فِي هذا مع أنه رءوف رحيم -عليه الصلاة والسلام- فلو وجد لَهم رخصة فِي ترك إظهار الدين لرخص لَهم.

بل إن اللَّه أنزل عليه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ لكن إذا جاء الامتحان، إذا أوذي فِي اللَّه، إذا أوذي بسبب قوله: آمنت باللَّه، وبسبب توحيده فإنه يتراجع عن دينه، يَجعل فتنة الناس كعذاب اللَّه، يفر من أذية الناس فِي الدنيا إِلَى عذاب اللَّه فِي الآخرة، مثل الذي استجار بالنار من الرمضاء، وإذا لَمْ يصبر على أذى الناس، كيف يصبر على النار يوم القيامة؟! يلزم العكس أنه يفتدي أذى النار بتحمل أذى الناس، والصبر على دينه، أما أنه يفتدي بدينه من أذى الناس، وينسى النار الَّتِي أمامه، فهذا كالمستجير من الرمضاء بالنار، كما قال الشاعر:

المستجير بعمرو عند كربته ... كالمستجير من الرمضاء بالنار

فإذا كانت هذه الآية فيمن وافقهم بلسانه فكيف بغير ذلك؟![٢٥].

الموضع الثالث: قصة قراءته ﷺ سورة النجم بِحضرتهم، فلما بلغ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ [النجم: ١٩] ألقى الشيطان فِي تلاوته: «تلك الغرانيق العلا، وإن شفاعتهن لتُرتجي» فظنوا أن رسول اللَّه ﷺ قالَها، ففرحوا بذلك وقالوا كلامًا معناه: هذا الذي نريد، ونَحن نعرف أن اللَّه هو النافع الضار وحده لا شريك له، ولكن هؤلاء يشفعون لنا عنده.

فلما بلغ السجدة سجد وسجدوا معه، فشاع الخبر أنَّهم صافَوه، وسمع بذلك مَنْ بالحبشة فرجعوا، فلما أنكر ذلك رسول اللَّه ﷺ عادوا إلَى شر مِمَّا كانوا عليه.

ولَمَّا قالوا له: إنك قلت ذلك. خاف من اللَّه خوفًا عظيمًا، حَتَّى أنزل اللَّه عليه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِيٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ ... [الحج: ٥٢].

فمَن فهم هذه القصة، ثُمَّ شك بعدها فِي دين النَّبِي ﷺ، ولَم يُفرق بينه وبين دين المشركين، فأبعده اللَّه، خصوصًا إن عرف أن قولهم: (تلك الغرانيق) يراد بِهَا الملائكة [٢٦].

---

[٢٥] إذا كان هذا الوعيد فِي حق من وافق الكفار بلسانه من غير إكراه ليعيش معهم، فكيف بِمن وافقهم بفعله من أجل مصالِحه الدنيوية؟!

[٢٦] هذه القصة الَّتِي ذكرها الشيخ من قصص السيرة النبوية تسمى قصة الغرانيق، وهي كما ذكر أنه ﷺ لَمَّا قرأ سورة النجم فِي مكة وعنده المشركون والمسلمون، فلما بلغ قوله تعالَى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٩-٢٠]. فهي أكبر أصنام العرب.

اللات: فِي الطائف وكما سبق بيان هذا، أنه رجل صالح كان يُطعم الحجيج، فلما مات عكفوا على قبره يتبركون به على طريقة التبرك بالصالِحين،

كما كان أهل الجاهلية يفعلون ذلك، ويطلبون منه الشفاعة عند اللَّه؛ لأنه رجل صالح.

والعزى: هي صنم لأهل مكة قريبًا من عرفات، وهو عبارة عن شجرات عليها بنية يتبركون بِهَا.

وأما مناة: فهي صنم بين مكة والْمَدينة قريبًا من الْمَدينة، عند المشلل قريبًا من جبل قديد، وكانت للأوس والخزرج، وكانوا يُحرِمون من عندها بالحج تعظيمًا لَها.

واللَّه -جل وعلا- يقول: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٩-٢٠] أي: أخبروني عن هذه الأصنام، هل نفعتكم وهل ضرتكم؟! بل إنَّها لَمْ تدفع عن نفسها؛ لأن الرسول ﷺ لَمَّا فتح مكة هدمها، ولو كانت آلهة لَمنعت عن نفسها ودافعت عن نفسها. فاللَّه يوبخ المشركين الذين تعلقوا بهذه الأصنام الَّتِي لا تنفع ولا تضر.

فلما قرأ الرسول ﷺ هذه ألقى الشيطان -أي صوت الشيطان- بكلمات دَسَّها فِي تلاوة النَّبِي ﷺ وهي: «تلك الغرانيق العُلا وإن شفاعتهن لتُرتَجي» هذا كلام من الشيطان، دسه فِي تلاوة الرسول ﷺ، والرسول لَمْ يعلم بذلك، ولكن المشركين سمعوه ففرحوا وقالوا: ذكر آلهتنا بِخير، وهذا الذي نريده، نَحن لا نقصد منها إلا الشفاعة، وإلا نَحن نعلم أنَّها لا تنفع ولا تضر، ولكن نَحن نريد شفاعتها.

ومُحمد قال: وإن شفاعتهن لتُرتَجي، فلما بلغ ﷺ آخر السورة وهو قوله تعالَى: ﴿فَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعْبُدُواْ﴾ [النجم: ٦٢] سجد فسجد معه المسلمون، وسجد المشركون فرحًا بهذه الكلمات الشيطانية، حَتَّى إن الوليد بن المغيرة لَمَّا كان كبير السن لَمْ يستطع أن يسجد على الأرض، فأخذ حفنة من تراب فسجد عليها.

فشاع الخبر أن الرسول ﷺ تصالح مع المشركين، وأنه أقرهم على عبادة

اللات والعزى ومناة من أجل طلب الشفاعة، ووصل الخبر إِلَى الْمُهاجرين فِي أرض الحبشة من المسلمين، أن الرسول تصالح هو والمشركون أو أن المشركين أسلموا، فعادوا من الحبشة، فلما وصلوا إِلَى مكة وجدوا هذا الخبر غير صحيح، وأن المشركين ما زالوا على عداوتهم للرسول ﷺ وتضييقهم على المسلمين.

فلما أخبروا النَّبِي ﷺ أنه قرأ هذه الكلمات: «تلك الغرانيق العلا وإن شفاعتهن لتُرتَجي» حزن حزنًا شديدًا، وأصابه هم شديد، حَتَّى أنزل اللَّه قوله تعالَى فِي سورة الحج: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ [الحج: ٥٢-٥٥] فأبطل اللَّه ما ألقاه الشيطان فِي تلاوة الرسول ﷺ ونسخه، يعني: أزاله، وأحكم، أي: ثبت آياته الَّتِي أنزلها فِي ذم الأصنام وعبادتها. هذا حاصل القصة. وقد وردت هذه القصة عن ابن عباس متصلة بسند، ووردت عن بعض التابعين بأسانيد مرسلة، وبعضُ العلماء أنكرها ومنهم ابن كثير، وقال: إنها لَمْ ترد إلا من طرق مرسلة ومنقطعة تكلموا فيها. ولكن الحافظ ابن حجر فِي فتح الباري له رأي غير رأي هؤلاء، يقول: القصة جاءت من طرق مُختلفة متباينة الْمُخارج، فهي تتعاضد ويقوي بعضها بعضًا. هذا معنى كلام الحافظ ابن حجر.

مقصود الشيخ من إيرادها أن المشركين يقولون: نَحن لا نعبد هذه الأصنام على اعتقاد أنها تَخلق وترزق وتنفع وتضر، وإنَّما نعبدها طلبًا للشفاعة بأن تشفع

لنا عند الله سبحانه وتعالى.

فالله أبطل هذا وأقر القرآن على ما هو عليه من إبطال عبادتها، وأبطل ما ألقاه الشيطان فِي تلاوة النَّبِي ﷺ، وسلَّى نبيه وأذهب عنه الحزن بأن هذا يَجري مع مَن قبلك مِن الرسل فقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾ [الحج: ٥٢].

يعني: تلا، فالتمني هنا معناه التلاوة، كما فِي قوله تعالَى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ﴾ [البقرة: ٧٨] أي: تلاوة فقط ولا يعرفون المعاني، وكما فِي قول الشاعر فِي عثمان رضي الله عنه:

تَمنى كتاب اللَّه أول ليله وآخره لاقى حمام المقادر

وهي الليلة الَّتِي قُتل فيها رضي الله عنه، كان أول الليل يتهجد ويتلو القرآن، ثُمَّ هجم عليه الخوارج وقتلوه رضي الله عنه فِي آخر الليل.

الشاهد من البيت: قوله: تَمنى كتاب اللَّه، أي: تلاه، فالتمني يراد به التلاوة، فيكون المعنى ﴿إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾: أي: تلا الكتاب. ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾: يعني: فِي تلاوته، كلمات يظنها السامع من كلام الرسول وهي من كلام الشيطان، ولكن اللَّه له بالمرصاد يُبطل كلام الشيطان ويُحكم آياته سبحانه وتعالى؛ لأن اللَّه حافظ دينه وحافظ كتابه.

فالشاهد منها: أن المشركين فرحوا لَمَّا ظنوا أن الرسول ﷺ وافقهم بالكلام الذي ظنوه من الرسول وهو من الشيطان، أنَّ طلب الشفاعة من الأصنام لا بأس به، ففرحوا بذلك، ثُمَّ إن اللَّه -جل وعلا- أبطل ذلك، وبيَّن أنه لا تَجوز عبادة غير اللَّه عز وجل لأي قصد كان، طلب الشفاعة أو غيره.

العبادة حق للَّه عز وجل، ولا يَجوز عبادة غير اللَّه لأي قصد كان، ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]. ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

الموضع الرابع: قصة أَبِي طالب، فمن فهمها حسنًا وتأمل إقراره بالتوحيد، وحث الناس عليه، وتسفيه عقول المشركين، ومَحبته لِمن أسلم وخلع الشرك، ثُمَّ بذل عمره وماله وأولاده وعشيرته فِي نصرة رسول اللَّه ﷺ إِلَى أن مات [٢٧].

اللَّه سمى هذا شركًا وأبطله، وما قال الرسول هذه الكلمات الَّتِي فِي القصة وإنَّما قالَها الشيطان، وهذا من باب الابتلاء والامتحان لأجل أن يتميز الخبيث من الطيب، ثُمَّ إن اللَّه يزيل هذه الفتنة ويُبقي الحق.

هذا قد جرى مع الرسل قبل مُحَمَّد ﷺ، وجرى عليه مثلُ ما جرى على الرسل من قبله.

فهذا فيه دليل على بطلان اعتقاد عبدة القبور وغيرهم، الذين يعبدون القبور ويقولون: نَحن نعلم أنَّهم لا يضرون ولا ينفعون، ولا يَخلقون ولا يرزقون، وإنَّما هم صالِحون نتوسط بِهم إِلَى اللَّه ونطلب منهم الشفاعة.

وإننا لو أقررناهم على ذلك ما صار بيننا وبينهم خلاف، وإنَّما اشتدت العداوة بيننا وبينهم لَمَّا أنكرنا عليهم هذا واعتبرناه شركًا، كما أنكره الرسول ﷺ، وكما أنكره القرآن فِي آيات.

هذا هو مقصود الشيخ من إيراد هذه القصة، فهو يقول: إنهم يفرحون لو وافقناهم على هذا الكلام.

وقلنا: ما دام أنكم ما تقصدون منها أنَّها تَخلق وترزق وتنفع وتضر، وإنَّما قصدكم منها الشفاعة فهذا أمر لا بأس به.

[٢٧] أبو طالب عم الرسول ﷺ، لَمَّا توفِّي والد الرسول ﷺ عبد اللَّه بن عبد المطلب، والرسول ﷺ حمل فِي بطن أمه، ثُمَّ لَمَّا ولد ﷺ كفله جده عبد المطلب؛ لأنه أصبح يتيمًا فكفله جده عبد المطلب، ثُمَّ لَمَّا حضرت عبد المطلب الوفاة أوصى به إِلَى ابنه أَبِي طالب، وأبو طالب قام بالواجب وحضن النَّبِي ﷺ ورباه وأكرمه.

ثُمَّ لَمَّا بعثه اللَّه رسولًا إِلَى العالَمين قام معه يَحميه ويدافع عنه، ولقي الأذى من قريش فِي سبيل حماية دعوة الرسول ﷺ والدفاع عنه، وعرَّض نفسه للخطر والْمَجاعة، حَتَّى إنهم حاصروهم فِي الشِّعب سنين وقاطعوهم، وقطعوا عنهم المؤن، وقطعوا عنهم الاتصال، ومعهم أبو طالب وصبر على هذا، وكان يَمدح دين الرسول ﷺ ويقول:

ولقد علمت بأن دين مُحَمَّد ... من خير أديان البرية دينا

لولا الملامة أو حذار مسبة ... لرأيتني سمحًا بذاك مبينا

وفِي لاميته المشهورة الطويلة الَّتِي أوردها ابن كثير فِي البداية والنهاية اعترف بأن مُحمدًا رسول اللَّه، وأنه صادق فِي رسالته، وأنه لَمْ يَمنعه من اتباعه إلا خشيةُ مسبةِ دين آبائه الذين كانوا على عبادة الأصنام، فأخذته الحمية الجاهلية فِي امتناعه من اتباع مُحَمَّد ﷺ لئلا يَجر على أشياخه المسبة.

ثُمَّ لَمَّا حضرته الوفاة جاءه النَّبِي ﷺ وعنده أبو جهل وعنده آخر من بني مخزوم، فالرسول ﷺ قال له: «يا عم، قل: لا إله إلا اللَّه، كلمة أحاجّ لك بِهَا عند اللَّه» فقال له أبو جهل ومن معه: أتترك دين عبد المطلب؟ فأعاد عليه الرسول، فأعادا: أتترك دين عبد المطلب؟ ثم كان آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب. ومات على ذلك. فقال النبي ﷺ: «**لأستغفرن لك ما لَم أنه عنك**» فأنزل اللَّه تعالَى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ الْجَحِيمِ﴾[1] [التوبة: ١١٣]. وأنزل فِي أبِي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦].

(١) أخرجه البخاري (١٣٦٠) و(٣٨٨٤) و(٤٦٧٥) و(٤٧٧٢) و(٥٦٥٧) و(٦٦٨١)، ومسلم (٢٤).

فدل هذا على أن مدح الإسلام ومدح الرسول، واعتقاد أن الإسلام حق وأن الرسول حق من غير اتباع للرسول، أن ذلك لا ينفع، وأنه لابد من اتباع الرسول ﷺ؛ لأن هذا لو كان ينفع لنفع أبا طالب، فإن الإقرار بأن الإسلام حق وأن الرسول صادق، مع المدافعة عن الإسلام وحماية الإسلام، كل هذا لا ينفع إلا مع الاتباع، وإلا فإن النَّبِي ﷺ يقول: «**إن اللَّه يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر**»[(١)].

فلابد من الاتباع، فلا تنفع الْمُعاونة والْمَدح والْحِماية للإسلام وغير ذلك، ولا القرابة من الرسول بدون اتباع له، فهذا عم الرسول ﷺ لَمَّا مات على الكفر لَمْ ينفعه الرسول ﷺ بإخراجه من النار رغم الْمُحاولة، ومنعه اللَّه من الاستغفار له، وقال: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ وقال: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣].

واللَّه -جل وعلا- يقول: ﴿قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ﴾ لَمْ يكتف بقوله: ﴿ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ﴾ بل قال: ﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦- ١٥٧].

فهذا يدل على أن مدح الإسلام والثناء على الإسلام والمسلمين، وأنهم على حق وأن الكفار على باطل، وأن الشرك باطل، كلٌّ هذا لا يكفي وأنه لابد

(١) أخرجه البخاري (٣٠٦٢) و(٤٢٠٤) و(٦٦٠٦)، ومسلم (١١١) من حديث أبي هريرة.

ثُمَّ صبره على المشقة العظيمة والعداوة البالغة، لكن لَمَّا لَمْ يدخل فيه ولَم يتبرأ من دينه الأول لَمْ يصر مسلمًا، مع أنه يعتذر من ذلك بأن فيه مسبة لأبيه عبد المطلب ولِهاشم وغيرهما من مشايِخهم [٢٨].

ثُمَّ مع قرابته ونصرته استغفر له رسول اللَّه ﷺ، فأنزل اللَّه تعالَى عليه: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣] **[٢٩].**

من الاتباع، فمن كان يُمدح الإسلام ويثني عليه ويُمجده، وهو لَمْ يترك الشرك بل يدعو غير اللَّه، يدعو الأصنام والأضرحة والقبور، فإن هذه الأمور لا تنفعه ولا تفيده شيئًا، لو كانت تنفع وتفيد لأفادت أبا طالب عم الرسول ﷺ. فهذه مسألة دقيقة ينبغي التنبه لَها.

[٢٨] هذا الذي منعه وهو النخوة والعصبية الجاهلية، منعته من الدخول فِي الإسلام ومات على الكفر، مع ما له من الْمَواقف العظيمة فِي نصرة الحق والدفاع عنه، ومع ذلك لَمَّا لَمْ يتبع الرسول ﷺ لَمْ تنفعه هذه الأمور، إلا ما صح أنه خُفف عنه من عذاب النار، حيث أصبح فِي ضحضاح من نار بسبب شفاعة النَّبِي ﷺ له(١)، وفِي رواية: «**فِي أخمص قَدميه جمرتان من نار يغلي منهما دماغه، ما يَرى أن أحدًا من النار أشد منه عذابًا، وإنه لأهونهم عذابًا**»(٢).

لَم ينفعه ذلك فِي إخراجه من النار، فلا يتعارض هذا مع قوله تعالَى عن الكفار: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨] إنَّما نفعه فِي التخفيف عنه من العذاب فقط.

[٢٩] نستفيد من هذا أنه لا يكفي الإقرار بأن الإسلام حق، ولا يكفي

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٠٨) و(٦٥٧٢)، ومسلم (٢٠٩) و(٣٥٧) من حديث العباس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٦١) و(٦٥٦٢)، ومسلم (٢١٣) من حديث النعمان بن بشير وليس فيه ذكر لأبي طالب، وإنَّما هو فِي ذكر أهون أهل النار عذابًا.

والذي يبين هذا أنه إذا عرف رجل من أهل البصرة أو الأحساء بِحب الدين وبِحب المسلمين، مع أنه لَمْ ينصر الدين بيدٍ ولا مال ولا له من الأعذار مثل ما لأبي طالب، وفهم الواقعَ من أكثر من يدعي الدين، تبين له الهدى من الضلال، وعرف سوء الأفهام، والله المستعان [٣٠].

الْمَوضع الخامس: قصة الهِجرة، وفيها من الفوائد والعبر ما لا يعرفه أكثر من قرأها [٣١].

المدافعة عن الإسلام، ولا يكفي ذم الشرك والمشركين، كل هذا لا يكفي إلا باتباع الرسول ﷺ، فمن لَمْ يتبع الرسول ﷺ فإن هذه الأمور لا تنفعه.

وبناء على ذلك، فإن هؤلاء الذين يُصلون ويَصومون ويشهدون أن لا إله إلا اللَّه، وأن مُحمدًا رسول اللَّه، وقد يُجاهدون الكفار، ولكنهم لا يتركون الشرك حول الأضرحة والقبور، ويستغيثون بالأموات، ويذبَحون للقبور، فهؤلاء لا ينفعهم ذلك؛ لأن الشرك لا ينفع معه عمل كما قال تعالَى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥] ما دام أنه لَمْ يتبرأ من المشركين، ولَم يقاطعهم فِي الدين، فإنه لا ينفعه ذلك.

[٣٠] يقصد بذلك العلماء الذين فِي وقته، الذين عرفوا الحق وعرفوا التوحيد وعرفوا بطلان الشرك، لكن مع هذا لَمْ يقوموا بالدعوة إِلَى اللَّه والأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك والإنكار على المشركين، لَمْ يقوموا بذلك، هؤلاء مثل أَبِي طالب؛ لأنهم ما بذلوا الخير لِهذا الدين، ولا دعوا إِلَى اللَّه ﷻ، ولا بينوا للناس، بل كتموا العلم الذي عندهم وسكتوا عن الشرك وعاشوا مع الْمُشركين.

[٣١] الهجرة فِي اللغة: مأخوذة من الهجر وهو الترك، قال تعالَى: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [الْمُدثر: ٥].

أي: اتركه، فالهجر هو الترك، ومنه هجر أهل الْمَعاصي، وهجر الْمُشركين -يعني: تركهم وعدم محبتهم- قال ﷺ: «**الْمُهاجرُ مَنْ هَجَرَ ما نَهى اللَّه عنه**»[1] أي: ترك ما نهى اللَّه عنه.

أما الْهِجرة فِي الشرع: فهي الانتقال من بلد الشرك إِلَى بلد الإسلام لأجل الدين، هذه هي الْهِجرة الشرعية، والْهِجرة فيها فضل عظيم، وهي عديلة الإيْمَان والجهاد فِي سبيل اللَّه، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟﴾ [الأنفال: ٧٢] فهذا مِمَّا يدل على عِظَمِ الْهِجرة.

والْهجرة باقيةٌ إِلَى أن تقوم الساعة، فالذي لا يقدر على إظهار دينه فِي بلاد الْمُشركين يَجب عليه أن يُهاجر إِلَى بلد يقدر فيه على إظهاره، فإن لَمْ يُهاجر وهو يقدر على الْهِجرة، فإن اللَّه ﷻ أنزل فيه القرآن: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ٩٧]. هذا وعيد شديد مع أنَّهم مسلمون، لكن لَمَّا تركوا الْهِجرة بعذر مَحبة الأموال والأولاد والوطن، وقدَّموا مَحبة هذه الأشياء على الْهِجرة فاللَّه -جل وعلا- توعَّدهم بِهذا الوعيد.

وسبب نزول الآية: أنه لَمَّا كانت غزوة بدر كان مع الْمُشركين أناس من الْمُسلمين بقوا فِي مكة ولَم يهاجروا شحًّا بوطنهم وبلادهم وأموالِهم وأولادهم، وهم يقدرون على الْهِجرة، فلما خرج الْمُشركون إِلَى بدر خرجوا بِهم معهم بغير اختيارهم، وألزموهم بالخروج معهم، ثُمَّ لَمَّا دارت الْمعركة قُتل أناس منهم وهم فِي صف الكفار، ولَم يعلم الْمُسلمون بِهم، فلما علم الْمُسلمون بِهم ندموا وقالوا: قتلنا إخواننا. فأنزل اللَّه هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ﴾.

(١) أخرجه أبو داود (٢٤٨١)، والنسائي فِي الكبرى (٨٧٠١)، وابن حبان (٢٣٠)، وأحمد (٦٥١٥).

يعني: ما الوطن الذي أنتم فيه، أي وطن؟

ما قالوا: كيف حالكم فِي الإيْمَان؟ أو ما يقينكم؟ ما سألوهم عن هذا، وإنَّما سألوهم عن الْمَكان، ﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾ ﴿قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [النساء: ٩٧].

يعني: أجبرونا على الخروج بسبب ضعفنا ولا نقدر أن نَمتنع ﴿قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا﴾ كان لكم مندوحة عن هذا، لو هاجرتُم مثلما هاجر إخوانكم لسلمتم من هذه الواقعة ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾ هذا وعيد ﴿وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ [النساء: ٩٧-٩٨] الذين لا يقدرون على الهجرة، وبقوا فِي بلاد الشرك لأنَّهم ما يقدرون على الْهجرة ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٩٧-١٠٠].

هذا فِي شأن هؤلاء، وهذه قصة عجيبة وعظيمة: أن هؤلاء مع إسلامهم وصدقهم فِي الإسلام، لَمَّا تركوا الْهِجرة من غير عذر حصل عليهم هذا الوعيد وهذا التوبيخ من الْمَلائكة لَمَّا جاءت تقبض أرواحهم، فدل على أنه لا يَجوز للمُوحد المسلم أن يتساهل بِهذا الأمر وأن يكون مع المشركين ولو من غير مَحبة لَهم، لكن مَحبة لِماله أو ولده أو بيته أو غير ذلك ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟﴾ [التوبة: ٢٤] يعني: انتظروا ﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ هذا وعيد شديد ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤] فلا يَجوز تقديم مَحبة الأموال والأولاد على طاعة اللَّه ﷻ، وعلى الْهِجرة والْجِهاد فِي سبيل اللَّه ﷻ، والكثيرُ من الناس يقرءون هذه الآية ولا يتدبرونها.

ولكن مرادنا الآن مسألة من مسائلها، وهي أن من أصحاب رسول اللَّه ﷺ من لَمْ يهاجر من غير شك فِي الدين وتزيين دين الْمُشركين، ولكن مَحبة للأهل والْمَال والوطن، فلما خرجوا إِلَى بدر خرجوا مع الْمُشركين كارهين، فقتل بعضهم بالرمي، والرامي لا يعرفه.

فلما سمع الصحابة أن من القتلى فلانًا وفلانًا شق عليهم وقالوا: قتلنا إخواننا. فأنزل اللَّه تعالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ ... **إِلَى قوله:** ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٩٧-١٠٠].

فمن تأمل قصتهم وتأمل قول الصحابة: قتلنا إخواننا، علم أنه لو بلغهم عنهم كلام فِي الدين أو كلام فِي تزيين دين الْمُشركين لَمْ يقولوا: قتلنا إخواننا [٣٢].

فإن اللَّه تعالَى قد بيَّن لَهم وهم بِمكة قبل الْهجرة أن ذلك كفرٌ بعد الإيْمان بقوله تعالَى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦]. **وأبلغ من هذا ما تقدم من كلام اللَّه تعالَى فيهم، فإن الْملائكة تقول:** ﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾ **ولَم يقولوا: كيف تصديقكم؟** ﴿قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [النساء: ٩٧] **[٣٣].**

---

[٣٢] فالصحابةُ ما قالوا: (إخواننا) إلا لأنهم مستقيمون على الدين، ما ذُكر عنهم أنَّهم مالوا مع المشركين أو مدحوا الْمُشركين، بل يبغضون دين الْمُشركين وكانوا على التوحيد، وكانوا مخلصين للَّه وليس فيهم نفاق، لكن تركوا شيئًا واحدًا وهو الْهجرة من غير عذر. فلامهم اللَّه على ذلك.

[٣٣] فالْمَلائكة ما سألوهم عن إيْمانهم وعقيدتهم؛ لأنَّهم يعرفون أنَّهم على عقيدة صحيحة وعلى إيْمَان صادق، لكن سألوهم عن المكان الذي هم فيه، حيث لا يَجوز لَهم أن يبقوا فيه وهم يقدرون على الْهِجرة منه.

ولَم يقولوا: كذبتم. مثل ما يقول اللَّه والْمَلائكة للمجاهد الذي يقول: جاهدتُ فِي سبيلك حَتَّى قُتلت، فيقول اللَّه: كذبت، وتقول الْمَلائكة: كذبت، بل قاتلت ليقال: جريء، وكذلك يقولون للعالم والمتصدق: كذبت، بل تعلمت ليقال: عالِم، وتصدقت ليقال: جواد[1] [٣٤].

وأما هؤلاء فلم يُكذبوهم بل أجابوهم بقولِهم: ﴿قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ﴾ **ويزيد ذلك إيضاحًا للعارف والجاهل الآية الَّتِي بعدها، وهي قوله تعالَى:** ﴿إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ حِيلَةٗ وَلَا يَهۡتَدُونَ سَبِيلٗا﴾ [النساء: ٩٨] **[٣٥].**

فهذا أوضح جدًّا أن هؤلاء خرجوا من الوعيد، فلم يبق شبهة، لكن لِمن طلب العلم، بِخلاف من لَمْ يطلبه، بل قال اللَّه فيهم: ﴿صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٨] **[٣٦].**

---

[٣٤] الْمَلائكة لَمْ تقل: كذبتم لستم مسلمين ولستم مؤمنين، بل قالوا: فيم كنتم؟ سألوهم عن المكان الذي هم موجودون فيه، موجودون حيث خرجوا مع المشركين ولو كانوا مكرهين؛ لأنَّهم هم السبب فِي تسلط الكفار عليهم، ولا يَجوز مرافقتهم والخروج معهم حبًّا للمال وللأهل، ومداراة لكي يُبقوا على أموالِهم.

[٣٥] يعني: لا يعذر إلا من ترك الْهجرة عاجزًا عنها، فإنه معذور، قال تعالَى: ﴿إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ حِيلَةٗ﴾ للخروج ﴿وَلَا يَهۡتَدُونَ سَبِيلٗا﴾ إليه ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ﴾ [النساء: ٩٨-٩٩] هذا وعد من اللَّه بالعفو عنهم.

[٣٦] نعم، اختلاط المسلمين مع الكفار من غير عذر أمر لا يَجوز، بل لا بد

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٠٥)، والترمذي (٢٣٨٣)، والنسائي (٦/ ٢٣).

ومن فهم هذا الْمَوضع والذي قبله فهم كلام الْحَسن البصري، قال: ليس الإيْمان بالتحلِّي ولا بالتمنِّي ولكن ما وَقَرَ فِي القلوب وصدقته الأعمال [٣٧].

وذلك أن اللَّه تعالَى يقول: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ [فاطر: ١٠] **[٣٨].**

الْمَوضع السادس: قصة الردَّة بعد موت النَّبِي ﷺ، فمن سمعها لا يبقى فِي قلبه مثقال ذرة من شبهة الشياطين الذين يسمون العلماء، وهي قولُهم هذا هو الشرك، لكن يقولون: لا إله إلا اللَّه، ومن قالَها لا يكفر بشيء [٣٩].

أن تتميز بلاد المسلمين عن بلاد الكفار، ولا يُخالط المسلم المشرك، بل قال ﷺ: «**لا تَتَراءى ناراهما**»(١) أي: يَبعد عنه مهما أمكنه ذلك.

[٣٧] فالإيْمَان هو ما (صدقته الأعمال) ومنها الْهِجرة؛ لأنها من الأعمال، وهذا فيه رد على الْمُرجئة الذين يقولون: إنه يكفي الإيْمَان بالقلب، أو بالقلب واللسان. فلا يكفي الاعتقاد والنطق بل لابد من العمل.

[٣٨] قوله ﴿إِلَيۡهِ﴾ أي: إِلَى اللَّه ﷻ، ﴿يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ من الذكر وقراءة القرآن والتسبيح والتهليل، وكل كلام طيب فإنه يصعد إِلَى اللَّه -جل وعلا-، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتعليم العلم النافع، كل هذا من الكَلم الطيب، والكلام الطيب مع الناس ومع الأقارب ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾ [البقرة: ٨٣] ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا﴾ [الإسراء: ٢٣]. كل هذا من الكلم الطيب، يصعد إِلَى اللَّه، لكن لا يصعد بنفسه، بل لابد من العمل ﴿وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ [فاطر: ١٠] وفِي هذا رد على الْمُرجئة أيضًا.

[٣٩] يقول علماء الضلال: عبادة القبور والذبح لَها والنذر لَها ليس من الشِّرك، ما دام أنه يقول: لا إله إلا اللَّه، فهذه الأمور لا تضره. هذا تناقض.

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٦٤٥)، والترمذي (١٦٠٤) و(١٦٠٥).

كيف يقول: لا إله إلا اللَّه ويدعو غير اللَّه؟ إذن ما معنى لا إله إلا اللَّه؟، لا إله إلا اللَّه ليست مُجرد قول يقال باللسان، بل لابد أن يكون قولًا ومعه عمل؛ لأن لا إله إلا اللَّه كلمة عظيمة لَها معنى ولَها مقتضى، ومقتضاها: أن يُخلص الْمَرْءُ العبادة للَّه ﷻ، وأن يترك عبادة غير اللَّه، فالذي يقولها ولَم يترك عبادة غير اللَّه لا تنفعه كلمة لا إله إلا اللَّه، كما يقولون، وربَّما يستدلون بالْمُتشابه من النصوص، مثل قوله ﷺ فِي حديث البطاقة الَّتِي فيها: لا إله إلا اللَّه، وأنها تثقل بالسيئات، وأن صاحبها يدخل الْجَنة[1]، هذا حديث عن الرسول ﷺ، لكن يُرد إِلَى الأحاديث الأخرى الَّتِي تقيده، لا يؤخذ طرف ويُترك طرف كما قال اللَّه فِي أهل الزيغ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ﴾ [آل عمرن: ٧]. فالراسخون يردون الْمُتشابه إِلَى الْمُحكم.

والأحاديث الَّتِي ظاهرها: أن لا إله إلا اللَّه تكفي من قالَها، تُرد إِلَى الأحاديث الَّتِي فيها أن لا إله إلا اللَّه لابد لَها من قيود، مثل قوله ﷺ: «**مَنْ قال: لا إله إلا اللَّه وكفر بِمَا يُعبد من دون اللَّه**»[2]. والذي يدعو أصحاب القبور لَم يكفر بِما يُعبد من دون اللَّه. حتى لو لَم يذبح للقبور ولَم ينذر لَها.

بل قال: إن هذا ليس بشرك. هذا لا تنفعه لا إله إلا اللَّه؛ لأنه صحح الشرك وأقره، فهذا ما فهم معنى لا إله إلا اللَّه. ولِهذا يقول (الشياطين الْمُسمون بالعلماء) الذين يأخذون الْمُتشابه ويستدلون به، ويقولون: من قال: لا إله إلا اللَّه، لو فعل ما فعل من الشرك هو من أهل الجنة. والرسول ﷺ يقول: «**من قال: لا إله إلا اللَّه وكفر بِمَا يُعبد من دون اللَّه**» ويقول: «**فإن اللَّه حرم على النار من قال: لا إله إلا اللَّه يبتغي بذلك وجه اللَّه**»[3].

(١) حديث البطاقة: أخرجه الترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠).

(٢) أخرجه مسلم (٢٢).

(٣) أخرجه البخاري (٤٢٤)، (٦٨٦)، ومسلم (٣٣) من حديث عتبان بن مالك.

وأعظم من ذلك وأكبر: تَصريحهم بأن البوادي ليس معهم من الإسلام شَعرة ولكن يقولون: لا إله إلا اللَّه [٤٠]، وهم بهذه اللفظة أهل إسلام [٤١].

ويقول اللَّه ﷻ: «**يا ابن آدم، لو أتيتنِي بقُراب الأرض خطايا، ثم لقيتنِي لا تُشرك بي شيئًا، لأتيتك بقرابها مغفرة**»(١) قيَّد ذلك بالسلامة من الشرك. وهذه الأحاديث يُرد بعضها إِلَى بعض؛ لأنها كلها كلام الرسول ﷺ، والآيات تُرد بعضها إِلَى بعض لأنها كلها كلام اللَّه، وبعضها يُفسر بعضًا ويقيد بعضًا ويوضح بعضًا.

أما أن نأخذ طرفًا ونترك طرفًا آخر فهذه طريقة أهل الزَّيغ. وإن قال: أنا أستدل بكلام الرسول.

فنقول له: كذبتَ، أنت لَمْ تستدل بكلام الرسول، أنت تستدل بالْمُتشابه منه، ولَم ترده إِلَى الْمُحكم.

[٤٠] **البوادي**: هم جمع بادية وهم الأعراب الرحل، يقول: هؤلاء الضلال «البوادي» ما معهم من الإسلام شعرة، لا يصلون ولا يصومون ولا يعرفون الإسلام، لكن ما داموا يقولون: لا إله إلا اللَّه فهذا يكفيهم.

[٤١] فالضُّلَّالُ يقولون: يكفي أنهم يقولون: لا إله إلا اللَّه، فمجرد قولها يدخلهم فِي الإسلام.

يقولون هذا وهم معترفون أنهم ما معهم من الإسلام شعرة، لا يصلون ولا يصومون ولا يعملون شيئًا من الأعمال الصالِحة، فقط هم يقولون: لا إله إلا اللَّه. يا سبحان اللَّه! لا إله إلا اللَّه ليست مُجرد كلمة، لو كان هذا هو الإسلام صار كلُّ الناس مسلمين. الرسول ﷺ لَمَّا قال لَهم: «**قولوا كلمةً تَدينُ لكم بها العرب، وتؤدي لكم بها العجم الجزية**» قالوا: خُذ وأبيك ألف كلمة، ما هي؟ قال: «**قولوا: لا إله إلا اللَّه**» قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٤٠) من حديث أنس.

وحرَّمَ الإسلامُ مالَهم ودمَهم مع إقرارهم بأنهم تركوا الإسلام كله [٤٢]. ومع علمهم بإنكارهم البعث، واستهزائهم بِمن أقر به [٤٣].

عُجَابٌ﴾(١) [ص: ٥].

عرفوا أنَّهم لو قالوا: لا إله إلا اللَّه، تركوا عبادة الأصنام، وهم لا يريدون ذلك. هم يَحسبونها كلمة فقط أي كلمة، فلما قال لَهم: «قولوا: لا إله إلا اللَّه» وهم عرب فُصحاء يعرفون معنى هذه الكلمة، وأنها تلزمهم بترك عبادة الأصنام، قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصافات: ٣٥-٣٦].

[٤٢] يقول علماء الضلال: حرم الإسلام دمهم ومالهم -يعنون: البوادي التي ليس عندها من الإسلام شعرة- لأن الرسول ﷺ يقول: «**أُمرت أن أُقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا اللَّه، فإذا قالوها عصموا منِّي دماءهم وأموالَهم**»(٢).

لكنهم لا يَجيئون بآخر الْحَديث: «إلا بِحقها» أي: لابد من العمل؛ لأن حقها العمل.

[٤٣] ويقولون: إذا قال: لا إله إلا اللَّه وهو يُنكر البعث، يصير مسلمًا! فهؤلاء مسلمون ما دام أنَّهم يقولون: لا إله إلا اللَّه ولو أنكروا البعث.

ما هذا التناقض والعياذ باللَّه؟! والذي يقول هذا ليس من العوام، إنهم علماء، علماء فِي الفقه والنحو والصرف، لكن فِي العقيدة ما عندهم ولا حبة خردل من العلم الصحيح، عقيدتهم عقيدة الْمُتكلمين، ولا يدرسون التوحيد

---

(١) أخرجه البيهقي فِي دلائل النبوة (٢/ ٣٤٥)، وذكره ابن كثير فِي البداية والنهاية (٤/ ٣٠٨) من حديث ابن عباس.

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٤٦)، ومسلم (٢٠)، ومالك فِي الْمُوطأ (١/ ٢٦٩)، وأبو داود (١٥٥٦)، والترمذي (٢٦١٠)، والنسائي (٥/ ١٤) من حديث أبِي هريرة.

واستهزائهم وتفضيلهم دين آبائهم الْمَخالف لدين النَّبِي ﷺ. ومع هذا كله يصرح هؤلاء الشياطين الْمَردة الْجَهلة أن البدو أسلموا ولو جرى منهم ذلك كله؛ لأَنَّهم يقولون: لا إله إلا اللَّه. ولازم قولهم أن اليهود أسلموا لأَنَّهم يقولونها [٤٤] وأيضًا كُفر هؤلاء أغلظ من كفر اليهود بأضعاف مضاعفة، أعني: البوادي الْمُتَّصفين بِمَا ذكرنا.

والذي يُبين ذلك من قصة الردة أن الْمُرتدين افترقوا فِي ردتهم، فمنهم من كذب النَّبِي ﷺ ورجعوا إِلَى عبادة الأوثان وقالوا: لو كان نبيًّا ما مات [٤٥]. ومنهم من ثبت على الشهادتين ولكن أقر بنبوة مُسَيلمة [٤٦].

من كتاب اللَّه ومن سنة رسول اللَّه ﷺ، وإنَّما يدرسون قواعد المنطق، وعلم الكلام، وعقائد المتكلمين الذين يقولون: يكفي أنك تقر بأن اللَّه هو الخالق الرازق الْمُحيي الْمُميت، فقط هذا هو التوحيد عندهم.

[٤٤] اليهود يقولون: لا إله إلا اللَّه، لكن لَمَّا لَمْ يعملوا بِهَا صاروا أغلظ الأمم كفرًا والعياذ باللَّه، ومثلهم من اعتقد هذه العقيدة.

[٤٥] الْمُرتدون لا شك فِي كفرهم، ولَم يَحصل عند الصحابة خلاف فِي كُفرهم، وهم صنفان:

الصنف الأول: الذين يقولون: (لو كان نبيًّا ما مات) وكونه مات هذا دليل على أنه غير نبِي؛ فارتدوا عن الإسلام؛ لأَنَّهم كفروا برسالة مُحَمَّد ﷺ.

[٤٦] **الصنف الثاني**: من أقر بالشهادتين وأن مُحمدًا رسول اللَّه، لكن أقر بنبوة مسيلمة، قال: إن مسيلمة نبي. فهؤلاء لا تنفعهم شهادة أن لا إله إلا اللَّه، وأن مُحمدًا رسول اللَّه، إذا أقروا بنبوة مسيلمة الكذاب فليسوا مسلمين، وهذا بالإجماع؛ لأَنَّهم جَحدوا ختم النبوة بِمحمد ﷺ، حيث يقول -جل وعلا-: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠] وصدقوا الْمُتنبئ الكاذب.

ظنًّا أن النَّبِي ﷺ أشركه فِي النبوة [٤٧]؛ لأن مسيلمة أقام شهود زور شهدوا له بذلك [٤٨]، فصدقهم كثير من الناس. ومع هذا أجمع العلماء أنَّهم مرتدون ولو جهلوا ذلك [٤٩]. ومن شك فِي ردتهم فهو كافر [٥٠].

فإذا عرفت أن العلماء أجمعوا أن الذين كذبوا ورجعوا إِلَى عبادة الأوثان وشتموا رسول اللَّه ﷺ، هم ومن أقر بنبوة مُسيلمة فِي حال واحدة ولو ثبت على الإسلام كله [٥١].

---

[٤٧] لأن مسيلمة الكذاب يقول: إن الرسول أشركني فِي النبوة، وصدقوه فِي هذه الكلمة.

[٤٨] وشهد له بعض الشهود أن الرسول أشركه فِي الأمر، شهادة زور والعياذ باللَّه، وكذبوا صريح القرآن بِختم النبوة بِمحمد، وقوله ﷺ: «**أنا خاتم النَّبيين لا نبي بعدي**»(١).

[٤٩] الذي يقول: إنه يُبعث بعد الرسول نبي يكون كافرًا بالإجماع.

[٥٠] لأنه لم يُكفِّر الْمُشركين وقال: يُمكن أن يكونوا صادقين، وما جزم أنهم على الباطل، بل قال: أنا لا أدري، أنا لا أكفر الناس.

نقول: لا . . . لابد أن تعرف الحق من الباطل، لابد أن تعرف الكفر من الإيْمَان وتُميز المسلم من الكافر، لابد من هذا، وإلا ما معنى الإسلام؟!

[٥١] أي: من لَم يكفِّر الْمُشركين فهو مثل من يقر بنبوة مسيلمة الكذاب ولو كان يؤدي الإسلام كله، إذا قال: إن مسيلمة صادق، صار مرتدًّا عن دين الإسلام. وهذا بالإجماع.

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٢٠) و(٢٩٨٩)، وأبو داود (٤٢٥٢)، والترمذي (٢١٧٦)، وأحمد (٢٢٣٩٥) من حديث ثوبان.

ومنهم من أقر بالشهادتين وصدق طُلَيحة فِي دعواه النبوة [٥٢].

ومنهم من صدق العَنْسي صاحب صنعاء [٥٣]. وكل هؤلاء أجمع العلماء أنَّهم سواء، ومنهم من كذب النَّبِي ﷺ ورجع إِلَى عبادة الأوثان على حال واحدة، ومنهم أنواع أخر [٥٤].

آخرهم الفجاءة السُّلمي، لَمَّا وفد على أبِي بكر وذكر له أنه يريد قتال الْمُرتدين، وطلب من أبِي بكر أن يَمده، فأعطاه سلاحًا ورواحل، فاستعرض السلمي المسلم والكافر يأخذ أموالَهم، فجهز أبو بكر جيشًا لقتاله، فلما أحس بالجيش قال لأميرهم: أنت أمير أبِي بكر وأنا أميره، فلم أكفر. فقال: إن كنت صادقًا فألقِ السلاح. فألقاه، فبعث به إِلَى أبِي بكر فأمر بتحريقه بالنار وهو حي.

فإذا كان هذا حكم الصحابة فِي هذا الرجل مع إقراره بأركان الإسلام الْخَمسة، فما ظنك بِمن لَمْ يُقر من الإسلام بكلمة واحدة إلا أن يقول: لا إله إلا اللَّه بلسانه مع تصريْحه بتكذيب معناها، وتصريْحه بالبراءة من دين مُحَمَّد ﷺ، ومن كتاب اللَّه تعالَى؟

---

[٥٢] طُليحة مِمن ادعى النبوة، وصدقه قومه وقاتلوا الصحابة معه، ثم إن اللَّه منَّ على طليحة وعاد إلَى الإسلام، وتاب إلى اللَّه ﷻ، وقُتل فِي حروب الفرس مع المسلمين.

[٥٣] الأسود العنسي، فِي اليمن. قتله عبد اللَّه بن فيروز الديلمي فِي آخر حياة النبي ﷺ، وأما مسيلمة فإنه قاتله الصحابة فِي حرب اليمامة بقيادة خالد ابن الوليد حتى قتلوه.

[٥٤] فالمرتدون أنواع ومن صدَّق أحدًا منهم، فهو كافر، وإن كان يشهد أن لا إله إلا اللَّه، فلا تنفعه لا إله إلا اللَّه بِمجرد النطق، وأشد كفرًا من هؤلاء من يقول: لا إله إلا اللَّه، ثم يعبد الأولياء والصالِحين.

ويقولون: هذا دين الحضر وديننا دين آبائنا، ثُمَّ يفتون هؤلاء الْمَرَدة الجهال أن هؤلاء مسلمون ولو صرحوا بذلك كله، إذا قالوا: لا إله إلا اللَّه. سبحانك هذا بهتان عظيم [٥٥].

وما أحسن ما قاله واحد من البوادي لَمَّا قدم علينا وسمع شيئًا من الإسلام، قال: أشهد أننا كفار -يعني هو وجميع البوادي- وأشهد أن الْمُطوع الذي يسمينا أهل الإسلام أنه كافر [٥٦].

تَم والْحَمد للَّه رب العالَمين، وصلى اللَّه على مُحَمَّد وآله وصحبه وسلم [٥٧].

---

[٥٥] الذين يقولون: إن الإسلام دين الحضر، أما نَحن فعلى دين آبائنا ما نَحن على دين الحضر. ويقول علماء الضلال: هؤلاء مسلمون؛ لأنَّهم يقولون: لا إله إلا اللَّه، وهم يتبرءون من دين مُحَمَّد ويقولون: هذا دين الحضر.

[٥٦] هذا أعرابي جاء لدرس الشيخ، ولَمَّا عرف الإسلام معرفة صحيحة شهد على نفسه قبل أن يعرف الإسلام وعلى جماعته أنَّهم كفار، وشهد أن الْمُطوع -يعنِي: العالم الذي يقول: إنكم مسلمون- أنه كافر؛ لأنه حكم لِهؤلاء الكفار بالإسلام وما أكثر أشباهه.

[٥٧] غفر اللَّه له وجزاه اللَّه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، لقد بيَّن ووضح رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

* * *

الأسئلة

*** سؤال: فضيلة الشيخ، ما هي الأمور الَّتِي ينبغي أن يُركز عليها طالب العلم، هل يبدأ بكتب العقيدة؟**

الجواب: يبدأ بالأسهل فالأسهل، يبدأ بالْمُختصرات ويقرؤها على المشايخ، ثُمَّ يترقى إِلَى الكتب الَّتِي هي أوسع منها، وهكذا. لا يذهب للكتب المطولة من أول الأمر، وإِنَّما يترقى إليها شيئًا فشيئًا، يتدرج إليها شيئًا فشيئًا.

*** سؤال: ما رأيكم فِي قول من قال: إن من أتى بالشرك والكفر لا يُكفَّر إلا بعد معرفته بالأمر كله؟**

الجواب: إذا كان مثله يَجهل؛ لأنه فِي بلد منقطع ما بلغه شيء، فإنه يُعذر، أما إذا كان فِي بلاد المسلمين ويسمع القرآن ويسمع الأحاديث ويسمع كلام أهل العلم، فهذا لا يُعذر بالجهل؛ لأنه قامت عليه الحجة.

*** سؤال: ما حكم السفر إِلَى بلاد إسلامية لا يؤمر فيها بالمعروف ولا يُنهى عن المنكر، وتباع فيها الخمور والأغاني، وفيها التبرج والاختلاط، بغرض النزهة والسياحة؟**

الجواب: البلد غير الْمُلتزم، والَّتِي فيها الفواحش والشرور علانية، لا يَجوز للإنسان أن يسافر إليها؛ لأنه يتأثر بِمَا فيها من الشر، ويصيبه ما أصاب أهلها.

*** سؤال: هل يَجوز رواية الْحَديث الضعيف مع عدم بيان حاله لأن الناس لا يفهمون؟**

الجواب: الْحَديث الضعيف ذكر العلماء له ضوابط:

أولًا: أَلَّا يُنسب إِلَى الرسول ﷺ على طريق الجزم، إِنَّمَا يقال: يُروى عن رسول اللَّه، ورد عن رسول اللَّه كذا، ولا يقال: قال رسول اللَّه ﷺ كذا.

ثانيًا: أَلَّا يُبنى عليه حكم مستقل، وإِنَّما الأحكام تُبنى على الأدلة الصحيحة، فلا يُبنى عليه حكم مستقل من تَحليل أو تَحريم.

ثالثًا: أن يكون ذكره بِمجال الوعظ والتذكير فقط، يُذكر على سبيل الوعظ والتذكير فقط؛ لأن الوعظ والتذكير مطلوبان.

وشرط رابع أيضًا: وهو أَلَّا يكون ضعيفًا شديد الضعف.

*** سؤال: هل هناك هجرة فِي عصرنا هذا، وإذا كان فلابد من مسكن ومأكل ولا يُمكن أن يَحصل هذا.....**

الجواب: الْهجرة باقية، يقول الرسول ﷺ: «**لا تنقطع الْهِجرة حَتَّى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حَتَّى تَخرج الشمس من مغربها**»(١) الْهِجرة باقية، فإذا كان لا يقيم دينه فِي مكان، فإنه يذهب إِلَى المكان الذي يتمكن فيه من إقامة دينه مع المسلمين، وإذا قُدر أنه ما يقدر على أنه يذهب لبلاد المسلمين، يذهب إِلَى البلاد الَّتِي يتمكن فيها من إقامة دينه ولو كان البلد بلد كفر؛ لأن بعض الشر أهون من بعض. والصحابة هاجروا إِلَى الحبشة وهم نصارى؛ لأنَّهم يقدرون على إقامة دينهم هناك، ويسلمون من أذى الْمُشركين. واللَّه -جل وعلا- يقول: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]. وإذا كان هناك بلاد فيها أقلية إسلامية أو مسلمون كثيرون، فإنه يذهب ويصير معهم ولو كانوا فِي بلاد كفار، إذا لَمْ يتمكن من بلاد المسلمين، فإنه يُخفف الشر مهما أمكن.

*** سؤال: فضيلة الشيخ، بعض الناس عندما يبنِي بيتًا جديدًا يذبح عند عتبة الباب تبركًا وردًّا للعين، وهو يَجهل أن هذا من الذبح لغير اللَّه الذي هو**

---

(١) أخرجه أحمد (١٦٧١)، والبزار (١٠٥٤) من حديث عبد الرحمن بن عوف.

الشرك، فهل هذا يكفر؟

الجواب: هذا يؤمر بالتوبة، يقال له: هذا شرك، عليك التوبة إِلَى اللَّه، لأن من فعل الشرك فهو مشرك.

*** سؤال: فضيلة الشيخ هذه امرأة تسأل وتقول: إن الطبيب أخبرها أن الْحَمل فِي المستقبل سوف يؤثر على وظائف الكبد، وسوف يؤثر على عظامها، وأخبرها أنَّها تَمتنع عن الحمل ولو فِي وقت..... فهل يَجوز لَها ذلك؟**

الجواب: إذا قرر طبيبان ثقتان أن الحمل فيه خطر عليها، فإنها تعمل ما يَمنع الحمل، لقوله ﷺ: «**لا ضَرَرَ ولا ضِرار**»[1] ولقوله تعالَى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] فالمهم ثبوت هذا.

*** سؤال: هل يَجوز الخروج للجهاد دون موافقة الوالدين؟**

الجواب: لا يَجوز الخروج للجهاد إلا برضا أبيك وأمك؛ لأن النَّبِي ﷺ جاءه رجل يريد أن يُجاهد، فقال له: «**أَحَيٌّ والداك؟**» قال: نعم، قال: «**ففيهما فجاهد**»[2] فلابد من رضا الوالدين.

*** سؤال: هل يُعذر بعض الكفار الآن بالجهل لعدم وصول الإسلام إليهم، وخاصة إذا ولد مولود لأبوين كافرين ولَم يعرف شيئًا عن الإسلام؟**

الجواب: الإسلام انتشر الآن وبلغ المشارق والمغارب، خصوصًا بعد تطور وسائل الإعلام، وصار العالَم الآن كالبلد الصغير، انتشر الإسلام بوسائل الإعلام، القرآن أصبح يُتلى بأعلى الأصوات فِي جميع القارات، فِي الأول الإسلام بلغ بالجهاد فِي المشارق والمغارب، فلما انقطع الجهاد فِي

---

(١) أخرجه أحمد (٢٨٦٥)، والبيهقي (٦/ ٦٩)، وابن ماجه (٢٣٤١)، والدارقطني (٤/ ٢٢٨)، والطبراني (١١٨٠٦) من حديث ابن عباس، وله شواهد عن عدد من الصحابة.

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٠٤) و(٥٩٧٢)، ومسلم (٢٥٤٩).

هذا الزمان وفر اللَّه وسائل الإعلام هذه، لتقوم الحجة على الخلق؛ لئلا يقول أحد: واللَّه أنا ما دريت ولا سمعت شيئًا.

*** سؤال: يقول النَّبِي ﷺ: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها فِي النار إلا واحدة....»[١] الْحَدِيث، السؤال: كيف نوفق بين هذا الْحَدِيث وبين وجود العديد من الفرق يتعدى الثلاث والسبعين فرقة؟**

الجواب: هذه أصول الفرق، ثُمَّ إنها تشعبت وتفرقت فرقًا كثيرة، لكن أصولها ثلاث وسبعون فرقة كما أخبر النَّبِي ﷺ.

*** سؤال: كيف يكون الجهل باللَّه سببًا للشرك باللَّه؟**

الجواب: الجهل باللَّه سبب لكل شر من الشرك وغيره، فلابد من معرفة اللَّه ﷻ بأسمائه وصفاته، ومعرفة حقه علينا، وما أوجبه علينا وما حرمه علينا، لابد من معرفة هذا معرفة تامة.

*** سؤال: هل يؤخذ من تعبد النَّبِي ﷺ فِي الغار العزلة فِي هذا الزمن الذي كثر فيه الشرك، وقل الإيْمان وطلبُ العلم والتطفل على العلماء، وهل توصون بِهذا؟**

الجواب: العلماء قسموا العزلة إِلَى قسمين:

القسم الأول: الإنسان الذي يُخالط الناس من أجل الدعوة إِلَى اللَّه ومن أجل التعلم، هذا لا تَجوز له العزلة، بل يَجب عليه أن يعلم الخير وأن يدعو إِلَى اللَّه وأن يُخالط الناس من أجل التأثير عليهم ونصيحتهم، فلا يَجوز له العزلة.

---

(١) أخرجه أحمد (١٢٢٠٨)، وابن ماجه (٣٩٩٣)، وابن أبِي عاصم فِي السنة (٦٤)، وأبو يعلى (٤١٢٧) من حديث أنس.

القسم الثاني: الذي ليس له تأثير ولا له فائدة، إذا خالط الناس بل هو يتضرر، فهذا العزلة خير له؛ لأن اختلاطه بالناس لا يفيده ولا يفيد الناس أيضًا.

*** سؤال: ما رأيكم فيمن يصف مؤلفات الإمام الْمجدد مُحَمَّد بن عبد الوهاب فِي الفقه والعقيدة ويقول: هي فيها تكرار؟**

الجواب: هذا بين أمرين: إما أنه جاهل لَمْ يكن درسها ولا يدري عنها، والواجب عليه قبل أن يَحكم على الشيء أن يدرسه أولًا ويعرفه، ولا يَحكم عليه وهو يَجهل.

الأمر الثاني: أن يكون عنده ضلال، وهذه الكتب تنكر عليه ضلاله، وهذا الظاهر أنه مريض وهو يكره الدواء، لكن نسأل اللَّه له الْهِداية، ونوصيه بأن يقرأ هذه الكتب بتمعن ويسأل عما أشكل عليه. . . .

والْحَمد للَّه رب العالَمين.

* * *

شرح
تفسير
كلمة التوحيد

بسم الله الرحمن الرحيم

سُئل الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب -رحِمه اللَّه تعالَى- عن معنى (لا إله إلا اللَّه)، فأجاب بقوله: اعلم رحمك اللَّه تعالى أن هذه الكلمة هي الفارقة بين الكفر والإسلام [١].

---

[١] بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمد للَّه والصلاة والسلام على رسول اللَّه وعلى آله وأصحابه، وبعد:

كلمة (لا إله إلا اللَّه) كلمة عظيمة خفيفة على اللسان وهي عظيمة فِي الْمِيزان؛ لأنها فِي الْحَقيقة هي مضمون الإسلام، ولكن هذه الكلمة ليست مُجرد لفظ بل لَها معنى ولَها مقتضى، ولَها أركان ولَها شروط لابد من معرفتها، ولو كان القصد مُجرد التلفظ بِهَا صار كُل من يقولها مسلمًا؛ لأنه سهل أن يقول: (لا إله إلا اللَّه) ويصير مسلمًا ولو لَمْ يعمل شيئًا، فهذه كلمة عظيمة ولكن لَها معنى، ولَها مقتضى، ولَها أركان، ولَها شروط لابد من تَحقيقها، ولِهذا فإنها لا تنفع إلا مع وجود هذه الْمَذكورات.

وهذه الكلمة لَها أسماء، منها أنَّها كلمة الإخلاص؛ لأنها تنفي الشرك باللَّه ﷻ، وتُثبتُ العبادة للَّه ﷻ، لذلك سميت كلمة الإخلاص، أي: إخلاص التوحيد، وإخلاص العبادة، وتَجنب الشرك باللَّه ﷻ.

وتسمى كلمةَ التقوى، كما قال تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الفتح: ٢٦]، وكلمة

التقوى، هي: (لا إله إلا اللَّه) لأنها تقي من قالَها مُخلصًا للَّه ﷻ تقيه من النار؛ ولأنها تقتضي أعمال البر؛ لأن التقوى هي أعمال البر والطاعات، هذه الكلمة تقتضي كل أعمال البر والطاعة، فهي كلمة التقوى.

وأيضًا هي العروة الوثقى، كما قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

(يكفر بالطاغوت، ويؤمن باللَّه) هذا هو معنى (لا إله إلا اللَّه)، أنه يكفر بالطاغوت هذا هو معنى (لا إله)، ويؤمن باللَّه هذا هو معنى (إلا اللَّه) فمعنى يكفر بالطاغوت ويؤمن باللَّه هو مقتضى (لا إله إلا اللَّه) ولذلك سميت العروة الوثقى.

وأيضًا هي كما قال الشيخ: الفارقة بين الكفر والإسلام، فمن قالَها عالَمًا بِمعناها، عاملًا بِمقتضاها صار مسلمًا، ومن أبى أن يقولها، أو قالها ولكن لَمْ يعلم معناها، أو قالها ولَم يعمل بِمقتضاها، لَمْ يكن مسلمًا حَتَّى يعرف معناها ويعمل بِمقتضاها ظاهرًا وباطنًا.

هذه أسماء لـ(لا إله إلا اللَّه): كلمة الإخلاص، كلمة التقوى، العروة الوثقى، الكلمة الفاصلة بين الكفر والإسلام؛ لأن كثيرًا من الناس لا يهتمون بِمقتضى هذه الكلمة، مع أنَّهم يُكثرون من النطق بِهَا وذكر اللَّه بِهَا كالصوفية، فلهم أوراد صباحية ومسائية فيها (لا إله إلا اللَّه) آلاف المرات، ولكنهم يدعون غير اللَّه، فهي لا تفيدهم شيئًا؛ لأنَّهم لَمْ يعملوا بِمقتضاها، فهم يقولونها، ويقرءونها فِي أورادهم ويكررونها، ولكن يدعون الْمَوتى، ويستغيثون بالمقبورين، ويطيعون مشايخ الطرق الذين يشرِّعون لَهم عبادات لَمْ يشرعها اللَّه ولا رسوله، فلا يتلقون التشريع عن الرسول ﷺ، وإنَّما يتلقونه عن مشايخهم، فهؤلاء يكثرون النطق بـ(لا إله إلا اللَّه) صباحًا ومساءً ولا يُغني عنهم نطقهم بِهَا شيئًا، ولا يفيدهم شيئًا.

وهي كلمة التقوى، وهي العروة الوثقى، وهي الَّتِي جعلها إبراهيم باقية فِي عقبه لعلهم يرجعون [٢].

ومن الصوفية من لا ينطق بِهَا كاملة، وهؤلاء بزعمهم أنَّهم صاروا خواص الخواص، لا يقولون: لا إله إلا اللَّه، بل يقولون: اللَّه اللَّه، هذا ذكرهم، يرددون: اللَّه اللَّه اللَّه، مع أنه لابد أن تأتي بِجملة مفيدة، أما اللَّه اللَّه، فهو اسم مُجرد فهو لا يفيد شيئًا، وبعضهم لا يقول لفظ الجلالة بل يقول: هو هو هو، ضمير غائب، وهذا لا يفيد شيئًا، لأنه تلاعب بهذه الكلمة، فيجب التنبه لِهذه الأمور؛ لأن الشيطان لَمَّا علم أن هذه الكلمة هي كلمة الإسلام، وكان عند الناس رغبة فِي النطق بِهَا والذكر بِهَا، صرفهم عنها بهذه الحيل، وأتى لَهم بهذه الوساوس، وقال لَهم: قولوا: اللَّه اللَّه، أو قولوا: هو هو، وبعضهم لا يتلفظ لا باللَّه ولا بهو، وإنَّما يقولها بقلبه فقط، كل هذا تلاعب من الشيطان، فيجب التنبه لِهذا.

ومن الناس من يُغفِله الشيطان عن قول: (لا إله إلا اللَّه)، فلا يقولها إلا نادرًا، ولا يذكر اللَّه بِهَا إلا قليلًا ولا يكررها مع أنَّها ثقيلة فِي الميزان، كما جاء فِي (كتاب التوحيد) أنَّها لو وضعت فِي كفة، ووضعت السموات ومن فيها غير اللَّه والأرض ومن فيها فِي كفة لَمالت بهن لا إله إلا اللَّه، فهي تثقل بِمن فِي السموات ومن فيها غير اللَّه والأرض وبِمن فيها، فهي كلمة عظيمة، ولكن قلَّ من يتنبه لَها ويستحضرها، ويعوِّد لسانه على النطق بِهَا وتكرارها، إلا من وفقه اللَّه ﷻ.

[٢] وهذه الكلمة (لا إله إلا اللَّه) هي الَّتِي عناها إبراهيم فِي قوله: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٧] هذا هو معنى (لا إله إلا اللَّه)، ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ﴾ هذا معنى النفي (لا إله)، ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ هذا معنى الإثبات (إلا اللَّه) ﴿وَجَعَلَهَا﴾ أي: إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- جعل هذه

وليس الْمُراد قولها باللسان مع الْجَهل بِمعناها [٣].

الكلمة ﴿كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ﴾ فِي ذريته، فلا يزال فيهم من يقول: (لا إله إلا اللَّه) لَمْ يتركوها كلهم، ولَم يشركوا كلهم، بل فيهم من قالها واستقام عليها، ولو كان عددًا قليلًا أو أفرادًا، فلما بُعث مُحَمَّد ﷺ، بُعث بهذه الكلمة، قال ﷺ: «**أُمرت أن أقاتل الناس حَتَّى يقولوا: لا إله إلا اللَّه؛ فإذا قالوها عصموا منِّي دماءهم وأموالهم إلا بِحقها وحسابهم على اللَّه**»(١).

فالرسول بُعث بـ(لا إله إلا اللَّه) وهي الكلمة التي جعلها جده إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- باقية فِي عقبه، وكان مُحمد ﷺ من عقب إبراهيم، وبعثه اللَّه بها يدعو الناس إليها ويُقاتلهم عليها، فهي كلمة عظيمة، ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: يرجعون إليها، وببعثة مُحمد ﷺ رجع إليها الكثير من ذرية إبراهيم، فالرسول ﷺ بُعث بهذه الكلمة والدعوة إليها وتَحقيقها والعمل بها، بل إن كل الرسل بعثوا بها، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

هذا معنى (لا إله إلا اللَّه) ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ هذا معنى النفي والإثبات ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ الأنبياء والرسل ﴿أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ [النحل: ٢].

كل الرسل بعثوا بـ(لا إله إلا اللَّه)، ولكن إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- جعلها كلمة باقية فِي عقبه إِلَى أن تقوم الساعة، ولا يزال فِي ذرية إبراهيم من يتوارث هذه الكلمة علمًا وعملًا وتَحقيقًا، وإن أعرض عنها الأكثرون.

[٣] ليس الْمَقصود قول: (لا إله إلا اللَّه) باللسان فقط من غير فهم لِمعناها،

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٤٦)، ومسلم (٢٠)، ومالك فِي الْمُوطأ (١/ ٢٦٩)، وأبو داود (١٥٥٦)، والترمذي (٢٦١٠)، والنسائي (٥/ ١٤) من حديث أبِي هريرة.

لابد أن تتعلم ما معنى (لا إله إلا اللَّه) أما إذا قلتها وأنت لا تعرف معناها، فإنك لا تعتقد ما دلت عليه، فكيف تعتقد شيئًا تَجهله، فلابد أن تعرف معناها حَتَّى تعتقده، تعتقد بقلبك ما يلفظ به لسانك، فلازم أن تتعلم معنى (لا إله إلا اللَّه)، أما مُجرد نطق اللسان من غير فهم لِمعناها فهذا لا يفيد شيئًا.

أيضًا لا يكفي الاعتقاد بالقلب ونطق اللسان، بل لابد من العمل بِمقتضاها، وذلك بإخلاص العبادة للَّه، وترك عبادة مَن سواه ﷻ، (فلا إله إلا اللَّه) كلمة نطق وعلم وعمل، ليست كلمة لفظ فقط.

أما الْمُرجئة فهم يقولون: يكفي التلفظ بـ (لا إله إلا اللَّه)، أو يكفي التلفظ بِهَا مع اعتقاد معناها، والعمل ليس بلازم، من قالها ولو لَمْ يعمل شيئًا من لوازمها هو من أهل الْجَنة، ولو لَمْ يصلِّ، ولَم يزكِّ، ولَم يَحج، ولَم يَصُم، ولو فعل الفواحش والكبائر والزنا والسرقة وشرب الخمر، وفعل ما يريد من الْمَعاصي، وترك الطاعات كلها؛ لأنه تكفيه (لا إله إلا اللَّه) عندهم، هذا مذهب الْمُرجئة، الذين يُخرجون العمل من حقيقة الإيْمان، ويعتبرون العمل إن جاء فبها ونعمت، وإن لَمْ يَجِئْ، فإنها تكفي (لا إله إلا اللَّه) عندهم، ويستدلون بأحاديث تفيد أن من قال: لا إله إلا اللَّه، دخل الجنة، ولكن الرسول ﷺ ما اقتصر على هذه الأحاديث، فالرسول ﷺ له أحاديث أخرى تقيد هذه الأحاديث، ولابد أن تَجمع بين كلام الرسول ﷺ بعضه إِلَى بعض، لا أن تأخذ منه طرفًا وتترك طرفًا؛ لأن كلام الرسول ﷺ يفسر بعضه بعضًا، ويبين بعضه بعضًا، أما الذي يأخذ طرفًا ويترك طرفًا فإنه من أهل الزيغ الذين يتبعون ﴿مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ﴾ [آل عمران: ٧] الرسول ﷺ قال: «**من قال: لا إله إلا اللَّه وكفر بِمَا عُبد من دون اللَّه**»[(١)].

(١) أخرجه مسلم (٢٢) من حديث طارق بن أَشْيَم.

وهذا حديث صحيح، فلماذا غفلتم عنه؟ وقال ﷺ: «**فإن اللَّه حرم على النار من قال: لا إله إلا اللَّه، يبتغي بذلك وجه اللَّه**»(١).

أما الذي يقول: لا إله إلا اللَّه، ولا يكفر بِما يُعبد من دون اللَّه، ويدعو الأولياء والصالِحين، فإن هذا لا تنفعه (لا إله إلا اللَّه) لأن كلام الرسول ﷺ يُفسر بعضه بعضًا، ويقيد بعضه بعضًا، فلا تأخذ بعضه وتترك بعضه، واللَّه ﷻ يقول: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٧] يأخذون الذي يصلح لَهم، ويتركون الذي لا يصلح لَهم.

ويقولون: استدللنا بالقرآن، نقول: ما استدللتم بالقرآن، القرآن إن قال كذا فقد قال كذا، فلماذا تأخذون بعضًا وتتركون بعضًا ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ﴾ [آل عمران: ٧]، الْمُحكم والْمُتشابه، فيردون المتشابه إِلَى الْمُحكم، ويفسرونه به ويقيدونه به، ويفصِّلونه، أما أنهم يأخذون الْمُتشابه ويتركون الْمُحكم، فهذه طريقة أهل الزيغ، فالذين يأخذون بِحديث أن من قال: «**لا إله إلا اللَّه دخل الجنة**»(٢)، ويقتصرون على هذا، ولا يوردون الأحاديث الواضحة الَّتِي فيها القيود، وفيها التفصيل، فهؤلاء أهل زيغ.

فيجب على طالب العلم أن يعرف هذه القاعدة العظيمة؛ لأنها هي جماع الدين وهي أساس الْمِلة، ليس الْمَقصود أنك تأخذ آية أو حديثًا وتترك غيره، بل المقصود أنك تأخذ القرآن كله، وتأخذ السنة كلها، وكذلك كلام أهل العلم، العالم إذا قال كلامًا لا تأخذه وحده حَتَّى ترده إِلَى كلامه الكامل، وتتبع كلامه فِي مؤلفاته؛ لأنه يقيد بعضه بعضًا؛ لأنَّهم على سنن كتاب اللَّه وسنة

(١) أخرجه البخاري (٤٢٤) و(٦٨٦)، ومسلم (٣٣) من حديث عتبان بن مالك.

(٢) أخرجه أحمد (٢٣٣٢٤)، والبيهقي فِي الأسماء والصفات (٣٠٣)، والطبراني فِي مسند الشاميين (٢٤٤٩)، والبزار فِي مسنده (٢٨٥٤) عن حذيفة رضي الله عنه.

فإن الْمُنافقين يقولونها وهم تَحت الكفار ﴿فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾

[النساء: ١٤٥] [٤].

رسوله، فترد الْمُطلق إِلَى الْمُقيد من كلامهم، فطالب العلم يَجب عليه أن يأخذ هذه القاعدة معه دائمًا، ويَحذر من طريقة أهل الزيغ الذين يأخذون الذي يصلح لَهم، ويتركون الذي لا يصلح لَهم من الكتاب، ومن السنة، ومن كلام أهل العلم، ويبترون النُّقول، ويتركون باقي الكلام، أو يتركون الكلام الثاني الذي يوضحه، ويأخذون الكلام المشتبه ويتركون الكلام البين، كثير من الذين يدَّعون العلم غفلوا عن هذا الشيء، إما عن قصد التضليل، وإما عن جهل، فيجب معرفة هذه الأمور، وأن تكون أصولًا وقواعد عند طالب العلم.

[٤] الْمُنافقون الذين هم ﴿فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥] هم الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر؛ لأنه لَمَّا هاجر النَّبِي ﷺ إِلَى الْمَدينة وصار حوله الْمَهاجرون والأنصار وقوي الإسلام، وانتصر الدين فِي بدر، تلك الواقعة العظيمة الَّتِي طار خبرها فِي المشارق والمغارب؛ لأن النَّبِي انتصر على صناديد قريش، وقريش كانت تاج العرب، وكان الناس ينظرون إليها، فلما انتصر عليها ﷺ فِي بدر، وقتل رءوسها، عند ذلك قال الْمُنافقون: نَحن وقعنا فِي الْمَدينة بين الْمُهاجرين والأنصار ومعهم الرسول، وماذا نعمل؟ لجئوا إِلَى حيلة، وهي أنَّهم يُظهرون الإسلام من أجل أن يعيشوا مع المسلمين ويُحافظوا على دمائهم وأموالِهم، والرسول ﷺ ليس له إلا الظاهر، لا يدري عن القلوب إلا اللَّه ﷻ، فمن أظهر الإسلام قبلناه منه حَتَّى يظهر منه ما يُخالف ظاهره.

وقالوا: (لا إله إلا اللَّه) وشهدوا للرسول بالرسالة ظاهرًا كما قال اللَّه تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [المنافقون: ١ - ٢].

مع كونهم يصلون ويتصدقون [٥].

ولكن المراد قولها مع معرفتها بالقلب، ومَحبتها ومَحبة أهلها وبغض من خالفها ومعاداته [٦].

جُنَّة: يعنِي سترة يستترون بِهَا، فالْمُنافقون دخلوا فِي الإسلام -لَمَّا رأوا قوة المسلمين- ظاهرًا، وبقوا على الكفر باطنًا والعياذ باللَّه، ولذلك جعلهم اللَّه فِي الدرك الأسفل من النار تَحت الْمُشركين، عبدة الأوثان، تَحت الْمَلاحدة، لعظيم جُرمهم وخداعهم ومكرهم ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾[البقرة:٩].

فالْمُنافق يقول: لا إله إلا اللَّه، وهو فِي الدرك الأسفل من النار، فكيف تقولون: إن (لا إله إلا اللَّه) يكفي مُجرد التلفظ بِهَا، وهؤلاء الْمُنافقون فِي الدرك الأسفل من النار، وهم يقولون: (لا إله إلا اللَّه)؟! فدل أن مُجرد النطق بِهَا لا يكفي إلا باعتقاد القلب وعمل الجوارح.

[٥] الْمُنافقون يصلون ويتصدقون ويَخرجون للجهاد مع الرسول ﷺ فِي الظاهر، ولكنهم منافقون فِي قلوبهم، وهم يقولون: (لا إله إلا اللَّه) ولَم تنفعهم.

[٦] الْمُراد من (لا إله إلا اللَّه): قولها باللسان مع اعتقاد القلب بِهَا، والعمل بِمقتضاها، وموالاة أهلها ومعاداة من خالفها، وهذا هو الْحُب فِي اللَّه، والبغض فِي اللَّه، هذه كلها من مقتضى (لا إله إلا اللَّه) ولِهذا قالوا: (لا إله إلا اللَّه) لَها سبعة شروط، نَظمها بعض العلماء بقوله:

علم يقين وإخلاص وصدقك مع ... مَحبة وانقياد والقبول لَها

زاد الشيخ سعد بن عتيق رَحِمَهُ اللَّهُ شرطًا ثامنًا فقال:

وزيد ثامنها الكفران منك بِمَا ... سوى الإله من الأشياء قد أُلها

وركنا (لا إله إلا اللَّه) هما النفي والإثبات، فلا يكفي النفي، ولا يكفي

كما قال النَّبِي ﷺ: «من قال: لا إله إلا اللَّه، مُخلصًا»، وفِي رواية: «خالصًا من قلبه»، وفي رواية: «صادقًا من قلبه»، وفي حديث آخر: «من قال: لا إله إلا اللَّه، وكفر بِما يُعبد من دون اللَّه» [٧].

إلَى غير ذلك من الأحاديث الدالة على جهالة أكثر الناس بهذه الشهادة [٨].

الإثبات، بل لابد من الاثنين.

[٧] «**من قال: لا إله إلا اللَّه مُخلصًا**» هذا قيد، لَم يقتصر على قوله: «**من قال لا إله إلا اللَّه**» بل قال: «**مُخلصًا من قلبه**»[١]، لا يكفي أنه يقول: (لا إله إلا اللَّه) حتى يكون ذلك خالصًا من قلبه؛ لئلا يكون من الْمُنافقين الذين يقولونها بألسنتهم ولكن لا يقولونها بقلوبهم.

و«**من قال: لا إله إلا اللَّه، وكفر بِمَا عُبد من دون اللَّه**»[٢] هذا قيد عظيم وهو قوله: «**وكفر بِمَا عُبد من دون اللَّه**» لأن كثيرًا يقولون: (لا إله إلا اللَّه) ولا يتركون عبادة القبور، ودعاء الأموات، والاستغاثة بِهم، وطلب الحاجات من غير اللَّه، هؤلاء لا تنفعهم (لا إله إلا اللَّه)؛ لأنَّهم لَمْ يكفروا بِمَا يُعبد من دون اللَّه.

[٨] أكثر الناس يَجهلون هذه الشهادة يَحسبونها مُجرد لفظ يُقال باللسان، وكثير من العلماء لا يفهمون معنى (لا إله إلا اللَّه) وهم علماء فِي الفقه، علماء فِي النحو، علماء فِي الْحَديث، ولكن أكثرهم ليس له عناية بالتوحيد، أو يتعلم عقيدة الأشاعرة وعلماء الكلام، الَّتِي تقتصر على توحيد الربوبية.

ويقولون: (لا إله إلا اللَّه) ويفسرونها: لا خالق إلا اللَّه، لا يقدر على الاختراع إلا اللَّه، هذا تفسيرهم لَها، فهم لا يتعدُّون توحيد الربوبية، ويفسرون

---

(١) أخرجه أحمد (١٩٥٩٧)، والطحاوي فِي شرح مشكل الآثار (٤٠٠٣) من حديث أبِي موسى الأشعري.

(٢) تقدم تَخريْجُه فِي الصفحة (٨٥).

فاعلم أن هذه الكلمة نفي وإثبات [٩]. نفي الإلهية عما سوى اللَّه ﷻ من المرسلين حَتَّى مُحَمَّد ﷺ، ومن الْمَلائكة حَتَّى جبريل، فضلًا عن غيرهما من الأنبياء والصالِحين، وإثباتها للَّه ﷻ [١٠].

(لا إله إلا اللَّه) بِمَا لا يزيد عن توحيد الربوبية، ولا يتعرضون لتوحيد الألوهية الذي هو مطلوب لـ (لا إله إلا اللَّه).

اقرءوا عقائد المتكلمين تَجدون أنَّهم يركزون على إثبات وجود اللَّه، كأن اللَّه فيه شك، والاعتراف بأنه هو الخالق الرازق الْمُحيي الْمُميت . . . إِلَى آخره، ولا يذكرون العبادة، ولا يذكرون الألوهية أبدًا، هذا لا يزيد على دين الْمُشركين الذين قال اللَّه فيهم: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ﴾ [يونس: ٣١]. يثبتون الرب ولكن يعبدون غيره، ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ﴾ [يونس: ١٨].

ما يقولون: إنهم يَخلقون ويرزقون، ولكن يقولون: إنهم شفعاء وسطاء لنا عند اللَّه، فالأمر خطير جدًّا، فهناك لبسٌ كثير فِي هذا الأمر، وضَلَّ كثير من الناس بِهذا اللبس، الذي يُخلص التوحيد ويبين معنى (لا إله إلا اللَّه) يقولون: هذا يُكفر المسلمين، نَحن نبرأ إِلَى اللَّه من الذي يكفر المسلمين، نَحن ما نكفر إلا من كفره اللَّه ورسوله، فالذي لا يحقق (لا إله إلا اللَّه) قد كفره اللَّه ورسوله.

[٩] هذه الكلمة لَها ركنان: هما نفي وإثبات، فلا يكفي النفي، ولا يكفي الإثبات، بل لابد من الاثنين مقترنين.

كما قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

ما قال: (يكفر بالطاغوت) فقط، بل قال: (ويؤمن باللَّه)، ولا قال: من (يؤمن باللَّه) ولَم يذكر الكفر بالطاغوت، لابد من الاثنين.

[١٠] (نفي الإلهية عن كل ما يُعبد من دون اللَّه) من الْمُخلوقات، ولو كان

إذا فهمت ذلك فتأمل الألوهية الَّتِي أثبتها اللَّه تعالَى لنفسه، ونفاها عن مُحَمَّد ﷺ وجبريل وغيرهما أن يكون لَهم منها مثقال حبة من خردل [١١].

من أصلح الصالِحين، فأصلح البشر هو مُحَمَّد ﷺ، وأصلح الْمَلائكة هو جبريل، ومع هذا لو أن أحدًا يعبد جبريل أو يعبد مُحمدًا، فإنه يكون مشركًا خالدًا فِي النار؛ لأن اللَّه لا يرضى أن يُشرَك معه أحد، لا من الْمَلائكة، ولا من الأنبياء، ولا من الصالِحين، ولا من الأشجار والأحجار، ولِهذا يقول: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠] (أحدًا) هذا عام، ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦]. (شيئًا) أيّ شيء، هذا نفي عام، والْمَنفي نكرة، والنكرة فِي سياق النفي تعم كل شيء.

[١١] الألوهية معناها العبادة، ومن هنا غلط كثيرون فِي تفسير (لا إله إلا اللَّه) وفسروها بغير تفسيرها ومن ذلك:

١- تفسير أهل وحدة الوجود لكلمة التوحيد:

فأهل وحدة الوجود -ابن عربي وأتباعه-، يقولون: (لا إله إلا اللَّه) لا معبود إلا اللَّه، أو لا إله موجود إلا اللَّه، معنى هذا أن كل الْمَعبودات كلها هي اللَّه؛ لأن عندهم أن الوجود لا ينقسم بين خالق ومَخلوق، هو كله هو اللَّه، هذا معنى أنَّهم أهل وحدة الوجود؛ يَجعلون الوجود يتحد ولا ينقسم، كله هو اللَّه، مهما عبد الإنسان من شيء فإنه قد عبد اللَّه، الذي عبد البقر، والذي عبد الصنم، والذي عبد الحجر، والذي عبد البشر، والذي عبد الْمَلائكة، كلهم يعبدون اللَّه؛ لأن اللَّه هو الوجود الْمُطلق.

والذي يقول: إن الوجود ينقسم إلَى قسمين إلَى خالق ومَخلوق، يقولون عنه: إن هذا مشرك، فلا يكون موحدًا عندهم إلا من قال: إن الوجود شيء واحد هو اللَّه، فمهما عبدت من هذا الكون من أشجار أو أحجار أو أصنام أو طواغيت فإنك تعبد اللَّه؛ لأن هذا هو اللَّه، وبِهذه الْمُناسبة فإنه يغلط

بعض العوام، يقول: ولا معبود سواك، ولكن لو قال: لا معبود بِحق سواك، وهذا يوافق قول أهل وحدة الوجود فلو زاد كلمة (بحق) صح؛ لأن ما سواه معبود بالباطل قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].

٢- تفسير علماء الكلام لكلمة التوحيد:

علماء الكلام يقولون: (لا إله إلا اللَّه): لا قادر على الاختراع والخلق والتدبير والإيجاد إلا اللَّه.

وهذا غير صحيح، هذا يوافق دين الْمُشركين، فالْمُشركون يقولون: لا يقدر على الخلق إلا اللَّه، لا يُحيي إلا اللَّه، لا يُميت إلا اللَّه، لا يرزق إلا اللَّه، وهذا توحيد الربوبية.

٣- تفسير لا إله إلا اللَّه عند الجَهمية والمُعتزلة، ومن سار على نهجهم هو نفي الأسماء والصفات؛ لأن من أثبت الأسماء والصفات عندهم يكون مشركًا، والتوحيد عندهم هو نفي الأسماء والصفات.

٤- تفسير الحزبيين والإخوانيين اليوم:

يقولون: (لا إله إلا اللَّه) أي: لا حاكمية إلا للَّه، والحاكمية كما يسمونها جزء من معنى لا إله إلا اللَّه؛ لأن معناها شامل لكل أنواع العبادات.

فنقول لَهم: وأين بقية العبادات، أين الركوع والسجود والذبح والنذر، وبقية العبادات؟!

هل العبادة هي الحاكمية فقط إذا كان معناها عندكم الحاكمية فقط؟

وأين ما تنفيه من أنواع الشرك؟ يا سبحان اللَّه! ينبغي التنبه لِهذه الأمور؛ لأن هذه كلمة عظيمةٌ، هي الْمُنجية من النار لِمن حققها، وكل الدين ينبني عليها من أوله إِلَى آخره، ودعوة الرسل والكتب الْمُنزلة كلها مبنية على هذه الكلمة.

فاعلم أن هذه الألوهية هي الَّتِي تسميها العامة فِي زماننا: السر والولاية [١٢].

والإله معناه الولي الذي فيه السر، وهو الذي يسمونه الفقير والشيخ [١٣].

وتسميه العامة: السيد وأشباه هذا [١٤].

وذلك أنَّهم يظنون أن اللَّه جعل لِخواص الخلق عنده منزلة يرضى أن يلتجئ الإنسان إليهم، ويرجوهم ويستغيث بِهم، ويَجعلهم واسطة بينه وبين اللَّه [١٥].

٥- تفسير أهل السنة والْجَماعة:

أن (لا إله إلا اللَّه) معناها: لا معبود بِحق إلا اللَّه، لأن الْمَعبودات كثيرة. ولكن الْمُعبود بِحق هو اللَّه وحده، وما سواه فعبادته باطلة كما قال اللَّه تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].

[١٢] أي: يعتقدونها فِي الأولياء، ويقولون: إن هذا الولي فيه سر وفيه ولاية، فيتقربون إليه بالذبح والنذر، والدعاء والاستغاثة؛ لأنه فيه سر وفيه ولاية.

[١٣] الصوفية يسمون العابد: الشيخ، يعني شيخ الطريقة الذي يأخذون عنه دينهم؛ والذي يأخذ عن شيخ الطريقة، يسمونه: الْمُريد، ويكون مع شيخه كالميت بين يدي الغاسل، ليس له أن يعترض بشيء.

[١٤] وهم يسمون شيخهم: السيد، ويسمونه: الشيخ، فلابد أن تبايعه وتسلم له أمرك، فلا تعترض ولا تُخالف فِي شيء، وإلا فإنك لا تكون مريدًا معه.

[١٥] **يقولون**: إن اللَّه جعل من الخلق خواصَّ يَجوز الالتجاء إليهم، ودعاؤهم والاستغاثة بِهم على أنَّهم شفعاء عنده ويقربون إليه، هذا الذي هم

فالذين يزعم أهل الشرك فِي زماننا أنَّهم وسائطهم هم الذين يسميهم الأولون الآلهة، والواسطة هو الإله [١٦]. فقول الرجل: (لا إله إلا اللَّه) إبطال للوسائط [١٧].

وإذا أردت أن تعرف هذا معرفة تامة فذلك بأمرين:

الأول: أن تعرف أن الكفار الذين قاتلهم رسول اللَّه ﷺ وقتلهم وأباح أموالَهم واستحل نساءهم كانوا مقرِّين للَّه سبحانه بتوحيد الربوبية، وهو أنه

عليه، لا يقولون: إنهم شركاء للَّه.

بل يقولون: شفعاء عنده ويقربون إليه؛ لأن اللَّه اختارهم لصلاحهم وتقواهم، فصاروا وسائط بين العباد وبين اللَّه -تعالى اللَّه عما يقولون- ولذلك يتقربون إليهم بالعبادات أحياءً وأمواتًا.

ويقولون: إن الْمُتقرب إليهم مثل المتقرب إلَى اللَّه، من يتقرب للشيخ يتقرب للَّه ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] لعب الشيطان بِهم إلَى هذا الْحَد.

[١٦] الْمُشركون الأولون يعبدونهم ويسمونهم آلهة، ولذلك لَمَّا قال لَهم رسول اللَّه ﷺ قولوا: «**لا إله إلا اللَّه**» قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ إلَى قول: ﴿أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ﴾ [ص: ٥-٦]، سموها آلهة ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣]. الأولون سموهم آلهة، والْمُتأخرون الذين يدعون الإسلام سموهم وسائط وشفعاء فقط، ولَم يسموهم آلهة، والْمَعنى واحد وإن اختلف اللفظ؛ لأن العبرة بالحقائق، وليست العبرة بالألفاظ والمصطلحات.

[١٧] (لا إله إلا اللَّه) تبطل كل ما يُعبد من دون اللَّه سواءً سُمِّي واسطة أو شفيعًا، أو سُمي آلهة، فلا إله إلا اللَّه تبطل كل ما يُعبد من دون اللَّه بأي اسم سمي.

لا يَخلق ولا يرزق ولا يُحيي ولا يُميت ولا يدبر الأمور إلا اللَّه وحده، كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١] **[١٨].**

وهذه مسألة عظيمة جليلة مهمة، وهي أن تعرف أن الكفار الذين قاتلهم رسول اللَّه ﷺ شاهدون بِهذا كله ومقرُّون به، ومع هذا لَمْ يُدخلهم ذلك فِي الإسلام، ولَم يُحَرِّم دماءهم ولا أموالَهم، وكانوا أيضًا يتصدقون ويَحجون ويعتمرون ويتعبدون ويتركون أشياء من الْمُحرمات خوفًا من اللَّه ﷻ[١٩].

ولكن الأمر الثاني هو الذي كَفَّرهم وأحلَّ دماءهم وأموالَهم، وهو أنهم لَمْ يشهدوا للَّه بتوحيد الألوهية [٢٠].

---

[١٨] عباد القبور الآن يقولون: ما دام أنه اعترف أن اللَّه هو الخالق الرازق المحيي الْمُميت الْمُدبر، فإنه مسلم، إذن ما معنى (لا إله إلا اللَّه)؟! ليس لها معنى عندهم؛ لأن الْمُشركين يقولون هذا الذي يقوله هؤلاء.

[١٩] هي مسألة عظيمة ومهمة جدًّا، وقلَّ من يعتني بها؛ لأن هؤلاء يقولون: من أقر بتوحيد الربوبية صار مسلمًا.

وكان الْمُشركون فِي الجاهلية يقرون بتوحيد الربوبية، وعندهم عبادات كالصدقة والحج، فهم يَحجون ويعتمرون ويقولون: لا يَخلق ولا يرزق ولا يُحيي ولا يُميت إلا اللَّه، يعترفون بتوحيد الربوبية، ويتعبدون ببعض العبادات، ولكن لَمَّا كانوا لا يُخلصون العبادة للَّه وَحْدَه، بل يعبدون اللَّه ويعبدون معه غيره صاروا مشركين.

[٢٠] لأن هذا هو الْمَطلوب وهو توحيد الألوهية، أي: إفراد اللَّه بالعبادة، وليس المطلوب إفراد اللَّه بتوحيد الربوبية فقط، لابد من الأمرين، لابد من

وتوحيد الألوهية: وهو ألَّا يُدعى ولا يُرجى إلا اللَّه وحده لا شريك له[٢١].

ولا يُستغاث بغيره ولا يُذبح لغيره، ولا يُنذر لغيره، لا لِملَكٍ مقرَّب ولا نبِي مرسل، فمن استغاث بغيره فقد كفر، ومن ذبح لغيره فقد كفر، ومن نذر لغيره فقد كفر، وأشباه ذلك [٢٢].

وتَمام هذا: أن تعرف أن الْمُشركين الذين قاتلهم رسول اللَّه ﷺ، كانوا يَدعون الصالِحين مثل الْمَلائكة وعيسى وأمه وعزيرًا، وغيرهم من الأولياء، فكفروا بِهذا مع إقرارهم بأن اللَّه سبحانه هو الْخَالق الرازق الْمُدبر [٢٣].

توحيد الربوبية، وهو مستلزم لتوحيد الألوهية، ولابد من توحيد الألوهية، وهو متضمن لتوحيد الربوبية، لا ينفك بعضهما عن بعض.

[٢١] أي: وتوحيد الألوهية يتضمن جميع العبادات، فلا يُصرف لغير اللَّه ﷻ منها شيء؛ لأنه هو الْمُستحق لِهَا، فمن صرف منها شيئًا لغير اللَّه، فإنه مشرك ولو كان يقول: لا إله إلا اللَّه، بل لو كان يعبد اللَّه بأنواع من العبادات، ما دام لَم يُخلص للَّه فيها كلها، فليس بِمسلم.

[٢٢] أي: من فَعَل ذلك فإنه يكفر ولو كان يقول: لا إله إلا اللَّه؛ لأنه لَم يُحققها فهو متناقض، كيف يقول: (لا إله إلا اللَّه) ويذبح لغيره؟! كيف يقول: (لا إله إلا اللَّه) ويستغيث بغير اللَّه من الأموات والغائبين والجن والشياطين؟!! كيف يقول: (لا إله إلا اللَّه) وينذر لغير اللَّه؟!! هذا تناقض.

[٢٣] الْمُشركون الأولون ليسوا كلهم يعبدون الأصنام، فهم متفرقون فِي عبادتهم، فمنهم من يعبد الأصنام، ومنهم من يعبد الْمَلائكة، ومنهم من يعبد الأنبياء، ومنهم من يعبد الصالِحين، والرسول ﷺ قاتلهم كلهم ولَم يفرق بينهم، ولَم يقل: ما أقاتل إلا الذي يعبد الأصنام، ويترك الذين يعبدون عُزيرًا ويعبدون الْمَسيح، ويعبدون الصالِحين، ما فرق بينهم الرسول ﷺ.

وهؤلاء القبوريون اليوم يقولون: الشرك عبادة الأصنام، وعبادة الأولياء

إذا عرفت هذا عرفت معنى (لا إله إلا اللَّه) وعرفت أن من نَخَّى نبيًّا أو ملكًا أو ندبه أو استغاث به فقد خرج من الإسلام، وهذا هو الكفر الذي قاتلهم عليه رسول اللَّه ﷺ.

فإن قال قائل من الْمُشركين: نَحن نعرف أن اللَّه هو الخالق الرازق الْمُدبر، لكن هؤلاء الصالِحون مقربون، ونَحن ندعوهم وننذر لَهم وندخل عليهم ونستغيث بِهم، ونريد بذلك الوجاهة والشفاعة، وإلا فنحن نفهم أن اللَّه هو الخالق الرازق الْمُدبر، فقل: كلامك هذا مذهب أبِي جهل وأمثاله [٢٤].

فإنهم يدعون عيسى وعزيرًا والْمَلائكة والأولياء، يريدون بذلك كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]، **وقال تعالى:** ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] **[٢٥].**

تقرُّب إِلَى اللَّه وتوسل إِلَى اللَّه، ليست بشرك؛ لأن الشرك عبادة الأصنام فقط، يا سبحان اللَّه! الرسول قاتل الْجَميع: الذين يعبدون الأصنام، والذين يعبدون الْمَلائكة، والذين يعبدون الْمَسيح، والذين يعبدون عُزيرًا، والذين يعبدون الأولياء والصالِحين، لَمْ يفرق بينهم؛ لأنه ليس بينهم فرق فِي الحقيقة.

[٢٤] الشيخ يُخاطب العلماء والعوام، ومعنى «نخاه» فِي العامية، أي: استنجد به.

يقال لِمن ينفي أن دعاء الصالِحين شرك، ويقول: الْمُراد به التوسل بِهم إِلَى اللَّه، يقال له: كلامك هذا هو مذهب أبِي جهل وأبِي لهب وأمثالهم؛ لأنَّهم يقولون: لا يَخلق ولا يرزق ولا يُحيي ولا يدبر إلا اللَّه، ونَحن نتخذ هذه الآلهة لتقرِّبنا إِلَى اللَّه زلفى، كما قال اللَّه عنهم: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

[٢٥] الْمُشركون الأولون يريدون مِمَّن يعبدونهم مع اللَّه التوسط لَهم فقط.

فإذا تأملت هذا تأملًا جيدًا، وعرفت أن الكفار يشهدون للَّه بتوحيد الربوبية، وهو تفرُّده بالخلق والرزق والتدبير، وهم ينخون عيسى والْمَلائكة والأولياء يقصدون أنَّهم يقربوهم إِلَى اللَّه زلفى، ويشفعون لَهم عنده، وعرفت أن من الكفار -خصوصًا النصارى منهم- من يعبد اللَّه الليل والنهار، ويزهد فِي الدنيا ويتصدق بِمَا دخل عليه منها، معتزلًا فِي صومعة عن الناس [٢٦]. وهو مع هذا كافر عدو للَّه مُخلَّد فِي النار بسبب اعتقاده فِي عيسى أو غيره من الأولياء، يدعوه أو يذبح له أو ينذر له، تبين لك كيف صفة الإسلام الذي دعا إليه نبيك مُحَمَّد ﷺ، وتبين لك أن كثيرًا من الناس عنه بِمعزل، وتبين لك معنى قوله ﷺ: «بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ»(١) [٢٧].

لا يقولون: إنهم يَخلقون ويرزقون، وإنَّما يقولون: إن هؤلاء شفعاء لنا عند اللَّه، يقولون: إن هذا تعظيم للَّه.

[٢٦] الرهبان من النصارى يتعبدون الليل والنهار ويبكون، ولكن يقولون: الْمَسيح ابن اللَّه، أو إن اللَّه هو الْمَسيح بن مريم، أو ثالث ثلاثة، وهم يبكون ويتعبدون، ولا ينفعهم هذا؛ لأنَّهم ما أخلصوا العبادة للَّه ﷻ، فمثلهم عبَّاد القبور اليوم.

[٢٧] الإسلام الصحيح غريب اليوم، أما الإسلام الْمُدَّعى، فالمسلمون اليوم يزيدون على المليار، ولكن الإسلام الصحيح غريب، إذ لو كان هذا الْمِليار إسلامهم صحيحًا لَمْ يقف أمامهم أحد من العالَم!! فاليهود الذين هم إخوان القردة والخنازير الذين ضُربت عليهم الذلة والْمَسكنة، الآن هم مسيطرون على بلاد المسلمين، والمسلمون الذين كانوا مع النَّبِي ﷺ فِي بدر

---

(١) أخرجه أحمد (١٦٦٩٠)، وابن وضاح القرطبِي فِي «البدع والنهي عنها»: (٦٥) بإسناد ضعيف، وله شاهد من حديث سعد بن أبي وقاص عند أحمد (١٦٠٤) يتقوى به.

فاللَّه اللَّه يا إخواني، تَمسكوا بأصل دينكم، وأوله وآخره، وأُسُّه ورأسه شهادة أن لا إله إلا اللَّه، واعرفوا معناها، وأحبوها وأحبوا أهلها، واجعلوهم إخوانكم ولو كانوا بعيدين، واكفروا بالطواغيت، وعادوهم وأبغضوهم، وأبغضوا من أحبهم أو جادل عنهم، أو لَمْ يكفرهم، أو قال: ما عليَّ منهم، أو قال: ما كلفني اللَّه بِهم، فقد كذب هذا على اللَّه وافترى، فقد كلفه اللَّه تعالى بِهم، وافترض عليه الكفر بهم والبراءة منهم، ولو كانوا إخوانهم وأولادهم.

فاللَّه اللَّه يا إخواني، تَمسكوا بذلك لعلكم تلقون ربكم وأنتم لا تشركون به شيئًا، اللَّهم توفنا مسلمين وألحقنا بالصالِحين.

ولنختم الكلام بآية ذكرها اللَّه تعالى فِي كتابه تُبين لك أن كفر المشركين من أهل زماننا أعظم من كفر الذين قاتلهم رسول اللَّه ﷺ [٢٨].

قال اللَّه تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٧]، **فقد ذكر اللَّه عن الكفار أنَّهم إذا مسهم الضر تركوا السادة والمشايخ فلم يدعوا أحدًا منهم، ولَم يستغيثوا به، بل**

كان عددهم ثلثمائة وبضعة عشر، وماذا صنعوا؟ فالصحابة بالنسبة لأهل الأرض كم هم؟ ومع هذا هم فتحوا الأمصار، وأسقطوا كسرى وقيصر، وسادوا العالَم كله؛ لأنَّهم مسلمون الإسلام الصحيح، ما هو إسلام ادِّعائي.

[٢٨] كفر أهل زماننا أعظم من كفر الْمُشركين الأولين، أعظم من كفر أبِي جهل وأبِي لهب! لأن الْمُشركين الأولين يشركون فِي الرخاء ويُخلصون فِي الشدة؛ لأنَّهم يعلمون أنه لا يُخلِّص من الشدة إلا اللَّه، أما مشركو زماننا فهم فِي الشدة أكثر شركًا منهم فِي الرخاء، إذا وقعوا فِي الشدة يُنادون معبوداتهم، كلٌّ ينادي معبوده ليخلصه من الغرق فِي البحر، يُخلصه من كذا، كلما زاد الخطر زاد الشرك عندهم، فهم أشد من الْمُشركين الأولين والعياذ باللَّه.

يُخلصون للَّه وحده لا شريك له، ويستغيثون به وحده، فإذا جاء الرخاء أشركوا.

وأنت ترى الْمُشركين من أهل زماننا، ولعل بعضهم يدَّعي أنه من أهل العلم، وفيه زهد واجتهاد وعبادة، إذا مسه الضر قام يستغيث بغير اللَّه مثل: معروف أو عبد القادر الجيلاني، وأجل من هؤلاء مثل زيد بن الْخَطاب والزبير، وأجل من هؤلاء مثل رسول اللَّه ﷺ، فاللَّه الْمُستعان، وأعظم من ذلك وأطم أنَّهم يستغيثون بالطواغيت والكفرة والْمَردة مثل شمسان وإدريس ويُقال له: الأشقر، ويوسف وأمثالهم، واللَّه ﷻ أعلم.

والْحَمد للَّه أولًا وآخرًا، وصلى اللَّه وسلم على نبينا مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه أجمعين ... آمين [٢٩].

* * *

---

[٢٩] (**معروف**) هو معروف الكرخي من الأولياء الْمَعروفين فِي العراق، يعبده القبوريون، و(**عبد القادر الجيلاني**) إمام من أئمة الحنابلة القدماء، فهو إمام جليل، ولكن لَمَّا مات اعتقدوا أنه ينفع ويضر، فبنوا على قبره، والصوفية اتَّخذوه إمامًا للمتصوفة أصحاب طريقة يسمونهم القادرية، وهو بريءٌ منهم رَحِمَهُ اللَّهُ، فهو معروف بالصلاح والاستقامة والعلم والتقى، كان من أكابر أصحاب مذهب الإمام أحمد، وله فيه مؤلف معروف اسمه: الغنية.

(**وزيد بن الْخَطاب**) صحابي جليل، وهو أخو عمر بن الْخَطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقُتل فِي اليمامة وقبر فيها وكان عليه قبة، فلما جاء الشيخ مُحَمَّد رَحِمَهُ اللَّهُ هدم هذه القبة ولَم تقم إِلَى الآن -والْحَمد للَّه- ولن تقوم -إن شاء اللَّه-.

(**والزبير بن العوام**) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حَواريُّ رسول اللَّه ﷺ، وهؤلاء الأولياء والصحابة يعبدهم القبوريون، ولكنهم لَمْ يكتفوا بعبادتهم، بل عبدوا الطواغيت والكفرة والْمَردَةَ من السَّحرة والكَهَنة، والإباحيين والحلوليين، الذين يقولون: من ترك الأوامر والنواهي فهو مقرب من اللَّه، وليس بِحاجة

للأوامر والنواهي، وإنَّما هي للعوام فقط، أما هو فوصل إِلَى اللَّه ولا يَحتاج إِلَى شيء.

(وشمسان وإدريس ويوسف) هؤلاء طواغيت كانوا فِي الرياض قبل ظهور دعوة الشيخ، فلما جاء الشيخ وقام بالجهاد فِي سبيل اللَّه، واستولى المسلمون على الرياض أزالوا هذه الوثنيات منها ومن غيرها، والْحَمد للَّه.

* * *

الأسئلة

*** سؤال: فضيلة الشيخ، ما صحة قول: لا معبود بِحق فِي الوجود إلا اللَّه؟**

الجواب: يكفي: لا معبود بِحق، عن قوله: فِي الوجود.

*** سؤال: فضيلة الشيخ، نسمع كثيرًا ما يسمى بالإعجاز العلمي فِي القرآن فهل يَجوز إلحاقُه بِمعجزات القرآن، وتنزيل آيات القرآن على تلك المسائل؟**

الجواب: نَحن تكلمنا على هذا أكثر من مرة ونبهنا عليه، قلنا: لا يَجوز تفسير كلام اللَّه ﷻ إلا بأصول التفسير المعروفة: بأن يُفسَّر القرآن بالقرآن، ويُفسَّر بالسنة، ويُفسر بتفسير الصحابة، وتفسير التابعين، ولا يُزاد على هذا، فلا يُفسر بالنظريات الْحَديثة؛ لأنها تُخطئ وتصيب، وهي كلام بشر وعمل بشر، فلا نَجعلها تفسيرًا لكلام اللَّه ﷻ، ولا نقول: هذا هو مراد اللَّه بهذه الآية، هذا قول على اللَّه بلا علم، تعالَى اللَّه عن ذلك.

وكم من نظرية كانت مسلَّمة فِي يوم، وبعد مدة يسيرة صارت خاطئة وكاذبة، وجاءت نظرية غيرها ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].
فلا يَجوز أن نفسِّر القرآن بهذه الأشياء، ولا أن نقول: هذا من الإعجاز العلمي.

*** سؤال: فضيلة الشيخ، من يُخطِّئ الرسول ﷺ هل يكفر أم يُنظر فِي أمره؟**

الجواب: من يُخطئ الرسول ﷺ، فهو كافر؛ لأنه جاحد لنبوته.

*** سؤال: من يُحب زوجته الكتابية، هل هذا مُخالف للولاء والبراء؟**

الجواب: اللَّه -جل وعلا- يقول: ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾ [الْمَائدة: ٥١] أي: لا تُحبوهم وتوالوهم وتناصروهم، وأما الزواج منهم فهو تعامل دنيوي، ليس هو تعاملًا دينيًا، مثل ما تبيع معهم وتشتري، والْمَحبة بين الزوجين مَحبة طبيعية ما هي مَحبة دينية، هو لا يُحبها لأجل دينها، ولكنه يُحبها من أجل الزوجية.

*** سؤال: فضيلة الشيخ، ما أسباب تعلق هؤلاء الناس بالقبور والأضرحة وطلب الإعانات وشفاء الْمَرضى، ما السبب فِي ذلك يا شيخ؟**

الجواب: السبب فِي هذا:

أولًا: التقليد الأعمى؛ لأنَّهم يَجدون من يفعلون هذه الأفعال، فيقلدونهم.

وثانيًا: سكوت العلماء عن النهي عن ذلك، وهذا كتمان للعلم، وتقصير فِي الدعوة إِلَى اللَّه ﷻ، وهم مسئولون عن ذلك.

ثالثًا: دعاة السوء، ودعاة الضلال الذين يروجون هذه الشِّركيات والبدعيات، ويُحسِّنونها للناس فِي كلامهم ومؤلفاتهم. فمجموع هذه الأمور يَحصل به هذا الخلل العظيم فِي العقيدة.

*** سؤال: ما حكم الاحتفال بالمولد النبوي؟ نرجو التوضيح، والإجابة الصحيحة حول ذلك.**

الجواب: هذه المسألة تكلم فيها العلماء قديمًا وحديثًا، ونهوا عنها وحذروا منها؛ لأنها بدعة، فالاحتفال بِمناسبة المولد النبوي بدعة ما أنزل اللَّه بِهَا من سلطان؛ لأنه ليس فِي كتاب اللَّه، ولا فِي سنة رسول اللَّه ﷺ، ولا فِي عمل القرون الْمُفضَّلة دليل على الاحتفال بالمولد النبوي، وما كان كذلك فهو بدعة، وإنَّما حدث الاحتفال بالمولد النبوي بعد القرون

الْمُفضلة، بعد الْمِائة الرابعة من الْهِجرة لَمَّا انتهت القرون الَّتِي أثنى عليها رسول اللَّه ﷺ، وأخبر أنَّها يأتي بعدها أناس يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، ومن ذلك أنَّهم أحدثوا هذه البدعة فِي دين اللَّه ﷻ.

*** سؤال: ما حكم الصلاة فِي مسجد دخل فِي بنائه أموال مأخوذة من أناس بغير طيبة أنفسهم، وما هو الحل لِهذه الْمُشكلة مأجورين؟**

الجواب: لا يَجوز بناء الْمَساجد بالْمَال الحرام، ولا يَجوز استخدام الْمَال الحرام للمسلمين لا أكلًا، ولا شربًا، ولا لباسًا، ولا سكنى، ومن باب أولى الْمَساجد الَّتِي هي بيوت اللَّه، فإن اللَّه ﷻ طيب ولا يقبل إلا طيبًا، والْمَال الْمُغصوب حرام، لقوله ﷺ: «**لا يَحل مال امرئ مسلم إلا بطيبة من نفسه**»(١)، وفِي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ﴾ [النساء: ٢٩]. وإذا بُني مسجد من الْمَال الْمَغصوب، فإن الحل فِي ذلك -فِي نظري- أن ينظر مقدار الْمَال الْمَغصوب فيُرد على صاحبه.

*** سؤال: هل يَجوز الاستشهاد بالأحاديث الضعيفة؟**

الجواب: الأحاديث الضعيفة تَختلف إذا كانت ضعيفة شديدة الضعف، فإنها لا يُستشهد بها، أما إذا كان ضعفها ليس شديدًا، أو كان لَها ما يشهد لَها من الأحاديث الأخرى، فإنها يُستشهد بها فِي فضائل الأعمال، ولا يؤسس بها أحكام شرعية، وإنَّما يُستشهد بها فِي الترغيب والترهيب وفضائل الأعمال.

* * *

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٧٢)، والدارقطني (٣/ ٢٦)، والبيهقي فِي السنن الكبرى (٦/ ١٠٠) من حديث أبِي حَرَّة الرقاشي عن عمه.

نموذج من ضرب الأمثلة على بطلان الشرك من القرآن الكريم

من كلام الشارح في بعض دروسه



الْحَمد للَّه رب العالَمين، وصلَّى اللَّه وسلم على نبينا مُحَمَّد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

قال اللَّه ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [البقرة: ٢٦-٢٧].

ضرب اللَّه -جل وعلا- مثلًا للموحِّد والْمُشرك، فقال ﷻ: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٢٩] الْمُشرك له عدة آلهة، يعبد أصنامًا كثيرة ولا يدري ماذا يُرضي منها، مثل الْمَملوك الذي له أسياد كثيرون يَملكونه، كل واحد يريده على ما يوافق هواه، وكل واحد له رغبة تُخالف رغبة الآخر، فيُصبح هذا الْمَملوك الْمِسكين مزعزعًا بين هؤلاء الشركاء، لا يدري من يُرضي منهم.

وأما الْمُوحد فهو مثل الذي يَملكه رجل واحد يعرف مطلوبه ويعرف هواه، فهو فِي راحة معه، ليس هو معه فِي نزاع ولا فِي شقاق ولا فِي تعب، هو رجل مَملوك لرجل واحد.

كذلك الْمُوحد هو عبد لرب واحد، وهو اللَّه ﷻ، يقوم بطاعته ويَجتنب معصيته ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا﴾ يعني: خالصًا لرجل، يَملكه رجل واحد، هل الْمَملوك الذي يَملكه عدة شركاء مثل الْمَملوك الذي يَملكه رجل واحد؟! لا . . . هذا مثلٌ للمشرك. . . .

﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ الاستفهام للإنكار، لا يستوي هذا وهذا، وهذا أيضًا مَثَلٌ ضَرَبه اللَّه للشرك والتوحيد.

وضرب اللَّه مثلًا للشرك وبطلانه فِي قوله تعالَى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]. الْمُوحد فِي رفعة مكانته وسمو منزلته مثل الذي فِي السماء مرتفع الْمَكانة سامي الْمَكانة عند اللَّه ﷻ، وأما الْمُشرك فإنه مَثَلُه مَثَل الذي يسقط من العلو، لَمَّا أشرك باللَّه سقط من الارتفاع الذي فيه أهل التوحيد، والسموِّ الذي فيه أهل التوحيد، والْمَكانة الْمُرتفعة العالية الَّتِي فيها أهل التوحيد، الْمُشرك لَمَّا أشرك باللَّه سقط من مرتفَع بعيد الارتفاع.

ماذا تكون حاله فِي حالة السقوط والعياذ باللَّه؟ إما أن تعترضه جوارح الطير فتمزق لَحمه وتأكله فِي الهواء، وإما أن يسلم من الجوارح لكن الريح تَحمله وترمي به فِي مكان بعيد عن الإنس، وتلقيه فِي مكان خالٍ موحش ما فيه شراب ولا فيه شيء.

كذلك الْمُشرك هو عرضة لِهذه الأشياء، وهذه الأهواء، وهذه الْمَناهج، وهذه الْمَذاهب الَّتِي تقطعه وتشتِّته وتهلكه فِي النهاية.

فهذا مَثَلٌ للمؤمن ومَثَل للموحد، الْمُؤمن فِي علوٍّ وارتفاع وسمو عند اللَّه

-جل وعلا- لتوحيده وإخلاصه، والْمُشرك ساقط من العلو ساقط من التوحيد، مُعرَّض لكل هلاك ولكل ضلال، وهذه حال الْمُشركين والعياذ باللَّه، معرَّضين لكل بلاء ولكل هلاك ولكل هوى ولكل شيطان يتنازعهم كل بلاء، هل يستوي هذا وهذا؟!

ثُمَّ فِي آخر السورة ضرب اللَّه مثلًا لبطلان الشرك فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣] جميع الأصنام وجميع المعبودات من دون اللَّه، كلُّها لا تستطيع أن تَخلق الذباب، فكيف تُعبد من دون اللَّه، وهي لا تستطيع أن تَخلق الذباب الذي هو أصغر شيء وأحقر شيء؟! ما طُلب منهم أن يَخلقوا بلدًا أو يَخلقوا جبلًا أو يَخلقوا إبلًا أو بقرًا أو آدميين، بل ذباب، أقل شيء!! هذا تعجيز من اللَّه -جل وعلا- لآلِهة الْمُشركين، فإذا كانت لا تستطيع أن تَخلق الذباب فكيف تُعبد مع الخالق الذي هو خالق كل شيء ﷻ؟ اللَّه خالق كل شيء، الخلَّاق العليم الذي لا يعجزه شيء، كيف يُقاس هذا بِهذا؟

فهذا مثل واضح لبطلان الشرك، وأنه لا مستند له، ولا أصل له ولا فرع، ﴿لَن يَخْلُقُواْ﴾ ولاحظوا كلمة (لن يَخلقوا) هذا للمستقبل إِلَى يوم القيامة، فالتعجيز مستمر إِلَى يوم القيامة، أيُّ مشرك يدعو غير اللَّه يقال له: هل الذي تعبده يَخلق ذبابة؟

كل هذه الَّتِي يعبدون من الْمَعبودات والأصنام والتماثيل والأولياء والصالِحين والقبور والأشجار والأحجار، كلُّهم موجَّه إليهم هذا الْمَثل.

فما دام أنَّهم لا يقدرون على خلق الذباب فكيف يصلحون للعبادة؟!

﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٧]، ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝٢٠ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍۖ﴾ [النحل: ٢٠-٢١]، ﴿أَرَءَيْتُم

شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [فاطر: ٤٠].

ما يستطيع الْمُشركون أن يقولوا: إن معبوداتهم خلقت ولو ذبابة، ولا يستطيعون هذا فِي الْمُستقبل، حَتَّى فِي زمان تقدم الصناعة الآن وتفنن الصناعة، ما يستطيع صنَّاع العالَم ومهرة العالَم وأطباء العالم أن يَخلقوا ذبابًا، يصنعون طيارة، يركِّبون بعضها فِي بعض، طائرة تَحمل الركاب، هذه صناعة مُمكنة يتعلمها الإنسان ويعرفها، واللَّه هو الذي سخرها لنا، وهو الذي ألهمنا أن نستعملها وأن نستخدمها رحمة بنا، يُمكن أن يصنع البشر طيارة ويصنعوا باخرة، لكن الْخَلق لا يَخلق ذبابة! لأن هذا من خصائص اللَّه ﷻ.

فالعبادة إنَّمَا يستحقها الخالق ﷻ: ﴿أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٧]. ثُمَّ قال: ﴿وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا﴾ [الحج: ٧٣] الذباب الذي هو أضعف شيء لو يأخذ من هذا الصنم الذي يُعبد، لو يأخذ منه شيئًا مِمَّا يوضع عليه من الطيب أو من الذهب؛ لأنَّهم يضعون على هذه الْمَعبودات أشياء من الْحُلي ومن الذهب ومن الطيب والبخور، لو جاء الذباب وأخذ مِمَّا عليها شيئًا يسيرًا، هل تستطيع هذه الأصنام أن تسترد ما أخذه الذباب؟ لا تستطيع أن تنتصر لنفسها من الذباب: ﴿وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ﴾ الذي هو المشرك ﴿وَٱلۡمَطۡلُوبُ﴾ الذي هو الْمَعبود من دون اللَّه ﷻ، ذباب أعجز الْجَميع. فهذا من أعظم الأمثلة على بطلان الشرك باللَّه ﷻ.

يُمكن أن يقولوا: نَحن ما نقول: إن معبوداتنا تَخلق مع اللَّه، اللَّه هو الخالق وحده ونَحن نعترف بذلك، هو الخالق الرازق الْمُحيي الْمُميت الْمُدبر، نَحن نعتقد هذا، لكن هؤلاء عباد صالِحون ونريد منهم أن يشفعوا لنا

عند اللَّه، نتخذهم وسائل، فنحن نعبدهم من أجل أن يقربونا إِلَى اللَّه زلفى، وإلا نَحن نعلم أنَّهم ما يَخلقون ولا يرزقون، لكن لأنَّهم عباد صالِحون لَهم منزلة عند اللَّه نريد منهم أن يقربونا ويشفعوا لنا إِلَى اللَّه، أن يتوسطوا لنا عند اللَّه. ويذبَحون لَهم وينذرون لَهم ويطوفون بقبورهم ويعكفون عندها، ويصرفون لَهم العبادات، وهم يعترفون أنَّهم ما يَخلقون ولا يرزقون ولا يدبرون من الأمر شيئًا، وإنَّما يريدون منهم الوساطة عند اللَّه ﷻ.

اللَّه ﷻ أبطل هذا بالمثل: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم: ٢٨] فإذا كنتم لا ترضون أن يشارككم أحد عبيدكم، فكيف ترضون للَّه أن يشاركه عبدٌ من عبيده؟ فكيف تصفون اللَّه بِمَا تُنَزِّهون منه أنفسكم؟!!

وكانوا يقولون فِي تلبيتهم: (لبيك لا شريك لك، إلا شريكًا هو لك، تَملكه وما ملك) فضرب اللَّه لَهم هذا الْمثل.

وباللَّه التوفيق، وصلى اللَّه وسلم على نبينا مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

شرح

بعض فوائد

سورة الفاتحة



بعض فوائد من سورة الفاتحة

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٣ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ١ - ٤]. [١].

---

[١] بسم الله الرحمن الرحيم

الْحمد للَّه رب العالَمين، وصلى اللَّه وسلم على نبينا مُحَمَّد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

هذه الرسالة تَختص ببيان فوائد سورة الفاتِحة، هذه السورة العظيمة، سُميت بالفاتِحة؛ لأنها افتُتح بِهَا الْمُصحف الشريف، فهي أول سورة فيه، وتسمى بالسبع المثاني؛ لأنها سبع آيات، قال اللَّه تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧] فهي السبع الْمَثاني.

وقيل: سُميت بالْمَثاني؛ لأنها تُكرر قراءتُها فِي كل ركعة، وتُسمى أم القرآن؛ لأن أم الشيء: الأصل الذي يرجع إليه الشيء، القرآن يرجع فِي معانيه إلَى ما تضمنته هذه السورة، وتُسمى بالصلاة؛ لقول النَّبِي ﷺ فِي الْحديث الذي يرويه عن ربه، أن الله -جل وعلا- يقول: «**قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، يعني: الفاتحة، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ:** ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]**، قَالَ اللهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ:** ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١]**، قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ:** ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]**، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ:** ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] **قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي**

ما سأل»[١].

وسورة الفاتِحة سبع آيات، ثلاث آيات ونصف منها للَّه، ثناء على اللَّه ﷻ، وثلاث ونصف منها للعبد، من قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إلى آخر السورة.

فهذا معنى قوله -جل وعلا-: **«قسمت الصلاة»** يعني سورة الفاتِحة **«بيني وبين عبدي نصفين»**.

وتسمى بالكافية، وتسمى بالرقية؛ لأن النفر من الصحابة الذين نزلوا على حي من أحياء العرب استضافوهم فلم يضيفوهم، فلُدغ كبيرهم، فجاءوا يطلبون من الصحابة الرقية.

فقال أحد الصحابة: إننا نرقي ولكن أبيتم أن تضيفونا، فلا نرقي إلا بِجُعلٍ -يعني: بأجرة- فشرطوا لَهم قطيعًا من الغنم، فقرأ عليه سورة الفاتِحة، فقام كأنَّما بُعث من عقال.

فلما قدموا على النَّبِي ﷺ أخبروه بِمَا حصل، فقال: **«وما أدراك أنَّها رقية»**[٢]، فتسمى بالرقية.

وهي سورة عظيمة، يدل على عظمتها أن اللَّه جعل قراءتها ركنًا من أركان الصلاة، وأنها تُكرر فِي كل ركعة، فهذا يدل على عظمة هذه السورة.

وهي تتضمن معانيَ جليلةً، ففيها أنواع التوحيد الثلاثة فِي أولها: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ هذا فيه توحيد الربوبية ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ هذا فيه توحيد الأسماء والصفات ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ هذا فيه توحيد العبودية، فتضمنت إذن أنواع التوحيد الثلاثة.

---

(١) أخرجه مسلم (٣٩٥) من حديث أبِي هريرة.

(٢) أخرجه البخاري (٢٢٧٦) و(٥٠٠٧) و(٥٧٣٦) و(٥٧٤٩)، ومسلم (٢٢٠١) من حديث أبِي سعيد الخدري.

وتضمنت نوعي الدعاء؛ لأن الدعاء على قسمين: دعاء عبادة، ودعاء مسألة.

دعاء العبادة: هو الثناء على اللَّه -جل وعلا- وذكر اللَّه ﷻ.

ودعاء المسألة: وهو طلب الحوائج من اللَّه -جل وعلا- فهذا موجود فيها ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ كله طلب ودعاء، ولذلك يُستحب بعد الفراغ من قراءتها أن يقول: (آمين) أي: اللَّهم استجب، والتأمين إنَّمَا يكون على دعاء، وسورة الفاتِحة دعاء كلها، دعاء عبادة ودعاء مسألة.

وفيها إثبات الرسالات، وذلك لأن مقتضى قوله: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ والرب هو الذي يُصلح عباده ويربيهم، ومقتضى تربيتهم أن يرسل إليهم الرسل لِهدايتهم وتربيتهم، وهذا من مقتضى الربوبية، ومن مقتضى الْهداية ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ لا يُمكن الاهتداء إلَى الصراط المستقيم إلا بالرسل -عليهم الصلاة والسلام-، ففيها إثبات الرسالات.

وفيها الرد على جميع الطوائف الْمُنحرفة، ففيها الرد على الْمَلاحدة الذين يُعطِّلون الكون من خالقه، فيها الرد عليهم بإثبات أن هذا الكون له رب خلقه وهو ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

والرب معناه: الخالق المربي لِجميع الخلق بالنعم، والْمُصلح والمالك، كل هذه تدخل فِي معاني الرب ﷻ، ففيها الرد على الْمَلاحدة الْمُعطلة.

وفيها الرد على الْمُشركين الذين يعبدون غير اللَّه ﷻ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ حيث إن فيها إخلاص العبادة للَّه، ففيها الرد على المشركين الذين يعبدون مع اللَّه غيره.

وفيها الرد على طوائف هذه الأمة الَّتِي اشتطَّت عن طريق الْحَق، كالجهمية والْمُعتزلة والأشاعرة الذين ضلوا فِي باب القضاء والقدر، والرد على نفاة

هذه الآيات الثلاث تضمنت ثلاث مسائل [٢]:

الصفات، الْمُعطِّلة الذين عطلوا الأسماء والصفات من جهمية ومعتزلة وأشاعرة وماتُريدية وغيرهم، كل من نفى الصفات أو نفى شيئًا منها، فهذه السورة ترد عليهم.

وفيها إثبات البعث ﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ ويوم الدين: هو يوم الحساب؛ لأن الدين هنا معناه: الْحِساب، ويوم الدين هو يوم القيامة، سمي يوم الدين؛ لأن اللَّه يُحاسب عباده ويُجازيهم على أعمالِهم.

وفيها الرد على اليهود وهم الْمَغضوب عليهم، ومن سار على نهجهم من كل عالِم لا يعمل بعلمه.

وفيها الرد على النصارى الذين يعبدون اللَّه على غير هدى.

ففيها الرد على كل مبتدع يعبد اللَّه بغير دليل من النصارى وغيرهم؛ لأن الضال: هو الذي يعبد اللَّه على غير هدى.

فالنصارى والمبتدعة والْخُرافيون كلهم يدخلون تَحت الضالين؛ لأنَّهم يعبدون اللَّه بالبدع والْمُحدثات والخرافات الَّتِي ما أنزل اللَّه بِهَا من سلطان.

كما أن فيها الرد على علماء الضلال الذين يُحرفون الكلم عن مواضعه، ويعملون بأهوائهم، ويُحرفون النصوص ويؤولونها على غير مراد اللَّه ﷻ لتتوافق على أهوائهم، وفِي مقدمة هؤلاء اليهود وكل من سار على نهجهم.

كما أن فِي مقدمة المبتدعة النصارى، ولِهذا يقول بعض السلف: من ضل من علمائنا ففيه شبه من اليهود، ومن ضل من عبَّادنا ففيه شبه من النصارى.

فالواقع أن هذه سورة عظيمة، وسيتكلم الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن فوائدها الْمُهمة.

[٢] الثلاث آيات الَّتِي تلاها فِي أول الرسالة ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ تضمنت ثلاث مسائل.

الآية الأولى: فيها الْمَحبة؛ لأن اللَّه مُنعِم، والْمُنعِم يُحَب على قدر إنعامه [٣].

والْمَحبة تنقسم إِلَى أربعة أنواع: مَحبة شركية: وهم الذين قال اللَّه فيهم: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ إِلَى قوله: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٥-١٦٧].[٤].

---

[٣] ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الْحَمد للَّه على ماذا؟ على نعمه، فهو يُحمد ﷻ لذاته ولأسمائه وصفاته ولأفعاله، فهو الْمُنعم على عباده، فكل منعم فهو يُحمد على قدر ما أنعم، وهذا يقتضي أن يُحَب؛ لأن النفوس جُبلت على حب من أحسن إليها، واللَّه -جل وعلا- هو الْمُحسن وهو الْمُنعم وهو الْمُتفضل على عباده، فتحبه القلوب على نعمه وعلى فضله وإحسانه مَحبة لا يعادلُها مَحبة.

ولذلك كانت الْمَحبة أعظم أنواع العبادة، فالْحَمد للَّه رب العالمين تتضمن الْمَحبة. وسيذكر الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ أن الْمَحبة على أربعة أنواع:

مَحبة شركية: وهي مَحبة الأصنام والأوثان وكل ما يُعبد من دون اللَّه ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]. لأن مَحبتهم مَحبة توحيد وإخلاص.

النوع الثاني: مَحبة مُحرمة، وهي مَحبة ما يبغضه اللَّه ﷻ من الْمَمنوعات والْمَنهيات والْمُحرمات، ومن ذلك مَحبة الْمُشركين ومَحبة الكفار.

والنوع الثالث: مَحبة طبيعية، وهي مَحبة الإنسان لأولاده ولأبويه ولزوجته ولأصدقائه، هذه مَحبة طبيعية لا يؤاخذ عليها الإنسان.

النوع الرابع: مَحبة واجبة، وهي مَحبة أولياء اللَّه، وهي الْمَحبة فِي اللَّه والموالاة للَّه ﷻ. كل هذا داخل فِي قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

[٤] ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾ أي: شُبهاء ونظراء للَّه ﷻ،

فكل ما عُبد من دون اللَّه فقد اتُّخذ ندًّا للَّه وشبيهًا للَّه ﷻ وعديلًا للَّه ﷻ، والْمُشركون يُحبون معبوداتهم مَحبة شديدة، ولذلك يَموتون دونها ويُقتلون دونها، ولو كانوا لا يُحبونها ما قاتلوا دونها، لكن يتمسكون بِهَا ويُحبونها، لأنها أُشربت فِي قلوبهم والعياذ باللَّه. ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر: ٤٥]. ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾ [البقرة: ١٦٥].

لأن الْمُشركين يُحبون اللَّه مَحبة مشتركة بينه وبين غيره، وأما مَحبة الْمُؤمنين للَّه فهي مَحبة خالصة، ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

يقول -جل وعلا-: لو يعلمون ما سيئولون إليه يوم القيامة مع من عبدوهم لكان لَهم حال آخر؛ لأنَّهم فِي يوم القيامة، يتبرأ المتبوعون من الأتباع، ويكذبونهم ويقولون: نَحن ما أمرناكم بعبادتنا، ولا علمنا أنكم تعبدوننا ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦] والأسباب هي الْمَحبة -كما يقول ابن عباس- الْمَحبة الَّتِي كانت فِي الدنيا بينهم وبين معبوداتهم انقطعت، بعد أن كانوا يتحابون فِي الدنيا صاروا يتلاعنون فِي الآخرة ﴿إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [العنكبوت: ٢٥].

أما الذين عبدوا اللَّه وأخلصوا له العبادة؛ فإن اللَّه -جل وعلا- يتولاهم فِي الآخرة ويكرمهم ويدخلهم الْجَنة.

هذا مآل الْمُومنين فِي الآخرة، وذاك مآل الْمُشركين فِي الآخرة. وإن كانوا فِي الدنيا يتمسكون بعبادة تلك الْمَعبودات، ويقاتلون دونها ويستميتون ويُزهقون

الْمَحبة الثانية: حب الباطل وأهله، وبغض الْحَق وأهله، وهذه صفة الْمُنافقين [٥].

الْمَحبة الثالثة: طبيعية، وهي مَحبة الْمَال والولد، إذا لَمْ تشغل عن طاعة اللَّه ولَم تُعِن على مَحارم اللَّه فهي مباحة [٦].

أنفسهم دفاعًا عنها، فإنها يوم القيامة ستنقلب هذه المودة وهذه الصلة، تنقلب عداوة وقطيعة والعياذ باللَّه ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧] ما يبقى إلا المودة بين المتقين؛ لأنها مؤسسة على أساس صحيح، تبقى فِي الدنيا والآخرة، أما المودة الَّتِي بين الكفار والمشركين فإنها تنقطع وتنقلب إِلَى عداوة.

[٥] النوع الثاني: مَحبة الباطل وأهله، وبغض الحق وأهله، هذه صفة الْمُنافقين، فإنهم يُحبون الباطل ويكرهون الْحَق، يُحبون الكفار ويبغضون الْمُؤمنين.

والنفاق: هو إظهار الإسلام وإبطان الكفر. وعلامة الْمُنافقين: أنَّهم يُحبون أهل الباطل ويبغضون أهل الْحَق، فإذا رأيت من يبغض أهل الحق خصوصًا صحابة رسول اللَّه ﷺ، ويُبغض علماء الأمة وأئمة المسلمين، فاعلم أنه منافق، وإن كان يُظهر الإسلام، ويشهد أن لا إله إلا اللَّه وأن مُحمدًا رسول اللَّه فِي الظاهر، لكنه فِي الباطن ملحد كافر يتستر بالإسلام وبالشهادتين، وإلا فهو كافر فِي الدرك الأسفل من النار.

[٦] الثالثة: مَحبة طبيعية، أي: مطبوع عليها الإنسان ومفطور عليها، يُحب الإنسان أقاربه، يُحب أولاده، يُحب أصدقاءه، يُحب من أحسن إليه، هذه مَحبة طبيعية لا يؤاخذ عليها الإنسان إلا إذا قدمها على مَحبة اللَّه ورسوله، فإنه حينئذٍ يأثم ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ

والْمَحبة الرابعة: حب أهل التوحيد وبغض أهل الشرك، وهي أوثق عرى الإيْمَان، وأعظم ما يَعبُد به العبد ربه [٧].

الآية الثانية: فيها الرجاء [٨].

والآية الثالثة: فيها الخوف [٩].

﴿فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤]. فإذا قدَّم مَحبة هذه الأشياء على ما يُحبه اللَّه ورسوله، فإنه متوعَّد بِهذا الوعيد.

[٧] **الْمَحبة الرابعة: مَحبة أولياء اللَّه وبُغض أعداء اللَّه**، فهذه هي الْمُوالاة فِي اللَّه والْمُعاداة فِي اللَّه، فيحب أهل التوحيد ويبغض أهل الشرك، هذا أوثق عرى الإيْمان، وهذا هو الْحُب فِي اللَّه والبغض فِي اللَّه، هذا هو الولاء والبراء. وهذا من أصعب الأمور على الإنسان، فإن كان يُحب أهل التوحيد ويواليهم، ويبغض أهل الشرك ويعاديهم، فهذه علامة الإيْمَان الراسخ.

[٨] **الآية الثانية من سورة الفاتحة وهي**: ﴿ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ فيها الرجاء، رجاء رحمة اللَّه سبحانه وتعالى؛ لأنه إذا كان رحمنَ رحيمًا، فإنه تُرجى رحمته سبحانه وتعالى.

[٩] وهي قوله تعالى: ﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ فيها التخويف من هذا اليوم، والإدانة يوم القيامة بالأعمال السيئة، ففيها الخوف.

فالآية الأولَى فيها مَحبة اللَّه ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ والثانية ﴿ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ فيها الرجاء، رجاء رحمة اللَّه، والثالثة فيها الخوف من عقاب اللَّه ﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾، فإذا اجتمعت هذه الأمور الثلاثة: الْمَحبة والرجاء والخوف فهي أساس العبادة.

أما من أخذ بواحدة منها فقط فإنه يكون ضالًا، فمن عبد اللَّه بالْمَحبة فقط ولا يَخاف ولا يرجو، فهذه طريقة الصوفية الذين يقولون: لا نعبد اللَّه خوفًا من ناره ولا طمعًا فِي جنته، وإنَّما نعبده لأننا نُحبه.

وهذا ضلال والعياذ باللَّه؛ لأن الرسل والْمَلائكة أفضل الخلق، يَخافون اللَّه ويرجونه ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠] الرسل يَخافونه ويرجونه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٧] هؤلاء كما جاء فِي التفسير أنَّهم العزير وعيسى وأمه الذين كان يعبدهم الْمُشركون، هم عباد يرجون رحمة اللَّه ويَخافون عذابه، فكيف يُعبدون مع اللَّه؟!!.

ومن عبد اللَّه بالرجاء فقط فهو من الْمُرجئة الذين يعتمدون على الرجاء ولا يَخافون من الذنوب والْمَعاصي.

يقولون: الإيْمان تصديق فِي القلب، أو التصديق بالقلب مع النطق باللسان.

ويقولون: الأعمال إنَّمَا هي مكمِّلات. وهذا ضلال والعياذ باللَّه، لأن الإيْمان قول وعمل واعتقاد، لا يكفي واحد من هذه الأمور، لابد منها جميعًا، ليس قولًا فقط، ولا عملًا فقط، ولا اعتقادًا فقط، بل لابد من هذه الأمور الثلاثة حَتَّى يتحقق الإيْمان، ومن عَبَدَ اللَّه بالخوف فقط، فهو على طريقة الخوارج الذين يعبدون اللَّه بالخوف، فيأخذون بنصوص الوعيد فقط، ويتركون نصوص الوعد والمغفرة والرحمة.

فهذه طوائف الغُلاة: الصوفية والمرجئة والخوارج.

أما طريق الحق فهو الجمع بين هذه الأمور: الْمَحبة والخوف والرجاء.

هذا هو الإيْمَان، وهذه طريقة المؤمنين، وهذا هو التوحيد. وهذا ما جمعته هذه الآيات الثلاث ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ هذه فيها الْمَحبة ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ هذه فيها الرجاء ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ هذه فيها الخوف.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ أي: أعبدك يا رب بِمَا مضى، بهذه الثلاث: بِمحبتك، ورجائك، وخوفك [١٠].

فهذه الثلاث أركان العبادة، وصرفها لغير اللَّه شرك [١١].

وفِي هذه الثلاث الرد على من تعلق بواحدة منهن كمن تعلق بالْمَحبة وحدها [١٢].

أو تعلق بالرجاء وحده [١٣] أو تعلق بالخوف وحده [١٤]، فمن صرف منها شيئًا لغير اللَّه فهو مشرك.

وفيها من الفوائد: الرد على الطوائف الثلاث الَّتِي كل طائفة تتعلق بواحدة منها. كمن عبد اللَّه تعالى بالْمَحبة وحدها.

وكذلك من عبد اللَّه بالرجاء وحده كالمرجئة [١٥]، وكذلك من عبد اللَّه

---

[١٠] ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ نعبده بهذه الثلاثة: الْمَحبة والْخوف والرجاء؛ لأنها لا تتحقق العبادة إلا بِهَا، أي: بِمجموع الثلاثة.

[١١] أي: من أحب غير اللَّه فهو مشرك، من رجا غير اللَّه فهو مشرك، من خاف من غير اللَّه فهو مشرك.

[١٢] وهم الصوفية.

[١٣] وهم الْمُرجئة.

[١٤] وهم الخوارج والوعيدية، يسمَّون الوعيدية؛ لأنَّهم أخذوا نصوص الوعيد فقط.

[١٥] والْمُرجئة سُموا مرجئة؛ لأنهم أرجئوا الأعمال، أي: أخروها عن مسمى الإيْمَان؛ لأن الإرجاء معناه التأخير ﴿قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ [الأعراف: ١١١، الشعراء: ٣٦] يعني: أخِّر شأنه وانظر فيه، فالإرجاء معناه التأخير، سموا مرجئة؛ لأنَّهم أخروا الأعمال عن حقيقة الإيْمَان، وأخرجوها من حقيقة الإيْمَان.

بالخوف وحده كالخوارج [١٦].

﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ **فيها توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية** ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ **فيها توحيد الألوهية،** ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ **فيها توحيد الربوبية [١٧].**

﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ **فيها الرد على المبتدعين [١٨].**

---

[١٦] الخوارج هم الذين خرجوا على ولاة المسلمين وكَفَّروهم، وهم يعتمدون على نصوص الوعيد، ويكفِّرون بالكبائر الَّتِي دون الشرك، ويقولون: من مات عليها فهو مُخلَّد فِي النار.

[١٧] ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ فيها توحيد الألوهية: وهو إفراد اللَّه بأفعال العباد الَّتِي شرعها لَهم؛ لأن الألوهية معناها العبادة، والعبادة من أفعال العباد ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ فيها توحيد الربوبية؛ لأن الإعانة من أفعال الرب سبحانه، وتوحيد الربوبية هو توحيد اللَّه بأفعاله.

[١٨] ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ﴾: الهداية على نوعين: هداية دلالة وإرشاد، ودلالة توفيق وتسديد.

ودلالة الهداية والإرشاد هذه حاصلة لِجميع الخلق الْمُؤمنين والكفار والْمُشركين؛ لأن اللَّه دلهم وأرشدهم إِلَى طريق الحق، لكن الكفار لَمْ يقبلوا، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧].

هديناهم: يعني: بينا لَهم، فاللَّه هدى جميع الخلق هداية البيان والإرشاد.

النوع الثاني: هداية التوفيق وقبول الحق، وهذه خاصة بالْمُؤمنين، فأنت تسأل اللَّه نوعي الهداية.

والْمُستقيم: يعني: الْمُعتدل، وصراط اللَّه مستقيم، يعني: معتدل، بِخلاف طرق الضلال، فإنها ملتوية ومنحرفة ومتعرجة تُضيع من سار عليها، أما صراط اللَّه فهو واضح معتدل، من سار عليه أفضى به إِلَى الْجنة ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي

وأما الآيتان الأخيرتان ففيهما من الفوائد ذكر أحوال الناس.

قسمهم اللَّه تعالى ثلاثة أصناف: منعَم عليه، ومغضوب عليه، وضال [١٩].

فالْمغضوب عليهم: أهل علم ليس معهم عمل [٢٠].

والضالون: أهل عبادة ليس معها علم [٢١].

وإذا كان سبب النزول فِي اليهود والنصارى، فهي لكل من اتصف بذلك [٢٢].

مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣]. فأنت تسأل اللَّه أن يهديك هذا الصراط.

[١٩] الناس إما منعَم عليهم، وإما مغضوب عليهم، وإما ضالون، فالْمُنعَم عليهم هم الذين أخذوا العلم والعمل، والْمَغضوب عليهم هم الذين أخذوا العلم وتركوا العمل، والضالون هم الذين أخذوا العمل وتركوا العلم.

أنت تسأل اللَّه أن يَجعلك مع المنعم عليهم، وأنا يُجنبك طريق الْمَغضوب عليهم وطريق الضالين. وهذه سورة عظيمة؛ ولذلك فرضها اللَّه عليك فِي كل ركعة لماذا؟ لأجل ما فيها من هذه الأسرار.

[٢٠] وهم اليهود ومن سار معهم فِي هذا الْمِضمار من هذه الأمة، الذين تعلموا ولَم يعملوا بعلمهم.

[٢١] منهم الصوفية المبتدعة والْمُخرِّفون، كلهم يدخلون فِي الضالين؛ لأنَّهم يشتغلون بالعبادة ويتركون العلم، يقولون: العلم يشغلك عن العمل.

[٢٢] إن كان سبب نزول: ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ فِي اليهود، و﴿الضَّالِّينَ﴾ فِي النصارى، فالعبرة بعموم اللفظ لا بِخصوص السبب.

ولِهذا يقول بعض السلف: من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود، ومن فسد من عبَّادنا ففيه شبه من النصارى.

الثالث: من اتصف بالعلم والعمل وهم الْمُنعَم عليهم [٢٣].

وفيها من الفوائد: التبرؤ من الحول والقوة؛ لأنه مُنْعَمٌ عليه [٢٤].

وكذلك فيها معرفة اللَّه على التمام ونفي النقائص عنه -تبارك وتعالى- [٢٥].

وفيها معرفة الإنسان ربَّه، ومعرفة نفسه [٢٦].

---

[٢٣] قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]. هؤلاء هم الْمُنعم عليهم، فإذا أردت أن تكون معهم فاجمع بين العلم النافع والعمل الصالح.

[٢٤] وذلك فِي قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وفِي قوله تعالى: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ وقوله: ﴿ٱهْدِنَا﴾ لأن هذا فضل من اللَّه ليس بِحولك ولا بقوتك، توفيقك للعلم النافع، وتوفيقك للعمل بالعلم هذا من اللَّه، لو شاء ربك لكنت مع الْمَغضوب عليهم أو من الضالين، فالذي أنعم عليك وأخرجك من الطائفتين، وجعلك مع الأنبياء والصديقين والشهداء، هو اللَّه -جل وعلا- هذا ليس بِحولك ولا بقوتك وإنَّما بفضل اللَّه ﷻ.

فأنت تُعلق قلبك باللَّه، وتتبرأ من الحول والقوة إلا باللَّه ﷻ. يقول ابن القيم:

لو شاء ربك كنت أيضًا مثلهم ... فالقلب بين أصابع الرحمن

[٢٥] هذه السورة، إذا تأملتها وتدبرتها عرفت اللَّه ﷻ على التمام، بأسمائه وصفاته ونعمه عليك، فيزيدك هذا إيمانًا ويقينًا.

[٢٦] ومعرفة نفسك أنك ضعيف، وأنك مُحتاج إِلَى اللَّه ﷻ، ولِهذا تقرأ هذه السورة وتكررها فِي كل ركعة لأنك بِحاجة إليها؛ لأن فيها هذا الدعاء

فإنه إذا كان رب فلابد من مربوب [٢٧]، وإذا كان هنا راحم فلابد من مرحوم [٢٨]، وإذا كان هنا مالك فلابد من مَملوك [٢٩]، وإذا كان هنا عبد فلابد من معبود [٣٠]، وإذا كان هنا هادٍ فلابد من مهدي [٣١]، وإذا كان هنا مُنعِم فلابد من مُنعَم عليه [٣٢]، وإذا كان هنا مغضوب عليه فلابد من غاضب [٣٣]، وإذا كان هنا ضال فلابد من مُضل.

العظيم الذي إذا تقبَّله اللَّه منك سعدت فِي الدنيا والآخرة، وإذا غفلت عنه ولَم تستعمله، فإنه لا ينفعك بشيء.

فهذا مِمَّا يؤكد على العبد أن يَتدبَّر القرآن؛ خصوصًا هذه السورة العظيمة، يقول ابن القيم:

تَدَبَّر القرآن إن رُمْتَ الْهدى … فالعلم تَحت تدبر القرآن

[٢٧] ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ يدل على أنه لابد من رب خالق ومن مَخلوق مربوب، مَخلوق لرب العالمين.

[٢٨] ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ إذا كان هناك راحم فلابد من مرحوم، وهو الْمَخلوق، الراحم هو اللَّه، والْمَرحوم هو الْمَخلوق.

[٢٩] ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ إذا كان هنا مالك فلابد من مَملوك، وهم العباد وجميع الْمَخلوقات.

[٣٠] إذا كان هنا عبد، لابد أن يكون هناك معبود، وهو اللَّه ﷻ.

[٣١] ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ﴾ إذا كان هناك هاد وهو اللَّه، فهناك مهدي وهو العبد.

[٣٢] ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ هذا فيه أن هناك مُنْعِمًا، فلابد أن يكون هناك مُنْعَم عليه، وهم جميع العباد.

[٣٣] ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ وهم اليهود، ومن سار بركابهم مِمَّن تعلموا

فهذه السورة تضمنت الألوهية والربوبية، ونفي النقائص عن اللَّه ﷻ [٣٤]، وتضمنت معرفة العبادة وأركانها [٣٥]. واللَّه أعلم [٣٦].

* * *

ولَم يعملوا، لابد أن يكون هناك غاضب وهو اللَّه ﷻ، والغضب من صفاته، فهو يغضب، ويسخط ويَمقت، والْمَغضوب عليه والْمَمقوت والْمَسخوط عليه هو الْمَخلوق العاصي الْمُخالف لأوامر اللَّه ﷻ.

[٣٤] كما سبق أن فيها أنواع التوحيد الثلاثة الَّتِي هي توحيد: الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات. ونفي النقائص والعيوب عن اللَّه ﷻ، وهذا هو التوحيد.

[٣٥] وفيها الْمَحبة مع التذلل والرجاء والْخَوف، فهذه أركان العبادة.

[٣٦] وصلى اللَّه وسلم على نبينا مُحَمَّد.

وجزاه اللَّه خيرًا على ما بيَّن ووضح.

* * *

الأسئلة

*** سؤال: أحسن اللَّه إليكم فضيلة الشيخ، هذا سائل يقول: نقرأ ونسمع عن مرجئة الفقهاء، فأرجوا توضيح ذلك؟**

الجواب: مرجئة الفقهاء، أو مرجئة أهل السنة: هم الحنفية؛ لأن عندهم أن الإِيْمَان قول باللسان واعتقاد بالقلب، وأما العمل فيقولون: إنه لا يدخل فِي حقيقة الإِيْمَان، لكنه شرط أو مُكمِّل للإيمان، ولذلك سموا بالْمُرجئة؛ لأَنَّهم أخروا العمل عن مسمى الإيْمان، وسُموا بِمرجئة الفقهاء، أو مرجئة أهل السنة. ولا شك أن هذا خطأ، الْمُهم أنَّهم أخف أنواع الْمُرجئة.

فالْمُرجئة على أربعة أنواع:

شر الأنواع وأقبحها الجهمية الذين يقولون: الإِيْمَان مُجرد الْمَعرفة فِي القلب ولو لَمْ يُصدق. هذا شر الإرجاء.

الثاني: من يقول: الإِيْمَان هو الاعتقاد بالقلب فقط دون النطق باللسان، وهذا قول الأشاعرة.

الثالث: الذين يقولون: الإِيْمَان هو النطق باللسان ولو لَمْ يعتقد بالقلب، وهذا قول الكَرَّامية.

النوع الرابع: الذين يقولون: الإيْمان هو الاعتقاد بالقلب والنطق باللسان، وهؤلاء هم الحنفية.

*** سؤال: هل من الكفر موالاة الكفار؟**

الجواب: موالاة الكفار مُحرمة وباطلة، وإذا أحب ما هم عليه من الكفر صار كافرًا.

*** سؤال: أثابكم اللَّه، سائل يقول: قول الْمُؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الثلاثة أصول: إنه يَجب على كل مسلم ومسلمة تعلُّم هذه الْمَسائل الثلاث. هل هذه**

الثلاث مسائل هي الحد الواجب تعلمه فِي العقيدة؟

الجواب: هذه من أهم مسائل العقيدة.

*** سؤال: أثابكم اللَّه، البعض مِمَّن يشاهد الْمُباريات يتأخر عن صلاة الْجَماعة، وذلك حَتَّى لا يفوتهم شيء من الْمُباراة، فهل هذا يقدح فِي توحيدهم ومَحبتهم للَّه؟**

الجواب: نعم، هذا ينقص توحيدهم؛ لأنَّهم قدموا مَحبة الْمُباراة على طاعة اللَّه ﷻ قدموا مَحبة الْمُباراة ومشاهدتها على ما يُحبه اللَّه. ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ﴾ [التوبة: ٢٤].

*** سؤال: هل التداوي بالرقية وغيرها من وسائل التداوي فيه نقص فِي الإيْمَان؟**

الجواب: التداوي بالأدوية الْمُباحة سبب من الأسباب الَّتِي يباح تعاطيها، مع الاعتماد والتوكل على اللَّه ﷻ، فلا يترك الأسباب ويأخذ التوكل فقط، ولا يأخذ التوكل ويترك الأسباب، بل يَجمع بينهما، هذا طريق أهل الإيْمَان الْجَمع بين فعل الأسباب النافعة مع التوكل على اللَّه ﷻ، والعلاج سبب مباح.

*** سؤال: بيِّن لنا كيف يكون الْجَمع بين مَحبة الوالد لأولاده ومَحبته للَّه تعالى؟**

الجواب: نعم، إذا تعارضت مَحبتهم مع مَحبة اللَّه، وقدِّمت مَحبتهم على مَحبة اللَّه، فهذا هو الذي فيه الوعيد، فإذا تركت صلاة الْجَماعة لأجل طاعة أولادك أو أحد من الخلق فقد قدمت مَحبتهم، أو تركت الجهاد فِي سبيل اللَّه وهو متعين عليك، أو تركت الْهِجرة من أجل الطمع فِي الوطن أو فِي الولد أو فِي المسكن، فهذا من تقديم مَحبة هذه الأشياء على مَحبة اللَّه.

والْحَمد للَّه رب العالَمين.

شرح
نواقض الإسلام



قال الشيخ الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب -رحِمه اللَّه تعالَى- :

اعلم أن نواقض الإسلام عشرة نواقض [١] :

---

[١] بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمد للَّه رب العالَمين، وصلى اللَّه وسلم على نبينا مُحَمَّد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: **(اعلم)** يعنِي: تعلم وافهم، وهذه الكلمة يؤتى بِهَا للأهمية، والتنبيه على أهمية ما بعدها.

(أن نواقض الإسلام عشرة) النواقض: جمع ناقض، وهي الْمُبطلات، مثل نواقض الوضوء، أي: مبطلاته، تسمى بالنواقض، وتسمى بأسباب الردة أو أنواع الردة، ومعرفتها مهمة جدًّا للمسلم من أجل أن يتجنبها ويَحذر منها؛ لأن الْمُسلم إذا لَمْ يعرفها فإنه يُخشى أن يقع فِي شيء منها، وهي من الْخُطورة والأهمية بِمكان؛ لأنها نواقض الإسلام ومبطلاته، ومعرفة أسباب الردة عن الإسلام مهمة جدًّا.

والردة عن الإسلام: معناها الرجوع عن الإسلام، مِنْ: ارتد، إذا رجع، قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَٰسِرِينَ﴾ [الْمَائدة: ٢١]. وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧] وهذا تَحذير شديد من اللَّه للمؤمنين، ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ﴾ أيها الْمُؤمنون ﴿عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾ ولَم يتب قبل الموت ويرجع إِلَى الإسلام، فقد ﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾

أي: بطلت ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ [مُحَمَّد: ٢٥].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الْمَائدة: ٥٤]، ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ﴾ يرجع عن دينه، ففي هذه الآيات التحذير من الردة والوعيدُ عليها.

وأما الأحاديث:

فقد قال ﷺ: «**لا يَحلُّ دمُ امرئٍ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيبُ الزاني، والنفسُ بالنفس، والتاركُ لدينه -هذا هو الشاهد- الْمُفارق للجماعة**»[1]، وقال ﷺ: «**مَن بدَّلَ دينَه فاقتلوه**»[2]، فإن كان الْمُرتدون جماعة لَهم شوكة فإنهم يُقاتلون كما قاتل أبو بكر الصديق رضي الله عنه الْمُرتدين، حَتَّى أخضعهم للإسلام، وقُتل من قُتل منهم على ردته، وتاب من تاب منهم، فقاتلهم رضي الله عنه مُحققًا بذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [الْمَائدة: ٥٤].

قال العلماء: هذه الآية نزلت فِي أبِي بكر الصديق وأصحابه الذين قاتلوا الْمُرتدين؛ لأنه يُخبر تعالى عن الْمُستقبل ﴿مَن يَرْتَدَّ﴾ هذا فِي الْمُستقبل، ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ﴾ جاء اللَّه بأبي بكر الصديق وصحابة رسول اللَّه ﷺ فقاتلوا الْمُرتدين.

وإن كان الْمُرتد شخصًا واحدًا فإنه يؤخذ ويُستتاب، فإن تاب وإلا قتل، وليس هو مثل الكافر الأصلي؛ لأن الْمُرتد عرف الحق، ودخل فِي دين اللَّه

---

(١) أخرجه البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦) من حديث عبد اللَّه بن مسعود.

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ٧٥)، وأبو داود (٢/ ٤٤٠)، والترمذي (٦/ ٢٤٣)، وأحمد (١/ ٢٨٢).

باختياره وطوعه، واعترف أن الإسلام هو الْحَق، فإذا ارتد فهذا تلاعب منه بالدين؛ لأنه عرف الحق ودخل فيه، فإذا ارتد فإنه يُقتل حماية للعقيدة، وهذا من حفظ الضروريات الخمس أولُها الدين، فلا يُترك الدين ألعوبة لِمن يسلِم ثُمَّ يرتد، بل يُقتل حماية للعقيدة من التلاعب، ومن الْمُرتدين من يُقتل بدون استتابة، وهو من تغلظت ردته، فإنه يُقتل ولا يُستتاب حماية للدين، وحماية لأول الضروريات الخمس الَّتِي جاء الإسلام بِحفظها.

ودراسة هذه النواقض مهمة جدًّا، والعلماء صنفوا فيها مصنفات، وجعلوا لَها مكانًا خاصًّا فِي كتب الفقه، وهو (حكم الْمُرتد)، فِي كل كتاب من كتب الفقه يَجعلون كتابًا يسمونه (كتاب حكم الْمرتد) أو (باب حكم الْمُرتد) فِي الْمُطولات وفِي الْمُختصرات.

قالوا: والْمُرتد هو الذي يكفر بعد إسلامه، إما لاعتقاد بقلبه، أو شك يَحصل له فِي أمور الدين، أو فعلٍ: كأن يَسجد لغير اللَّه، أو يذبح لغير اللَّه، أو ينذر لغير اللَّه، هذا فِعْلٌ مَنْ فَعَلَه فقد ارتد، أو قول: بأن يتكلم بسبِّ اللَّه تعالى أو سب الرسول ﷺ، أو سب دين الإسلام: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦] فالردة تكون بالقول، وتكون بالفعل، وتكون بالاعتقاد، وتكون بالشك فِي شيء من أمور الدين، كمن شك فِي وجوب الصلاة، أو شك فِي وجوب الزكاة، أو شك فِي التوحيد، فإنه يكّفر، والشك: هو التردد بين أمرين.

وأنواع الردة كثيرة، والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكر فِي هذه الرسالة أهمها وأعظمها، وإلا فالنواقض كثيرة، وستجدونها فِي كتب الفقه فِي باب حكم الْمُرتد، وللشيخ عبد اللَّه بن مُحَمَّد -رحمهم اللَّه- رسالة اسمها (الكلمات النافعة فِي الْمُكفرات الواقعة) وهي مطبوعة فِي (الدرر السنية) وغيرها؛ والآن لَمَّا فشا الجهل واشتدت غربة الدين، ظهر ناس من الذين يتسمون بالعلم، ويقولون:

لا تكفِّروا الناس، يكفي اسم الإسلام، يكفي أنه يقول: أنا مسلم، ولو فعل ما فعل، لو ذبح لغير اللَّه، لو سب اللَّه ورسوله، لو فعل ما فعل ما دام أنه يقول: أنا مسلم فلا تكفره، وعلى هذا يدخل فِي التسمي بالإسلام الباطنية والقرامطة، ويدخل فيه القبوريون، ويدخل فيه الروافض، ويدخل فيه القاديانية، ويدخل فيه كل من يدعي الإسلام.

يقولون: لا تكفروا أحدًا، ولو فعل ما فعل، أو اعتقد ما اعتقد، لا تفرقوا بين المسلمين، سبحان اللَّه!! نَحن لا نفرق بين المسلمين، ولكن هؤلاء ليسوا مسلمين؛ لأنَّهم لَمَّا ارتكبوا نواقض الإسلام خرجوا من الإسلام.

فكلمة لا تفرقوا بين المسلمين، كلمة حق والْمراد بِهَا باطل، لأن الصحابة لَمَّا ارتد من ارتد من العرب بعد وفاة النَّبِي ﷺ قاتلوهم، ما قالوا: لا تفرقوا بين المسلمين؛ لأنَّهم ليسوا مسلمين ما داموا على الردة، وهذا أشد من أنك تَحكم لكافر بالإسلام، وسيأتيكم أن من الردة: من لَمْ يكفر الكافر، أو شك فِي كفره، فهذه الْمَسألة وهي من لَمْ يكفِّر الكافر أو شك فِي كفره فهو كافر مثله، وهؤلاء يقولون: لا تكفِّروا أحدًا ولو فعل ما فعل، ما دام أنه يقول: لا إله إلا اللَّه، أنتم واجهوا الْمَلاحدة واتركوا هؤلاء الذين يدَّعون الإسلام.

نقول لَهم: هؤلاء أخطر من الملاحدة؛ لأن الملاحدة ما ادَّعوا الإسلام ولا ادعوا أن الذي هم عليه إسلام، أما هؤلاء فيخدعون الناس ويدعون أن الكفر هو الإسلام، فهؤلاء أشد من الْمَلاحدة، فالردة أشد من الإلْحاد والعياذ باللَّه، فيجب أن نعرف موقفنا من هذه الأمور ونُميزها ونتبينها؛ لأننا الآن فِي تعمية، فهناك ناس يؤلفون ويكتبون وينتقدون ويحاضرون، ويقولون: لا تكفروا المسلمين.

ونقول: نَحن نكفر من خرج عن الإسلام، أما المسلم فلا يَجوز تكفيره.

الأول: الشرك فِي عبادة اللَّه تعالَى [٢].

---

[٢] أعظم أنواع الردة: الشرك فِي عبادة اللَّه، بأن يعبد مع اللَّه غيره، كأن يذبح لغير اللَّه، أو ينذر لغير اللَّه، أو يَسجد لغير اللَّه، أو يستغيث بغير اللَّه فيما لا يقدر عليه إلا اللَّه، هذا أعظم أنواع الردة، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ [الْمائدة: ٧٢] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]. ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦].

فالشرك هو أخطر أنواع الردة، وهو أن يعبد غير اللَّه بأي نوع من أنواع العبادات: بالدعاء، بالذبح، بالنذر، بالاستغاثة، بالاستعانة فيما لا يقدر عليه إلا اللَّه ﷻ، يدعو الْمَوتى، يستغيث بالقبور، يستنجد بالأموات، هذا هو أخطر أنواع الردة وأعظمها، وهذا عليه كثير مِمَّن يدَّعون الإسلام، يبنون الأضرحة ويطوفون بِهَا، ويذبَحون لَها، وينذرون لَها، ويتقربون إليها؛ يقولون: لأنها تقربهم إِلَى اللَّه، هم يتقربون لَها، وهي بزعمهم تقربهم إِلَى اللَّه ﷻ، لِماذا لَمْ يتقربوا إِلَى اللَّه من الأصل ويتركوا هذه الْمَتاهات؟ ليتقربوا إِلَى اللَّه فإنه قريب مُجيب، لِماذا تتقربون للمخلوقين وتقولون: الْمَخلوقون يقربوننا إِلَى اللَّه، هل اللَّه ﷻ بعيد، هل اللَّه أغلق أبوابه، هل اللَّه لا يعلم ولا يسمع خلقه، ولا يرى ما يفعلون؟!

اللَّه -جل وعلا- قريب مُجيب ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ﴾ [البقرة: ١٨٦]. ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ﴾ [غافر: ٦٠]. إنه قريب مُجيب، لماذا تذهب وتدعو غير اللَّه؟! وتقول: هذا يقربني إِلَى اللَّه ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]. يعني: كأن اللَّه لا يعلم ولا يدري، هكذا زين شياطين الجن والإنس لِهؤلاء وهم يدَّعون الإسلام ويشهدون أن لا إله إلا اللَّه، ويصلون ويصومون، ولكن يَخلطون أعمالَهم

قال اللَّه تعالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء:٤٨] [٣].

بالشرك الأكبر، فيخرجون من دين الإسلام، وهم يصلون ويصومون ويَحجون، والذي يراهم يظن أنَّهم مسلمون.

فينبغي معرفة هذا، فالشرك باللَّه ﷻ هو أخطر الذنوب، وأعظم الذنوب، ومع خطره وشره وقع فيه كثير مِمَّن يدعون الإسلام، ولا يسمونه: باسم الشرك، يسمونه: التوسل، أو يسمونه طلب الشفاعة، أو يسمونه بأسماء غير الشرك، ولكن الأسماء لا تغيِّر الحقائق، الشرك هو الشرك، وهذا أخطر الأنواع، وأكثر الأنواع وقوعًا مع أنه ظاهر فِي كتاب اللَّه، وفِي سنة رسول اللَّه ظاهر، الْمُناداة والتحذير منه والتوعد عليه، ظاهر لا تَخلو سورة من القرآن من التحذير من الشرك، ومع هذا يقرءون القرآن ولا يتجنبون الشرك.

وربَّما يأتي واحد ويقول: هؤلاء جهَّال معذورون بالجهل، فنقول: إلَى متى الجهل، والقرآن يُتلى وهم يَحفظون القرآن ويقرءونه، لقد قامت عليهم الحجة ببلوغ القرآن ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾ [الأنعام: ١٩]. كل من بلغه القرآن فقد قامت عليه الحجة ولا عذر له.

[٣] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨]. هذا يدل على أن الشرك هو أعظم الذنوب بِحيث إن اللَّه لا يغفر لصاحبه إلا إذا تاب منه، ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [النساء: ٤٨]. ما دون الشرك: كالزنا وشرب الخمر والسرقة وأكل الربا، هذه كلها دون الشرك، وهي داخلة تَحت الْمَشيئة، وأصحابها أصحاب كبائر وهم فُساق، ولكنهم لَمْ يقعوا فِي الشرك، وإنَّما وقعوا فِي الكبائر، فهي تنقص إيمانهم، ويُحكم عليهم بالفسق، ولو ماتوا ولَم يتوبوا، فإنهم تَحت الْمَشيئة إن شاء اللَّه غفر لَهم بِمَا معهم من التوحيد، وإن شاء عذبهم بذنوبِهم، ثُمَّ مآلهم إلَى الجنة بالتوحيد الذي معهم، هذا مآل أصحاب الكبائر الَّتِي دون الشرك.

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [الْمَائدة: ٧٢] [٤].

ومنه: **الذبح لغير اللَّه كمن يذبح للجن أو للقبر [٥].**

وقوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ دلَّ على أن جميع الذنوب كلها دون الشرك، وأن الشرك هو أعظمها وأخطرها، فدل على خطورة الشرك، وأنه أعظم الذنوب.

[٤] هذه عاقبته فِي الآخرة، أنه حرم عليه الجنة، يعني: منعه من دخولِها منعًا باتًّا مطلقًا، لا مطمع له فيها، أين يذهب، إذا لَمْ يكن من أهل الْجنة فأين يذهب، يصير عَدَمًا؟ لا، مأواه النار خالدًا مُخلدًا فيها.

﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [الْمَائدة ٧٢]. يعني: الْمُشركين؛ لأن الشرك ظلم وهو أعظم الظلم، ما لَهم من أنصار: ما أحد يستطيع أن يُخرجهم من النار، أو يشفع لَهم عند اللَّه، كما يُشفع لأصحاب الكبائر ويَخرجون من النار بالشفاعة، هؤلاء لا تنفعهم شفاعة الشافعين، ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ الْمُشركين، ﴿مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾، الْمُشرك لا تُقبل فيه شفاعة -والعياذ باللَّه- ﴿وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ مأواه يعني: مقره، وبئست الْمَأوى، ليس له مأوى غيرها أبد الآباد، فَذَنْبٌ هذا خطره وهذه عاقبته، هل يَجوز تَجاهله وعدم معرفته وعدم التحذير منه؟! ويُقال: اتركوا الناس، اتركوا القبوريين، وعُبَّاد الأضرحة، واتركوا كل من عنده ردة اتركوه، ما دام أنه يدَّعي الإسلام فهو مسلم، وواجهوا الْمَلاحدة.

نقول: هؤلاء أشد من الْمَلاحدة وأخطر من الْمَلاحدة.

[٥] الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ ذكر هذا الْمَثال لأنه واقع، ويتساهل الناس فيه، ويذبَحون لغير اللَّه، يذبَحون للجن اتقاءً لشرهم، ويذبَحون لَهم من أجل العلاج والشفاء، يتساهل الناس فِي هذا، وهو كثير الوقوع مع أنه شرك أكبر يُخرج من الْملة، وما هو سهل، يقول له الشيطان: اذبح خروفًا، اذبح دجاجة، هذا سهل، ولكن

الثاني: من جعل بينه وبين اللَّه وسائط يدعوهم ويسألهم ويتوكل عليهم؛ كفر إجْمَاعًا [٦].

لا ينظر إِلَى الشرك، فالذي ذبح ذبابًا، دخل النار، ليس النظر إِلَى الْمَذبوح، وإنَّما النظر إِلَى العقيدة، النظر إِلَى نية القلب، النظر إِلَى عدم المبالاة بالشرك، ليس النظر إِلَى قيمة المذبوح، فالذي ذبح ذبابًا دخل النار، الناس يتساهلون فِي هذا، من أجل أن يقضي حاجته، أو يُعلمِه الشيء الغائب، أو يُخبره عن الْمَال الْمَفقود، أو غير ذلك من الأمور الَّتِي يسأله عنها، فيخرج من دينه والعياذ باللَّه، ويرتد فِي شيء يظنه أنه سهل، فالأمر خطير جدًّا.

[٦] هذا نوع من الناقض الأول: وهو الذي يَجعل بينه وبين اللَّه وسائط، ولكن الشيخ أفرده وجعله نوعًا مستقلًّا لكثرة وقوعه؛ لأن هذا يقع مِمَّن يدَّعون الإسلام، وهذا كثير عند القبوريين، يتقربون إِلَى الولي ليشفع لَهم عند اللَّه، أو يوصل حوائجهم إِلَى اللَّه، -بزعمهم- هذا اتِّخاذ الوسائل من دون اللَّه ﷻ، يذبح لَهم وينذر لَهم، ويستغيث بِهم.

ويقول: هذا ليس بشرك، هذا إِنَّمَا هو توسط، طلب واسطة وشفاعة توصلني إِلَى اللَّه، هذا رجل صالح له مكانة عند اللَّه، فأنا أتقرب إليه من أجل أن يقربني إِلَى اللَّه، هذه حجته، وهي حجة الْمُشركين الأولين ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

يقولون: ما جعلناهم شركاء للَّه، ولكن جعلناهم وسائط يقربوننا، واللَّه سماه شركًا ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨]. فسماه شركًا، مع أنَّهم يسمونه تشفُّعًا، وهذا هو الواقع، أن كثيرًا مِمَّن يدعون الإسلام وما يفعلونه مع القبور الآن، يتخذونها وسائط بينهم وبين اللَّه، فهذه الْمَسألة خفيت على كثير حَتَّى من طلبة العلم، وهناك علماء يدافعون عن هؤلاء. ويقولون: هذا ليس بشرك، الشرك عبادة

الثالث: من لَم يُكفِّر الْمُشركين، أو شك فِي كفرهم، أو صحح مذهبهم؛ كفر [٧].

الأصنام، وهؤلاء ما يعبدون أصنامًا، يا سبحان اللَّه!!، عبادة الأصنام نوع من أنواع الشرك، الشرك هو عبادة غير اللَّه سواءٌ، كان صنمًا أو شجرًا أو حجرًا أو قبرًا أو وليًّا، أو ملكًا من الْمَلائكة، أو وليًّا من الأولياء، أو صالِحًا من الصالِحين، هذا هو الشرك، وليس الشرك عبادة الأصنام فقط.

[٧] وهذه الْمَسألة خطيرة جدًّا، يقع فيها كثير من المنتسبين للإسلام، من لَمْ يكفِّر الْمُشركين، يقول: أنا والْحَمد للَّه ما عندي شرك، ولا أشركت باللَّه، ولكن الناس لا أكفرهم.

نقول له: أنت ما عرفت الدين، يَجب أن تكفر من كفره اللَّه، ومن أشرك باللَّه ﷻ، وتتبرأ منه كما تبرأ إبراهيم من أبيه وقومه وقال: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٧].

(أو صحح مذهبهم) وهذه أشد، إذا صحح مذهبهم، أو قال فِي الذي يعملونه نظر، هذا إنَّمَا هو اتِّخاذ وسائل، أو يقول: هؤلاء جهال وقعوا فِي هذا الأمر عن جهل ويدافع عنهم، فهذا أشد كفرًا منهم؛ لأنه صحح الكفر، وصحح الشرك، أو شك.

فنقول له: كونك مسلمًا وتابعًا للرسول ﷺ، والرسول جاء بتكفير الْمُشركين وقتالهم واستباحة أموالِهم ودمائهم، وقال: «**أمرت أن أقاتل الناس ليقولوا: لا إله إلا اللَّه**»(١)، «**بُعثت بالسيف حتى يُعبد اللَّه**»(٢)، ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٤٦)، ومسلم (٢٠)، ومالك فِي الْمُوطأ (١/ ٢٦٩)، وأبو داود (١٥٥٦)، والترمذي (٢٦١٠)، والنسائي (٥/ ١٤) من حديث أبِي هريرة.

(٢) أخرجه أحمد (٥١١٥)، وابن أبِي شيبة (٥/ ٣١٣)، والبيهقي فِي شعب الإيْمان (١١٩٩)، وابن حجر فِي تغليق التعليق (٣/ ٤٤٥).

الرابع: من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذي يفضل حكم الطواغيت على حكمه؛ فهو كافر [٨].

تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ فتنة: يعني: شرك، ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩].

[٨] من أنواع الردة: الْحُكم بغير ما أنزل اللَّه، إذا اعتقد أن هذا أمر مباح، وأنه يَجوز أن يَحكم بالشريعة، ويَجوِّز أن يَحكم بالقوانين ويقول: الْمَقصود حل النزاعات، وهذا يَحصل بالقوانين، ويَحصل بالشريعة، فالأمر متساو.

نقول: سبحان اللَّه!! تَجعل حكم الطاغوت مثل حكم اللَّه!! تَحكيم شرع اللَّه هذا عبادة للَّه ﷻ، ليس القصد منه فقط حل النزاع، القصد منه العبادة بتحكيم شرع اللَّه ﷻ، وتَحكيم غيره شرك، وشرك فِي الطاعة وشرك فِي الحكم ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاؤُا شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]، ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١]، ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ إلى قوله: ﴿سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]. فسماه شركًا، فالذي يسوي بين حكم اللَّه وحكم الطاغوت، والطاغوت الْمُراد به: كل حكم غير حكم اللَّه، سواءٌ عوائد البادية أو أنظمة الكفار، أو قوانين الفرنس أو الإنْجليز، أو عادات القبائل، كل هذا طاغوت، وكذا تَحكيم الكهان.

فالذي يقول: إنهما سواء؛ كافر، وأشد منه من يقول: إن الْحُكم بغير ما أنزل اللَّه أحسن من الْحُكم بِمَا أنزل اللَّه، هذا أشد.

فالذي يقول: الناس ما يصلح لَهم اليوم إلا هذه الأنظمة، ما يصلح لَهم الشرع، الشرع ما يطابق لِهذا الزمان، ولا يساير الحضارة، ما يصلح إلا تَحكيم القوانين، ومسايرة العالَم، تكون مَحاكمنا مثل مَحاكم العالَم، هذا أحسن من حكم اللَّه، هذا أشد كفرًا من الذي يقول: إن حكم اللَّه وحكم غيره متساويان.

الْخَامس: من أبغض شيئًا مِما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به؛ كفر [٩].

السادس: من استهزأ بشيء من دين الرسول أو ثواب اللّه أو عقابه؛ كفر [١٠].

أما إذا حكم بغير ما أنزل اللّه لِهوى فِي نفسه، أو جهل بِمَا أنزل اللّه، وهو يعتقد أن حكم اللّه هو الحق، وهو الواجب، فهذا فَعَلَ كبيرة من كبائر الذنوب وذلك كفر دون كفر.

[٩] **الخامس من نواقض الإسلام**: من أبغض شيئًا مِمَّا جاء به الرسول ﷺ، فبغض ما جاء به الرسول ردة، ولو عمل به، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [مُحَمَّد: ٩]، الكراهة هي البغض؛ هذا ردة ولو عمل به، فإنه يكفر، بغضه فِي القلب كفر، ولو كان يعمل به فِي الظاهر، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾.

[١٠] السادس من أنواع الردة: الاستهزاء بِمَا أنزل اللّه، أو بشيء مِمَّا جاء به الرسول، ولو كان من السنن والْمُستحبات، كالسواك وقص الشارب وأخذ شعر الإبط وتقليم الأظافر، إذا استهزأ به صار كافرًا، الدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦] فالذي يستهزئ بشيء مِمَّا جاء به الرسول فرضًا أو واجبًا أو سنةً فإنه يكون مرتدًّا عن دين الإسلام.

ما بالكم بالذي يقول: إعفاء اللحية وحَفُّ الشارب وأخذ الآباط وغسل البراجم هذه قشور، هذا هو الاستهزاء بدين اللّه ﷻ، إذا قالوا هذا الشيء ولو كانوا هم يعملونه فإنهم يرتدون عن الدين؛ لأن هذا تنقُّص لِما جاء به الرسول ﷺ، فالواجب تعظيم سنة الرسول ﷺ، واحترامها، وحتى لو أن الإنسان وقع فِي شيء من الْمُخالفة لِهوى فِي نفسه فإنه يَحترم سنة الرسول ﷺ، ويَحترم

والدليل قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦] [١١].

السنن، ويَحترم الأحاديث، ولا يقول: هذه قشور.

[١١] **سبب نزول الآية:** أن جماعة كانوا مع الرسول ﷺ فِي غزوة تبوك، وهم مسلمون، ثُمَّ فِي مَجلس صاروا يقولون: ما رأينا مثل قُرائنا هؤلاء، أكذب ألسنة، وأرغب بطونًا، وأجبن عند اللقاء، يعنون رسول اللَّه ﷺ وأصحابه، وكان معهم شاب من الصحابة فاغتاظ من هذا الكلام، وذهب يبلغ الرسول ﷺ بِمَا قاله القوم، فوجد الوحي قد سبق، فجاء القوم يعتذرون لما علموا أن الرسول اطلع على ما دار فِي مَجلسهم وقام: واحد منهم وتعلق بنسعة ناقة النَّبِي ﷺ وهو راكب، وقال: يا رسول اللَّه، إننا نتحدث حديث الركب، نقطع به عنا السفر، ما قصدنا الاستهزاء، وإنَّما قصدنا الْمَزح، والرسول ﷺ لا يلتفت إليه، وإنَّما يقرأ عليه هذه الآية: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ لاحظ قوله: ﴿قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ فدل على أنَّهم قبل هذه الْمَقالة كانوا مؤمنين، فلما قالوها ارتدوا عن الإسلام.

وهم يقولون: هذا مزح، لأن أمور الدين لا يُمزح فيها، فقد كفَّرهم اللَّه بعد إيمانهم، نسأل اللَّه العافية.

فهذا دليل على أن من سب اللَّه أو رسوله أو كتابه أو شيئًا من القرآن أو شيئًا من سنة الرسول ﷺ، أنه يرتد عن الإسلام وإن كان يَمزح، وأين الذين يقولون: إنه لا يرتد إلا إذا نوى من قلبه؟ فلو سب اللَّه والرسول أو القرآن، ما نَحكم عليه إلا إذا كان اعتقده، ما نَحكم عليهم بِمجرد التكلم أو التلفظ أو الفعل، من أين أتوا بِهذا الكلام وهذا القيد؟ اللَّه حكم عليهم بالردة وهم يقولون: ﴿كُنَّا نَخُوضُ

السابع: السحر: ومنه الصرف والعطف، فمن فعله أو رضي به؛ كفر.

والدليل قوله تعالَى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة:١٠٢] [١٢].

وَنَلْعَبُ﴾، هم مؤمنون باللَّه ورسوله، موحدون، ولكن لَمَّا قالوا هذه الْمَقالة اللَّه -جل وعلا- قال: ﴿قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ ولَم يقل: إن كنتم تعتقدون هذا، نسأل اللَّه العافية، فيجب أن الأمور تنزل منازلها ولا نتدخل فيها بزيادات أو نقص أو تقييدات من عند أنفسنا، اللَّه ما سأل عن عقيدتهم، ما ذكر أنهم يعتقدون، بل حكم عليهم بالردة بعد الإيْمَان ﴿قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ رتب هذا على القول، رتب هذا على الاستهزاء، ولَم يقيده بهذه القيود، الإنسان إذا تكلم بكلمة الكفر وهو غير مُكرَه يُحكم عليه بالردة، أما إن كان مكرهًا فهذا لا يرتد.

[١٢] **النوع السابع من أنواع الردة: السحر**، والسحر عمل يعمله الساحر، وهو على نوعين: سحر حقيقي، وسحر تَخييلي.

النوع الأول: سحر حقيقي: هو عبارة عن عُقد ينفث فيها الساحر، ورقى وكلام يُتَمْتم به، ويستعين بالشياطين فِي كلامه، وعزائم يعلقونها، وكتابات طلاسم يكتبونها بأسماء الشياطين، هذا هو السحر الحقيقي، هذا يؤثر فِي الْمَسحور، إما بقتله وإما بإمراضه وإما بالإخلال بعقله.

والنوع الثاني: تَخييلي: بأن يعمل أشياء يُخيل إِلَى الناس أنَّها صحيحة، وهي غير صحيحة، يُخيل للناس أنه يقلب الحجر إِلَى حيوان، أو أنه يقتل شخصًا ويُحييه، يقطع رأسه ثُمَّ يرده، أو أنه يَجر السيارة بشعره أو بأسنانه، أو أن السيارة تَمشي عليه ولا تضره، أو أنه يدخل فِي النار، أو يأكل النار، أو يطعن نفسه بالحديد، يطعن عينه بأسياخ الْحَديد، أو يأكل الزجاج، كل هذه من أنواع الشعوذة، وهي لا حقيقة لَها، مثل سحر سحرة فرعون، قال تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ٦٦]. وقال تعالى: ﴿سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ

الثامن: مظاهرة الْمُشركين ومعاونتهم على الْمُسلمين [١٣].

والدليل قوله تعالَى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الْمَائدة: ٥١] [١٤].

وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ [الأعراف: ١١٦]. هذا سحر تَخييلي، وهذا يسمونه القمرة، الَّتِي يعملها الساحر على أعين الناس، ثُمَّ إذا انتهت القمرة، عادت الأشياء إلَى حقيقتها، والسحر كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢]. السحر تعلُّمه وتعليمه كفر باللَّه ﷻ، وهو نوع من أنواع الردة، فالساحر مرتد، إذا كان مؤمنًا ثُمَّ سحر فإنه يرتد عن دين الإسلام، ويُقتل ولا يُستتاب، عند بعض العلماء؛ لأنه حَتَّى ولو تاب فِي الظاهر فهو يُخادع الناس، ولا يزول علم السحر من قلبه ولو تاب.

والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢] اللَّه -جل وعلا- أنزل ملَكين من السماء يعلمان السحر، ابتلاءً للناس، وامتحانًا للناس، فإذا جاءهم من يريد تعلم السحر نصحاه، وقالا له: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ يعني: لا تتعلم السحر فدل على أن تعلم السحر كفر.

[١٣] **الثامن من أنواع الردة:** مظاهرة الْمُشركين على المسلمين، أي: معاونتهم، فالْمُظاهرة معناها الْمُعاونة، بأن تُعين الكفار، على قتال المسلمين وأذية المسلمين.

وكذلك من أحب الكفار فإنه يكفر، وهذا هو التولِّي ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [الْمَائدة: ٥١] يتولاهم بالْمُناصرة والْمُظاهرة، أو يتولاهم بالْمَحبة، فإنه يكفر؛ لأنه أحب الكفر وأحب الكفار فيكفر بذلك، إذا أحبهم معناه: أنه لَمْ ينكر الكفر، ومن لَمْ ينكر الكفر فهو كافر.

[١٤] أول الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾ [الْمَائدة: ٥١].
أي: لا تتولوهم لا بِمظاهرة ولا بِمحبة ولا بِمعاونة ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ﴾ يعني: من

التاسع: من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة مُحمَّد ﷺ كما وسع الْخَضر الْخُروج عن شريعة موسى عليه السلام؛ فهو كافر [١٥].

المسلمين ﴿فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ أي: يكون من اليهود والنصارى، وهذا دليل على ردته، ثُمَّ قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فسماهم ظالِمين.

[١٥] **التاسع**: من أجاز لأحد أن يَخرج عن شريعة مُحَمَّد ﷺ؛ لأن اللَّه بعث مُحمدًا ﷺ إلَى الناس كافة، وأوجب طاعته على العالَمين، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨]. ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، فمن لَمْ يستجب للرسول ويتبع هذا الرسول فهو كافر، سواءٌ أكان يهوديًّا أو نصرانيًّا أو مجوسيًّا، أو أي ملة كان؛ لأنه ببعثته أوجب اللَّه طاعته واتباعه، ومن كان على دين اليهودية والنصرانية فإنه قد نُسخ ببعثته ﷺ، فلا يسع أحدًا أن يَخرج عن طاعته.

أما خروج الخضر عن طاعة موسى، فلأن موسى لَمْ يرسَل إلَى الخضر؛ لأن رسالة موسى خاصة ببني إسرائيل، ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ [الصف: ٥] فرسالة موسى عليه السلام لبني إسرائيل، ما هي عامة لِجميع الناس، فلذلك الخضر كان على عبادة للَّه، واختلف العلماء فِي الخضر: هل هو نبي أو رجل صالح؟ على قولين:

القول الأول: أنه نبي؛ لأنه عمل أشياء لا تكون إلا معجزات، مثل خرقه للسفينة، ومثل ذبحه الولد، ومثل إقامته الجدار الذي يريد أن ينقض، هذه أمور معجزة لأنها مبنية على أشياء مغيبة، والْمُعجزات لا تكون إلا لنبِي، وأصل قصة موسى مع الخضر، أن موسى -عليه الصلاة والسلام- خطب فِي بنِي إسرائيل، فسألوه: هل هناك أعلم منه، فقال: لا، فأوحى اللَّه إليه أن هناك عبدًا فِي أرض كذا وكذا عنده من العلم ما ليس عندك، فذهب موسى -عليه الصلاة والسلام-

العاشر: الإعراض عن دين اللَّه تعالَى لا يتعلمه ولا يعمل به [١٦].

إِلَى هذا الرجل يطلب ذلك العلم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا﴾ سافر ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا﴾ إِلَى آخره، ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٠- ٦٦]. إِلَى آخر القصة الَّتِي ذكرها اللَّه فِي سورة (الكهف) هذا أصل القصة، فالخضر ما هو من أمة موسى؛ لأن موسى لَمْ يُبعث إِلَى الناس كافة، فلذلك وسعه الخروج، أما مُحَمَّد ﷺ فإنه مبعوث إِلَى الناس كافة، فلا يسع أحدًا الخروج عن شريعته، وهذا فيه رد على الصوفية الذين يزعمون أنَّهم يصلون إِلَى حالة ليسوا بِحاجة إِلَى اتباع الرسل، وأنهم يأخذون عن اللَّه مباشرة، ولا يأخذون عن الرسول.

ويقولون: إن الرسل إنَّمَا هم للعوام، أما الخواص فلا يَحتاجون إِلَى الرسل؛ لأنَّهم يعرفون اللَّه ويصلون إِلَى اللَّه، ويأخذون عن اللَّه مباشرة، هذا ما عليه غلاة الصوفية، أنهم يصلون إِلَى حالة يستغنون عن الرسول ﷺ، ويَخرجون عن شريعته، ولذلك لا يصلُّون ولا يصومون ولا يَحجون، ولا يعملون بِمَا جاء به الرسول؛ لأنَّهم خواص يقولون: ما نَحن بِحاجة إِلَى الرسول، نَحن وصلنا إِلَى اللَّه . . . نسأل اللَّه العافية، هذا قصد الشيخ من ذكر هذه الْمَسألة، هذا رد على الصوفية الذين يزعمون أنَّهم يسعهم الخروج عن شريعة مُحَمَّد ﷺ؛ لأنَّهم ليسوا بِحاجة إليه.

[١٦] **العاشر -وهو الأخير-: الإعراض عن دين اللَّه**، لا يهتم بالدين، لا يتعلم، ولو تعلم لا يعمل، يُعرض عن العلم أولًا، ثُمَّ يعرض عن العمل، نسأل اللَّه العافية، وحتى لو عمل وهو على غير علم فعمله ضلال، فلابد أن يتعلم أولًا ثُمَّ يعمل، أما من أخذ العلم وترك العمل فهذا من الْمَغضوب عليهم، ومن أخذ العمل وترك العلم فهذا ضال، وهذا ما نستعيذ منه فِي كل

والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢] [١٧].

ولا فرق فِي جَميع هذه النواقض بين الْهَازل والْجَاد والْخَائف إلا الْمُكره، وكلها من أعظم ما يكون خطرًا، ومن أكثر ما يكون وقوعًا فينبغي للمسلم أن يَحذرها ويَخاف منها على نفسه، نعوذ باللَّه من موجبات غضبه وأليم عقابه [١٨].

ركعة ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦-٧]. فمن أعرض عن دين اللَّه لا يتعلمه ولا يعمل به، فإنه يكون مرتدًّا عن دين الإسلام، واللَّه -جل وعلا- يقول: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤]، أعرض عن ذكري: لَمْ يتعلمه ولَم يعمل به، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ [الأحقاف: ٣]، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢]. أعرض عنها بعد ما ذُكِّر بِهَا.

وهناك إنسان لا يتعلم من باب الكسل، هذا لا يكفَّر ولكنه يُلام على كسله، أما إذا كان ترك طلب العلم عدم رغبة فِي العلم، هذا هو الإعراض والعياذ باللَّه، هذا هو الذي يكفر، ولكن إن كان المرء يرغب العلم ويُحب العلم ولكنه عنده كسل، لأن طلب العلم صعب يتطلب صبرًا، ويتطلب تَحملًا، ويتطلب جلوسًا، وهو كسلان، فهذا يُلام على كسله وعلى تفريطه، ولكنه لا يصل إِلَى حد الكفر.

[١٧] الإعراض الذي يدل على عدم الرغبة فِي العلم أو كراهية العلم، هذا هو الكفر والعياذ باللَّه.

[١٨] لا فرق فِي هذه النواقض العشرة بين الجاد: الذي يقصد ما يقول أو يفعل، والْهَازل: وهو الذي لا يقصد، وإنَّما يفعل هذا من باب المزح واللعب، وفِي هذا رد على الْمُرجئة الذين يقولون: لا يكفر حَتَّى يعتقد بقلبه،

وصلى اللَّه على خير خلقه مُحَمَّد وآله وصحبه وسلم.

لا فرق بين الْجَاد والْهَازل، أو الخائف الذي يفعل هذه الأشياء دفعًا للخوف، فالواجب عليه أن يصبر.

(**إلا المكره**) إذا أُكره أن يقول كلمة فيها كفر، ولَم يُمكنه التخلص من الظلم إلا بِهَا، فرخص له اللَّه فِي ذلك ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦]. بِهذا الشرط، ويكون قصده دفع الإكراه فقط، إلا أن قلبه لا يعتقد بِمَا يتلفظ به.

كما حصل لعمار بن ياسر الذي سبب نزول الآية فيه ﷺ، لَمَّا أخذه الكفار وعذبوه حَتَّى يقول فِي مُحَمَّد ﷺ، أي: يسب الرسول ﷺ، فوافقهم وسبَّ الرسول، وجاء نادمًا إِلَى الرسول ﷺ خائفًا مِمَّا حصل له، فقال له النَّبِي ﷺ: «**كيف تَجد قلبك**» قال: مطمئنًا بالإيمان، قال: «**فإن عادوا فعد**»[1]، وأنزل اللَّه تعالى: ﴿إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦] ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗ﴾ [آل عمران: ٢٨].

(**نعوذ باللَّه من موجبات غضبه، وأليم عقابه**) آمين.

* * *

---

(١) أخرجه عبد الرزاق فِي الْمُصنف (١/ ٣٦٠)، وابن سعد (٣/ ٢٤٩)، والطبري فِي التفسير (١٤/ ٣٧٤)، والحاكم (٢/ ٣٥٧)، والبيهقي فِي دلائل النبوة (٨/ ٢٠٨)، وابن عساكر فِي تاريخ دمشق (٤٣/ ٣٧٣)، وأورده السيوطي فِي الدر الْمَنثور (٤/ ١٣٢).

الأسئلة

*** سؤال: ما هو الفرق بين الكافرين والْمُشركين؟**

الجواب: بينهما عموم وخصوص، الشرك أعم من الكفر، فكل مشرك كافر، وليس كل كافر مشركًا، فالمشرك يعبد اللَّه ويعبد غيره، وأما الكافر فإنه يَجحد وجود اللَّه -جل وعلا- ولا يعترف باللَّه ﷻ، ولا يعترف بدين من الأديان، هذا هو الكافر الجاحد، أما المشرك فهو يعترف ويعتقد، ولكن يعبد اللَّه ويعبد غيره، فهو مشرك كافر، فكل مشرك فإنه كافر، وليس كل كافر يكون مشركًا؛ لأن الكافر قد يكون ملحدًا جاحدًا.

*** سؤال: أحسن اللَّه إليكم، يقول: أشكل علينا قول الْمُؤلف: (الإعراض عن دين اللَّه تعالى لا يتعلمه ولا يعمل به) هل يدخل فيه العوام اليوم الذين لا يفقهون العلم الشرعي، ولا يرغبون به، ولكنهم تعلموا من طفولتهم التوحيد وعملوا به؟**

الجواب: لا يدخل هؤلاء لأنَّهم عاجزون عن التعلم أو متكاسلون عن التعلم، هم مسلمون وهم مؤمنون ويعبدون اللَّه، ما هم مثل الْمُعرض، الْمُعرض الذي ما له رغبة فِي العلم ولا له رغبة فِي الدين، هذا هو الْمُعرض.

*** سؤال: فضيلة الشيخ، حاطب بن أبِي بلتعة عاون المشركين والكفرة ولَم يكفره النَّبِي ﷺ، فهل كل من عاون الكفار من المسلمين يكفر؟**

الجواب: حاطب بن أبِي بلتعة رضي الله عنه له من السوابق ما كفَّر اللَّه به عنه؛ لأنه من أصحاب بدر، وقد قال النَّبِي ﷺ: «**إن اللَّه اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**» وهو مؤمن صادق الإيْمَان، ولكنه فعل ما فعل لأنه تأول لنفسه، وظن أن هذا ما يضر المسلمين، ولذلك الرسول ﷺ

لَم يُكفِّره؛ لأنه صحابي جليل حصل منه خطأ عن تأويل، وله سابقة كفرت عنه ما حصل.

*** سؤال: أثابكم اللَّه، يقول: هل الفطرة حجة على من كفر؟**

الجواب: الحجة بإرسال الرسل، أما الفطرة وحدها فلا تكفي حجة، لو كانت الفطرة حجة ما أرسل اللَّه الرسل ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ [النساء: ١٦٥]، لا تعرف الواجبات والْمُحرمات والْمَكروهات، هذا ما يبينه إلا الرسل، ولكن الفطرة تربة صالِحة للخير، ولكنها لا تكفي، لو عاش الإنسان عليها ولَم يتعلم ولَم يعمل شيئًا، فإنها لا تكفي.

*** سؤال: أثابكم اللَّه، إذا مد الكفار يدهم ليصافحوا، هل أعرض؟**

الجواب: إذا سلموا عليك ومدوا أيديهم إليك فصافحهم، ما فيه بأس، أما أنك تبدؤهم بالسلام وبالمصافحة فهذا لا يَجوز.

*** سؤال: من قال بالذهاب إِلَى العرافين فِي مُحاولة البحث عن المفقود من الأموال مثلًا، وهو يعتقد أنه لا يَجوز الذهاب إليهم فِي شفاء من مرض؟**

الجواب: لا يَجوز هذا، لأن «**من أتى عرافًا، لن تُقبل له صلاة أربعين يومًا**»[(١)]، «**من أتى عرافًا أو كاهنًا فصدقة بِمَا يقول فقد كفر بِمَا أُنزل على مُحمد**»[(٢)] ولَمَّا سئل عن الكهان، قال ﷺ: «**لا تأتهم**»[(٣)] فلا يَجوز الذهاب

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٣٠)، وأحمد (١٦٦٣٨)، والبيهقي فِي السنن (٨/ ١٣٨).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٩٠٤)، والترمذي (١٣٥)، والنسائي فِي الكبرى (٩٠١٧)، وأحمد (٩٢٩٠) و(١٠١٦٧)، وابن أبِي شيبة (٤/ ٢٥٢)، والدارمي (١١٣٦)، والبيهقي فِي السنن (٧/ ١٩٨).

(٣) أخرجه مسلم (٥٣٧)، والنسائي (٣/ ١٤)، وأحمد (٢٣٧٦٢)، والطيالسي (١١٥٠)، وابن خزيمة (٨٥٩)، وابن حبان (٢٢٤٧)، والبيهقي فِي السنن (٢/ ٢٤٩).

إليهم حتى ولو لَم يصدقهم.

*** سؤال: أثابكم اللَّه، من أنكر حديثًا أو حكمًا من الأحكام بدعوى أن هذا حديث آحاد، هل يكفر بذلك؟**

الجواب: لا يكفر بذلك إذا كان متأولًا؛ لأن أكثر هؤلاء مقلدون لِمن قبلهم، ومتأولون، فلا يكفَّرون، ولكن يُخطَّئون ويُضللون.

*** سؤال: أحسن اللَّه إليكم، يقوم بعض الإخوة بفرض غرامة مالية على من قال على زميله بكلمة نابية أو غيرها، ثُمَّ تُجمع هذه الغرامات بعد فترة، ويقيمون بِهَا عشاءً أو غداءً، وإذا كان الخطأ كبيرًا فرضوا على الْمخطئ ذبيحة وأصلحوا بين الْمُتخاصمين، فما حكم هذا؟**

الجواب: هذا لا يَجوز، لأنه لا يَحل مال امرئ مسلم إلا بطيبة من نفسه، أما أنه يُفرض عليه ويُلزم به، فهذا حرام.

*** سؤال: ما حكم التعظيم للاعب كرة مُحترف كافر، ويثني عليه عندما يتسبب فِي نصر الفريق؟**

الجواب: ما أثنى على كفره وإنَّما أثنى على لعبه ومهارته فِي لعبه، فعلى كل حال هذا خطر ويأثم عليه، ولكن ما يصل إِلَى حد الكفر، الكفر لو أنه مدحه على كفره، وعلى ضلاله، أو شركه فإنه يكون كافرًا، أما على لعب الكرة أو الْمَهارة فِي صناعة، فهذا فيه تعظيم للكافر وفيه إثم ولكن ما يصل إِلَى حد الكفر.

*** سؤال: أثابكم اللَّه، ما القول فيمن يقول: لا يكفر المعين إلا إذا استوفى الشروط وانتفت الموانع؟**

الجواب: من صدر منه الكفر قولًا أو فعلًا أو اعتقادًا أو شكًّا فإنه يُحكم بكفره، أما ما فِي قلبه هذا لا يعلمه إلا اللَّه، نَحن ما وُكلنا بالقلوب، إنَّمَا نَحن موكلون بالظاهر، فمَن أظهر الكفر حكمنا عليه بالكفر، وعاملناه

معاملة الكافر.

*** سؤال: ما حكم مشاهدة أفعال السحرة، ولو لَمْ يعتقد فيما يفعله؟**

الجواب: هذا رضي بالمنكر.

*** سؤال: أثابكم اللَّه، شخص يلجأ إليه الناس قبل حفر الآبار، ويدَّعي أنه يرى الْمَاء، ويقوم الناس بتصديقه!!**

الجواب: هو ما يدعي أنه يرى الْمَاء، ولكن يدعي أنه يعرف التربة وأنواع الشجر الَّتِي فِي الأرض، علامات يستدلون بِهَا، هذا لا بأس؛ لأنه يستدل بأشياء ظاهرة، وهي نوع التربة نوع الشجر الذي ينبت فِي الأرض بِحكم خبرتهم بهذه الأمور.

* * *

شرح
الجامع لعبادة الله وحده



الْحَمد للَّه رب العالَمين، وصلى اللَّه وسلم وبارك على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين:

قال الشيخ الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب -رحِمه اللَّه تعالَى-:

فإن قيل: فما الجامع لعبادة اللَّه وحده؟

قلت: طاعته بامتثال أوامره واجتناب نواهيه [١].

---

[١] بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمد للَّه رب العالَمين، وصلى اللَّه وسلم على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

فإن اللَّه ﷻ خلق الجن والإنس لعبادته، كما قال تعالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. بل إنه سبحانه خلق الملائكة أيضًا لعبادته، كما قال تعالَى: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩-٢٠]، والعبادة مأخوذة من التعبد وهو التذلل.

يقال: طريق مُعبَّد، إذا ذللته الأقدام، هذا من ناحية اللغة.

وأما فِي الشرع: فعرَّفها العلماء تعاريف كثيرة.

التعريف الأول: أنَّها غاية الحب مع غاية الذل.

كما قال الإمام ابن القيم -رحِمه اللَّه تعالَى- فِي النونية:

وعبادة الرحمن غاية حبه ... مع ذل عابده هما قطبان

وعليهما فلك العبادة دائر ما دار حَتَّى قامت القطبان

ومداره بالأمر أمر رسوله لا بالهوى والنفس والشيطان

فلابد من الجمع بين الأمرين: غاية الْحُب مع غاية الذل، فمن أحب شيئًا ولَم يذل له، لَمْ يكن ذلك عبادة له.

كما يُحب الإنسان زوجته، ويُحب أولاده، لكنه لا يذل لَهم، فحب الزوج لزوجته وحبه لأولاده، وحب الولد لأبويه وأقاربه، لا يسمى عبادة، لأنه ليس معه ذل.

وكذلك من ذل لشيء ولَم يُحبه فليس ذلك عبادة له، كمن ذل لِجبار من الْجَبابرة، أو لظالِم من الظلمة، لكنه لا يُحبه، فهذا ليس بعبادة، إنَّمَا العبادة ما جمعت بين الأمرين: غاية الْحُب مع غاية الذل، وهذا لا يكون إلا للَّه ﷻ، ولابد أن تدور عليهما أفلاك العبادة بِجميع أنواعها، ولِهذا قال:

وعليهما فلك العبادة دائر ما دار حَتَّى قامت القطبان

يعني: على الأصلين: الحب والذل.

فإنسان يقتصر على الْحُب والذل من غير أن يفعل ما أمر اللَّه به، وأن يترك ما نهى اللَّه عنه، لا يُعتبر عابدًا للَّه، فغاية الْحُب مع غاية الذل يقتضيان امتثال أوامر اللَّه ﷻ واجتناب نواهيه، وبِهذا تتحقق العبادة.

وعرفها شيخ الإسلام ابن تيمية بتعريف شامل دقيق، فقال: العبادة: اسم جامع لكل ما يُحبه اللَّه ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة، كل ذلك عبادة، وله رسالة فِي هذا جيدة، اسمها «العبودية»، ذكر فيها هذا التعريف، وذكر أنواع العبادة الَّتِي أمر اللَّه تعالَى بِهَا فِي كتابه، أو أمر بِهَا رسوله ﷺ فِي سنته.

والشيخ هنا يقول: (فإن قيل) يعني: لو سئلتَ (ما الجامع لعبادة اللَّه؟) أي:

فإن قيل: فما أنواع العبادة الَّتِي لا تصلح إلا للَّه تعالَى؟ [٢].

قلتَ: من أنواعها الدعاء [٣].

ما هو التعريف الْجَامع لعبادة اللَّه باختصار، فإنك تقول: (طاعته بامتثال أوامره واجتناب نواهيه).

[٢] العبادة أنواع كثيرة كما قال شيخ الإسلام: العبادة اسم جامع لكل ما يُحبه اللَّه ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، فتكون ظاهرة على الجوارح: كالصلاة والصيام والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وصلة الأرحام وغير ذلك، وهذه عبادات ظاهرة، والعبادات الباطنة تكون فِي القلوب: من الخوف والخشية والرغبة والرهبة والْمَحبة والتوكل والإنابة هذه كلها عبادات قلبية لا يعلمها إلا اللَّه ﷻ، ومنها ما هو على اللسان مثل: ذكر اللَّه، والتسبيح والتهليل والتحميد، والدعوة إلَى اللَّه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعليم العلم النافع.

[٣] **أنواع العبادة كثيرة أعظمها: الدعاء**، قال اللَّه ﷻ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

أمر اللَّه بدعائه وسمى ذلك عبادة، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ أي: عن دعائي، وقال النَّبِي ﷺ: «**الدعاء هو العبادة**»(١).

فالدعاء هو أعظم أنواع العبادة، فمن دعا غير اللَّه من الْمَوتَى والْمَقبورين والجن والشياطين، فقد أشرك باللَّه الشرك الأكبر، قال تعالَى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

وقال سبحانه: ﴿فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [غافر: ١٤]. مُخلصين له فِي

---

(١) أخرجه أحمد (١٨٣٥٢)، والترمذي (٢٣٧٢)، وابن حبان (٨٩٠).

والاستعانة [٤].

الدعاء، فسمى الدعاء دينًا، كما سماه فِي الأخرى عبادة، إذن فالدعاء دين، والدعاء عبادة للَّه ﷻ، وهذا مِما يدل على عظم الدعاء، وأنه لا يَجوز أن يدعو غير اللَّه ﷻ، فإنه هو القادر على كل شيء، وهو الذي إذا دعوته فإنه يقدر على إجابتك ويقدر على إعطائك ما تريد، أما غير اللَّه فإنه عاجز.

كما قال تعالَى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ۝٢٢ وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبأ: ٢٢-٢٣]. ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ [الأحقاف: ٥]. ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾ [فاطر: ١٤]. لأنَّهم أموات أو جمادات لا تسمع الدعاء ﴿وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا﴾ [فاطر: ١٤] ما يقدرون على الإجابة؛ لأنَّهم فقراء لا يَملكون شيئًا، ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سبأ: ٢٢] فكيف يدعون مع اللَّه ﷻ؟! بل كيف يُترك دعاء اللَّه ويُصرف الدعاء لغير اللَّه من هؤلاء الأموات، والأشجار والأحجار والغائبين؟! أين عقول بني آدم؟! تدعو أناسًا لا يسمعون، ولو أنَّهم سمعوا لَمْ يقدروا على الإجابة؛ لأنَّهم لا يَملكون شيئًا؟!

[٤] **الاستعانة**: طلب العون على أمر من الأمور، وطلب العون على قسمين:

القسم الأول: أن تطلب العون مِمَّن يقدر على إعانتك، وهذا يَجوز أن تستعين بالْمَخلوق فيما يقدر عليه، واللَّه -جل وعلا- يقول: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [الْمَائدة: ٢]. فالتعاون بين الناس فيما يقدرون عليه وينفعهم أمر طيب، إذا كان الإنسان حيًّا حاضرًا قادرًا على أن يعينك فهذا لا بأس به، كأن تطلب من يساعدك بالْمَال، أو يعينك على حمل

والاستغاثة [٥].

شيء، أو يعينك على بناء حائط، أو يعينك على حصاد زرع، وهذه أمور يقدر عليها الناس، لا بأس بالاستعانة بالْمَخلوقين فيها، ولا يُعدُّ هذا شركًا «**والله فِي عون العبد ما كان العبد فِي عون أخيه**»(١).

النوع الثاني: الاستعانة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، كالاستعانة فِي حصول الرزق، أو الاستعانة بِحصول الولد والذرية، أو الاستعانة فِي شفاء الْمَرضى، أو غير ذلك، فهذا لا يطلب إلا من الله، قال تعالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ أي: لا نعبد سواك؛ لأن تقديم الْمَعمول يفيد الحصر، ثُمَّ قال: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ الاستعانة نوع من أنواع العبادة وهي طلب العون من الله تعالَى، وعطفها عليها من باب عطف الخاص على العام اهتمامًا به، فالاستعانة بالله ﷻ فيما لا يقدر عليه إلا الله ﷻ: كشفاء الْمَرضى وإنزال المطر، وإيْجاد الرزق، وغير ذلك من الأمور الَّتِي لا يقدر عليها إلا الله، فهذه لا تطلب إلا من الله، لا تُطلب من الأموات، ولا من القبور، ولا من الأضرحة، ولا من الأصنام، ولا من الأحجار والأشجار، فمن طلبها من غير الله فإنه يكون مشركًا الشرك الأكبر الْمُخرج من الملة.

[٥] **الاستغاثة**: نوع من الاستعانة لكنها أخص، فالاستعانة عامة والاستغاثة خاصة؛ لأنها لا تكون إلا فِي أمور الشدة، ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩].

هذا فِي وقعة بدر لَمَّا اشتد الأمر بالمسلمين، استغاثوا بربهم، لكنها أخص من الاستعانة لأنها لا تكون إلا فِي حال الشدة، فيجب إخلاص الاستغاثة

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩)، وأحمد (٧٢٢٧)، وأبو داود (٤٩٤٦)، والترمذي (١٤٢٥) وابن ماجه (٢٢٥) من حديث أبِي هريرة.

وذبح القربان [٦].

للَّه ﷻ، ولا يَجوز الاستغاثة بالأموات، كثير مِمَّن يدَّعون الإسلام، إذا وقعوا فِي شدة يستغيثون بأمواتهم وأوليائهم، ويصرخون بأسمائهم فِي البر والبحر، وهذا من غلظة شركهم، فصاروا أغلظ شركًا من الأولين؛ لأن المشركين الأولين يشركون فِي حالة الرخاء، لكنهم فِي حال الشدة يُخلصون الدعاء والاستغاثة للَّه ﷻ؛ لأنَّهم يعلمون أنه لا ينقذ من الشدائد إلا اللَّه ﷻ، أما مشركو هذا الزمان فإنهم على العكس، إذا وقعوا فِي شدة استغاثوا بغير اللَّه، ونادوا بأسماء معبوداتهم كما هو معلوم عنهم.

[٦] الذبح على قسمين:

القسم الأول: الذبح لأكل اللحم، هذا مباح وليس هو عبادة، وإنَّما هو ذبح للأكل، فهو مباح، إلا أنه لابد أن يذكر عليه اسم اللَّه عند الذبح، ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١٢١].

النوع الثاني: الذبح على وجه التقرب للَّه -جل وعلا-، فهذا نوع من أنواع العبادة، كذبح الأضاحي، وذبح الهدي، وذبح العقيقة للمولود، هذه ذبائح عبادة لا يَجوز التقرب بِهَا إلا للَّه ﷻ، فمن ذبح لغير اللَّه على وجه التقرب فإنه يكون مشركًا الشرك الأكبر، قال تعالَى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ﴾ [الأنعام: ١٦٢]. النسك: الذبح وقرنه مع الصلاة.

وقال ﷻ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢]. قرن النحر مع الصلاة، فكما أنه لا تَجوز الصلاة لغير اللَّه، فكذلك الذبح والنحر على وجه التقرب لا يكون إلا للَّه، فمن ذبح يتقرب إلَى ميت أو إلَى قبر أو إلَى ضريح كما عليه عباد القبور اليوم، فإنه يكون مشركًا الشرك الأكبر.

وفِي الْحَديث عن علي ؓ قال رسول اللَّه ﷺ: «**لعن اللَّه من ذبح لغير اللَّه، لعن اللَّه من لعن والديه، لعن اللَّه من آوى مُحدثا، لعن اللَّه من غير منار**

والنذر [٧] .

الأرض»[١] .

فمن هذه الأمور الْمَلعون من فعلها : الذبح لغير اللَّه ، من ذبح لغير اللَّه كأن يذبح للقبور يتقرب إليهم ليقضوا اله حوائجه ، أو يذبح للجن من أجل ألَّا يضروه ، كما يفعله بعض الناس إذا نزل منزلًا جديدًا يذبح للجن من أجل أنَّهم لا يضرونه فِي هذا الْمَنزل ، يذبح عند الباب ويرش من دمه على الجدران ، يتقرب إِلَى الجن ، أو إذا أقام مشروعًا من المشاريع كالمصانع يذبح عند أول حركة الآليات لأجل أن المصانع تسلم ، وكذلك إذا قدم ملك من الملوك أو رئيس من الرؤساء يذبَحون عند وصوله ، والسلام عليه تعظيمًا له ، ذبح تَحية ، أما لو كانوا يذبَحون له وليمة ، فلا بأس ، هذا من الْمُباحات ، لكن يذبَحون تعظيمًا له ، إذا نزل من الطائرة أو نزل من السيارة يذبَحون تَحت السيارة وتَحت الطائرة ، تعظيمًا لِهذا الوافد ، هذا من الشرك ؛ لأنه من باب التحية والتعظيم .

[٧] **النذر** : هو التزام عبادة لَمْ يلزم بِهَا الشرع ، وهو نوع من أنواع العبادة ، قال تعالَى : ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا﴾ [الإنسان: ٧] . فأثنى عليهم أنَّهم يوفون بالنذر ، وقال تعالَى : ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوۡ نَذَرۡتُم مِّن نَّذۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥۗ﴾ [البقرة: ٢٧٠]. قرنه مع النفقة والصدقة ، والنفقةُ والصدقة عبادة ، فيكون النذر عبادة ، قال سبحانه : ﴿وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩]. قرنه مع الطواف ، والطواف عبادة للَّه ﷻ ، فالوفاء بالنذر عبادة ، هذا فِي نذر الطاعة ، إذا نذر أن يتصدق ، إذا نذر أن يصلي ، إذا نذر أن يصوم ، إذا نذر أن يَحج ، إذا نذر أن يعتمر ، قال ﷺ : **«من نذر أن يطيع اللَّه فليطعه»**[٢] ، أما نذر الْمَعصية فإنه يَحرم الوفاء به ، قال ﷺ : **«ومن نذر أن يعصي اللَّه فلا يعصه»** .

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٧٨)، وأحمد (٨٥٥) .

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٩٦)، وأحمد (٢٤٠٧٥) من حديث عائشة .

والخوف [٨].

والرجاء [٩].

والتوكل [١٠].

ومِنْ نذر الْمَعصية: النذرُ للقبور، فمن نذر لقبر أو نذر لِميت فإنه يكون مشركًا شركًا أكبر؛ لأنه صرف نوعًا من أنواع العبادة لغير اللَّه ﷻ.

[٨] الْخَوف من أعمال القلوب، فهو عبادة قلبية، والمراد خوف العبادة، وهو الخوف الذي يكون معه تعظيم ومحبة للمخوف، يُحبه ويَخافه، هذا خوف العبادة ويسمى خوف السر، وهو لا يَجوز إلا للَّه ﷻ، فالذي يَخاف من مَخلوق خوف العبادة فإنه أشرك، وإذا عمل له نوعًا من أنواع العبادة لأنه يَخافه، مثل الذي يَخاف من الجن فيذبح لَهم، أو الذي يَخاف من الميت فيذبح له، هذا خوف عبادة، فإنه يكون مشركًا الشرك الأكبر، أما الخوف الطبيعي كأن تَخاف من العدو، وتَخاف من السباع، وتَخاف من الثعابين، فهذا خوف طبيعي، ليس هو بعبادة.

[٩] من أنواع العبادة: **الرجاء**: وهو تأميل الخير فيما لا يقدر عليه إلا اللَّه، فلا يَجوز أن ترجو غير اللَّه فيما لا يقدر عليه إلا اللَّه، أما الرجاء فِي الأمور العادية، كأن ترجو من شخص أن يعطيك مالًا أو يساعدك فيما يقدر عليه، فهذا ليس من العبادة.

تقول: يا أخي، أرجوك أن تعطيني كذا وكذا، مِمَّا يقدر عليه، لكن لا ترجُ مَخلوقًا فيما لا يقدر عليه إلا اللَّه، كالذين يرجون الأموات والغائبين والجن، هذا رجاء العبادة فلا يَجوز، وهو شرك أكبر.

[١٠] من أنواع العبادة: **التوكل**: وهو تفويض الأمور إلَى اللَّه ﷻ والاعتماد عليه، قال اللَّه تعالَى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الْمَائدة: ٢٣].

والإنابة [١١].

والْمَحبة [١٢].

وقال: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ﴾ [هود: ١٢٣]. قرنه مع العبادة، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ﴾ هذا حصر؛ لأن تقديم الْجَار والْمَجرور على الفعل يفيد الحصر، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ﴾ أي: لا على غيره ﴿فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]. ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ﴾ أي: لا على غيره، فالتوكل عبادة لا يَجوز إلا للَّه.

أما التوكيل فيما يقدر عليه الْمَخلوق، كأن توكل أحدًا يشتري لك حاجة، وتوكل أحدًا يعمل لك عملًا، هذا جائز، الرسول ﷺ وَكَّل من يشتري له، وكان يوكل العمال ينوبون عنه فِي بعض الأمور، قال تعالَى عن أصحاب الكهف أنَّهم قالوا: ﴿فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ وَلۡيَتَلَطَّفۡ وَلَا يُشۡعِرَنَّ بِكُمۡ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١٩]. هذا توكيل، فالتوكيل جائز، أما التوكل فإنه يكون خاصًّا باللَّه ﷻ.

[١١] **والإنابة**: الرجوع، والإنابة والتوبة بِمعنى واحد، قال تعالَى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾ [الزمر: ٥٤].

[١٢] **الْمَحبة**: لَها مقام عظيم فِي العبادة، وهي مَحبة اللَّه سبحانه وتعالى؛ لأن الْمَحبة على قسمين:

مَحبة عبادة: وهي الَّتِي يكون معها ذل وخضوع للمحبوب، وهذه لا تكون إلا للَّه سبحانه وتعالى؛ لأنها مَحبة عبادة.

أما النوع الثاني: وهو الْمَحبة الطبيعية كأن تُحب الْمَال، وتُحب زوجتك، وتُحب أولادك، وتُحب والديك، وتُحب من أحسن إليك، هذه مَحبة طبيعية لا تعد من العبادة؛ لأنها ليس معها ذل، وليس معها خضوع، وإنَّما هي مودة مُجردة، إلا إذا قدم مَحبة هذه الأشياء على مَحبة اللَّه تعالَى فإنه يكون عليه وعيد

والْخَشية [١٣].

والرغبة [١٤]. والرهبة [١٥]. والتأله [١٦].

شديد، كما قال تعالَى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ﴾ [التوبة: ٢٤].

فاللَّه لا يقدَّم على مَحبته مَحبة شيء من الأموال والأولاد والبلاد وغير ذلك، فإن تعارضت مَحبة اللَّه مع مَحبة غيره من الأموال والأولاد فإنه يقدم مَحبة اللَّه.

[١٣] الْخَشية: هي نوع من الخوف، قال اللَّه تعالَى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى﴾ [البقرة: ١٥٠]. فلا تقدم خشية الْمَخلوق على خشية اللَّه، قال تعالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٩].

[١٤] فالرغبة تكون إلَى اللَّه -جل وعلا- وهي الطمع فيما عنده، قال تعالَى: ﴿إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾ [التوبة: ٥٩] وهي الرغبة فيما عند اللَّه، والتعلق باللَّه ﷻ، فإذا رغب فيما عند اللَّه حمله ذلك على طاعة اللَّه، وتقديم رضا اللَّه سبحانه وتعالى.

[١٥] والرهبة كذلك هي نوع من الخوف، قال تعالَى: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠]. يَجب أن ترهب اللَّه وتَخاف من اللَّه وتَخشى اللَّه، ولا ترهب الْمَخلوقين رهبة تَجعلهم فِي منزلة اللَّه أو يساوون اللَّه ﷻ، لا ترهب منهم فتتركَ طاعة اللَّه من أجلهم.

[١٦] التأله: التعبد، ويطلق التأله ويراد به الْمَحبة من الوله، وهو الْمَحبة، هذا حق للَّه سبحانه وتعالى، فالألوهية حق للَّه -جل وعلا-، لا يَجوز أن يُتخذ معه إلهٌ آخر يؤله ويُحب ويعبد مع اللَّه ﷻ، فالألوهية حق للَّه، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٨٤]. يعني: يألهه ويعبده ويُحبه أهل

والركوع والسجود [١٧].

والْخُشوع [١٨].

والتذلل [١٩] والتعظيم الذي هو من خصائص الإلهية [٢٠].

السماء وأهل الأرض.

[١٧] الركوع عبادة لا يكون إلا للَّه، لا يركع الإنسان لأحد، ولا يَخضع لأحد ولا ينحني لأحد تعظيمًا له، فالانحناء على وجه الذل والتعظيم لمن أنحني له ركوع لغير اللَّه ﷻ، ولا يَسجد إلا للَّه، لا يسجد للصنم، ولا للقبر ولا للضريح، ولا لعظيم من العظماء، لا يَجوز السجود إلا للَّه ﷻ، كان الفرس والروم يعظمون ملوكهم فيسجدون لَهم، ولَمَّا رآهم معاذ بن جبل ﵁ وقدم على النَّبِي ﷺ أراد أن يسجد له، فمنعه -عليه الصلاة والسلام- من ذلك وقال: «**لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها لعظم حقه عليها**»(١). فالسجود لا يكون إلا للَّه ﷻ.

[١٨] الخشوع من أعمال القلوب، والخشوع هو الرقة التي تكون فِي القلب، وهذا لا يكون إلا اللَّه ﷻ، فلا تَخشع لِمخلوق وإنَّما تَخشع للخالق تعظيمًا له ﷻ، ترق له وتفتقر إليه، وتبكي من خوفه وخشيته ﷻ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ [الْمُؤمنون: ٥٧].

[١٩] التذلل هو الخضوع، وهو -كما سبق- ركن من أركان العبادة، فالعبادة تدور على الْحُب والذل، والْخَوف والرجاء، فلا يكون الذل إلا للَّه ﷻ لا تذل لِمخلوق مثلك.

[٢٠] وهو التعظيم الذي يكون معه خضوع للمعظَّم، وصرف شيء من أنواع العبادة لِهذا المعظم، وصرف هذا النوع من التعظيم لغير اللَّه شرك باللَّه ﷻ.

---

(١) أخرجه أحمد (٢١٩٨٦)، وابن أبِي شيبة (٤/ ٣٠٥) من حديث معاذ.

ودليل الدعاء: [٢١] قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨] [٢٢].

وقوله تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ [الرعد: ١٤] [٢٣].

ودليل الاستعانة: قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] [٢٤].

---

[٢١] لَمَّا ذكر أهم أنواع العبادة أراد أن يستدل لكل نوع من هذه الأنواع؛ لأن الكلام بدون دليل لا يُقبل؛ لاسيما الكلام فِي هذا الأمر العظيم المهم وهو الكلام فِي العبادات؛ لأن العبادات توقيفية، لا يُفعل منها شيء إلا بدليل.

[٢٢] هكذا يَجب أن تكون المساجد للَّه ﷻ، لا تُبنى للرياء والسمعة، أو تُبنى على الأضرحة والقبور، وإنَّما تبنى لعبادة اللَّه وحده لا شريك له، فهي بيوت اللَّه، ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]. هذا مَحل الشاهد، حيث نهى أن يُدعَى معه غيره.

[٢٣] أي: هو الذي يدعى حقًّا، وأما غيره من الأصنام والأحجار والقبور والأضرحة فدعاؤها باطل؛ لأنها لا تسمع ولا تقدر على إجابة من دعاها، ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ﴾ [الرعد: ١٤]. لو جئت إِلَى ماء فِي قعر بئر وليس معك دلو ولا حبل، وجعلت تشير إِلَى الْمَاء ليرتفع إِلَى فمك فإنه لا يصل إليك، وهذا مثل مَن يدعو غير اللَّه ﷻ، فإن حصول نفعه له من الْمُستحيل كاستحالة وصول الْمَاء إِلَى من يبسط يده إلى الْمَاء ليرتفع إِلَى فمه دون أن يكون معه سبب يرفعه.

[٢٤] الدليل على أن الاستعانة نوع من أنواع العبادة هذه الآية ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]. فقدمَ الْمَعمولَ فِي ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ على العامل وهو ﴿نَسْتَعِينُ﴾ وهذا يفيد الحصر، أي: لا نستعين بغيرك فِي الأمور

ودليل الاستغاثة: قوله تعالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩] [٢٥].

ودليل الذبح: قوله تعالَى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢] [٢٦].

ودليل النذر: قوله تعالَى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧] [٢٧].

الَّتِي لا يقدر عليها إلا أنت، لا نستعين بصنم ولا بوثن ولا بقبر ولا بِحجر ولا بشجر.

[٢٥] يُذكِّر اللَّه المؤمنين بِمَا حصل لَهم فِي بدر، حين اشتد بِهم الأمر فاستغاثوا به فأغاثهم، قال تعالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩] فأغاثهم اللَّه ﷻ بالملائكة تثبتهم وتعينهم على القتال، وتوقع الرعب فِي قلوب الأعداء ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ [الأنفال: ١٢]. فالملائكة نزلت فِي ساحة القتال فِي بدر مع الْمؤمنين تثبتهم وتقوي قلوبهم، وتطمئنهم وتوقع الرعب فِي قلوب أعدائهم، وتعين الْمُؤمنين على القتال، فالذين يقتلون الكفار هم الْمُؤمنون، لكن الملائكة تُمدهم وتعينهم وتقويهم وتثبتهم.

[٢٦] قرن النسك وهو الذبح مع الصلاة، والصلاة عبادة، فالنسك عبادة ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢] ما أحيا عليه وما أموت عليه كله للَّه ﷻ ثُمَّ قال: ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ نفى الشرك فِي الذبح وفِي الصلاة، ونفى الشرك فِي الحياة والموت، ثُمَّ قال: ﴿وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ﴾ أي: يقول الرسول ﷺ: ﴿وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ﴾ أي: أمرني اللَّه ﷻ ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام ١٦٣]. أي: أول الْمُنقادين الْمُمتثلين لِهذا الأمر.

[٢٧] فدل على أن النذر عبادة يَجب إخلاصها للَّه، فمن نذر لغير اللَّه

ودليل الخوف: قوله تعالَى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥] [٢٨].

ودليل الرجاء: قوله تعالَى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠] [٢٩].

ودليل التوكل: قوله تعالَى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الْمَائدة: ٢٣] [٣٠].

كالموتى والقبور والأضرحة فهو مشرك، وهذا يقع كثيرًا من الذين ينذرون للقبور وينذرون للأموات يتقربون إليهم بذلك، وهذا نذر معصية ونذر شرك، لا يَجوز الوفاء به، أما من نذر للَّه فإنه يَجب عليه الوفاء لأنه عبادة.

[٢٨] لَمَّا توعد الْمُشركون رسول اللَّه ﷺ وأصحابه بعد وقعة أحد وقالوا: إنا سنرجع إليكم ونستأصلكم، فالمؤمنون ما زادوا على أن قالوا: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]. يعني نَحن نعتمد على اللَّه ولا يهمنا تهديدكم أو وعيدكم، فنحن نعتمد على اللَّه ﷻ، ثُمَّ قال -جل وعلا-: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٧٥] هذا التخويف إنَّمَا هو من الشيطان، ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ يعني: يُخوفكم بأوليائه ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥] هذا هو مَحل الشاهد، دل على أن الخوف نوع من أنوع العبادة يَجب أن يفرد اللَّه به.

[٢٩] قال الْمُفسرون: معناها -واللَّه أعلم-: يرجو أن يرى ربه ﷻ يوم القيامة فِي الْجنة، ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠] فجعل الرجاء من العبادة وأمر ألَّا يشرك به معه غيره.

[٣٠] التوكل من أعظم أنواع العبادة، قال تعالَى: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣]. ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الْمَائدة: ٢٣]. فمن توكل على

ودليل الإنابة: **قوله تعالَى**: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [الزمر: ٥٤] **[٣١]**.

ودليل الْمَحبة: **قوله تعالَى**: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] **[٣٢]** .

ودليل الْخَشية: ﴿فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ [الْمائدة: ٤٤] **[٣٣]** .

ودليل الرغبة والرهبة: **قوله تعالَى** ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠] **[٣٤]** .

اللَّه كفاه، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]. يعني: كافيه، ومن يتوكل على مَخلوق فإن اللَّه يَكِلُه إِلَى ذلك الْمَخلوق الضعيف.

وفِي هذه الَّتِي ساقها الْمُصنف جعل اللَّه التوكل شرطًا فِي صحة الإيْمان. فمن لَمْ يتوكل على اللَّه فليس بِمؤمن.

[٣١] **الإنابة**: الرجوع، وأنيبوا: يعني: ارجعوا إليه بالطاعة وترك الْمَعصية، فالإنابة نوع من أنواع العبادة.

[٣٢] ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] لأنَّهم أحبوا اللَّه وحده، ولَم يُحبوا معه غيره، أما الْمُشركون فإنهم أحبوا مع اللَّه غيره؛ ولذلك صاروا مشركين.

[٣٣] فدل على أن الخشية نوع من أنواع العبادة، وأن من خشي غير اللَّه فترك ما أوجبه اللَّه عليه فقد أشرك به.

[٣٤] لَمَّا ذكر اللَّه فِي سورة الأنبياء مواقف الأنبياء فِي العبادة ومواقفهم عند الابتلاء والامتحان، قال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا﴾ أي: طمعًا فيما عند اللَّه، ﴿وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء: ٩٠] أي: خوفًا من عقابه، فدل على أن الرغبة والرهبة نوعان من أنواع العبادة يَجب إخلاصهما للَّه، قال تعالَى:

ودليل التأله: قوله تعالَى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣] **[٣٥].**

ودليل الركوع والسجود: قوله تعالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧] **[٣٦].**

ودليل الخشوع: قوله تعالَى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [آل عمران: ١٩٩] **[٣٧] ونَحوها.**

﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [التوبة: ٥٩]. قدم الجار والْمَجرور ليفيد الحصر، أي: لا نرغب إلَى غيره سبحانه وتعالى.

وفِي الآية رد على الصوفية الذين يقولون: لا نعبده خوفًا من ناره ولا طمعًا فِي جنته، وإنَّما نعبده لأننا نُحبه وهذا مُخالف لِما عليه الأنبياء.

[٣٥] إلَهكم: يعني: معبودكم المستحق للعبادة، إله واحد وهو اللَّه سبحانه وتعالى لا يستحق العبادة غيره ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ [الحج ٦٢]. وكل من عبد غير اللَّه فقد اتَّخذه إلهًا، لكنه إله باطل، والإله الحق هو اللَّه سبحانه وتعالى، فالألوهية حق للَّه عز وجل لا يَجوز أن نتأله لغيره.

[٣٦] حيث أمر اللَّه بالركوع والسجود، والركوع هو الخضوع بالرأس والانْحناء، والسجود: وضع الجبهة على الأرض على وجه التعظيم، هذا لا يكون إلا للَّه سبحانه وتعالى، لا يَجوز لأحد أن يركع لأحد، ولا أن يسجد لأحد، فإن ركع لغير اللَّه أو سجد لغير اللَّه فهو مشرك.

[٣٧] الخشوع هو الانْخفاض وعدم الترفع، وهو نوع من أنواع العبادة، وهذه الآية فيها الثناء على مؤمني أهل الكتاب الْمتَّصفين بهذه الصفة، فهم لا يَخشعون لغيره سبحانه وتعالى.

فمن صرف شيئًا من هذه الأنواع لغير اللَّه تعالَى فقد أشرك باللَّه غيره [٣٨].

---

[٣٨] لأن هذه كلها من أنواع العبادة، فمن صرف منها نوعًا فإنه يكون مشركًا باللَّه فِي عبادته الشرك الأكبر الذي لا يُغفر إلا بالتوبة، وكثير من الناس يدَّعون الإسلام ويصرفون أنواعًا كثيرة من هذه الأنواع لغير اللَّه ﷿، نسأل اللَّه العافية، ويعتبرون هذا ليس من العبادة وإنَّما هؤلاء شفعاء ووسائط تقربهم إِلَى اللَّه، يزين لَهم شياطين الجن والإنس هذا العمل، ويسمون الشرك بغير اسمه، يسمونه طلبًا للشفاعة، يسمونه توسلًا إِلَى اللَّه ﷻ، إِلَى غير ذلك من الأسماء الَّتِي أضلوا بِهَا كثيرًا من الرعاع، لاسيما وأنهم يرغِّبون بأنه مَن فَعَل هذا حصل له كذا، وأن من لَمْ يفعله يحصل عليه كذا، ويرهبونهم، فالناس الذين ليس فيهم إيْمان قوي يتأثرون بِهذا الوعيد أو بهذه الوعود والترهيبات، فيمارسون هذه الأنواع إما خوفًا وإما رجاء، تأثرًا بِمَا يسمعون وما يقرءون من الدعاية لعبادة غير اللَّه ﷿، ولا يسمونها شركًا بل يقولون إنها من صميم التوحيد، والذي ينكرها يصفونه بأنه خارجي، وهو الذي لا يعرف قدر الصالحين.

ولا يتأملون القرآن والسنة؛ لأن اللَّه أعمى بصائرهم فلم يلتفتوا إِلَى دلائل القرآن والسنة، وإنَّما يلتفتون إِلَى أقوال شيوخهم ومعظِّميهم ويقولون: هم أعلم منا بالقرآن، وأعلم منا بالسنة، هذا من ناحية.

والناحية الثانية: أنهم يقولون أن من قال لا إله إلا اللَّه فإنه مسلم مؤمن ولو عمل ما عمل من الأمور، لو يدعو الأموات ويستغيث بِهم ويذبح لَهم، ما دام أنه يقول: لا إله إلا اللَّه فهو مسلم.

وهو إنَّمَا يقول: لا إله إلا اللَّه لفظًا ويناقضها معنىً، وهذا لا يفيده شيئًا، هو قالها بلسانه لكن خالفها باعتقاده وخالفها بأفعاله، فلا تفيده لا إله إلا اللَّه شيئًا لأنه أبطلها وناقضها.

فإن قيل: فما أجلُّ أمرٍ أمَرَ اللَّه به؟

قيل: توحيده بالعبادة، وقد تقدم بيانه، وأعظم نهي نهى اللَّه عنه الشرك به، وهو أن يدعو مع اللَّه غيره، أو يقصده بغير ذلك من أنواع العبادة [٣٩].

فمن صرف شيئًا من أنواع العبادة لغير اللَّه تعالَى فقد اتَّخذه ربًّا وإلَهًا، وأشرك مع اللَّه غيره، أو يقصده بغير ذلك من أنواع العبادة، وقد تقدم من الآيات ما يدل على أن هذا هو الشرك الذي نهى اللَّه عنه، وأنكره على الْمُشركين، وقد

---

[٣٩] أعظم ما أمر اللَّه به التوحيد، وأعظم ما نهى اللَّه عنه الشرك، فالتوحيد هو أعظم الْمَأمورات، والشرك أعظم الْمَنهيات أعظم من شرب الخمر، وأعظم من قتل النفس بغير حق.

والتوحيد هو أعظم ما أمر اللَّه به، أعظم من الصلاة وأعظم من الزكاة، وأعظم من جميع أنواع العبادة، ولذلك أول ما بدأ به الرسول بالدعوة إِلَى التوحيد، شهادة أن لا إله إلا اللَّه وأن مُحمدًا رسول اللَّه، فإذا نطق بالشهادتين فإنك تأمره بالصلاة، وتأمره بالزكاة، وتأمره بالْحَج، أما ما دام أنه لَمْ ينطق بالشهادتين لا تقل له: صَلِّ؛ لأنه لو صلى فلا فائدة فِي ذلك، ولا تقبل صلاته، ولِهذا قال النَّبِي ﷺ لِمعاذ: «**إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا اللَّه وأن مُحمدًا رسول اللَّه، فإن هم أجابوك لذلك فأعلمهم أن اللَّه افترض عليهم خمس صلوات فِي اليوم والليلة، فإن هم أجابوك لذلك فأعلمهم أن اللَّه افترض عليهم صدقة**»[1]. يعني: الزكاة، فلم يأمرهم بالصلاة ولا بالزكاة قبل أن يشهدوا أن لا إله إلا اللَّه وأن مُحمدًا رسول اللَّه، فأعظم ما أمر اللَّه به التوحيد؛ لأنه الأصل والأساس والقاعدة لِهذا الدين.

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٥٨)، ومسلم (١٩).

قال تعالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦]. **وقال تعالَى:** ﴿مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢] [٤٠]. **والله أعلم.**

وصلى الله على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

[٤٠] هذا واضح، وهذا يدل على أن الشرك هو أعظم الذنوب: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ١١٦]. فإذا كان الشرك لا يقبل الْمَغفرة وغيره يقبل المغفرة، فهذا دليل على أن الشرك هو أعظم الذنوب، الزنا والسرقة وشرب الخمر وأكل الربا هذه قابلة للمغفرة فهي تَحت الْمشيئة، إن شاء اللَّه غفر لأصحابها، وإن شاء عذبهم، ولكن لا يُخلدون فِي النار، وإنما يعذبون بقدر ذنوبهم ثم يَخرجون من النار؛ لأنَّهم من أهل التوحيد وأهل الإيْمان، أما الشرك فإنه لا يغفر، وصاحبه لا يَخرج من النار أبدًا، ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]. ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ﴾ [الْمائدة: ٧٢].

وصلى اللَّه على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

شرح
معنى الطاغوت

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب -رحِمه اللَّه تعالَى-:

اعلم -رحمك اللَّه تعالَى- أن أول ما فرض اللَّه على ابن آدم: الكفر بالطاغوت والإيْمَان باللَّه [١].

---

[١] بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمد للَّه رب العالَمين، وصلى اللَّه وسلم على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

يشير الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ إلَى قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ ليس معناه أن الكفار يُتركون ولا يُقاتلون ولا يدعون إلَى الإسلام كما يقوله الآن الْمُغرضون والكفار والجهال من المسلمين بحُجَّةِ حرية الأديان، وحرية العقيدة، هذا كذب على اللَّه -جل وعلا- ليس هذا هو مراد اللَّه -جل وعلا-، اللَّه -جل وعلا- خلق الخلق لعبادته لا لعبادة غيره كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٧]، فلو كان الناس يُتركون كفارًا يعبدون ما شاءوا، فما كان لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ ما كان لَها فائدة، ولَمَا كان للجهاد فِي سبيل اللَّه فائدة، ولَمَا كان للدعوة للَّه فائدة، كيف تدعونهم وهم أحرار فيما يعتقدون وفيما يعبدون؟! اتركوهم على مقتضى هذا الكلام الباطل، فليعبدوا ما يختارون.

فلو كان كما يقولون: إن الناس أحرار فِي عبادتهم، وفِي اعتقاداتهم

ولا يُعترض على أحد، لبطلت كل هذه الأمور، ولَمَا صار هناك فائدة للدعوة إِلَى اللَّه، والجهاد فِي سبيل اللَّه، بل لَمَا كان هناك فائدة لِخلق الْجَنة والنار، فما دام الكفار أحرارًا لِماذا يدخلون النار ويعذبون فيها أبد الآباد وهم آخذون بالحرية كما يقول هؤلاء، فهذا كلام باطل.

إذن ما معنى ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [البقرة: ٢٥٦]؟ لأنَّهم يرددون هذه الآية، يقولون: الناس أحرار فِي عقائدهم؛ لأن اللَّه يقول: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ نقول لَهم: كذبتم على اللَّه، ليس هذا هو مراد اللَّه -جل وعلا-، بقوله: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ بل فيها أقوال للمفسرين:

القول الأول: منهم من يقول: إن هذه كانت فِي أول الأمر، ثُمَّ نُسخت بآيات الجهاد، ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾.

القول الثاني: أن قوله: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ خاص بأهل الكتاب، من اليهود والنصارى، فهؤلاء إذا دفعوا الجزية وخضعوا لِحكم الإسلام، فإنهم لا يُكرهون على الدخول فِي الإسلام، بل يُتركون بشرط أن يدفعوا الجزية وهم صاغرون، وبشرط أن يَخضعوا لِحكم الإسلام؛ لأنَّهم على علم، وعندهم علم بالدين والرسل، ما هم مثل الوثنيين، أُعطوا الفرصة ليراجعوا ما عندهم، ويتأملوا فِي القرآن، ويتأملوا فيما عندهم، فيجدوا أن القرآن يتوافق تمامًا مع التوراة والإنْجيل السالِمَيْن من التحريف، الباقيين على أصلهما كما أنزل اللَّه ﷻ، فلا خلاف بين الكتب السماوية أنَّها كلُّها من عند اللَّه -جل وعلا- فِي أمور العقائد، أما أمور الْمُعاملات والحلال والْحَرام فهي تختلف بِحسب الشرائع، وبحسب حكمة اللَّه -جل وعلا-، فِي كل وقت بحسبه.

ولكن العقائد ليس بين الكتب السماوية فيها اختلاف أبدًا، أنه لا يُعبد إلا اللَّه -جل وعلا-، وأن عبادة غيره باطلة، أجمعت الكتب السماوية، وأجمعت الرسل، وأجمع المسلمون من قديم الْخَليقة إِلَى آخر الْخَليقة على أن العبادة لا تكون إلا للَّه، وأن من عبد غير اللَّه فإنه يُدعى إِلَى عبادة اللَّه، فإن أصر

فإنه يُقاتل دفعًا لكفره وشره، ولئلا ينتشر الكفر فِي الأرض، ويَحتج به الْمُخالف، فلو كان الناس أحرارًا ولا اختلاف فِي الدين كما يقولون ما احتاج الناس إِلَى بعث الرسل، ولا إِلَى إنزال الكتب، وإنَّما الناس أحرار ولا أحد يُدعى، ولا أحد يُقاتل، ولا أحد تفرض عليه الْجِزية والْخُضوع للإسلام، فهم أحرار كما تقولون.

القول الثالث: أن قوله: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [البقرة: ٢٥٦] خاص باليهود والنصارى.

قيل: إنهم أسلم منهم ناس فأرادوا أن يكرهوا أولادهم على الدخول فِي الإسلام، فاللَّه أنزل هذه الآية فِي أنَّهم لا يكرهون، وأما قولهم: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ أنه مَحمول على الاختيار والْحُرية، فهذا أمر باطل لا دليل عليه من القرآن، بل أدلة الشرع كلها تَردُّ على هذا.

وقوله: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾ [البقرة: ٢٥٦] سبق لنا أن قلنا: إن هذه هي معنى (لا إله إلا اللَّه)، الذي يكفر بالطاغوت: هذا معنى (لا إله)، ويؤمن باللَّه: هذا معنى (إلا اللَّه) ففيها معنى النفي والإثبات اللذين فِي (لا إله إلا اللَّه).

والطاغوت: لفظ عام مأخوذ من الطغيان، وهو مُجاوزة الْحَد، والطواغيت أنواع: فأعظم الطواغيت من يُعبد من دون اللَّه ﷻ وهو راضٍ بذلك.

يقول ابن القيم: الطواغيت كثيرون ورءوسهم خمسة:

١- إبليس لعنه اللَّه.

٢- ومن عُبد وهو راضٍ.

٣- ومن دعا الناس إِلَى عبادة نفسه.

٤- ومن ادعى علم الغيب.

٥- ومن حكم بغير ما أنزل اللَّه.

هذه رءوس الطواغيت:

الأول: إبليس، وهو أول الطواغيت.

الثاني: (من عُبد وهو راضٍ بذلك)، أما من عُبد وهو غير راضٍ بذلك فهذا لا يُسمى طاغوتًا، فالْمَلائكة عُبدوا من دون اللَّه، لكن لَمْ يرضوا بذلك ولا أمروا به، والْمَسيح بن مريم عليه السلام رسول اللَّه عُبد من دون اللَّه وهو ينهى عن ذلك فِي حياته، ويتبرأ من أصحابه، فلا يُعد طاغوتًا.

وإنَّما الطاغوت الذي أمرهم بعبادته وهو الشيطان، وكذلك الأولياء والصالِحون الذين ماتوا على صلاحهم وعلى ولايتهم للَّه، وعلى عملهم الصالح، ولكن عُبدوا بعدما ماتوا، هؤلاء لا يُقال لَهم طواغيت، وإنَّما الطاغوت هو الذي أمرهم بذلك وهو الشيطان.

الثالث: (من دعا الناس إِلَى عبادة نفسه)؛ لأن بعض الطواغيت يأمر الناس بأن يعبدوه.

ويقول لَهم: إنه يستطيع أن ينفعهم وأن يضرهم، ويحقق لَهم مطالبهم، كما عليه اليوم طواغيت الصوفية ومشايخ الصوفية، الذين يزعمون أنَّهم يُحققون لِمن عبدهم مطالبهم، وأنهم يتصلون باللَّه مباشرة، ويأخذون عن اللَّه مباشرة، وبعضهم يوصي يقول: إذا مت لا يَمنعكم من دعائي والاستغاثة بي ذراع من التراب، هلموا إِلَى قبري واطلبوا منِّي وأنا أغيثكم . . . وأنا وأنا، هذا دعا الناس إِلَى عبادة نفسه، فهو طاغوت.

الرابع: (من ادعى علم الغيب)، وهو الكاهن، الطواغيت كُهان كما يقول بعض السلف: كانت تنزل عليهم الشياطين، وفِي كل حي من أحياء العرب منهم واحد، فالكُهان طواغيت، لِماذا؟ لأنَّهم يدَّعون علم الغيب الذي اختص اللَّه تعالى به، ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦-٢٧].

فقد يطلعه اللَّه على بعض الْمُغيبات لِمصلحة الدعوة إِلَى اللَّه ﷻ، وتكون معجزة له، ودليلًا على صدقه لِمصلحة الناس، وإلا فالغيب لا يعلمه إلا اللَّه ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [النمل: ٦٥]، والرسول الذي علم شيئًا من الغيب لَمْ يعلمه أصلًا، وإنَّما علمه باطلاع اللَّه له عليه، فلا يعلم الغيب إلا اللَّه ﷻ: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾ [الجن: ٢٦-٢٧].

أما الكهان والشياطين، فهؤلاء كذبة، ولكن يَحصلون على شيء من الغيب بواسطة استراق السمع.

والْخَامس -وهو الأخير-: (من حكم بغير ما أنزل اللَّه)، ومنهم الْحُكام الذين يسنُّون القوانين، ويلغون الشريعة ويَجعلون القوانين مَحلها، هؤلاء طواغيت، الذي يَحكم بغير ما أنزل اللَّه هذا طاغوت بنص القرآن ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦۖ﴾ [النساء: ٦٠] فمن حكم بغير ما أنزل اللَّه متعمدًا ذلك فإنه يكون طاغوتًا.

أما من حكم بغير ما أنزل اللَّه مُجتهدًا، يتحرى الحق ولكنه أخطأ، فهذا ليس طاغوتًا، فالفقهاء إذا اجتهدوا فِي الْمَسائل الفقهية وأخطئوا لا يعدُّون طواغيت؛ لأنَّهم لَمْ يتعمدوا هذا، هم يبحثون عن الحق، ولكن لَمْ يصلوا إليه، فهم معذورون قال ﷺ: «**إذا اجتهد الْحَاكم فأصاب فله أجران، وإن اجتهد فأخطأ فله أجر واحد**» لأنه لَم يتعمد مُخالفة الشرع، وإنَّما أخطأ باجتهاده، ولا يَجوز اتباعه على الخطأ، لا يَجوز أن نأخذ الاجتهاد الذي نرى أنه خالف الدليل، ولكن هو فِي نفسه معذور وليس طاغوتًا، بل له أجر إذا كان من أهل العلم، أما إذا اجتهد وهو ليس عنده مؤهلات الاجتهاد، فهذا على كل حال مُخطئ، فلا يَجوز له أن يَجتهد وهو لا يُحسن ذلك، ولكن هذا فِي الْمُجتهدين الذين عندهم مؤهلات الاجتهاد إذا أخطئوا كالأئمة الأربعة وأقرانهم من أهل العلم الذين توفرت فيهم شروط الاجتهاد، فإنهم ليسوا معصومين.

إنَّما الطاغوت الذي تعمد مُخالفة الشرع، وتعمد الْحُكم بغير ما أنزل اللَّه، يَجلب القوانين والْمَحاكم القانونية يَجعلها مَحل الشريعة، هذا لا شك أنه طاغوت، ليس طاغوتًا عاديًا بل من رءوس الطواغيت الْخَمسة.

فما دام أن اللَّه -جل وعلا- فرض عليك الكفر بالطاغوت، فلا يَجوز لك أن تبقى جاهلًا وما تدري ما هو الطاغوت، لابد أن تعرف ما هو الطاغوت؟ وما هي أنواعه؟ حتى تتجنبه، حتى تَحذر منه.

أما أن تقرأ القرآن بأوامره ونواهيه، وفيه ذكر التوحيد والشرك، ولا تعرف كيف تفرق بينهما، هذا لا يَجوز للمسلم، لابد له أن يتعلم هذه الأشياء، ويكون على بصيرة منها فِي نفسه، ويتجنبها ويَحذر منها من أجل أن يعرف الحق، من أجل أن يعمل به هو، ويدعو الناس إليه، ويبينه لَهم، فالأمر مهم جدًّا.

يَجب الكفر بكل هؤلاء، فمن لَم يكفر بهم أو لَم يكفر ببعضهم، وصحح شيئًا من الطواغيت، فصحح الكهانة، وصحح الحكم بغير ما أنزل اللَّه، وقال: الوقت تغير والزمان يَختلف، ولا يسع الناس اليوم الحكم بالشريعة ولابد أن نُساير الدول، ونُساير العالَم، هذا لَمْ يكفر بالطاغوت، وإن كان يقول: (لا إله إلا اللَّه)، وإن كان يصلي ويصوم ويَحج.

ما دام أنه يقول: الحكم بِمَا أنزل اللَّه لا يُناسب هذا الوقت، يتعارض مع الحضارة الْحَديثة، ومع سياسة الدول، فعلينا أن نسايرهم فِي هذه الأمور، والشرع إنَّمَا يكون فِي الْمَساجد، وأما الحكم بين الناس والحكم السياسي فهذا لابد فيه من مُسايرة الدول، ولا ينفرد عنها، هذا ولو كان يصلي ويصوم ويَحج ويقول: (لا إله إلا اللَّه) عدد الأنفاس فهو كافر؛ لأنه لَمْ يكفر بالطاغوت، واللَّه قدم الكفر بالطاغوت على الإيْمَان باللَّه؛ لأن الإيْمَان باللَّه لا يصح إلا بعد الكفر بالطاغوت.

والدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] [٢].

فأما صفة الكفر بالطاغوت: فهو أن تعتقد بطلان عبادة غير اللَّه، وتتركها وتبغضها وتكفِّر أهلها وتعاديهم [٣].

---

[٢] هذا هو الدليل على أن من عُبد من دون اللَّه وهو راضٍ أو دعا إِلَى عبادة نفسه أو حكم بغير ما أنزل اللَّه فهو من الطواغيت، الدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، هذه الآية مثل قوله: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، فهو لَمْ يقتصر على قوله: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾، بل قال: ﴿وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾؛ لأن عبادة اللَّه لا تصح إلا مع اجتناب الطاغوت، فمن يعبد اللَّه ليلًا ونهارًا، ولكنه لَمْ يَجتنب الطاغوت، فعبادته باطلة، كالذي يصلي ويصوم ويَحج ويتصدق ويتبرع وينفق، ولكنه يستغيث بالأموات، ويدعو الأموات من دون اللَّه، هذا لَمْ يكفر بالطاغوت.

جميع الرسل على هذا، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾ هذا عام لِجميع الرسل، أنَّهم جاءوا بالأمر بعبادة اللَّه واجتناب الطاغوت، فلابد من الأمرين، وهذا هو معنى: (لا إله إلا اللَّه)، ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ هذا معنى الإثبات، ﴿وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ هو معنى النفي فِي (لا إله إلا اللَّه).

[٣] هذا معنى ﴿وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ لا بد من هذه الأمور: أن تعرف أولًا ما هو الطاغوت، ثُمَّ تَجتنبه، ولا يكفي أنك تَجتنبه، بل لابد أن تعادي أهله وتبغضهم؛ لأنَّهم أعداء اللَّه، واللَّه -جل وعلا- يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [المُمتحنة: ١]، فلابد من هذه الأمور.

أولًا: أن تعرف الطاغوت ما هو؛ لأنك إذا لَمْ تعرفه فلا يُمكن أنك تتجنبه، كيف تتجنب شيئًا مَجهولًا؟!

وأما معنى الإيْمَان باللَّه: فهو أن تعتقد أن اللَّه هو الإله الْمَعبود وحده دون ما سواه [٤].

وتُخلص جميع أنواع العبادة كلها للَّه، وتنفيها عن كل معبود سواه [٥].

ثانيًا: إذا عرفته سَهُل عليك اجتنابه.

ثالثًا: إذا اجتنبته فلابد أن تعاديه، وأن تبغضه وتبغض أتباعه وتعاديهم فِي اللَّه ﷻ.

[٤] هذا معنى الإيْمَان باللَّه: أن تعتقد بقلبك أن اللَّه هو الْمُستحق للعبادة دون ما سواه، وأن كل ما عُبد من دون اللَّه فهو باطل، سواءٌ كان من الْمَلائكة أو من الأنبياء أو من الصالِحين، أو من الأحجار والأشجار والأوثان، لابد أن تكفر بِهذا كله، هذا معنى الإيْمَان باللَّه، أن تعتقد بقلبك أنه لا يستحق العبادة إلا اللَّه، وأن ما عُبد من دونه فهو باطل، هذا لازم هذه العقيدة.

ما يكفي أنك تقول هذا بلسانك بدون أن تعتقد بقلبك، ولا يكفي أنك تعمل هذا بَجوارحك، فأنت تصلي وتصوم وتقول: أنا لا أعبد إلا اللَّه.

ولكن يقول: ما أدري عن عبادة هؤلاء الذين يعبدون القبور ويعبدون الأضرحة، ما أقدر أن أقول إنهم على باطل، وهم يصومون ويصلون ويقولون: (لا إله إلا اللَّه).

نقول: أنت ما فهمت معنى (لا إله إلا اللَّه) ولا فهمت معنى الإيْمَان باللَّه والكفر بالطاغوت، وإلا لو فهمت حق الفهم لعرفت أن الإيْمَان باللَّه لا يصح إلا بالكفر بالطاغوت ظاهرًا وباطنًا، ظاهرًا باللسان وباطنًا بالاعتقاد.

[٥] هذا معنى الإيْمَان باللَّه: أن تصرف العبادات كلها للَّه، لا تصرف منها شيئًا لغير اللَّه، كالذي يصوم ويصلي ويزكي، ولكن يدعو غير اللَّه، ويستغيث بغير اللَّه، يذبح لغير اللَّه، هذا عبد اللَّه فِي شيء، وعبد غيره فِي شيء، فهو مشرك، لابد أن تكون جميع العبادات كلها للَّه، ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]

وتُحب أهل الإخلاص وتواليهم، وتبغض أهل الشرك وتعاديهم [٦].

لابد أن تكون العبادات كلها للَّه، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

أما الذي يعبد اللَّه ببعض العبادات، ويعبد غيره بأنواع أخرى من العبادات، فهذا لَمْ يؤمن باللَّه، كالذين يصومون ويصلون ويَحجون وينطقون بالشهادتين، ولكن يدعون غير اللَّه، يدعون الأموات، ويذبَحون للأموات، وينذرون للأموات، ويطوفون بالقبور، هؤلاء لَمْ يعبدوا اللَّه، بل هم مشركون؛ لأنه لا يَجتمع عبادة اللَّه وعبادة غيره أبدًا، اللَّه -جل وعلا- يقول: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل عملًا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه**» وفِي رواية «**فهو للذي أشرك وأنا منه بريء**» اللَّه لا يرضى أن يُشرك معه أحد فِي أي نوع من أنواع العبادات، بل يَجب أن تكون العبادات كلها للَّه ﷻ: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]. فلا يكون الدين بعضه للَّه وبعضه للأصنام أو للقبور، أو لفلان أو لعلان، الدين كله للَّه.

[٦] هذا من لازم التوحيد: من وَحَّد اللَّه وكفر بالطاغوت فلابد أن يوالي، أي: يُحب، ويناصر أولياء اللَّه ﷻ، وهم أهل التوحيد، ويعادي ويبغض أهل الشرك؛ لأن اللَّه يبغضهم، فأنت تبغض من يبغضهم اللَّه، أما الذي يقول: أنا ما عليَّ إلا نفسي، ولا أعادي الناس وأبغض الناس وأكفر الناس.

نقول له: أنت ما كفرت بالطاغوت، الكفر بالطاغوت من لازمه معاداة أعداء اللَّه وبغض أعداء اللَّه ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢]، ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا﴾ فتربصوا: يعني انتظروا ما يَحل بكم ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤] سماهم فاسقين خارجين عن

وهذه ملة إبراهيم الَّتِي سفه نفسه من رغب عنها [٧].

وهذه هي الأسوة الَّتِي أخبر اللَّه بِهَا فِي قوله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الْمُمتحنة: ٤] [٨].

طاعة اللَّه ﷻ.

فلابد من الْمُوالاة فِي اللَّه والْمُعاداة فِي اللَّه، فالذي عنده الناس سواء؛ لَمْ يكفر بالطاغوت، إنَّمَا يكفر بالطاغوت من والى فِي اللَّه وعادى فِي اللَّه، وأحب فِي اللَّه وأبغض فِي اللَّه ﷻ.

[٧] اللَّه -جل وعلا- بعث نبيه مُحمدًا ﷺ بملة إبراهيم، الَّتِي هي إفراد اللَّه بالعبادة وترك ما سواه، والبغض فِي اللَّه، والْحُب فِي اللَّه، ملة إبراهيم عليه السلام كما قال اللَّه تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الْمُمتحنة: ٤]. هذه ملة إبراهيم: معاداة أعداء اللَّه، والبراءة منهم ومن دينهم، فمن لَمْ يتبرأ منهم فإنه ليس على ملة إبراهيم، بل إن إبراهيم تبرأ من أبيه، ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤]. هذه ملة إبراهيم: الْحُب فِي اللَّه، والكره فِي اللَّه.

[٨] **الأسوة**: معناها القدوة، وأول السورة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِىۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ إلَى قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الْمُمتحنة: ١-٤] هذا هو التوحيد، وهذه هي عبادة اللَّه، وهذا هو الكفر بالطاغوت، ما يكفي أنك تقول: أنا أكفر بالطاغوت، ولكن لا تنفذ هذا فِي أفعالك ولا تعتقده بقلبك، فهذا لا يكفي.

والطاغوت عام، فكل ما عُبد من دون اللَّه ورضي بالعبادة من معبود أو متبوع أو مطاع فِي غير طاعة اللَّه ورسوله فهو طاغوت [٩].

والطواغيت كثيرة ورءوسهم خمسة [١٠]:

الأول: الشيطان الداعي إِلَى عبادة غير اللَّه، والدليل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٠] **[١١].**

---

[٩] (فكل ما عُبد من دون اللَّه) ورضي بالعبادة، فإنه يُسمى طاغوتًا من الطغيان، وهو الْخُروج عن الْحَد.

فالمعبود من الأصنام والأوثان والأشخاص إذا رضي بذلك أو الْمَتبوع فِي غير طاعة اللَّه، الذين يتبعون الكفار ويتبعون أهل الضلال، هؤلاء لَمْ يكفروا بالطاغوت؛ لأن الواجب أن يتبعوا رسول اللَّه ﷺ، فالذي يتبع أحدًا غير رسول اللَّه ﷺ فإنه لَمْ يكفر بالطاغوت؛ لأن اللَّه أوجب علينا اتباع الرسول ﷺ، ولا نتبع غيره -عليه الصلاة والسلام-.

فالذين يُحرِّمون الْحَلال، ويُحللون الْحَرام هؤلاء يَجب أن نعصيهم ولا نطيعهم، ما نطيع إلا بطاعة اللَّه ﷻ، ولِهذا يقول النَّبِي ﷺ: «**لا طاعة لِمخلوق فِي معصية الخالق**» فلا يَجوز لنا أن نطيع مَخلوقًا إلا فِي طاعة اللَّه، إذا كان مطيعًا للَّه أطعناه، فإذا أمرنا بِمعصية اللَّه فإننا نعصيه ولا نوافقه.

[١٠] الطواغيت كثيرة: فكل من خرج عن طاعة اللَّه فهو طاغوت، وهذا لا حصر له، ولكن رءوس الطواغيت هم هؤلاء الْخَمسة.

[١١] (**الأول: الشيطان**) لأن أصل الطواغيت هو الشيطان، ومثله طواغيت الإنس، شياطين الإنس الذين يُحسِّنون للناس عبادة غير اللَّه، ويسمونها بأسماء خادعة، يسوغون للناس الذبح لغير اللَّه، والنذر لغير اللَّه، والاستغاثة بغير اللَّه، ودعاء الْمَوتى، يسوغون هذا، ويسمونه بأسماء يَخدعون الناس بها، هؤلاء طواغيت.

الثاني: الحاكم الجائر المغير لأحكام اللَّه تعالى [١٢].

وعبادة الشيطان تكون بطاعته، فمن أطاعه فقد عبده، على اختلاف أنواع هذه العبادة، منها ما يصل إِلَى حد الكفر والشرك، ومنها ما هو دونها بِحسب طاعة الشيطان، فكل الْمَعاصي طاعة للشيطان وأشدها الشرك، ويساعده شياطين الإنس من علماء الضلال الذين يدعون الناس إِلَى عبادة غير اللَّه ﷻ، ويسمونها بغير الشرك، يسمونها توسلًا، أو يسمونها الْمَحبة للصالحين، أو بغير ذلك من أنواع الأسماء الخداعة، فهؤلاء من أعوان الشيطان، اللَّه أخبر أن الجن لَهم شياطين، وأن الإنس لَهم شياطين، ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢]. يساعدون على إضلال بنِي آدم، هذا هو النوع الأول من الطواغيت: الشيطان، ومن سار فِي ركاب الشيطان، حَتَّى ولو قال الإنسان: أنا ما أعبد الشيطان.

نقول: إذا أطعته، وانقدت له فقد عبدته، شئت أم أبيت، الذي لا يعبد الشيطان هو الذي يُخالفه ويعصيه، هذا هو الذي لا يعبد الشيطان، لكن قد تكون عبادة الشيطان تصل إِلَى الكفر الْمُخرج من الملة، وتكون دون ذلك، ولكنها كلها طاعة للشيطان.

[١٢] **الثاني: من حكم بغير ما أنزل اللَّه**، هذا يعم كل من حكم بغير ما أنزل اللَّه بين الناس فِي الخصومات والْمُنازعات، حكم بينهم بالقانون أو بعوائد البدو والسلوم الَّتِي عليها البدو والقبائل، وأعرض عن كتاب اللَّه، هذا هو الطاغوت، يَحكمون بغير ما أنزل اللَّه، ويدَّعون أن هذا من الإصلاح والتوفيق بين الناس، هذا كذب، الإصلاح لا يكون إلا بكتاب اللَّه، والتوفيق بين الناس والْمُؤمنين لا يكون إلا بكتاب اللَّه ﷻ: ﴿فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ

والدليل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠] **[١٣]**.

الثالث: الذي حكم بغير ما أنزل اللَّه، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤] **[١٤]**.

جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٢-٦٤] لو أنَّهم تابوا إِلَى اللَّه، (وجاءوك) هذا فِي حياة النَّبي ﷺ.

أما بعد موته فلا يُذهب إِلَى قبره، الإنسان إذا أذنب يتوب إِلَى اللَّه ويستغفر فِي أي مكان، واللَّه غفور رحيم، ولا يَحتاج أن يذهب إِلَى قبر الرسول كما يقول الْمُخرفون الآن، إن هذا يدل على أن الْمُذنب يذهب عند القبر ويطلب من الرسول الْمُسامحة ويستغفر عند القبر، هذا كذب، الرسول ما أمر أن يُستغفر عند قبره، ولا الصحابة كانوا يذهبون إِلَى قبر الرسول ليستغفروا، كانوا يتوبون إِلَى اللَّه فِي أي مكان، لا يَحتاج إِلَى أنك تذهب إِلَى قبره، ولكن هذا فِي حياة الرسول؛ لأنَّهم أساءوا فِي حق الرسول، حيث انصرفوا عن التحاكم إليه، فهذه إساءة فِي حق الرسول ﷺ، فهم يذهبون ويعتذرون عند الرسول بعد التوبة إِلَى اللَّه ﷻ، فكان هذا فيه مُخالفة للَّه، ومُخالفة للرسول، فالْمُخالفة فِي حق اللَّه لَها الاستغفار، والْمُخالفة فِي حق الرسول يذهبون إليه ويطلبون منه المسامَحة والعفو عنهم؛ لأنَّهم أخطئوا فِي حقه ﷺ.

[١٣] هذا الدليل على أن من حكم بغير ما أنزل اللَّه فهو طاغوت فِي قوله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٦٠].

فالطاغوت قيل: هو الشيطان، وقيل: هو كعب بن الأشرف اليهودي، وقيل إنَّهم الكهان؛ لأن العرب عندهم لكل قبيلة كاهن يَحكم بينهم.

[١٤] فالآية حكمت عليه بالكفر، وهذا إذا تعمد الحكم بغير ما أنزل اللَّه،

الرابع: الذي يدعي علم الغيب من دون اللَّه.

والدليل قوله تعالى: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الجن: ٢٦] [١٥].

﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ [الجن: ٢٧] [١٦].

وجعل الْمَحاكم تَحكم بغير ما أنزل اللَّه بقوانين وضعية، وألغى الشريعة وقصرها على الأحوال الشخصية فقط، وأما الْمُنازعات بين الناس والْخُصومات فيحكم فيها القانون، هذا كافر.

ويستثنى من ذلك:

أولًا: من حكم بغير ما أنزل اللَّه بسبب اجتهاد وأخطأ فِي اجتهاده، وهو أهل لاجتهاده فهذا مأجور ومغفور له خَطَؤُه.

الثاني: مَن حكم بغير ما أنزل اللَّه وهو يعلم أنه مُخالف، ولكن حكم به لِهوى فِي نفسه أو لطمع فِي مال أو رشوة، وهو يعتقد أنه يَجب الْحُكم بِمَا أنزل اللَّه، يعتقد هذا ويعتقد أنه مُخالف فهو مذنب وعاصٍ، صاحب كبيرة.

[١٥] هؤلاء هم الكهان فهم طواغيت، ولا يَجوز التحاكم إليهم، ولا يَجوز الذهاب إليهم وسؤالُهم؛ لأن بعض الناس يذهب إليهم إذا ضاع له شيء، ويسألُهم عن الذي ضاع له، ويسألهم من الذي سحره، أو يسألهم عن أهله إذا كانوا غائبين، ما حالتهم، أو عن أمواله الضائعة، فهذا يكفر إذا صدقهم، لقوله ﷺ: «**من أتى كاهنًا فصدقه بِمَا يقول فقد كفر بِمَا أنزل على مُحَمَّد**» وإن كان لَم يصدقهم فإنه لا تقبل له صلاة أربعين يومًا، فمجرد ذهابه إليهم معصية كبيرة، لا تُقبل له صلاة أربعين يومًا عقوبة له على ذهابه إليهم.

[١٦] ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الْجِن: ٢٧] سواءٌ كان رسولًا من الْمَلائكة أو من البشر، فإن اللَّه قد يطلعه على شيء من الغيب لِمصالح العباد، وليكون

وقال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩] [١٧].

الْخَامس: الذي يُعبد من دون اللَّه وهو راضٍ بالعبادة.

والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَـٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٢٩] [١٨].

واعلم أن الإنسان لا يصير مؤمنًا باللَّه إلا بالكفر بالطاغوت.

معجزة للرسول، ويكون مع الرسول رصد من الْمَلائكة.

[١٧] عنده -جل وعلا- علم الغيب الخاص والعام، الخاص: مفاتح الغيب، هذه لا يعلمها أحد لا ملَك مقرب ولا نبي مرسل، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ﴾ [لقمان: ٣٤]. هذا لا يدري عنه أحد إلا اللَّه -جل وعلا-، هذا فِي الغيب، ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ﴾ [الأنعام: ٥٩].

﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ﴾ [الأنعام: ٥٩] هذا العلم العام.

﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩] هذا علم اللَّه الشامل لكل شيء، ومع علمه بكل شيء كتب هذه الأشياء فِي اللوح الْمَحفوظ، علمها أولًا، وأحاط بِهَا، ثُمَّ كتبها فِي اللوح الْمَحفوظ.

[١٨] بِهذا القيد (وهو راضٍ بالعبادة)، أما الذي يُعبد من دون اللَّه وهو غير راضٍ فهذا لا يُسمى طاغوتًا، يَخرج بذلك الْمَلائكة والأنبياء والصالِحون، أولياء اللَّه الصالِحون لا يدخلون فِي الطواغيت؛ لأنَّهم لَمْ يرضوا بِهَا، بل كانوا ينهون عنها فِي حياتهم، وإنَّما حصل هذا بعد موتهم وغيبتهم عن الناس.

والدليل قوله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. **الرشد: دين مُحَمَّد ﷺ، والغي: دين أبِي جهل، والعروة الوثقى: شهادة أن لا إله إلا اللَّه، وهي متضمنة للنفي والإثبات، تنفي جميع أنواع العبادة عن غير اللَّه تعالَى، وتثبت جميع أنواع العبادة كلها للَّه وحده لا شريك له [١٩].**

---

[١٩] والعروة الوثقى هي لا إله إلا اللَّه، تسمى العروة الوثقى، وتسمى كلمة التقوى، وتسمى كلمة الإخلاص.

﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ﴾ ما هو الرشد؟ هو دين مُحَمَّد -عليه الصلاة والسلام-، ودين كل الأنبياء، هذا هو الرشد، والغي: دين أبِي جهل، ودين جميع الكفار، ولكن ذكر شهادة أن لا إله إلا اللَّه (هي الْمُتضمنة للنفي والإثبات) النفي فِي قوله: (لا إله)، والإثبات فِي قوله: (إلا اللَّه).

(تنفي جميع أنواع العبادات عن غير اللَّه تعالى، وتثبت جميع أنواع العبادة فِي الدنيا والآخرة له وحده لا شريك له) هذا معنى شهادة أن لا إله إلا اللَّه، أنَّها تنفي العبادة عما سوى اللَّه، وتثبتها للَّه ﷻ؛ لأنها حق للَّه، ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. فالعبادة حق للَّه، ليس لأحد فيها استحقاق، ليس من حق أحد أن يَعبد غير اللَّه -جل وعلا-.

وصلى اللَّه على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم

* * *

الأسئلة

*** سؤال: أثابكم اللَّه، ما حكم من لديه قابلية لِما يُسمى معاديل فِي الأمم الْمُتحدة؟**

الجواب: الْحَمد للَّه، اللَّه أغنى المسلمين بالشرع، والْمَحاكم موجودة وللَّه الْحَمد، ففي كل مقاطعة، وفِي كل مُحافظة، بل فِي كل مدينة من الْمُدن مَحكمة شرعية، فالواجب التحاكم إِلَى شرع اللَّه ﷻ، وترك التحاكم إِلَى أعراف القبائل وعادات القبائل سواءٌ يسمونها معاديل أو غير معاديل ما يَجوز هذا.

والإصلاح بينهم بالعدل مع تراضيهم من غير إكراه، ومن غير إجبار إذا رضي الطرفان بالصلح، فالنبي ﷺ يقول: «**الصلح جائز بين المسلمين**» الصلح عن تراضٍ وفيه عدل: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤]. إذا كان الصلح عادلًا ما فيه هوى مع أحد وفيه تراضٍ بين الطرفين لا بأس بذلك، أما أنهم يلزمون بهذه الأحكام الجاهلية، يُلزمون بها ويتحاكمون إليها هذا هو الطاغوت.

*** سؤال: أثابكم اللَّه، هل يَجب بغض أهل الكبائر وإن كانوا من الأقارب؟**

الجواب: قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ﴾ [الْمُجادلة: ٢٢]. هل هناك أقرب من الأب؟ ومن الأب والابن، إذا كان عدوًّا للَّه تبرأ منه، ولو كان أباك.

*** سؤال: أثابكم اللَّه، هل قول البعض: الْحَمد للَّه الذي لا يُحمد على مكروه سواه، صحيح؟**

الجواب: لا أعرف لِهذا أصلًا، ولكن يقول: الْحَمد للَّه على كل حال، أما لا يُحمد على مكروه سواه، أنا ما أعلم لِهذا أصلًا، وإن كان جاريًا على ألسنة بعض الناس.

* **سؤال: من هم الصوفية؟ وهل هم موجودون الآن؟**

الجواب: أصل الصوفية العُباد الذين اجتهدوا فِي العبادة والزهد، فأصلهم الزهاد الذين يَجتهدون فِي العبادة والزهد والتخلي عن الدنيا، هذا فِي أول الأمر، وكانوا فِي أول الأمر على استقامة، ولكن عملهم هذا وانقطاعهم الانقطاع الشديد هذا ليس بِمحمود، من البداية ليس بِمحمود من كل وجه، ولكن ما كان عندهم شرك، ولا كان عندهم غلو، ولكن فيما بعد تطور التصوف إِلَى أن دخله الشرك، ودخله الكفر، وصاروا يعتقدون أن العارف باللَّه، الذي عرف اللَّه أنه وصل إِلَى اللَّه، وليس بِحاجة إِلَى اتباع الرسول ﷺ، وأنه يأخذ عن اللَّه مباشرة، ويأمرهم وينهاهم ويطيعونه.

ويقولون: المريد مع شيخه مثل الميت مع غاسله، لا يعترض عليه بشيء، يَقبل منه أي شيء يأمره به، تطور التصوف إِلَى هذا الْحَد، وهذا بلا شك أنه كفر والعياذ باللَّه، بل تطور إِلَى القول بوحدة الوجود، بأن الكون كله هو اللَّه، وأنه ليس فيه انقسام وأن الذي يقول: الكون فِيه خالق ومَخلوق مشرك، والتوحيد معناه أنك تعتقد أن الكون كله هو اللَّه، وأن كل من عبد شيئًا، فهو قد عبد اللَّه، الذين يعبدون الأصنام، والذين يعبدون الأشجار والأحجار كلهم يعبدون اللَّه؛ لأنَّهم يعبدون شيئًا من هذا الكون، هذا تطور إليه منهج التصوف والعياذ باللَّه عند ابن عربي والْحَلاج والتلمساني وابن سبعين وغيرهم من طغاتهم، وصل بِهم الْحَد إِلَى هذا الكفر الشنيع.

والصوفية الآن أغلب عباداتهم بدع ما فيها شيء مشروع، يتمشون على البدع، وما يأمرهم به ساداتهم، فإنهم يفعلونه، لا يقولون: الواجب أننا نتبع

الرسول ﷺ، يقولون: الرسول للعوام، أما نَحن نتبع الخواص.

ومنهم من يقول: إنه إذا وصل إِلَى حد من الْمَعرفة فليس عليه تكاليف، لا عليه صلاة ولا صوم ولا حج؛ لأنه وصل ولا يَحرم عليه شيء، لا يَحرم عليه زنا، ولا لواط، لأنه زال عنه التكليف، وقد وصل إِلَى اللَّه، فهل بعد هذا الكفر كفر والعياذ باللَّه؟! هذا منتهى الكفر، وأن مشايخهم يتصرفون فِي الكون، مشايخ الطرق يتصرفون فِي الكون، يُحيون ويُميتون ويعطون ويَمنعون، هذا التصوف وهذا ما آل إليه.

وهكذا الضلال يبدأ أول شيء بِهذا الشكل وبنية حسنة، ثُمَّ يتطور إِلَى أن يَخرج إِلَى النهاية القبيحة، فزهدهم لَمَّا كان مُخالفًا لطريقة الرسول ﷺ تطور إِلَى هذا الحد، أما الذين تَمسكوا بِمَا جاء به الرسول ﷺ فِي عباداتهم، الْحَمد للَّه ما تغير منهم شيء، ولا حصل منهم مُخالفة؛ لأنَّهم يسيرون على الطريق الصحيح، أما الذي يسير على البدع والْمُحدثات، هذه نهايته والعياذ باللَّه.

*** سؤال: أثابكم اللَّه، وما هو الفرق بين من غَيَّر حكم اللَّه والذي يَحكم بغير ما أنزل اللَّه؟**

الجواب: كله سواء، ولكن هذا من باب التشنيع عليه؛ لأنه إذا حكم بغير ما أنزل اللَّه فقد غَيَّر حكم اللَّه، وإذا حكم بغير ما أنزل اللَّه فهو جائر؛ لأن العدل فِي حكم اللَّه، والجور فِي غير حكم اللَّه سبحانه وتعالى.

*** سؤال: أثابكم اللَّه، إذا اهتم المسلم بالأركان والأذكار وابتعد عن الفواحش ووسائل الشرك، ولكن ابتلي بالتهاون بالنظر إِلَى الْمُحرمات وسماع الأغاني؟**

الجواب: هذه كبائر، النظر إِلَى ما حرم اللَّه واستماع ما حرم اللَّه يُعد من الكبائر فعليه التوبة إِلَى اللَّه، ولكن ما يُخرجه ذلك من الدين، ولكن يعتبر عاصيًا وصاحب كبيرة، ولكن إذا تاب إِلَى اللَّه تاب اللَّه عليه.

*** سؤال: سؤال من عبد اللَّه من اليمن، يقول: إن التمائم والتولة شرك، هذا الْحَدِيث، ما هي التمائم وما هي التولة، جزاكم اللَّه خيرًا؟**

الجواب: قال ﷺ: «**إن الرُّقى والتمائم والتولة شرك**» والرقى: المراد بها رقى الجاهلية التي فيها دعاء لغير اللَّه ﷻ، واستغاثة بالجن والشياطين وغير ذلك، هذه شرك مُحرمة؛ لأن فيها دعاء لغير اللَّه، أما الرقى التي من القرآن، أو من الأدعية الشرعية فهذه لا بأس بها.

والتمائم: ما يُعلق، التمائم كل ما يُعلق على الأبدان أو على الْمَحلات أو على السيارات لاتقاء العين بزعمهم، فيعلقونها على أبدانهم أو على مُمتلكاتهم يتقون بِهَا العين بزعمهم، فهذا منهي عنه؛ لأنه شرك كما قال ﷺ: «**إن الرُقى والتمائم والتولة شرك**» لأن فيه اعتمادًا على غير اللَّه ﷻ فِي رفع البلاء أو دفعه، فهو شرك كما سماه النبي ﷺ.

والتولة: شيء يصنعونه يزعمون أنه يُحبب المرأة إلى زوجها أو الزوج إلى امرأته، وهذا من عمل السحرة، كما قال ﷻ: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا﴾ يعني من السحرة ﴿مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ [البقرة: ١٠٢]. هذه هي التولة.

* * *

شرح
القواعد الأربع



اعتنى بإخراج هذا الكتاب في طباعته للمرة الأولى

خالد بن قاسم الردادي

غفر الله له ولوالديه والمسلمين



أسأل اللَّه الكريم رب العرش العظيم أن يتولاك فِي الدنيا والآخرة، وأن يَجعلك مباركًا أينما كنت، وأن يَجعلك مِمَّن إذا أُعطي شكر، وإذا ابتُلي صبر، وإذا أذنب استغفر، فإن هؤلاء الثلاث عنوان السعادة [١].

---

[١] هذه «القواعد الأربع» الَّتِي ألّفها شيخُ الإسلام مُحَمَّد بن عبد الوهّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ

وهي رسالة مستقلّة، ولكنها تُطبع مع «ثلاثة الأصول» من أجل الحاجة إليها لتكون فِي متناوَل أيدي طلبة العلم.

و(**القواعد**) جمع قاعدة، والقاعدة هي: الأصل الذي يتفرَّع عنه مسائلُ كثيرة أو فروعٌ كثيرة.

ومضمون هذه القواعد الأربع التي ذكرها الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: معرفة التوحيد ومعرفة الشرك.

وما هي القاعدة فِي التوحيد؟ وما هي القاعدة فِي الشرك؟ لأنّ كثيرًا من الناس يتخبّطون فِي هذين الأمرين، يتخبّطون فِي معنى التوحيد ما هو؟ ويتخبّطون فِي معنى الشرك، كلٌّ يفسِّرهما على حسَب هواه.

ولكن الواجب: أنّنا نرجع فِي تقعيدنا إِلَى الكتاب والسنّة، ليكون هذا التقعيد تقعيدًا صحيحًا سليمًا مأخوذًا من كتاب اللَّه وسنّة رسوله ﷺ، لاسيّما فِي هذين الأمرين العظيمين: التوحيد والشرك.

والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لَمْ يذكر هذه القواعد من عنده أو مِنْ فكره كما يفعل ذلك كثيرٌ من الْمتخبِّطين، وإنَّما أخذ هذه القواعد من كتاب اللَّه ومن سنّة رسول اللَّه ﷺ وسيرته.

فإذا عرفت هذه القواعد وفهمتها سهُل عليك بعد ذلك معرفة التوحيد الذي بعث اللَّه به رسله وأنزل به كتبه، ومعرفة الشرك الذي حذّر اللَّه منه وبيَّن خطره وضرره فِي الدنيا والآخرة.

وهذا أمرٌ مهمّ جدًّا، وهو ألزم عليك من معرفة أحكام الصلاة والزكاة والعبادات وسائر الأمور الدينيّة، لأن هذا هو الأمر الأوّلي والأساس، لأنّ الصلاة والزكاة والحج وغيرها من العبادات لا تصحّ إذا لَمْ تُبنَ على أصل العقيدة الصحيحة، وهي التوحيد الخالص للَّه ﷻ.

وقد قدّم رَحِمَهُ اللَّهُ لِهذه القواعد الأربع بِمقدِّمة عظيمة فيها الدعاء لطلبة العلم، والتنبيه على ما سيقوله، حيث قال: «**أسأل اللَّه العظيم ربّ العرش الكريم أن يتولاّك فِي الدنيا والآخرة، وأن يَجعلك مباركًا أينما كنت، وأن يَجعلك مِمَّن إذا أُعطي شكر، وإذا ابتُلي صبر، وإذا أذنب استغفر، فإنّ هذه الثلاث هي عنوان السعادة**».

هذه مقدّمة عظيمة، فيها دعاءٌ من الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ لكلّ طالبِ علم يتعلَّم عقيدته يريد بذلك الحق، ويريد بذلك تَجنُّب الضلال والشرك، فإنه حَرِيٌّ بأن يتولاه اللَّه فِي الدنيا والآخرة.

وإذا تولاّه اللَّه فِي الدنيا والآخرة فإنه لا سبيل إلَى المكاره أن تصل إليه، لا فِي دينه ولا فِي دنياه، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، فإذا تولاَّك اللَّه أخرجك من الظُّلمات -ظلمات الشرك والكفر والشُّكوك والإلْحاد- إلَى نور الإيْمان والعلم النافع والعمل الصالح، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [مُحَمَّد: ١١].

فإذا تولَّاك اللَّه برعايته وبتوفيقه وهدايته فِي الدنيا وفِي الآخرة؛ فإنّك تسعد سعادة لا شقاء بعدها أبدًا، فِي الدنيا يتولاّك بالْهداية والتوفيق والسير على المنهج السليم، وفِي الآخرة يتولاّك بأن يُدخلك جنّته خالدًا مُخلَّدًا فيها لا خوف

ولا مرض ولا شقاء ولا كبَر ولا مكارِه، هذه وَلاية اللَّه لعبده المؤمن فِي الدنيا والآخرة.

قال: (وأن يَجعلك مبارَكًا أينما كنت) إذا جعلك اللَّه مباركًا أينما كنت فهذا هو غاية الْمَطالب، يَجعل اللَّه البركة فِي عمرك، ويَجعل البركة فِي رزقك، ويَجعل البركة فِي علمك، ويَجعل البركة فِي عملك، ويَجعل البركة فِي ذريَّتك، أينما كنت تصاحبك البركة، أينما توجَّهت، وهذا خيرٌ عظيم، وفضلٌ من اللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال: (وأن يَجعلك مِمَّن إذا أُعطيَ شكر) خلاف الذي إذا أُعطي كفر النعمة وبطرها، فإنّ كثيرًا من الناس إذا أُعطوا النعمة كفَروها وأنكروها، وصرفوها فِي غير طاعة اللَّه عَزَّ وَجَلَّ، فصارت سببًا لشقاوتهم، أمّا مَن يشكُر فإنَّ اللَّه يزيده: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

واللَّه -جل وعلا- يزيد الشّاكرين من فضله وإحسانه. فإذا أردت المزيد من النعم فاشكر اللَّه عَزَّ وَجَلَّ، وإذا أردت زوال النعم فاكفُرها.

قال: (وإذا ابتُلي صبر) اللَّه -جل وعلا- يبتلي العباد، يبتليهم بالمصائب، يبتليهم بالمكاره، يبتليهم بالأعداء من الكفَّار والْمُنافقين، فيحتاجون إلى الصبر وعدم اليأس وعدم القنوط من رحمة اللَّه، ويَثبُتون على دينهم، ولا يتزحزحون مع الفِتَن، أو يستسلمون للفتن، بل يَثبُتون على دينهم، ويصبرون على ما يقاسون من الأتعاب فِي سبيلها، بِخلاف الذي إذا ابتُلي جزع وتسخَّط وقنِط من رحمة اللَّه عَزَّ وَجَلَّ فهذا يُزاد ابتلاءً إلى ابتلاء ومصائب إلى مصائب، قال ﷺ: «**إنّ اللَّه إذا أحبّ قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا ومن سخط فعليه السخط**»[1].

---

(١) أخرجه الترمذي فِي الزهد، باب ما جاء فِي الصبر على البلاء (٤/ ٦٠١)، وابن ماجه فِي الفتن، باب الصبر على البلاء، رقم (٤٠٣١) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
وقال الترمذي: «هذا حديثٌ غريبٌ».
وأخرجه أحمد (٥/ ٤٢٨) من حديث مَحمود بن لبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

«**وأعظم الناس بلاءً: الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل**»[(١)]، ابتُلي الرسل، وابتُلي الصدِّيقون، وابتُلي الشهداء، وابتُلي عباد اللَّه الْمُؤمنون، لكنهم صبروا، أما الْمُنافق فقد قال اللَّه فيه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ يعني: طرف ﴿فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١].

فالدنيا ليست دائمًا نعيمًا وتَرَفًا ومَلذَّات وسُرورًا ونصرًا، ليست دائمًا هكذا، اللَّه يداوِلُها بين العباد، الصحابة أفضل الأمة ماذا جرى عليهم من الابتلاء والامتحان؟، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، فلْيُوَطِّنِ العبدُ نفسه أنه إذا ابتُلي فإنّ هذا ليس خاصًّا به، فهذا سبق لأولياء اللَّه، فيوطِّن نفسه ويصبِر وينتظر الفرج من اللَّه تعالى، والعاقبة للمتَّقين.

قال: (وإذا أذنب استغفر) أمّا الذي إذا أذنب لا يستغفر ويستزيد من الذنوب فهذا شقي -والعياذ باللَّه-، لكن العبد الْمُؤمن كلَّما صدر منه ذنب بادر بالتوبة ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥]، ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ [النساء: ١٧]، والْجَهالة ليس معناها عدم العلم، لأن الجاهل لا يؤاخَذ، لكن الْجَهالة هنا هي ضدّ الْحِلْم، فكلّ مَنْ عصى اللَّه فهو جاهل بِمعنى ناقص الْحِلْم، وناقص العقليّة، وناقص الإنسانيّة، وقد يكون عالِمًا لكنه جاهل من ناحية أخرى، من ناحية أنه ليس عنده حِلم ولا ثبات فِي

(١) قطعةٌ من حديث أخرجه الترمذي فِي الزهد، باب ما جاء فِي الصبر على البلاء (٤/ ٦٠١-٦٠٢)، وابن ماجه فِي الفتن، باب الصبر على البلاء، رقم (٤٠٢٣)، وأحمد (١/ ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٨٠، ١٨٥)، والدارمي (٢/ ٣٢٠)، وابن حبّان فِي صحيحه (٧/ ١٣١- الإحسان)، والحاكم (١/ ٤١)، والبيهقي (٣/ ٣٧٢).

وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

اعلم -أرشدك اللَّه لطاعته- :

أن الْحَنيفية ملة إبراهيم أن تعبد اللَّه وحده مُخلصًا له الدين.

كما قال تعالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] [٢].

الأمور: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ يعني: كلَّما أذنبوا استغفروا، ما هناك أحد معصوم من الذنوب، ولكن الْحَمد للَّه أنّ اللَّه فتح باب التوبة، فعلى العبد إذا أذنب أن يُبادِر بالتوبة، لكن إذا لَم يتب ولَم يستغفر فهذه علامةُ الشقاء.

وقد يقنط من رحمة اللَّه ويأتيه الشيطان ويقول له: ليس لك توبة.

هذه الأمور الثلاث: إذا أُعطي شكر، وإذا ابْتُلي صبر، وإذا أذنب استغفر هي عنوان السعادة، مَنْ وُفِّق لَها نال السعادة، ومن حُرِم منها -أو من بعضها- فإنّه شقيّ.

[٢] **(اعلم أرشدك اللَّه)** هذا دعاء من الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهكذا ينبغي للمعلم أن يدعو للمتعلم.

وطاعة اللَّه معناها: امتثال أوامره واجتناب نواهيه.

(أن الْحَنيفيّة ملة إبراهيم) اللَّه -جل وعلا- أمر نبيّنا باتّباع ملّة إبراهيم، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣].

الْحَنيفيّة: ملة الْحَنيف وهو إبراهيم -عليه الصلاة والسلام-، والْحَنيف هو: المقبل على اللَّه الْمُعرض عمَّا سواه، هذا هو الْحَنيف: الْمُقبل على اللَّه بقلبه وأعماله ونيَّاته ومقاصِده كلّها للَّه، الْمُعرِض عمّا سواه، واللَّه أمرنا باتّباع ملَّة إبراهيم: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الحج: ٧٨].

وملة إبراهيم: (أن تعبد اللَّه وحده مخلصًا له الدين) هذه الْحَنيفيّة، ما قال: (أن تعبد اللَّه) فقط، بل قال: «مُخلصًا له الدين» يعني: وتَجتنب الشرك، لأنّ

العبادة إذا خالطها الشرك بطلت، فلا تكون عبادة إلاّ إذا كانت سالِمةً من الشرك الأكبر والأصغر.

كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البيّنة: ٥] جميع: حنيف، وهو: الْمُخلص للَّه ﷻ.

وهذه العبادة أمر اللَّه بها جميع الْخَلْق (كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦])، ومعنى يعبدون: يُفْرِدوني بالعبادة، فالحكمة من خلق الخلق: أنهم يعبدون اللَّه ﷻ مخلصين له الدين، منهم من امتثل ومنهم من لَم يَمتثل، لكن الحكمة من خلقهم هي هذه، فالذي يعبُد غيرَ اللَّه مُخالِف للحكمة من خلق الخلق، ومُخالف للأمر والشرع.

وإبراهيم هو: أبو الأنبياء الذين جاءوا من بعده، فكلُّهم من ذريّته، ولِهذا قال -جل وعلا-: ﴿وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ﴾ [العنكبوت: ٢٧]، فكلهم من بني إسرائيل -حفيد إبراهيم عليه السلام-، إلا مُحمدًا ﷺ فإنه من ذرّية إسماعيل، فكلّ الأنبياء من أبناء إبراهيم -عليه الصلاة والسلام-، تكريمًا له.

وجعله اللَّه إمامًا للناس -يعني: قدوة- ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗا﴾ [البقرة: ١٢٤]. يعني: قدوة ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ﴾ [النحل: ١٢٠] يعني: إمامًا يُقتدى به.

وبذلك أمر اللَّه جميع الْخَلق، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، فإبراهيم دعا الناس إِلَى عبادة اللَّه ﷻ كغيره من النبيّين، كلّ الأنبياء دعوا الناس إِلَى عبادة اللَّه وترْك عبادة ما سواه، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وأما الشرائع الَّتِي هي الأوامر والنواهي والحلال والحرام فهذه تَختلف باختلاف الأمم حسب الحاجات، يشرع اللَّه شريعة ثُمَّ ينسخها بشريعة أخرى إِلَى أنْ جاءت شريعة الإسلام فنسخت جميع الشرائع وبقِيَتْ هي إِلَى أنْ تقوم

فإذا عرفت أن اللَّه خلقك لعبادته؛ فاعلم أن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد.

كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة.

فإذا دخل الشرك فِي العبادة فسدت، كالْحَدث إذا دخل فِي الطهارة [٣].

السّاعة، أما أصل دين الأنبياء -وهو التوحيد- فهو لَمْ يُنسخ ولن يُنسخ، دينهم واحد وهو دين الإسلام بِمعنى: الإخلاص للَّه بالتوحيد.

أما الشرائع فقد تَختلف، تُنسخ، لكن التوحيد والعقيدة من آدم إِلَى آخر الأنبياء كلهم يدعون إِلَى التوحيد وإلى عبادة اللَّه، وعبادة اللَّه.

طاعته فِي كلّ وقت بِمَا أمر به من الشرائع، فإذا نسخت صار العمل بالناسخ هو العبادة، والعمل بالمنسوخ ليس عبادة للَّه.

[٣] **(فإذا عرفتَ أن اللَّه خلقك لعبادته)** يعني: إذا عرفت من هذه الآية: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. وأنت من الإنس، داخلٌ فِي هذه الآية، وعرفت أن اللَّه ما خلقك عبثًا، أو خلقك لتأكل وتشرب فقط، تعيش فِي هذه الدنيا وتَسْرَحْ وتَمْرَحْ، لَم يَخلقك لِهذا، خلقك اللَّه لعبادته، وإنَّما سخَّر لك هذه الْمَوجودات من أجل أن تستعين بها على عبادته، لأنّك لا تستطيع أن تعيش إلا بهذه الأشياء، ولا تتوصّل إلى عبادة اللَّه إلا بهذه الأشياء، سخّرها اللَّه لك لأجل أنْ تعبده، ليس من أجل أن تفرح بها وتسرح وتَمْرَحْ وتفسُق وتفجُر تأكل وتشرب ما اشتهيت، هذا شأن البهائم، أمّا الآدميّون فاللَّه -جل وعلا- خلقهم لغايةٍ عظيمة وحكمة عظيمة وهي العبادة، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٧]، اللَّه ما خلقك لتكتسب له، أن تَحترف وتَجمع له مالًا، كما يفعل بنو آدم بعضهم لبعض يَجعلون عُمّالًا يَجمعون لَهم الْمَكاسب، لا، اللَّه غني عن هذا، واللَّه غني عن العالَمين، ولِهذا قال: ﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ

أَن يُطْعِمُونِ﴾ [الذاريات: ٥٧] اللَّه -جل وعلا- يُطعِم ولا يُطعَم، غنيّ عن الطعام، وغني -جل وعلا- بذاته، وليس هو فِي حاجة إلى عبادتك، لو كفرت ما نقصتَ ملك اللَّه، ولكن أنت الذي بِحاجة إليه، أنت الذي بِحاجة إلَى العبادة، فمن رحمته: أنه أمرك بعبادته من أجل مصلحتك، لأنّك إذا عبدته فإنه سبحانه وتعالى يُكرِمُك بالجزاء والثواب، فالعبادة سببٌ لإكرام اللَّه لك فِي الدنيا والآخرة، فمن الذي يستفيد من العبادة؟ المستفيد من العبادة هو العابِد نفسه، أما اللَّه -جل وعلا- فإنّه غنيّ عن خلقه.

قال: **(فاعلم: أن العبادة لا تسمّى عبادة إلاّ مع التوحيد، كما أنّ الصلاة لا تسمّى صلاةً إلا مع الطهارة)**.

إذا عرفت أن اللَّه خلقك لعبادته فإن العبادة لا تكون صحيحة يرضاها اللَّه سبحانه وتعالى إلا إذا توفّر فيها شرطان، إذا اختلّ شرطٌ من الشرطين بطلت:

الشرط الأوّل: أنْ تكون خالِصة لوجه اللَّه، ليس فيها شرك. فإنْ خالطها شركٌ بطلت، مثْل الطهارة إذا خالطها حدث بطلت، كذلك إذا عبدت اللَّه ثُمَّ أشركت به بطلت عبادتك. هذا الشرط الأوّل.

الشرط الثاني: الْمُتابَعة للرسول ﷺ، فأيّ عبادة لَمْ يأتِ بِهَا الرسول فإنّها باطلة ومرفوضة، لأنّها بدعة وخُرافة، ولِهذا يقول ﷺ: «**مَنْ عمِل عملًا ليس عليه أمرُنا فهو رَدّ**»(١)، وفِي رواية: «**مَنْ أحدَث فِي أمرنا هذا ما ليس منه فهو رَدّ**»(٢)، فلابدّ أنْ تكون العبادة موافقة لِمَا جاء به الرّسول ﷺ، لا باستحسانات الناس ونيّاتهم ومقاصدهم ما دام أنَّها لَمْ يدلّ عليها دليل من الشرع فهي بدعة

(١) أخرجه مسلم رقم: (١٧١٨) فِي الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة وردّ محدّثات الأمور، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه البخاري رقم: (٢٦٩٧) فِي الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، ومسلم رقم: (١٧١٨)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

فإذا عرفت أن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها وأحبط العمل وصار صاحبه من الْخَالدين فِي النار عرفت أن أهم ما عليك معرفة ذلك، لعلَّ اللَّه أن يُخلصك من هذه الشبكة، وهي الشرك باللَّه.

الذي قال اللَّه تعالَى فيه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨]. وذلك بِمعرفة أربع قواعد ذكرها اللَّه تعالَى فِي كتابه [٤]:

ولا تنفع صاحبها بل تضرّه لأنها معصية، وإنْ زعم أنه تقرّب بِهَا إِلَى اللَّه ﷻ.

فلابد فِي العبادة من هذين الشرطين: الإخلاص، والْمُتابعة للرّسول ﷺ حَتَّى تكون عبادة صحيحة نافعة لصاحبها، فإنْ دخلها شركٌ بطلتْ، وإذا صارت مبتدَعة ليس عليها دليل فهي باطلة أيضًا، بدون هذين الشرطين لا فائدة من العبادة، لأنّها على غير ما شرع اللَّه ﷻ، واللَّه لا يقبل إلا ما شَرع فِي كتابه أو على لسان رسوله ﷺ.

فلا هناك أحد من الْخَلق يَجب اتّباعه إلاّ الرسول ﷺ، أما ما عدا الرسول فإنه يُتْبَع ويُطاع إذا اتّبع الرسول، أما إذا خالف الرّسول فلا طاعة، يقول اللَّه تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩]، وأولو الأمر هم: الأمراء والعلماء، فإذا أطاعوا اللَّه وجبتْ طاعتهم واتّباعهم، أما إذا خالفوا أمر اللَّه فإنها لا تَجوز طاعتهم ولا اتّباعُهم فيما خالفوا فيه، لأنّه ليس هناك أحدٌ يُطاع استقلالًا من الْخَلق إلا رسول اللَّه ﷺ، وما عداه فإنّه يُطاع ويُتّبَع إذا أطاع الرّسول ﷺ واتّبَع الرسول، هذه هي العبادة الصحيحة.

[٤] (فإذا عرفتَ أن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها وأحبط العمل، وصار صاحبه من الخالدين فِي النار...) أي: ما دام أنك عرفتَ التوحيد وهو: إفراد اللَّه بالعبادة، يَجب أن تعرف ما هو الشرك، لأنّ الذي لا يعرف الشيء يقع فيه، فلابدّ أنك تعرف أنواع الشرك من أجل أن تتجنبها، لأنّ اللَّه حذَّر من الشرك وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨]، فهذا

القاعدة الأولَى: أن تعلم أن الكفار الذين قاتلهم رسول اللَّه ﷺ مقرون بأن اللَّه تعالى هو الْخَالق الْمُدبر، وأن ذلك لَم يدخلهم فِي الإسلام، والدليل قوله تعالَى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١] **[٥].**

الشرك الذي هذا خطرُه، وهو أنه يَحْرِمُ من الْجنّة: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ﴾ [الْمَائدة: ٧٢]، ويَحْرِمُ من الْـمَغفرة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨].

إذن؛ هذا خطرٌ عظيم، يَجب عليك أن تعرفه قبل أيّ خطر، لأنّ الشرك ضلّت فيه أفهام وعُقول؛ لنعرف ما هو الشرك من الكتاب والسنة، اللَّه ما حذّر من شيء إلا ويبيِّنُه، وما أمَر بشيء إلا ويُبيّنه للناس، فهو لن يُحرِّم الشرك ويتركه مجمَلًا، بل بيّنه فِي القرآن العظيم وبينه الرسول ﷺ فِي السنّة، بيانًا شافيًا، فإذا أردنا أن نعرف ما هو الشرك نرجع إلَى الكتاب والسنة حَتَّى نعرف الشرك، ولا نرجع إلَى قول فلان. وهذا سيأتي.

[٥] القاعدة الأولى: أن تعرف أن الكفّار الذين قاتلهم رسول اللَّه ﷺ كانوا مقرِّين بتوحيد الرّبوبيّة، ومع ذلك إقرارهم بتوحيد الربوبية لَمْ يُدخلهم فِي الإسلام، ولَم يحرِّم دماءهم ولا أموالهم.

فدلّ على أنّ التوحيد ليس هو الإقرار بالربوبيّة فقط، وأنّ الشرك ليس هو الشرك فِي الربوبيّة فقط، بل ليس هناك أحدٌ أشرك فِي الربوبيّة إلا شواذ من الخلق، وإلاّ فكل الأمم تُقِرّ بتوحيد الربوبية.

وتوحيد الربوبية هو: الإقرار بأنّ اللَّه هو الخالق الرازق الْمُحيي الْمُميت الْمُدبّر، أو بعبارة أخصر: توحيد الربوبية هو: إفراد اللَّه تعالى بأفعاله ﷻ.

فلا أحد من الخلق ادّعى أنّ هناك أحدًا يَخلُق مع اللَّه تعالى، أو يرزق مع اللَّه، أو يحيي أو يُميت، بل الْمُشركون مقرّون بأنّ اللَّه هو الخالق الرازق الْمُحيي الْمُميت الْمُدبّر: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]، ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ [الْمُؤمنون: ٨٦ - ٨٧]، اقرءوا الآيات من آخر سورة «الْمُؤمنون» تَجدون أنّ الْمُشركين كانوا مقرّين بتوحيد الربوبيّة، وكذلك فِي سورة يونس ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ [يونس: ٣١]، فهم مقرّون بِهذا.

فليس التوحيد هو الإقرار بتوحيد الربوبيّة كما يقول ذلك علماءُ الكلام والنظار فِي عقائدهم، فإنّهم يقرّرون بأنّ التوحيد هو الإقرار بأن اللَّه هو الخالق الرازق الْمُحيي الْمُميت، فيقولون: «واحد فِي ذاته لا قسيم له، واحد فِي صفاته لا شبيه له، واحدٌ فِي أفعاله لا شريك له» وهذا هو توحيد الربوبيّة، ارجعوا إِلَى أيّ كتاب من كتب علماء الكلام تَجدوهم لا يَخرجون عن توحيد الربوبيّة، وهذا ليس هو التوحيد الذي بعث اللَّه به الرسل، والإقرار بِهذا وحده لا ينفع صاحبه، لأنّ هذا أقرّ به الْمُشركون وصناديد الكَفَرة، ولَم يُخرجهم من الكفر، ولَم يُدخلهم فِي الإسلام، فهذا غلطٌ عظيم، فمن اعتقد هذا الاعتقاد ما زاد على اعتقاد أبِي جهل وأبِي لهب، فالذي عليه الآن بعض الْمثقّفين هو تقرير توحيد الربوبية فقط، ولا يتطرّقون إِلَى توحيد الألوهيّة، وهذا غلطٌ عظيم فِي مسمّى التوحيد.

وأما الشرك فيقولون: «هو أن تعتقد أنّ أحدًا يخلُق مع اللَّه أو يرزق مع اللَّه»، نقول: هذا ما قاله أبو جهل وأبو لَهب، ما قالوا: إن أحدًا يَخلُق مع اللَّه، ويرزُق مع اللَّه؛ بل هم مقرّون بأن اللَّه هو الخالق الرازق الْمُحيي الْمُميت.

القاعدة الثانية: أنهم يقولون: ما دعوناهم وتوجهنا إليهم إلا لطلب القربة والشفاعة.

فدليل القربة: قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ﴾ [الزمر: ٣] [٦].

---

[٦] **القاعدة الثانية**: أن الْمُشركين الذين سمّاهم اللَّه مشركين وحكم عليهم بالْخُلود فِي النار، لَمْ يشركوا فِي الربوبيّة وإنَّما أشركوا فِي الألوهية، فهم لا يقولون إنّ آلهتهم تَخلق وترزُق مع اللَّه، وأنهم ينفعون أو يضرّون أو يدبّرون مع اللَّه، وإنَّما اتَّخذوهم شفعاء، كما قال اللَّه تعالى عنهم: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: ١٨]، ﴿مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ﴾ هم معترفون بِهذا، إنهم لا ينفعون ولا يضرّون، وإنَّما اتّخذوهم شفعاء، يعني: وُسطاء عند اللَّه فِي قضاء حوائجهم، يذبَحون لَهم، وينذرون لَهم، لا لأنّهم يَخلقون أو يرزقون أو ينفعون أو يضرّون فِي اعتقادهم، وإنَّما لأنَّهم يتوسّطون لَهم عند اللَّه، ويشفعون عند اللَّه، هذه عقيدة الْمُشركين.

وأنت لَمَّا تناقش الآن قبوريًّا من القبوريّين يقول هذه الْمَقالة سواءً بسواء، يقول: أنا أدري أنّ هذا الوليّ أو هذا الرجل الصالح لا يضر ولا ينفع، ولكن هو رجلٌ صالح وأُريد منه الشفاعة لي عند اللَّه.

والشفاعة فيها حقّ وفيها باطل، الشفاعة الَّتِي هي حقّ وصحيحة هي ما توفّر فيها شرطان:

الشرط الأوّل: أن تكون بإذن اللَّه.

والشرط الثاني: أن يكون المشفوع فيه من أهل التوحيد، أي: من عُصاة الْمُوحدين.

ودليل الشفاعة: قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

والشفاعة شفاعتان: شفاعة منفية، وشفاعة مثبتة.

فالشفاعة الْمَنفية: ما كانت تطلب من غير اللَّه فيما لا يقدر عليه إلا اللَّه، والدليل قوله تعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤] [٧].

فإنِ اختلّ شرطٌ من الشرطين فالشفاعة باطلة، قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وهم عُصاة الْمُوحّدين، أما الكفّار والْمُشركون فما تنفعهم شفاعة الشافعين: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨].

فهؤلاء سمعوا بالشفاعة ولا عرفوا معناها، وراحوا يطلبونها من هؤلاء بدون إذن اللَّه ﷻ، بل طلبوها لِمن هو مشركٌ باللَّه لا تنفعه شفاعة الشافعين، فهؤلاء يَجهلون معنى الشفاعة الْحقّة والشفاعة الباطلة.

[٧] الشفاعة لَها شروط ولَها قُيود، ليست مطلَقة.

فالشفاعة شفاعتان: شفاعة نفاها اللَّه -جل وعلا-، وهي الشفاعة بغير إذنه ﷻ، فلا يشفع أحد عند اللَّه إلاّ بإذنه، وأفضل الخلق وخاتم النبيّين مُحمَّد ﷺ إذا أراد أن يشفع لأهل الْمَوقف يوم القيامة يَخرّ ساجدًا بين يدي ربّه ويدعوه ويَحمدُه ويُثني عليه، ولا يزال ساجدًا حَتَّى يُقال له: «**ارفع رأسك، وقل تُسْمَعْ، واشفع تُشَفَّعْ**»[١]، فلا يشفع إلا بعد الإذن.

---

(١) قطعةٌ من حديث طويل أخرجه البخاري رقم (٧٥١٠)، فِي التوحيد، باب كلام الربّ ﷻ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، ومسلم رقم (١٩٣) فِي الإيْمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها؛ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

والشفاعة الْمُثبتة هي: التِي تُطلَب من اللَّه.

والشافع مكرم بالشفاعة، والْمَشفوع له هو من رضي اللَّه قوله وعمله بعد الإذن، كما قال تعالَى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥] [٨].

والقاعدة الثالثة: أن النبِي ﷺ ظهر على أناس متفرقين فِي عباداتِهم: منهم من يعبد الْمَلائكة؛ ومنهم من يعبد الأنبياء والصالِحين؛ ومنهم من يعبد الأحجار والأشجار؛ ومنهم من يعبد الشمس والقمر، وقاتلهم رسول اللَّه ﷺ جميعًا ولَم يفرق بينهم [٩].

---

[٨] **والشفاعة الْمُثبتة**: هي الَّتِي تكون لأهل التوحيد، فالمشرك لا تنفعه شفاعة، والذي يقدِّم القرابين للقبور والنذور للقبور هذا مشرك لا تنفعه الشفاعة.

وخلاصة القول: أن الشفاعة الْمَنفية هي الَّتِي تطلب بغير إذن اللَّه، أو تطلب لِمشرك.

والشفاعة الْمُثبتة: هي الَّتِي تكون بعد إذن اللَّه، ولأهل التوحيد.

[٩] **القاعدة الثالثة**: أنّ النَّبِي ﷺ بُعث إِلَى أُناسٍ من الْمُشركين، منهم مَنْ يعبُد الْمَلائكة، ومنهم من يعبد الشمس والقمر، ومنهم من يعبد الأصنام والأحجار والأشجار، ومنهم من يعبد الأولياء والصالِحين.

وهذا من قبح الشرك أنّ أصحابه لا يَجتمعون على شيء واحد، بِخلاف الْمُوحّدين فإنّ معبودهم واحد ﷻ: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝٣٩ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ﴾ [يوسف: ٣٩-٤٠].

فمن سلبيّات الشرك وأباطيله: أنّ أهله متفرّقون فِي عباداتهم لا يَجمعهم ضابط، لأنّهم لا يسيرون على أصل، وإنَّما يسيرون على أهوائهم ودعايات الْمُضللين، فتكثُر تفرّقاتهم: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا

لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٢٩]، فالذي يعبد اللَّه وحده مثل الْمَملوك الذي يُعبِّده شخص واحد يرتاح معه، يعرف مقاصده ويعرف مطالبه ويرتاح معه، لكن المشرك مثل الذي له عدّة مالكين، ما يدري مَنْ يُرضي منهم، كلّ واحد له هوى، وكلّ واحد له طلب، وكل واحد له رغبة، كل واحد يريده أن يأتي عنده، ولِهذا قال سبحانه: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ﴾ يعني: يَملكه عدّة أشخاص، لا يدري مَن يُرضي منهم، ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾ مالكه شخص واحد، هذا يرتاح معه، هذا مَثَلٌ ضربه اللَّه للمشرك وللموحّد.

فالمشركون متفرّقون فِي عباداتهم، والنبِي ﷺ قاتلهم ولَم يفرِّق بينهم، قاتل الوثنيين، وقاتل اليهود والنصارى، وقاتل الْمَجوس، قاتل جميع الْمُشركين، وقاتل الذين يعبدون الْمَلائكة، والذين يعبدون الأولياء الصالِحين، لَمْ يفرِّق بينهم.

فهذا فيه ردٌّ على الذين يقولون: الذي يعبد الصنم ليس مثل الذي يعبد رجلًا صالِحًا ومَلَكًا من الْمَلائكة، لأنّ هؤلاء يعبدون أحجارًا وأشجارًا، ويعبدون جمادات، أما الذي يعبد رجلًا صالِحًا ووليًّا من أولياء اللَّه ليس مثل الذي يعبد الأصنام.

ويريدون بذلك أن الذي يعبد القبور الآن يَختلف حكمه عن الذي يعبد الأصنام، فلا يكفر، ولا يعتبر عمله هذا شركًا، ولا يَجوز قتاله.

فنقول: الرسول لَمْ يفرّق بينهم، بل اعتبرهم مشركين كلّهم، واستحلّ دماءهم وأموالَهم، ولَم يفرِّق بينهم، والذين يعبدون الْمَسيح، والْمَسيح رسول اللَّه، ومع هذا قاتلهم، واليهود يعبدون عُزيرًا، وهو من أنبيائهم، أو من صالِحيهم، قاتلهم رسول اللَّه ﷺ، لَمْ يفرِّق بينهم.

فالشرك لا تفريق فيه بين مَنْ يعبُد رجلًا صالِحًا أو يعبُد صنمًا أو حجرًا أو شجرًا، لأن الشرك هو: عبادة غير اللَّه كائنًا مَنْ كان، ولِهذا يقول: ﴿وَاعْبُدُوا

والدليل: قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣] [١٠].

ودليل الشمس والقمر: قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾ [فصلت: ٣٧] [١١].

ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦]، وكلمة ﴿شَيْـًٔا﴾ نكرة فِي سياق النهي تعمّ كلّ شيء، تعمّ كل مَنْ أُشرك مع اللَّه ﷻ من الْمَلائكة والرسل والصالِحين والأولياء، والأحجار والأشجار.

[١٠] قوله: (والدليل قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾) أي: الدليل على قتال الْمُشركين من غير تفريق بينهم حسب معبوداتهم؛ قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ﴾، وهذا عامّ لكل الْمُشركين، لَمْ يستثن أحدًا، ثُمَّ قال: ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ والفتنة: الشرك، أي: لا يوجد شرك، وهذا عامّ، أي شرك، سواءً الشرك فِي الأولياء والصالِحين، أو بالأحجار، أو بالأشجار، أو بالشمس، أو بالقمر.

﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ﴾: تكون العبادة كلها للَّه، ليس فيها شَرِكَةٌ لأحد كائنًا مَنْ كان، فلا فرق بين الشرك بالأولياء والصالِحين، أو بالأحجار أو بالأشجار، أو بالشياطين أو غيرهم.

[١١] دلّ على أنّ هناك مَن يسجُد للشمس والقمر، ولِهذا نهى الرسول ﷺ عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها[١] سدًّا للذريعة، لأنّ هناك مَن يسجُد للشمس عند طلوعها ويسجد لَها عند غروبها، فنهينا أنْ نصليَ فِي هذين الوقتين،

---

(١) كما فِي حديث عبد اللَّه بن عمر ﵄: أنّ رسول اللَّه ﷺ قال: «**لا يتحرّى أحدُكم، فيصلِّي عند طلوع الشمس، ولا عند غروبها**».

أخرجه البخاري رقم (٥٨٥) فِي الْمَواقيت، باب لا يتحرّى الصلاة قبل غروب الشمس، ومسلم رقم (٨٢٨) فِي الْمَساجد، باب الأوقات التي نهي عن الصلاة فيها.

ودليل الْمَلائكة: قوله تعالَى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا﴾ [آل عمران: ٨٠] [١٢].

ودليل الأنبياء: قوله تعالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [الْمَائدة: ١١٦] [١٣].

وإن كانت الصلاة للَّه، لكن لَمّا كان فِي الصلاة فِي هذا الوقت مشابهة لفعل الْمُشركين مُنِعَ من ذلك سدًّا للذريعة الَّتِي تُفضي إِلَى الشرك، والرسول ﷺ جاء بالنهي عن الشرك وسدّ ذرائعه الْمُفضية إليه(١).

[١٢] قوله: (ودليل الملائكة... إلخ) دلّ على أنّ هناك مَنْ عَبد الْمَلائكة والنبيّين، وأن ذلك شرك.

وعبّاد القبور اليوم يقولون: الذي يعبد الْمَلائكة والنبيّين والصالحين ليس بكافر.

[١٣] وقوله: (ودليل الأنبياء.... إلخ) هذا فيه دليل على أن عبادة الأنبياء شرك مثل عبادة الأصنام.

ففيه ردٌّ على من فرَّق فِي ذلك من عبّاد القبور.

فهذا فيه ردّ على هؤلاء الذين يقولون: إن الشرك عبادة الأصنام، ولا يسوَّى عندهم بين مَن عبد الأصنام وبين مَن عبد وليًّا أو رجلًا صالحًا، وينكرون التسوية بين هؤلاء، ويزعمون أنّ الشرك مقصورٌ على عبادة الأصنام فقط، وهذا من الْمُغالَطة الواضحة من ناحيتين:

الناحية الأولى: أنّ اللَّه -جل وعلا- فِي القرآن أنكر على الجميع، وأمر

---

(١) انظر: فتح الْمَجيد لشرح كتاب التوحيد (٢/ ٨٣٥-٨٣٩).

ودليل الصالحين: **قوله تعالى**: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ﴾ **الآية** [الإسراء: ٥٧] [١٤].

بقتال الجميع.

الناحية الثانية: أنّ النَّبِي ﷺ لَمْ يفرِّق بين عابِدِ صنمٍ وعابِدِ ملَك أو رجل صالح.

[١٤] (**ودليل الصالحين**) يعني: أنّ هناك مَن عبد الصالِحين من البشر: قوله تعالَى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧].

قيل: نزلت هذه الآية فيمن يعبد الْمَسيح وأمّه وعُزيرًا، فأخبر سبحانه أنّ الْمَسيح وأمه مريم، وعُزيرًا كلهم عبادٌ للّه، يتقرّبون إِلَى اللّه ويرجون رحمته ويَخافون عذابه، فهم عبادٌ مُحتاجون إِلَى اللّه مفتقرون إليه يدعونه ويتوسّلون إليه بالطّاعة ﴿يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: ٥٧]، يعنِي: القُرب منه -سبحانه- بطاعته وعبادته، فدلّ على أنَّهم لا يصلُحون للعبادة لأنّهم بشرٌ مُحتاجون، فقراء، يدعون اللّه، ويرجون رحمته، ويَخافون عذابه، ومَن كان كذلك لا يصلُح أن يُعبد مع اللّه ﷻ.

والقول الثاني: أنّها نزلت فِي أُناسٍ من الْمُشركين كانوا يعبدون نفَرًا من الجن، فأسلم الجن ولَم يعلم هؤلاء الذين يعبدونهم بإسلامهم، وصاروا يتقرّبون إِلَى اللّه بالطاعة والضَّراعة ويرجون رحمته ويَخافون عذابه، فهم عبادٌ مُحتاجون فقراء لا يصلُحون للعبادة.

وأيًّا كان الْمُراد بالآية الكريمة؛ فإنّها تدلّ على أنه لا يَجوز عبادة الصالِحين، سواءً كانوا من الأنبياء والصدِّيقين، أو من الأولياء والصالِحين، فلا تَجوز عبادتهم، لأنّ الكُل عبادٌ للّه فقراء إليه، فكيف يُعبدون مع اللّه -جل وعلا-؟!

والوسيلة معناها: الطاعة والقُرب، فهي فِي اللغة: الشيء الذي يوصِّل إِلَى الْمَقصود. فالذي يوصِّل إِلَى رضا اللّه وجنته هو الوسيلة إِلَى اللّه، هذه هي

الوسيلة الْمَشروعة فِي قوله تعالى: ﴿وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [الْمَائدة: ٣٥].

أما الْمُحرِّفون الْمخرِّفون فيقولون: الوسيلة: أنْ تَجعل بينك وبين اللَّه واسطة من الأولياء والصالِحين والأموات، تَجعلهم واسطة بينك وبين اللَّه ليقرِّبوك إِلَى اللَّه ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، فمعنى الوسيلة عند هؤلاء الْمخرّفين: أن تَجعل بينك وبين اللَّه واسطة تُعرِّف اللَّه بك وتنقُل له حاجاتك وتُخبره عنك، كأنّ اللَّه -جل وعلا- لا يعلم، أو كأن اللَّه -جل وعلا- بَخيل لا يعطي إلاّ بعدما يلحّ عليه بالوسائط -تعالى اللَّه عمّا يقولون-.

ولهذا يُشبِّهون على النّاس ويقولون: اللَّه -جل وعلا- يقول: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: ٥٧] فدلّ على أنّ اتّخاذ الوسائط من الْخَلق إِلَى اللَّه أمرٌ مشروع؛ لأنّ اللَّه أثنى على أهله، وفِي الآية الأخرى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ﴾ [الْمَائدة: ٣٥].

قالوا: إن اللَّه أمرنا أن نتّخذ الوسيلة إليه، والوسيلة معناها: الواسطة، هكذا يُحرّفون الكَلِم عن مواضعه، فالوسيلة الْمَشروعة فِي القرآن وفِي السنة هي: الطاعة الَّتِي تقرِّب إِلَى اللَّه، والتوسُّل إليه بأسمائه وصفاته ﷻ. هذه هي الوسيلة الْمَشروعة.

أما التوسُّل بالمخلوقين إِلَى اللَّه فهو وسيلةٌ مَمنوعة، ووسيلة شركيّة، وهي الَّتِي اتَّخذها الْمُشركون من قبل: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، هذا هو شرك الأوّلين والآخرين سواء بسواء، وإنْ سمّوه وسيلة فهو الشرك بعينه، وليس هو الوسيلة الَّتِي شرعها اللَّه ﷻ، لأنّ اللَّه لَمْ يَجعل الشرك وسيلة إليه أبدًا، وإنَّما الشرك مُبْعِدٌ عن اللَّه ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ

ودليل الأحجار والأشجار: قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٩-٢٠] [١٥].

أَنصَارٍ﴾ [الْمَائدة: ٧٢]. فكيف يُجعل الشرك وسيلة إِلَى اللَّه؟!! تعالى اللَّه عمّا يقولون.

الشّاهد من الآية: أنّ فيها دليلًا على أنّ هناك من الْمُشركين مَن يعبد الصالحين، لأنّ اللَّه بيّن ذلك، وبيّن أن هؤلاء الذين تعبدونهم هم عبادٌ فقراء ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ يعنِي: يتقرّبون إليه بالطّاعة ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ يتسابقون إِلَى اللَّه -جل وعلا- بالعبادة لفقرهم إِلَى اللَّه وحاجتهم ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ ومَن كان كذلك فإنّه لا يصلُح أن يكون إلَهًا يُدعى ويُعبد مع اللَّه ﷻ.

[١٥] **قوله: (ودليل الأحجار والأشجار.... إلخ)** فِي هذه الآية دليل أنّ هناك مَن يعبد الأحجار والأشجار من الْمُشركين.

فقوله: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ﴾ هذا استفهام إنكار، أي: أخبروني، من باب استفهام الإنكار والتوبيخ.

﴿ٱللَّٰتَ﴾ -بتخفيف التاء-: اسمُ صنمٍ فِي الطائف، وهو عبارة عن صخرة منقوشة، عليها بيتٌ مبني، وعليه ستائر، يضاهي الكعبة، وحوله ساحة، وعنده سَدَنَة، كانوا يعبدونها من دون اللَّه ﷻ، وهي لثقيف وما والاهم من القبائل، يفاخِرون بِهَا.

وقُرئ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ اللَّاتَّ﴾ -بتشديد التاء- اسم فاعل من (لَتَّ يلُتُّ)، وهو: رجلٌ صالح كان يلُتُّ السَّويق ويُطعمه للحُجَّاج، فلمَّا مات بنوا على قبره بيتًا، وأرْخوا عليه الستائر، فصاروا يعبدونه من دون اللَّه ﷻ، هذا هو اللّات.

﴿وَٱلْعُزَّىٰ﴾: شجرات من السَّلَم فِي وادي نَخلة بين مكّة والطائف، حَوْلَها بناء وستائر، وعندها سَدَنة، وفيها شياطين يكلّمون الناس، ويظنّ الْجهّال أنّ

هذا الذي يكلّمهم هو نفس هذه الشجرات أو هذا البيت الذي بنوه مع أنّ الذي تكلِّمهم هي الشياطين لتضلّهم عن سبيل اللَّه، وكان هذا الصنم لقريش وأهل مكّة ومَن حولَهم.

﴿وَمَنَوٰةَ﴾: صخرة كبيرة فِي مكان يقع قريبًا من جبل قُديد، بين مكّة والْمَدينة، وكانت لِخُزاعة والأوس والْخَزْرج، وكانوا يُحرمون من عندها بالحج، ويعبدونها من دون اللَّه.

فهذه الأصنام الثلاثة هي أكبر أصنام العرب.

قال اللَّه تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ﴾ هل أغنتكم شيئًا؟، هل نفعتكم؟ هل نصرتكم؟ هل كانت تَخلق وترزق وتُحيي وتُميت؟ ماذا وجدتم فيها؟ هذا من باب الإنكار وتنبيه العقول إِلَى أنْ ترجع إِلَى رشدها، فهذه إنَّمَا هي صخرات وشجرات ليس فيها نفع ولا ضر، مَخلوقة.

ولَمَّا جاء اللَّه بالإسلام وفتح رسول اللَّه ﷺ مكّة الْمُشرّفة أرسل الْمغيرة بن شُعبة وأبا سفيان بن حرْب إِلَى (اللاّت) فِي الطائف فهدماها بأمر رسول اللَّه ﷺ، وأرسل خالد بن الوليد إِلَى العزّى فهدمها وقطع الأشجار وقتل الجنيّة الَّتِي كانت فيها تُخاطِب الناس وتضلّهم، ومَحاها عن آخرها -والْحَمد للَّه-، وأرسل عليّ بن أبِي طالب إِلَى (مَناة) فهدمها ومَحاها[1]، وما أنقذت نفسها، فكيف تُنقذ أهلها وعُبّادها ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾ أين ذهبت؟ هل نفعتكم؟ هل منعت نفسها من جنود اللَّه وجيوش الْمُوحِّدين؟

فهذا فيه دليل على أنّ هناك مَن يعبد الأشجار والأحجار، بل إنّ هذه الأصنام الثلاثة كانت هي أكبر أصنامهم، ومع هذا مَحاها اللَّه من الوُجود، وما دفعت عنها ولا نفعت أهلها فقد غزاهم رسول اللَّه ﷺ وقاتلهم ولَم تَمنعهم

(١) انظر: زاد المعاد (٤/ ٤١٣-٤١٥).

وحديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال: «خرجنا مع النبي ﷺ إلَى حنين ونَحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم، يقال لَهَا: ذات أنواط، فمررنا بسدرة؛ فقلنا: يا رسول اللَّه، اجعل لنا ذات أنواط كما لَهُم ذات أنواط ...» الْحَديث(١) [١٦].

أصنامهم، فهذا فيه ما استدلّ له الشيخ رحمه الله أنّ هناك مَن يعبد الأحجار والأشجار.

يا سبحان اللَّه بشر عقلاء يعبدون الأشجار والأحجار الجامدة الَّتِي ليس فيها عقول وليس فيها حركة ولا حياة، أين عقول البشر؟ تعالى اللَّه عمّا يقولون علوًّا كبيرًا.

[١٦] عن أَبِي واقد الليثي رضي الله عنه- وكان مِمَّن أسلم عام الفتح على الْمَشهور سنة ثمانٍ من الْهجرة-.

يقال لَها: (ذاتُ أنواط)، والأنواط جمع نوط وهو: التعليق، أي: ذاتُ تعاليق، يعلِّقون بِهَا أسلحتهم للتبرّك بِهَا، فقال بعضُ الصحابة الذين أسلموا قريبًا ولَم يعرفوا التوحيد تَمامًا: «اجعل لنا ذاتَ أنواط كما لَهم ذاتُ أنواط» وهذه بليّة التقليد والتشبُّه، وهي من أعظم البلايا، فعند ذلك تعجّب النبي ﷺ وقال: «**اللَّه أكبر! اللَّه أكبر! اللَّه أكبر!**»، وكان ﷺ إذا أعجبه شيء أو استنكر شيئًا فإنّه يكبِّر، أو يقول: «**سبحان اللَّه**» ويكرِّر ذلك.

«**إنها السُّنَن**» أي: الطُّرُق التي يسلُكها الناس ويقتدي بعضهم ببعض، فالسبب الذي حملكم على هذا هو اتّباع سنن الأولين والتشبُّه بالْمُشركين.

---

(١) أخرجه الترمذي رقم (٢١٨٠) في الفتن، باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم، وقال: «حديث حسن صحيح». وأخرجه أحمد (٥/ ٢١٨)، وابن أبي عاصم في السنة رقم (٧٦)، وابن حبان في صحيحه رقم (٦٧٠٢- الإحسان). وصححه ابن حجر في الإصابة (٤/ ٢١٦).

«قلتم -والذي نفسي بيده- كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]». موسى عليه السلام لَمّا تَجاوز البحر ببني إسرائيل وأغرق اللَّه عدوّهم فيه وهم ينظرون، مرّوا على أُناسٍ يعكُفون على أصنام لَهم من الْمُشركين، فقال هؤلاء لِموسى عليه السلام: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ أنكر عليهم وقال: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ﴾ يعني: باطل، ﴿وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ لأنه شرك، ﴿قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٩، ١٤٠]، أنكر عليهم -عليه الصلاة والسلام- كما أنّ نبينا مُحمدًا ﷺ أنكر على هؤلاء، ولكن هؤلاء وهؤلاء لَمْ يشركوا، فبنو إسرائيل لَمّا قالوا هذه الْمَقالة لَمْ يُشركوا لأنّهم لَمْ يفعلوا، وكذلك هؤلاء الصحابة لو اتّخذوا ذات أنواط لأشركوا، ولكنّ اللَّه حماهم، لَمّا نهاهم نبيُّهم انتهوا، وقالوا هذه الْمَقالة عن جهل، ما قالوها عن تعمُّد، فلمّا علِموا أنَّها شرك انتهوا ولَم ينفّذوا، ولو نفّذوا لأشركوا باللَّه عز وجل.

فالشّاهد من الآية: أنّ هناك مَن يعبد الأشجار، لأنّ هؤلاء الْمُشركين اتّخذوا ذات أنواط، وحاول هؤلاء الصحابة الذين لَمْ يتمكّن العلم من قلوبهم حاولوا أن يتشبّهوا بِهم لولا أنّ اللَّه حماهم برسوله ﷺ.

الشاهد: أنّ هناك مَن يتبرّك بالأشجار ويعكُف عندها، والعكوف معناه: البقاء عندها مدّة تقرُّبًا إليها. فالعُكوف هو: البقاء فِي الْمَكان.

فدلّ هذا على مسائل عظيمة:

الْمَسألة الأولَى: خطر الجهل بالتوحيد، فإن مَنْ كان يَجهلُ التوحيد حَرِيٌّ أنْ يقع فِي الشرك وهو لا يدري، ومن هنا يَجب تعلُّم التوحيد، وتعلُّم ما يضادّه من الشرك حَتَّى يكون الإنسان على بصيرة لئلا يُؤتى من جهله، لاسيّما إذا رأى من يفعل ذلك فيحسبُه حقًّا بسبب جهله، ففيه: خطرُ الجهل، لاسيّما فِي أمور العقيدة.

القاعدة الرابعة: أن مشركي زماننا أغلظ شركًا من الأولين؛ لأن الأولين يشركون فِي الرخاء ويُخلصون فِي الشدة، ومشركو زماننا شركهم دائم فِي الرخاء والشدة، والدليل قوله تعالَى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥] [١٧].

ثانيًا: فِي الْحَديث خطرُ التشبُّه بالْمُشركين، وأنّه قد يؤدِّي إِلَى الشرك، قال ﷺ: **«من تشبّه بقومٍ فهو منهم»**[1]، فلا يَجوز التشبُّه بالْمُشركين.

الْمَسألة الثالثةً: أنّ التبرُّك بالأحجار والأشجار والأبنية شركٌ وإنْ سُمِّي بغير اسمه، لأنه طلب البركة من غير اللَّه من الأحجار والأشجار والقُبور والأضرحة، وهذا شرك وإن سمَّوه بغير اسم الشرك.

[١٧] **القاعدة الرابعة -وهي الأخيرة-:** أنّ مشركي زماننا أعظمُ شركًا من الأوّلين الذين بُعث إليهم رسول اللَّه ﷺ.

والسبب فِي ذلك واضح: أنّ اللَّه -جل وعلا- أخبر أن الْمُشركين الأولين يُخلصون للَّه إذا اشتدّ بِهم الأمر، فلا يدعون غير اللَّه ﷻ لعلمهم أنّه لا يُنقذ من الشدائد إلاّ اللَّه كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٧]، وفِي الآية الأخرى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾. يعنِي: مُخلصين له الدعاء، ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ [لقمان: ٣٢]، وفِي الآية الأخرى: ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]، فالأوّلون يُشركون فِي الرخاء، يدعون

---

(١) أخرجه أبو داود رقم (٤٠٣١) فِي اللباس، باب فِي لبس الشهرة، وأحمد (٢/ ٥٠) من حديث عبد اللَّه بن عمر رضي الله عنهما.
قال شيخُ الإسلام ابن تيميّة: «هذا إسناد جيد». «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٢٣٦-٢٣٩).
وقال الحافظ العراقي فِي تَخريج الإحياء: (٢/ ٦٥): سنده صحيح.
وقال الحافظ ابن حجر فِي فتح الباري: (٦/ ٩٨): سندُه حسن.

الأصنام والأحجار والأشجار.

أمَّا إذا وقعوا فِي شدّة وأشرفوا على الْهَلاك فإنهم لا يدعون صنمًا ولا شجرًا ولا حجرًا ولا أي مَخلوق، وإنَّما يدعون اللَّه وحده ﷻ، فإذا كان لا يُخلِّص من الشدائد إلاّ اللَّه -جل وعلا- فكيف يُدعى غيرُه فِي الرخاء.

أما مشركو هذا الزمان -يعني: الْمُتأخرين- الذين حدث فيهم الشرك من هذه الأمّة الْمُحمديّة فإنّ شركهم دائمٌ فِي الرخاء والشدّة، لا يُخلصون للَّه ولا فِي حالة الشدّة، بل كلما اشتدّ بِهم الأمر اشتدّ شركهم ونداؤهم للحسن والحسين وعبد القادر والرِّفاعي وغير ذلك، هذا شيء معروف، ويُذكر عنهم العجائب فِي البحار، أنَّهم إذا اشتدّ بِهم الأمر صاروا يهتفون بأسماء الأولياء والصالِحين ويستغيثون بِهم من دون اللَّه ﷻ، لأنّ دعاة الباطل والضلال يقولون لَهم: نَحن ننقذكم من البحار، فإذا أصابكم شيء اهتفوا بأسمائنا ونَحنُ ننقذكم.

كما يُروى هذا عن مشايخ الطُّرق الصوفية، واقرءوا -إنْ شئتم- «طبقات الشعراني» ففيها ما تقشعرّ منه الجلود مِما يسمّيه كرامات الأولياء، وأنهم يُنْقِذُون من البحار، وأنه يمدّ يده إلى البحر ويَحمل الْمَركب كله ويُخرجه إلَى البر ولا تَتَنَدَّى أكمامه، إلى غير ذلك من تُرَّهَاتهم وخُرافاتهم، فشركهم دائم فِي الرخاء والشدّة، فهم أغلظ من الْمُشركين الأوّلين.

وأيضًا -كما قال الشيخ فِي «كشف الشبهات»-[1]: من وجه آخر: (أنّ الأوّلين يعبدون أُناسًا صالِحين من الْمَلائكة والأنبياء والأولياء، أما هؤلاء فيعبدون أُناسًا من أفجر الناس، وهم يعترفون بذلك، فالذين يسمُّونهم الأقطاب والأغواث لا يصلُّون، ولا يصومون، ولا يتنزهّون عن الزنا واللواط

(١) انظر: كشف الشبهات (ص ١٦٩-١٧٠) ضمن مؤلَّفات الإمام الْمُجدّد/ قسم العقيدة.

والفاحشة، لأنهم بزعمهم ليس عليهم تكاليف، فليس عليهم حرام ولا حلال، إنَّما هذا للعوام فقط.

وهم يعترفون أنّ سادتهم لا يصلُّون ولا يصومون، وأنهم لا يتورَّعون عن فاحشة، ومع هذا يعبدونهم، بل يعبدون أُناسًا من أفجر الناس: كالحلاّج، وابن عربي، والرّفاعي، والبدوي، وغيرهم).

وقد ساق الشيخ الدليل على أنّ الْمُشركين الْمُتأخِّرين أعظم وأغلظُ شركًا من الأوَّلين، لأنّ الأوَّلين يُخلصون فِي الشدَّة ويُشركون فِي الرخاء، فاستدل بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

وصلى اللَّه وسلم على نبينا مُحَمَّد وآله وصحبه أجمعين.

* * *

فهرس الموضوعات

فهرس شرح الأصول الستة

* * *

فهرس شرح ستة مواضع من السيرة

* * *

فهرس شرح تفسير كلمة التوحيد

* * *

فهرس شرح بعض فوائد سورة الفاتحة

* * *

فهرس شرح نواقض الإسلام

* * *

فهرس شرح الجامع لعبادة الله وحده

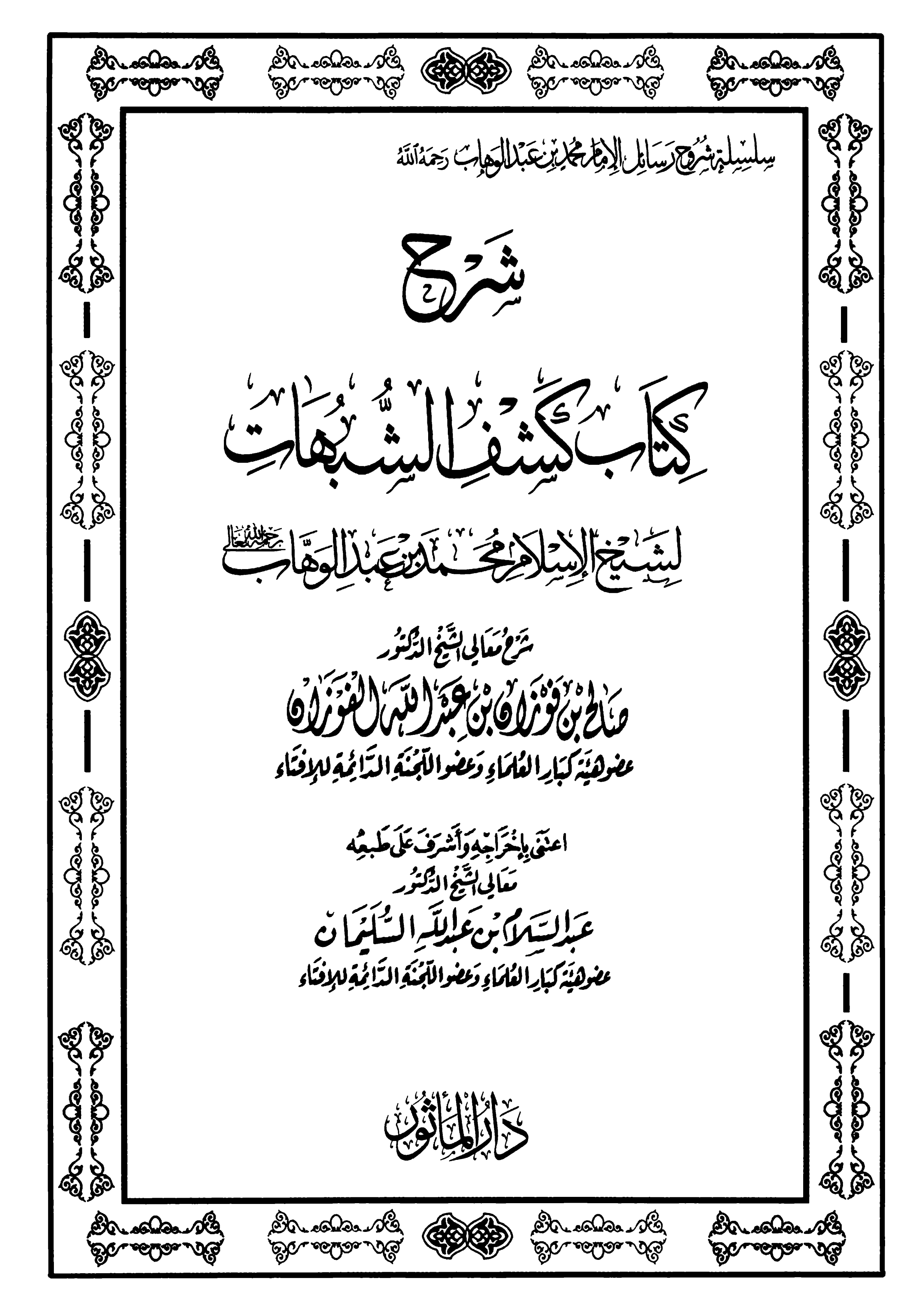
* * *

فهرس شرح معنى الطاغوت

* * *

فهرس شرح القواعد الأربع

* * *


سلسلة شروح رسائل الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله
شرح
كتاب كشف الشبهات
لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى
شرح معالي الشيخ الدكتور
صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان
عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء
اعتنى بإخراجه وأشرف على طبعه
معالي الشيخ الدكتور
عبد السلام بن عبد الله السليمان
عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء
دار المأثور



المقـدمـة

الْحَمد للَّه رب العالَمين، وصلى اللَّه وسلم على نبينا مُحمَّد وعلى آله وصحبه أجْمَعين.

أما بعد:

فهذه رسالة كشف الشبهات للإمام الْمُجدد الشيخ مُحمَّد بن عبد الوهاب -رحِمه اللَّه تعالَى-.

وقبل أن ندخل فِي موضوع الرسالة نتكلم عن الْمُؤلِّف والتعريف به من أجل أن يكون عند طالب العلم معرفة بِهذا الْمُؤلف، وطريقته فِي دعوته؛ لأن هذا من الأمور الْمُهمة فِي معرفة الأئمة والدعاة إلَى اللَّه ومعرفة نشأتِهم ودعوتِهم من أجل أن يسير طلاب العلم على نَهجهم ويقتبسوا من سيرتِهم، ويقتدوا بِهم.

فهو الشيخ الإمام الْمُجدِّد شيخ الإسلام، مُحمَّد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن مشرف التميمي النَّجدي، ولد رَحِمَهُ اللَّهُ فِي بلدة العُيينة[1] وهي قرية فِي شَمال الرياض، وكانت مَحل أسرته.

نشأ فِي بيت علم، فأبوه كان القاضي فِي البلد وجده الشيخ سليمان كان

---

(١) عام (١١١٥هـ)، الْمُتوفَّى رَحِمَهُ اللَّهُ فِي عام (١٢٠٦هـ)، انظر: الأعلام للزركلي (٦/ ٢٧٥)، ومعجم الْمُؤلفين لعمر كحالة (٣/ ٤٧٢، برقم ١٤٤٦٣).

هو الْمُفتِي والْمَرجع للعلماء، وأعمامه كلهم علماء، فنشأ فِي بيت علم.

ودرس على يد أبيه عبد الوهاب وعلى أعمامه منذ صغره، فقد حفظ القرآن الكريْمَ قبل أن يبلغ سن العاشرة فاشتغل فِي طلب العلم وحفظ القرآن على أبيه.

وقرأ كتب التفسير والْحَديث حَتَّى برع فِي العلم وهو صغير، وأعجب أبوه والعلماء من حوله بذكائه ونبوغه، وكان يناقش فِي الْمَسائل العلمية حَتَّى أنَّهم استفادوا من مناقشته فاعترفوا له بالفضل، ثُمَّ إنه لَمْ يكتف بِهذا القدر من العلم وإن كان فيه الْخَير إلا أن العلم لا يُشبع منه.

فرحل لطلب العلم، وترك أهله ووطنه، وسافر إلَى الْحَج، وبعد الْحَج ذهب إلَى الْمَدينة، والتقى بعلمائها فِي الْمَسجد النبوي، خصوصًا الشيخ عبد اللَّه بن إبراهيم بن سيف، وكان إمامًا فِي الفقه وأصوله، وهو من أهل نَجد من أهل الْمَجمعة فِي سدير، وكذلك ابنه إبراهيم بن عبد اللَّه مؤلف كتاب «العذب الفائض شرح ألفية الفرائض».

والتقى كذلك بالْمُحدث الشيخ مُحمَّد حياة السندي، وأخذ منه إجازة فِي مروياته من كتب الْحَديث، ثُمَّ رجع إلَى بلاده، ولَمْ يكتف بِهذا؛ بل سار إلَى بلاد الأحساء فِي شرق بلاد نَجد وفيها العلماء من حنابلة وشافعية ومالكية وحنفية وأخذ عنهم خصوصًا عن الْحَنابلة ومنهم مُحمَّد بن فيروز وعبد الوهاب بن فيروز أخذ عنهم الفقه، وأخذ عن عبد اللَّه بن عبد اللطيف الأحسائي.

ولَمْ يكتف بِهذا؛ بل ذهب أيضًا إلَى العراق -إلَى البصرة خاصة- وكانت آنذاك آهلة بالعلماء فِي الْحَديث والفقه، فأخذ عن علمائها، خصوصًا الشيخ مُحمَّد الْمَجموعي وغيره.

وكان فِي كل تنقلاته إذا ظفر بكتاب من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، ومن

كتب تلميذه ابن القيم نسخه بقلمه، ونسخ كثيرًا من الكتب فِي الأحساء وفِي البصرة فتجمعت لديه مَجموعة عظيمة من الكتب.

ثُمَّ إنه هَمَّ بالسفر إلَى بلاد الشام لِما فيها من أهل العلم خصوصًا من الْحَنابلة وأهل الْحَديث، ولكنه بعدما سار إليها شق عليه الطريق، وحصل عليه جوع وعطش، وكاد أن يَهلك فِي الطريق، وأنتم تعلمون الإمكانات فِي ذلك الوقت وبُعد المسافة . .

فرجع إلَى البصرة، وعدل عن السفر إلَى الشام، ثُمَّ رجع إلَى نَجد بعدما تسلح بالعلم، وبعدما حصل على مَجموعة كبيرة من الكتب إضافة إلَى الكتب الَّتِي كانت عند أهله وعند أهل بلده، ثُمَّ اتَّجه إلَى الدعوة والإصلاح، ونشر العلم النَّافع، ولَمْ يرض بأن يسكت ويترك النَّاس على ما هم عليه؛ بل أراد أن ينتشر علمه، وأن يدعو إلَى اللَّه، فنظر فِي مُجتمعه فوجد فيه من الشر والشرك الأمور الكثيرة؛ فأخذته الغَيرة على دين اللَّه والرحْمَة للمسلمين، ورأى أنه لا يسعه السكوت على هذا الوضع.

وكان علماء نَجد يعنون بالفقه، وهم فِي العقيدة على عقيدة الْمُتكلمين من أشاعرة وغيرهم ليس لَهم عناية بعقيدة السلف، كما هو فِي الشام، وفِي مصر وغيرها من الأقطار، وكانت العقيدة الْمُنتشرة فيها هي عقيدة الأشاعرة، مع ما عند كثير منهم من الإخلال بتوحيد الألوهية.

وأما عقيدة السَّلف، فقلَّ من يُعنَى بِها، وطغت على الكثير منهم الْخُرَافات، والبدع والشرك فِي العبادة الْمُتمثل بعبادة القبور، هذا من الناحية العلمية.

وأمَّا من الناحية السياسية فكانوا متفرقين، ليس لَهم دولة تَجمعهم، بل كل قرية لَها أمير مستقل بِها.

فالعيينة فيها حاكم، والدرعية فيها حاكم، والرياض فيها حاكم، وكل قرية صغيرة فيها حاكم، وكانت بينهم حروب وسلب ونَهب فيما بينهم وبين القرى والبادية.

فمن الناحية السياسية كانت البلاد فِي قلق وتفرق وفِي تناحر وضياع حَتَّى أن أهل البلد الواحد يقاتل بعضهم بعضًا .

وفِي بلاد نَجد عبادة القبور والاستغاثة بالأموات، فقد كانت عندهم قبور للصَّحابة كقبر زيد بن الْخَطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي استشهد مع جَماعة من الصحابة فِي حرب مسيلمة الكذاب، وكانوا يستنجدون بِها، ويستغيثون بِها، وعلى قبر زيد قبة، وكانوا يأتون إليها من بعيد، وهي مشهورة عندهم .

وعندهم أشجار ونَخيل يعتقدون فيها، ويتبركون بِها؛ بل كانت عندهم النِّحل الباطلة مثل الصوفية ووحدة الوجود فِي الرياض والخرج؛ هكذا كانت حالتهم الدينية، والعلماء ساكتون عن هذا الوضع؛ بل إن بعض العلماء يشجعون على هذه الْخُرافات ويؤيدونَها .

فلما رأى رَحِمَهُ اللَّهُ حال الْمُسلمين تَحرك للدعوة إلَى اللَّه عَزَّ وَجَلَّ وقام يدعو إلَى اللَّه ويدرِّس التوحيد، وينكر هذه الشركيات والْخُرافات ويقرر منهج السلف الصالِح فتكوَّن عنده تلاميذ من الدرعية والعيينة مِمَّن أراد اللَّه له الْخَير .

ثُمَّ إنه اتَّصل بأمير العيينة وعرض عليه الدعوة؛ فقبل منه الأمير ووعده بالْمُناصرة فِي أول الأمر وهدم قبة زيد بن الْخَطاب، حيث طلب من الأمير هدمها؛ لأنه لا يُمكن أن يَهدمها إلا من له سلطة، أما الفرد فلا يستطيع ذلك؛ فاستجاب له الأمير .

وجاء إلَى الشيخ امرأة اعترفت بالزنا، وطلبت منه أن يقيم عليها الْحَد فردها حَتَّى كررت عليه الطلب مثل ما فعلت الغامدية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي عهد النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(١)، فأقام عليها الْحَد ورجمها .

فلما بلغ أمير الأحساء هدم القبة، وأنه رجم المرأة أرسل إلَى أمير

---

(١) انظر: صحيح الإمام مسلم (٣/ ١٣٢١-١٣٢٢)، كتاب الْحُدود، باب: من اعترف على نفسه بالزنا، حديث رقم (٢٢/ ١٦٩٥) من حديث سليمان بن بريدة، عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

العيينة، وقال: إما أن تطرد هذا المطوع[١]، وإلا قطعت عنك المساعدة الَّتِي أرسلها إليك.

فجاء الأمير إِلَى الشيخ وعرض عليه الأمر، وقال: أنا لا أقدر أن أقاوم هؤلاء، فهدَّأه الشيخ، ووعده بالْخَير، وأن يتوكل على اللَّه، وأن الرزق بيد اللَّه وأن هذه عقيدة التوحيد من قام بِها فإن اللَّه يعينه وينصره.

لكن الأمير أصرَّ على خروج الشيخ من بلده، فخرج الشيخ من العيينة فِي وقت القيلولة وذهب إِلَى الدرعية، وكان له فيها تلميذ من خيار التلاميذ يقال له ابن سويلم فذهب الشيخ من العيينة إِلَى الدرعية ليس معه إلاَّ الْمروحة اليدوية يَهوي بِها على وجهه وهو يَمشي، ويقول: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣].

يردد هذه الآية وهو يَمشي، فلما وصل إِلَى تلميذه فِي الدرعية أصاب التلميذ خوف وقلق من مَجيء الشيخ؛ لأنه يَخشى على نفسه، وعلى الشيخ من أهل البلد؛ لأنَّهم متحاذرون من هذا الشيخ، فهدأه الشيخ، وقال: لا يَخطر فِي بالك شيء أبدًا توكل على اللَّه -جل وعلا- فهو ينصر من نصره.

وفيما هم كذلك علمت زوجة أمير الدرعية، وكانت امرأة صالِحة فعرضت على زوجها الأمير مُحمَّد بن سعود أن يناصر هذا الشيخ الذي جاء، وأنه نعمة من اللَّه ساقها إليه، فالبدار باغتنامه، فأدخلت عليه الطمأنينة وحب الدعوة، وحب هذا العالِم، فقال الأمير: يأتينِي، فقالت زوجته: بل اذهب أنت إليه؛ لأنك إذا أرسلت إليه، وقلت يأتينِي؛ رُبَّما يقول الناس طلبه من أجل أن يبطش به؛ لكنك إذا ذهبت إليه يكون هذا عزًّا له ولك . . .

فذهب إليه الأمير فِي بيت التلميذ، وسلَّم عليه وسأله عن قدومه . . .

---

(١) كما يسمونه تصغيرًا لشأنه.

فشرح له الشيخ، وبيَّن له أنه ليس عنده إلاَّ دعوة الرسل -صلوات اللَّه وسلامه عليهم- وهي الدعوة إلَى كلمة التوحيد، وهي لا إله إلا اللَّه، وشرح معناها، وبيَّن له أنَّها عقيدة الرسل . . .

فقال الأمير: أبشر بالنصر والتأييد.

وقال له الشيخ: وأبشر بالعز والتمكين؛ لأن هذه الكلمة لا إله إلا اللَّه، من قام بِها، فإن اللَّه يُمكِّن له.

فقال له الأمير: لكنِّي أشترط عليك شرطًا.

قال: وما هو؟

قال: أن تتركنِي وما آخذ من الناس.

قال الشيخ: لعل اللَّه يغنيك عن هذا، ويفتح لك باب رزق من عنده.

فتفرقا على هذا، وقام الشيخ بالدعوة، وقام الأمير بالْمُناصرة، ثُمَّ توافد الطلاب على الدرعية، وصار للشيخ مكانة فيها، فكان هو الإمام فِي الصَّلاة، والْمُفتِي، والقاضي، فتكونت إمارة للتوحيد فِي بلاد الدرعية من ذلك الوقت، وأرسل الشيخ رسائل إلَى أهل البلدان والقرى يدعوهم إلَى اللَّه والدخول فِي عقيدة التوحيد، وترك البدع والْخُرافات، فمنهم من استجاب وانضم إلَى الدعوة بدون جهاد، وبدون قتال، ومنهم من مانعه وعانده فقاتل جنود التوحيد بقيادة الأمير مُحمَّد بن سعود وريادة الشيخ مُحمَّد بن عبد الوهاب، قاتلوا من عاند وعارض . . .

وامتدت الدعوة فِي بلاد نَجد، وسلَّمت له البلاد ومن حولَها، حَتَّى أمير العيينة الذي كان له موقف مع الشيخ دخل فِي ولاية مُحمَّد بن سعود.

وكذلك دخلت الرياض بعد قتال شديد وامتدت إلَى الْخَرج وما وراء الْخَرج وإلَى الشمال والجنوب حَتَّى عمت من حدود الشام شَمالاً إلَى حدود اليمن جنوبًا، ومن البحر الأحْمَر إلَى الْخَليج العربِي شرقًا كلها صارت تَحت

ولاية الدرعية بادية وحاضرة.

وأفاء اللَّه على الناس فِي الدرعية الْخَير والرزق والغنَى والثروة، وقامت بِها أسواق تِجارية، واستنارت بالعلم والقوة ببركة هذا الدعوة السلفية الَّتِي هي دعوة الرسل ﷺ.

□ **مؤلفاته**:

أَلَّف الشيخ الكتب، وأعظمها كتاب التوحيد الذي هو حق اللَّه على العبيد.

ومن مؤلفاته هذه الرسالة «**كشف الشبهات**» الَّتِي نَحن بصدد شرحها -إن شاء اللَّه تعالَى-، وهي عبارة عن رد الشبهات الَّتِي أثيرت حول دعوة التوحيد الَّتِي قام بِها الشيخ.

والْمُراد بالكشف: إزالة الغطاء عن الشيء.

قال تعالَى: ﴿فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ﴾ [ق:٢٢]. والشبهات جَمع شبهة وهي الأمر الْمُشتبه الْمُختلف الذي لا يُدْرَى هل هو حق، أم باطل.

ومنه قول الرسول ﷺ: «**إن الْحَلال بيِّن، والْحَرام بيِّن، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات، فقد استبرأ لدينه وعرضه**»(١).

الْمُشتبهات هنا الْمُراد بِها: الأمور الَّتِي لا يُدْرَى هل هي من الْحَلال أو من الْحَرام لسبب تَجاذب الأدلة فيها، ولا يعلمها إلاَّ الْخَواص من أهل العلم.

فالشبهات هنا: الْمُراد بِها الأمور الْمُشتبهة الَّتِي فيها تلبيس وتغطية وتَمويه

(١) رواه الإمام البخاري فِي صحيحه (١/ ١٩)، كتاب الإيْمَان، باب: فضل من استبرأ لدينه، من حديث النعمان بن بشير -رضي اللَّه تعالَى عنه-.

على النَّاس يظنونِها حقًّا، وهي ليست بِحقٍّ، وكشفها هو الإيضاح لبطلانِها.

والْمُراد هنا: كشف ما كان عند الناس من شبهات حول عبادة القبور والاستغاثة بِها الَّتِي عمت كثيرًا من بلاد الإسلام من بعد القرون الْمُفضلة، حيث أُدخل فِي الإسلام ما ليس منه، وذلك عن طريق الشيعة والْمُتصوفة، فهم الذين تسببوا فِي نشر هذه الشبهات، وهذه الشركيات الَّتِي انتشرت فِي بلاد الإسلام بِحجج واهية، والْجُهال يظنونَها حقًّا.

فيقولون: إن هؤلاء الموتَى عباد صالِحون، ولَهم مكانة عند اللَّه، ونَحن أناس مذنبون فهم يتوسلون بِهم، ويَجعلونَهم وسائط بينهم وبين اللَّه فِي غفران الذنوب ويتقربون إليهم.

وبسبب ذلك تغيرت عقيدة التوحيد عند كثير من الناس من عهد بعيد بعد الْمِائة الرابعة، ومضي القرون الْمُفَضلة، حَتَّى قيَّض اللَّه لِهذه الأمة علماء يكشفون هذه الشبهات، ومن أبرزهم شيخ الإسلام أحْمَد بن تيمية الذي قام ودحض هذه الشبهات، ووضَّح للناس عقيدة التوحيد، وكتب فِي ذلك الكتب النافعة، وبيَّن عقيدة السلف الصَّالِح، وسجلها فِي كتبه مدعمًا مسائلها بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة، ودحض هذه الشبهات.

ثُمَّ تلاه تلاميذه كالإمام ابن القيم فِي كتبه، والإمام ابن كثير، والإمام الذهبِي والإمام الْمِزِّي، وجاء بعدهم الْحَافظ ابن رجب الْحَنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ إلَى أن وصل الأمر للشيخ الإمام الْمُجدد مُحمَّد بن عبد الوهاب، فتلقى هذه العقيدة بقوة، وقام بالدعوة إليها، والْجِهاد فِي سبيلها حَتَّى استنارت بِها هذه البلاد -ولله الْحَمد-، وامتدت إلَى البلاد الْمُجاورة فِي مصر والشام والعراق، وحَتَّى فِي بلاد فارس عند أهل السنة، وامتدت إلَى الْهِند وإلَى الْمَغرب، وإلَى كثير من البلاد -ولله الْحَمد-.

فمن أراد اللَّه له الْخَير، فإنه تأثر بِهذه الدعوة الْمُباركة، وعرف أنَّها دعوة

حق؛ فاستجاب لَها وأيَّدها، وقامت الْحُجة على الْمُعاندين -ولله الْحَمد والْمِنة- وزالت عن البلاد مَعَالِم الشرك والوثنية وعوائد الْجَاهلية.

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم [١]

[١] ابتدأ الرسالة: بـ: «بسم اللَّه الرَّحْمَن الرحيم». وهذه هي السنة: أن تبدأ الكتب والرسائل بـ: «بسم اللَّه الرَّحْمَن الرحيم». كما ابتدأ اللَّه تعالَى بِها فِي كتابه، فأول ما ترون فِي الْمُصحف الشريف: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة:١-٢]. وكذلك قبل كل سورة «بسم اللَّه الرَّحْمَن الرَّحيم».

والنَّبِي ﷺ كان إذا كتب يبدأ كتبه بـ: «بسم اللَّه الرَّحْمَن الرَّحيم»(١). وإذا تَحدث إلَى أصحابه يبدأ مَجلسه: بـ: «بسم اللَّه الرَّحْمَن الرَّحيم».

والْحِكمة فِي البدء بـ: «بسم اللَّه الرَّحْمَن الرَّحيم»: التبرك بِها؛ لأنَّها كلمة مباركة فإذا ذكرت فِي أول الكتاب أو فِي أول الرسالة تكون بركة عليها.

أما الكتب، أو الرسائل الَّتِي لا تبدأ بـ: «بسم اللَّه الرَّحْمَن الرَّحيم». فإنَّها تكون ناقصة لا خير فيها، ومن ناحية أخرى «بسم اللَّه الرَّحْمَن الرَّحيم». فيها الاستعانة باللَّه -جل وعلا- فقوله: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ أي: أستعين وأتبرك بـ: «بسم اللَّه الرَّحْمَن الرَّحيم».

فالْجَار والْمَجرور متعلق بِمحذوف تقديره أستعين وأتبرك بـ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

و(الله): عَلَم على الذات الْمُقدسة.

---

(١) انظر صحيح الإمام البخاري (٤/ ٤٠٢) كتاب الْجِهاد، باب: دعاء النَّبِي ﷺ إلَى الإسلام والنبوة، وألاَّ يتخذ بعضهم بعضًا أربابًا من دون اللَّه، وقوله تعالَى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧٩]. إلَى آخر الآية، وفِي الفتح (٦/ ١٠٩).
وانظر: تفاصيل ذلك فِي زاد الْمَعاد فِي هدي خير العباد، لابن القيم (٣/ ٦٨٨-٦٩٦) ذكر هديه ﷺ فِي مكاتباته إلَى الْمُلوك وغيرهم.

اعلم رَحِمَك اللَّه [٢].

أنَّ التوحيد هو إفراد اللَّه سبحانه بالعبادة [٣].

و(الرَّحْمَن الرَّحيم): اسْمَان كريْمَان من أسْمائه الْحُسنَى يتضمنان الرحْمَة.

[٢] **اعلم**: هذه الكلمة يبدأ بِها فِي التنبيه إلَى الأمور الْمُهمة، فإذا أردت أن تنبه شخصًا على شيء مهم من مسائل العلم تقول له: اعلم؛ من أجل أن ينتبه.

و«**اعلم**»: فعل أمر من العلم، يعنِي: تعلَّم ما يأتِي واهتم به، وألق بالك لِما يلقى عليك، ولِمَا يكتب لك.

فهذه كلمة يؤتَى بِها لأهَميَّة ما يأتِي بعدها، قال تعالَى: ﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾ [الطلاق: ١٢].

وقال تعالَى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾.

وقال تعالَى: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [المائدة: ٩٨].

وقال تعالَى: ﴿فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [المائدة: ٩٢].

فهذه كلمة عظيمة يؤتَى بِها للاهتمام.

ثُمَّ قال: «**رحِمك الله**»: هذا دعاء من الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ لكل من قرأ هذه الرسالة، وهذا من باب التلطُّف لطالب العلم، وتَحسين الكلام له، من أجل أن يُقبل على طلب العلم.

[٣] أي: اعلم هذه الْمَسألة العظيمة، واجعلها فِي ذاكرتك، واجعلها فِي اهتمامك دائمًا وأبدًا، وهي: «**أن التوحيد هو إفراد اللَّه بالعبادة**»، وليس هو إفراد اللَّه بالربوبية، فإن هذا أقرَّ به الْمُشركون، ولَمْ يكونوا موحدين؛ لأنَّهم لَمْ يفردوا اللَّه بالعبادة، فإقرارهم بتوحيد الربوبية ليس هو التوحيد الْمَطلوب؛ وإنَّما توحيد الربوبية دليل على توحيد الألوهية، ولازم له.

فمن أقر بتوحيد الربوبية لزمه أن يقر بتوحيد الألوهية، واللَّه تعالَى يذكر فِي القرآن فِي كثير من الآيات توحيد الربوبية دليلاً على توحيد الألوهية، كما قال

وهو دين الرسل الَّذي أرسلهم اللَّه به إلَى عباده [٤].

تعالَى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١-٢٢].

هذا هو توحيد الربوبية، وهو دليل توحيد الألوهية، فأقام ﷻ الْحُجة عليهم فيما أنكروه من توحيد الألوهية بِما اعترفوا به من توحيد الربوبية ليلزمهم بذلك.

حيث قال لَهم: كيف تعترفون أنه هو الْخَالق الرازق الْمُحيي الْمُميت، وأنه لا شريك له فِي ذلك، ثُمَّ تشركون فِي عبادته؟!

أمَّا الذين يقولون: إن التوحيد هو: الإقرار بأن اللَّه هو الْخَالق الرازق الْمُحيي الْمُميت . . . إلَخ، فهم غالطون غلطًا فاحشًا، ولَمْ يأتوا بالتوحيد الْمَطلوب الذي دعت إليه الرسل، وعلى هذا الْمَنهج الباطل أغلب عقائد الْمُتكلمين الَّتِي تدرس الآن فِي كثير من الْمَدارس الإسلامية.

وقصد الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بِهذا التعريف هو الرد على هؤلاء الذين ركَّزوا على توحيد الربوبية وتركوا توحيد الألوهية، فهذه أول شبهة، وهي: أنَّهم جعلوا توحيد الربوبية هو التوحيد الْمَطلوب، وأن من أفرد اللَّه به فهو الْمُوحد، وألفوا كتبهم فيه، وبنوا منهجهم عليه، وصرفوا هَمهم إلَى تَحقيقه.

[٤] فالرسل كلهم ما طلبوا من الناس أن يقروا بأن اللَّه هو الخالق الرازق الْمُحيي الْمُميت؛ لأنَّهم معترفون بِهذا، وإنَّما طالبوا الأمم بإفراد اللَّه بالعبادة، قال تعالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

ما قال: أن يقروا بأن اللَّه هو الرب؛ لأنَّهم مقرون بِهذا، بل قال: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾.

أي: اتركوا الشرك باللَّه ﷻ في الألوهية.

فأوَّلُهُم نوح عليه السلام[٥].

وقال تعالَى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

ما قال أنه لا رب سواي، ولا خالق إلاَّ أنا.

بل قال سبحانه: ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾؛ أي: لا معبود بِحق سواي.

هذا الذي بعث به اللَّه الرسل، ما بعث الرسل لتقرير توحيد الربوبية؛ لأن هذا موجود لكنه لا يكفي؛ بل بعثهم لتوحيد الألوهية الذي هو إفراد اللَّه تعالَى بالعبادة، وهو دين الرسل كلهم من أوَّلِهم إلَى آخرهم.

[٥] كما قال اللَّه ﷻ: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٣]. فدلت الآية الكريْمَة على أن أول الرسل هو نوح -عليه الصلاة والسلام-.

فنوح هو أول رسول بعد حدوث الشرك فِي الأرض، وتتابعت بعده الرسل على هذا الْمَنهج الربانِي، وآخرهم مُحمَّد ﷺ وهو خاتَمهم، ولا نبِي بعده إلَى أن تقوم السَّاعة، قال اللَّه ﷻ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وقال ﷺ: «**أنا خاتَم النبيين لا نبِي بعدي**»(١). فهو آخر الرسل -عليهم الصلاة والسلام- وآخر الأنبياء؛ لأن كل رسول نبِي فلا يبعث بعده لا رسول ولا نبِي، فمن اعتقد أنه يبعث بعده رسول، أو نبِي؛ فهو كافر، قال ﷺ: «**وسيخرج بعدي كذابون ثلاثون كل منهم يدعي أنه نبِي، وأنا خاتَم النبيين**

---

(١) رواه الترمذي فِي سننه بِهذا اللفظ (٦/ ٣٦٨، ٣٦٩)، (٣٤) كتاب الفتَن (٤٣) باب: لا تقوم الساعة حَتَّى يَخرج كذابون حديث رقم (٢٢٢٠) من حديث ثوبان رضي الله عنه.

وانظر: صحيح الإمام البخاري (٤/ ١٦٢، ١٦٣)، وصحيح مسلم (٤/ ١٧٩١)، ومسند الإمام أحْمَد (٢/ ٣٩٨) حديث رقم (٩١٥٧)، وسنن أبِي داود (٤/ ٩٥)، وسنن الدارمي (١/ ٤٠).

أرسله اللَّه إلَى قومه لَمَّا غَلَوْا فِي الصَّالِحين [٦].

لا نبِي بعدي».

فمن لَمْ يعتقد ختم الرسالة بِمحمد ﷺ وأجاز أن يبعث بعده نبِي؛ فهو كافر باللَّه ﷻ مكذب للَّه ولرسوله ولإجْمَاع الْمُسلمين.

[٦] **الغلو**: هو مُجاوزة الْحَد.

والغلو فِي الصَّالِحين: هو اعتقاد أنَّهم ينفعون، أو يضرون من دون اللَّه.

وود .. إلَخ هذه أسْمَاء رجال صالِحين من قوم نوح ماتوا فِي عام واحد، فحزن قومهم عليهم حزنًا شديدًا، فجاء الشيطان إليهم، وقال لَهم: صوروا صورهم، وانصبوها على مَجالسهم من أجل أن تتذكروا أحوالَهم فتنشطوا على العبادة؛ جاءهم عن طريق النصيحة، وهو يريد لَهم الْهلاك فخدعهم بِهذه الْحِيلة، واعتبروا هذه وسيلة صحيحة؛ لأنَّها تنشِّط على العبادة.

فهذا فيه التحذير من فتنة الصور، وفتنة الغلو فِي الصالِحين، وهؤلاء نظروا لِمصلحة جزئية، ولَمْ ينتبهوا لِما يترتب عليها من الْمَفاسد، فالإنسان لا ينظر إلَى الْمَصلحة الْجُزئية، وينسى الْمَضار العظيمة الَّتِي تترتب عليها فِي الْمُستقبل.

ثُمَّ أهلك قوم نوح بالطوفان فاندرست هذه الأصنام إلَى أن جاء عهد الطاغية، وهو ملك من ملوك العرب، يقال له: عمرو بن لُحي الخزاعي، وكان له سلطان على الْحِجاز.

وكان فِي أول أمره رجلاً ناسكًا على دين قومه، ولكن ذهب إلَى الشام للعلاج، فوجد أن أهل الشام يعبدون الأصنام، فدخل فِي فكره هذا الشيء فجاء إلَى أهل الْحِجاز والْجَزيرة فدعاهم إلَى الشرك، وجاء الشيطان فأرشده إلَى مواطن الأصنام الَّتِي كانت تعبد عند قوم نوح، والَّتِي سفى[1] عليها الرمل

---

(١) سفت الريح التراب تسفيه: ذَرَتْهُ أو حَمَلَتْه. انظر: القاموس الْمُحيط (ص١٦٧١) مادة «سفت».

ودٍّ، وَسُوَاعٍ، وَيَغُوثَ، وَيَعُوقَ، وَنَسْر[1]، وآخر الرُّسُل مُحَمَّدٌ ﷺ، وهو الذي كَسَرَ صُوَرَ هؤلاَءِ الصَّالِحِين [٧].

بعد الطوفان، فحفرها ونقَّب عنها فاستخرجها، ووزعها على أحياء العرب، فانتشر الشرك من ذلك الوقت.

وكانت هذه الأصنام الْمَوروثة عن قوم نوح هي أكبر الأصنام، وإلاَّ فلهم أصنام كثيرة حَتَّى إنه كان حول الكعبة المشرفة ثلثمائة وستون صنمًا، اللاَّت والعزى ومناة الثالثة الأخرى هي أكبر أصنامهم.

[٧] كانت حال العرب الدينية قبل بعث النَّبِي مُحمَّد ﷺ هي الوثنية، ثُمَّ بعث اللَّه نبيه مُحمَّدًا ﷺ بملة إبراهيم الْحَنيفية السمحة ودعاهم إلَى التوحيد بِمكة، وبقي ثلاث عشرة سنة يدعوهم إلَى التوحيد، وينكر عليهم عبادة الأصنام، فاستجاب له من أراد اللَّه له الْهِداية من الصَّحابة الذين أسلموا معه فِي مكة.

ثُمَّ إن اللَّه أذن لَهم بالْهِجرة إلَى الْحَبشة، ثُمَّ إلَى الْمَدينة، وهاجر النَّبِي ﷺ إلَى الْمَدينة، واجتمع حوله الْمُهاجرون والأنصار، وكوَّن جيوش التوحيد، وصاروا يغزون الْمُشركين . .

إلَى أن جاء فِي السنة الثامنة من الْهِجرة إلَى مكة فاتِحًا وصارت مكة تَحت سلطة الرسول ﷺ، وعند ذلك كسر هذه الأصنام الَّتِي حول الكعبة، وغسل الصور الَّتِي فِي جوف الكعبة، وأرسل إلَى الأصنام الَّتِي حول مكة «اللات، والعزى، ومناة» من الصَّحابة من كسرها ومنها صور هؤلاء الصَّالِحين من قوم نوح، وانتشر التوحيد، واندحر الشرك ولله الْحَمد.

وهذا معنَى قول الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: «**كسر صور هؤلاء الصَّالِحين**»، وذلك يوم فتح مكة، وطهَّر اللَّه به حرمه الشريف من هذه الأصنام.

---

(١) انظر: صحيح الإمام البخاري (٦/ ٧٣) كتاب التفسير، باب: ودًّا وسواعًا ويغوث ويعوق ونسرًا بنحوه، من حديث عبد اللَّه بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وامتد التوحيد من بعثته ﷺ، وعهد الْخُلفاء الراشدين، وعهد القرون الْمُفضلة كلها خاليًا من الشرك، فلما انتهت القرون الْمُفضلة، انتشر التصوُّف والتشيُّع، وعند ذلك حدث الشرك فِي الأمة بعبادة القبور والأضرحة، وتقديس الأولياء والصالِحين إلَى وقتنا هذا، وهذا الشرك موجود فِي الأمة؛ ولكن يقيِّض اللَّه -جل وعلا- من يقيم الْحُجة على العباد من الدعاة الْمُخلصين، ويهدي اللَّه على أيديهم من أراد اللَّه هدايته.

وهكذا ينبغي ويَجب على طلبة العلم والدعاة أن يَهتموا بِهذا الأمر، وأن يَجعلوا الدعوة للتوحيد وإنكار الشرك، ودحض الشبهات من أولويات دعوتِهم، فهذا هو الواجب وهذه دعوة الرسل -عليهم الصلاة والسلام-؛ لأن كل أمر يَهون دون الشرك، فما دام الشرك موجودًا فكيف تنكر الأمور الأخرى!

لابد أن نبدأ بإنكار الشرك أولاً ونُخلِّص الْمُسلمين من هذه العقائد الْجَاهلية، ونبيِّن لَهم بالْحُجة والبرهان، وبالْجِهاد فِي سبيل اللَّه إذا أمكن ذلك حَتَّى تعود الْحَنيفية إلَى الْمُسلمين كل بِحسب استطاعته ومقدرته فِي كل مكان وزمان.

يَجب على الدعاة ألاَّ يغفلوا عن هذا الأمر، ويَهتموا بأمور أُخرى، ويبذلوا جهودهم فيها، ولا يغطوا أعينهم عن واقع الناس الواقعين فِي الشرك وعبادة الأضرحة واستيلاء الْخُرافيين، وطواغيت الصوفية على عقول الناس.

هذا أمر لا يَجوز السُّكوت عليه، وكل دعوة لا تتجه للنهي عنه فهي دعوة ناقصة، أو دعوة غير صالِحة أو دعوة غير مثمرة.

كما أنه يَجب أن يعلم أن الإقرار بتوحيد الربوبية لا يكفي ولا ينفع إلاَّ إذا كان معه الإقرار بتوحيد الألوهية، وتَحقيقه قولاً وعملاً واعتقادًا، وأن الْمُشركين الذين بعث إليهم نبينا مُحمَّد ﷺ كانوا مُقرِّين بتوحيد الربوبية، ولَمْ ينفعهم إقرارهم به لَما كانوا جاحدين لتوحيد الألوهية.

أرسله إِلَى قوم يَتَعَبَّدُون، وَيَحُجُّون، وَيَتَصَدَّقُون، وَيَذكُرُون اللَّه كثيرًا، ولكنهم يَجعلون بعض الْمَخلوقات وسائط بينهم وبين اللَّه، يقولون: نريد منهم التَّقَرُّبَ إِلَى اللَّه، ونريد شفاعتهم عنده، مثل الْمَلائكة، وعيسى، ومريَم وأُناس غيرهم من الصَّالِحين، فبعث اللَّه مُحمَّدًا ﷺ يُجَدِّدُ لَهُم دين أبيهم إبراهيم، ويُخْبرهُمُ أنَّ هذا التَّقَرُّبَ والاعتقاد مَحْضُ حَقِّ اللَّه، لا يصلح منه شيء لا لِمَلك مُقَرَّبٍ، ولا لنبِيٍّ مُرْسَلٍ؛ فضلاً عن غيرهِمَا. وإلاَّ فهؤلاء الْمُشركون مُقرُّون يشهدون أنَّ اللَّه هو الْخَالق الرَّزاق وحده لا شريك له، وأنه لا يرزق إلاَّ هو، ولا يُحيي إلا هو، ولا يُمِيتُ إلاَّ هو، ولا يُدَبِّرُ الأمر إلاَّ هو، وأنَّ جَميع السَّموات السبع ومَنْ فيهنَّ، والأرضين السَّبع ومَنْ فيها؛ كُلُّهُم عبيده وتَحت تَصَرُّفه وقهره [٨].

فإذا أردت الدليل على أنَّ هؤلاء الْمُشركين الذين قاتلهم رسول اللَّه ﷺ يشهدون للَّه هذه الشهادة فاقرأ قوله تعالَى: ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن

---

[٨] أي: أن مشركي العرب الذين بعث إليهم مُحمَّد ﷺ يعبدون اللَّه، ولَمْ تنفعهم هذه العبادة لَما كانت مَخلوطة بالشرك الأكبر، ولا فرق بين أن يكون الْمُشرك به مع اللَّه سبحانه صنمًا، أو عبدًا صالِحًا، أو نبيًّا مرسلاً، أو ملكًا مقربًا، ولا أن يكون قصد المشرك أن معبوده ليس شريكًا للَّه فِي ملكه؛ بل هو مُجرد وسيلة إِلَى اللَّه، ومقرب إليه.

* فدل ذلك على أمرين:

- **الأول**: أن الإقرار بتوحيد الربوبية وحده لا يكفي للدخول فِي الإسلام، ولا يعصم الدم والْمَال، ولا ينجِّي من عذاب اللَّه.

- **الأمر الثانِي**: أن عبادة اللَّه إذا دخلها شيء من الشرك أفسدها، فلا تصلح العبادة إلا مع الإخلاص.

يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١].

وقوله: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الْمُؤمنون: ٨٤-٨٧]. **وغير ذلك من الآيات [٩].**

---

[٩] يقول الشيخ -رحِمه اللَّه تعالَى-: فإذا طلبت الدليل على أن الْمُشركين مقرُّون بِهذا -يعنِي: بتوحيد الربوبية-، وأنَّهم يشركون فِي توحيد الألوهية، إذا أردت الدليل على هذه الْمَسألة العظيمة الَّتِي يُعرف بِها الْحَق من الباطل، فاقرأ قوله تعالَى: ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١].

فالْمُشركون يعترفون بأن اللَّه ﷻ هو الْخَالق الرازق الْمُتصرف فِي عباده الذي بيده الأمر لا ينكر أحد منهم هذا.

قال تعالَى: ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾. هذا الرزق الذي تأكلون منه، وتشربون، وتلبسون وتركبون مَنْ الذي جاء به، هل جاءت به الأصنام؟ الأصنام جَمادات وحجارة، أم الأشجار، أو الأموات، أو القبور، والأضرحة، كلها لا تأتِي بأرزاقكم، فهم يعترفون بأن أصنامهم لا تَخلق، ولا ترزق.

قال تعالَى: ﴿أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾. السمع الْحَاسة العظيمة الَّتِي تسمع بِها الأصوات، والبصر: الذي تبصر به الْمَرئيات، هذه العين الَّتِي يَجعل اللَّه فيها هذا البصر، وهذا النور من الذي خلقه فيك؟

هل خلقه أحد غير اللَّه؟ فهل رأيتم أحدًا من الْخَلق أوجد فِي أحد السمع إذا سُلب منه، وهل يستطيع أحد أن يرد للأعمى البصر الذي ذهب عنه؟!

لو اجتمع أهل الأرض كلهم على أن يَجعلوا فِي عينه بصرًا ما استطاعوا، لا الأصنام، ولا الأطباء، ولا الْحُذاق من العلماء.

فالْمُشركون معترفون بأن أصنامهم لا تعمل أي شيء من ذلك، قال تعالَى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ﴾ [الأنعام: ٤٦]. لا يوجد أحد يُجيب عن هذا السؤال ولا أحد يستطيع غير اللَّه أن يأتِي بالسمع والبصر.

﴿وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ [يونس: ٣١]. هذا من الْعَجائب يُخرج الْحَي من الميت، يُخرج الزرع من الْحَبة، ويُخرج المؤمن من الكافر ﴿وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾. يُخرج الكافر من الْمُؤمن ويُخرج البيضة من الطائر، الذي يقدر على هذا هو اللَّه ﷻ.

﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ [يونس: ٣١]. هذا عموم، يعنِي: كل الأمور من الْمَوت والْحَياة، والْمَرَض والصحة، والكفر والإيْمان، والغنَى والفقر، والليل والنهار، والعز والذل، والْمُلك، يعطي ذلك من يشاء، ويأخذه مِمَّن يشاء كل ما يَجري فِي هذا الكون من تقلبات وتغيُّرات مَنْ الذي يُوجِد هذه التغيرات وهذه التقلبات؟

فسيقولون اللَّه، فقال اللَّه لنبيه ﷺ: ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١]. ما دام أنكم معترفون أن هذه الأمور بيد اللَّه، وأن أصنامكم لا تفعل شيئًا منها أفلا تتقون اللَّه ﷻ وتوحدونه وتفردونه بالعبادة؛ لأنكم إن لَمْ تتقوا اللَّه، فإن اللَّه يعذبكم؛ لأنه أقام عليكم الْحُجة وقطع منكم الْمَعذرة، فلم يبق إلاَّ العذاب ما دمتم عرفتم الْحَق، ولَمْ تعملوا به.

﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: ٣٢]. تبين لكم أن العبادة حق للَّه تعالَى، فلا معبود بِحق إلا اللَّه ﷻ، فإن لَمْ تعبدوه فإن هذا ضلال، فماذا بعد الْحَق الذي هو التوحيد، وإفراد اللَّه بالعبادة إلا

فإذا تَحَقَّقْت أَنَّهُم مُقِرُّون بِهَذَا، وَلَمْ يُدْخِلْهُم فِي التوحيد الذي دعاهم إليه رسول اللَّه ﷺ وَعَرَفْت أنَّ التوحيد الذي جَحَدُوه هو توحيد العبادة الذي يُسَمِّيهِ الْمُشركون فِي زماننا: «الاعتقاد» [١٠].

الضلال الذي هو الشرك.

فليحذر الْمُسلم من هذا، وليقبل الْحَق إذا تبين له، خصوصًا فِي أمر التوحيد والعقيدة، يقبل الْحَق إذا تبين له ويَخاف أن يصرف عنه فلا يقبله بعد ذلك.

وقوله تعالَى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [الْمُؤمنون٨٤-٨٩].

هذه آيات من سورة الْمُؤمنون مثل الآيات الَّتِي فِي سورة يونس الَّتِي ساقها الْمُصنِّف ومثل غيرها من الآيات الَّتِي تقرر أن المشركين يعترفون للَّه بربوبيته؛ ولكنهم يعارضون فِي توحيد الألوهية.

قال تعالَى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾. ما دامت الأرض ومن فيها للَّه كيف تعبدون الأصنام الَّتِي لا تَملك شيئًا، وتعبدون القبور الْمَيتة الَّتِي لا حياة فِي أصحابِها؟!

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾. أفلا تذكرون أن الذي يَملك الأرض ومن فيها هو المستحق للعبادة دون هذه الأصنام الَّتِي تعبدونَها.

وهذا إقامة للحجة عليهم بِما يعترفون به على ما جحدوه، فهم يعترفون بتوحيد الربوبية ويَجحدون توحيد الألوهية.

[١٠] أي: إذا عرفت أن الْمُشركين مقرون بتوحيد الربوبية، وأن الذي جحدوه هو توحيد الألوهية، وهم يقولون: إن اللَّه هو الْخَالق الرازق الْمُحيي الْمُميت لكن إذا قيل لَهم قولوا: لا إله إلا اللَّه؛ قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ

﴿هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]. أي: إذا قيل لَهم اعبدوا اللَّه، ولا تشركوا به شيئًا؛ قالوا -كما قال قوم نوح من قبل-: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣].

كذلك هؤلاء الْمُشركون كان الْجِدال الذي بينهم وبين الرسول ﷺ هو فِي عبادة اللَّه وحده لا شريك له، فالرسول ﷺ يقول لَهم: قولوا: لا إله إلا اللَّه تفلحوا، وهم يقولون: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا﴾.

ويقولون: هذا دين آبائنا وأجدادنا، حَتَّى إن أبا طالب عند الوفاة لَمَّا طلب منه الرسول ﷺ أن يقول: «**لا إله إلا الله**». أبَى أن يقولَها، وقال: هو على ملة عبد الْمُطلب[1]. وملة عبد الْمُطلب عبادة الأصنام.

هذا هو مَحل النِّزاع بين الرسل وبين الأمم، فالرسل يقولون للأمم: اعبدوا اللَّه ولا تشركوا به شيئًا؛ ولكن الْمُشركين أبوا إلا البقاء على عبادة الأصنام فالْخُصومة بين الرسل وبين الأمم هي فِي توحيد الألوهية.

أما توحيد الربوبية فهو مَحل إجْمَاع عند الْجَميع لَمْ يُخالفوا فيه؛ وإنَّما خالفوا فِي توحيد الألوهية فهو مَحل النِّزاع، وهو الذي شُرع من أجله الْجِهاد فِي سبيل اللَّه.

يقول الرسول ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حَتَّى يقولوا: لا إله إلا الله**»[2].

وفِي رواية: «**إلَى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله**»[3].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٦/ ١٧، ١٨) من حديث الْمُسيب بن حزن ﵁، كتاب التفسير، سورة القصص، وانظر: الفتح (٨/ ٥-٦، ٣/ ٢٢٢).

(٢) رواه البخاري فِي صحيحه (٩/ ١٤٠-١٤١)، كتاب الاعتصام، باب: الاقتداء بسنن رسول اللَّه ﷺ ... من حديث أبِي هريرة ﵁.

(٣) صحيح البخاري (١/ ١١، ١٢) كتاب الإيْمَان، باب: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥].

كما كانوا يدعون اللَّه سبحانه ليلاً وَنَهارًا [١١].

فلو كان الرسول ﷺ يطلب منهم الإقرار بتوحيد الربوبية ما صار بينهم خصومة، ولا نزاع؛ لأنَّهم معترفون به.

[١١] وهذا أمرٌ ثانٍ من شأن الْمُشركين، كما أنَّهم يعترفون بتوحيد الربوبية فهم أيضًا يعبدون اللَّه فيدعونه، ويَحجون إلَى البيت، ويَعتمرون، ويتصدقون، ويعبدون اللَّه، بأنواع من العبادة لكنهم يَخلطونَها بالشرك بِحيث يعبدون اللَّه ويعبدون غيره، وهذا لا ينفعهم شيئًا؛ لأن الشرك يبطل عبادتَهم، فالعبادة لا تنفع إلا مع الإخلاص؛ ولِهذا يقول -جل وعلا-: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [النساء: ٣٦].

وقال ﷻ: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف: ١١٠]. ما اقتصر على قوله: ﴿فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا﴾ بل لا بد أن يتجنب الشرك، فإذا كان لَمْ يتجنب الشرك، ولو كان يعمل أعمالاً كثيرة، فإنَّها تبطل ولا تنفع، فالْمُشركون كان عندهم عبادات للَّه ﷿، وهي من بقايا دين إبراهيم الْخَليل ؈، فكانوا فِي البداية على دين إبراهيم؛ ولكن لَما جاء عمرو بن لُحي الْخُزاعي غيَّر دينهم، وأدخل فيه الشرك.

لكن بقيت بقايا من دين إبراهيم عندهم وهم مشركون، فهم يدعون اللَّه خصوصًا إذا وقعوا فِي الشدة، فإنَّهم يُخلصون الدعاء للَّه ﷿، ويتركون دعاء الأصنام؛ لأنَّها لا تنفع فِي هذا الْمَوقف، ولا تنجدهم فِي وقت الشدة عليهم بِهذا، فقال سبحانه: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٧].

وقال تعالَى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوۡجٞ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ فَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٖ كَفُورٖ﴾ [لقمان: ٣٢].

فالعبادات إذا خالطها شرك تكون باطلة، فالذين يدَّعون الإسلام الآن،

ثُمَّ منهم مَنْ يدعو الْمَلائكة لأجل صلاحهم وقربِهِم من اللَّه؛ ليشفعوا له، أو يدعو رجلاً صالِحًا مثل: اللَّاتِ، أو نبيًّا مثل عيسَى [١٢].

ويصلون، ويصومون، ويَحجُّون؛ ولكنهم يدعون الْحُسين، والبدوي، وعبد القادر الْجيلانِي هؤلاء مثل الْمُشركين الأولين.

فالْمُشركون يتعبدون للَّه ﷻ؛ ولكنهم يدعون اللات، والعزى، ومناة الثالثة الأخرى، ولا يقولون: إن هذه أرباب؛ بل يقولون: هذه تقربنا على اللَّه زلفى، نريد منها الزلفى عند اللَّه والتقرب إلَى اللَّه، فهي وسائط وشفعاء بيننا وبين اللَّه.

وهؤلاء يقولون: الْحَسن والْحُسين وعبد القادر والبدوي إنَّمَا هم شفعاء لنا عند اللَّه، ولا يقولون: إنَّهم يَخلقون ويرزقون ويتصرفون فِي شيء من الأمور؛ وإنَّما هذا للَّه ﷻ؛ إنَّما هؤلاء وسائط وشفعاء.

ويقول بعض الناس: هؤلاء مسلمون، فنقول: ولِماذا لا يكون كفار قريش مسلمين أيضًا؟!

وهذا القائل ليس عنده فهم للتوحيد، ولا بصيرة؛ لأنه ما فهم التوحيد.

والواجب على الإنسان: أن يعرف هذا الأمر؛ لأنه مهم جدًّا، وهذه هي الثقافة الصحيحة، ليست الثقافة أن تعرف أحوال العالَم والْحُكومات والسياسات، هذه ثقافة لا تنفع ولا تضر.

الثقافة الَّتِي تنفع هي معرفة التوحيد الصحيح، ومعرفة ما يضاده من الشرك، أو ينقصه من البدع والْمُحدثات، هذه هي الثقافة الصحيحة، وهذا هو الْمَطلوب من الْمُسلم ومن طالب العلم أن يعرف التوحيد وأن يدعو إليه هذا هو الْمَطلوب.

ماذا ينفع العلم الكثير من غير تَحقيق ومن غير بصيرة؟ لا ينفع شيئًا، ولا يفيد صاحبه شيئًا إذا لَمْ يكن مبنيًّا على تَحقيق وتوحيد وعبادة للَّه ومعرفة للحق من الباطل فإنه لا ينفع صاحبه إذا كان مُجرد اطلاع أو مُجرد ثقافة عامة.

[١٢] هؤلاء الْمُشركون متفرقون فِي عباداتِهم: منهم من يعبد الْمَلائكة،

وَعَرَفْت أنَّ رسول اللَّه ﷺ قاتلهم على هذا الشرك، ودعاهم إلَى إخلاص العبادة للَّه وحده.

كما قال تعالَى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨] **[١٣].**

ومنهم من يعبد عيسى بن مريَم، ومنهم من يعبد الصَّالِحين.

هذا دين الْمُشركين، وهو الواقع فِي كثير من العالِم الإسلامي اليوم مع الأسف يعبدون اللَّه، ويَحجُّون ويصومون ويصلون؛ لكنهم واقعون فِي الشرك الأكبر، فيعبدون الأموات، ويذبَحون لَهم، ويستغيثون بِهم، وقد يعتذر لَهم بعض من لا بصيرة عنده بالتوحيد، فيقول: هؤلاء معذورون، ولا يعتقدون فِي الأموات أنَّهم يَخلقون، ويرزقون، وإنَّما اتَّخذوهم وسائط وشفعاء.

فإن استحيا قال: هؤلاء مُخطئون. ورُبَّما يقول: هؤلاء مُجتهدون والْمُجتهد مأجور.

أو يقول: هؤلاء جُهال، وكيف يكونون جهالاً والقرآن يتلى عليهم والأحاديث تسمع وكلام أهل العلم يتردد عليهم؛ بل هؤلاء معاندون لأنَّهم قد قامت عليهم الْحُجة فلم يقبلوها.

وهناك من يقول: إن الإنسان مهما فعل، ومهما قال لا يُحكم عليه بالكفر، ولا بالشرك حَتَّى يعلم ما فِي قلبه، ويا سبحان الله!! هل نَحن نعلم ما فِي القلوب، أو اللَّه الذي يعلم ما فِي القلوب؟!

نَحن نُحكم على الظواهر، أما البواطن فلا يعلمها إلاَّ اللَّه ﷻ، فالذي يعمل بالشرك يَحكم عليه أنه مشرك، ويعامل معاملة الْمُشركين، حَتَّى يتوب إلَى اللَّه تعالَى، ويلتزم بعقيدة التوحيد.

كما أن الذي يعمل بالتوحيد وينطق بالشهادتين يعامل معاملة الْمُسلمين ما لَمْ يظهر منه ما يناقض ذلك، فنعامل كلاًّ حسب ما يظهر منه.

[١٣] أي: وعرفت أن تَعَبُّدهُم للَّه مع الشرك به لَمْ ينفعهم.

وكما قال تعالَى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ﴾ [الرعد: ١٤] [١٤].

لأن الرسول ﷺ لَمْ يقبله منهم بل دعاهم إلَى إفراد اللَّه بالعبادة، وترك عبادة ما سواه.

وهذه الآية تَمنع عبادة الْمَلائكة، وتَمنع عبادة الرسل، وتَمنع عبادة الصالِحين، ففيها إبطال عبادة غير اللَّه ﷻ كائنًا من كان، ولو كان أصحابُها لا يعتقدون فيهم أنَّهم يَخلقون ويرزقون.

وإنَّما يقولون: إن هؤلاء صالِحون فيتخذونَهم وسائط بينهم وبين اللَّه وشفعاء لَهم عند اللَّه ﷻ يقربونَهم إلَى اللَّه زلفى.

كما قال تعالَى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

وفِي زماننا الْحَاضر يقولون: هؤلاء وسائل نتوسل بِهم إلَى اللَّه ﷻ، وهذا كله دين الْجَاهلية، وهو باطل، لأنه عبادة لغير اللَّه ﷻ.

[١٤] ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾؛ أي: العبادة الصحيحة؛ كما قال تعالَى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]. واللَّه -جل وعلا- لا يقبل إلا دعوة الْحَق -يعنِي: الدين الخالص- أما الذي يعبد اللَّه ويعبد معه غيره، فهذه دعوة شرك لا يقبلها اللَّه.

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾. عام فِي كل من دُعِي من دونه سواء من الْمَلائكة، أو من الرسل، أو من الصالِحين، أو من الأصنام، أو من أي شيء.

وقوله: ﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ﴾ [الرعد: ١٤]. أي: لا يستجيبون لِمن دعاهم بشيء؛ لأنَّهم عاجزون لا يقدرون على شيء.

□ **فائدة في بيان معنى الرب والإله:**

اللَّه -جل وعلا- فِي القرآن ذكر الرب فِي مواضع، وذكر الإله فِي مواضع.

خذ مثلاً سورة الناس، يقول ﷻ بسم اللَّه الرحْمَن الرحيم: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١-٣].

فما الفرق بين رب الناس، وإله الناس؟ هل هُما بِمعنًى واحد؟ إذن يكون الكلام مكررًا، أو أنَّهما بِمعنيين فلابد من معرفة الفرق بينهما، وكثيرًا ما يأتِي ذكر الرب؛ كقوله تعالَى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۝ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ [الْمُؤمنون: ٨٦-٨٧]. فتكرر لفظ الرب، وتكرر لفظ الإله فما معنى كل منهما؟

فالرب معناه: الْمُربِّي لِخلقه بنعمه، ومغذيهم برزقه، تربية جسمية بالأرزاق والطعام، وتربية قلبية روحية بالوحي والعلم النافع وإرسال الرسل.

ومن معانِي الرب: أنه الْمَالك للسموات والأرض، فرب الشيء: مالكه، والْمُتصرف فيه.

ومن معانِي الرب: الْمُصلح الذي يصلح الأشياء، ويدفع عنها ما يفسدها، فاللَّه ﷻ هو الذي يصلح هذا الكون، وينظمه على مقتضى إرادته وحكمته ﷻ.

أما الإله فمعناه: الْمَعبود من أله يأله بِمعنَى: عبد يعبد فإله معناه: معبود، وليس معناه الرب: وإنَّما معناه الْمَعبود والإلَهيَّة هي العبادة.

والوله هو: الْحُب؛ لأنه ﷻ يُحبه عباده الْمُؤمنون، ويَخافونه ويرجونه ويتقربون إليه.

هذا هو معنَى الإله؛ فتبين الفرق بين معنَى الرب، ومعنَى الإله، وأنَّهما ليسا بِمعنًى واحد، ومن قال: إنَّهما بِمعنًى واحد، فقد غلط.

والعلماء يقولون: إذا ذكرا جَميعًا صار الرب له معنًى، والإله له معنًى، وإذا ذكر واحد دخل فيه معنًى الرب، أما إذا ذكرا جَميعًا مثل ما فِي سورة الناس، فإنه يكون للرب معنًى، وللإله معنًى آخر؛ كما فِي لفظ الفقير والْمسكين إذا ذكرا جَميعًا.

كما فِي قوله تعالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾ [التوبة: ٦٠]. صار للفقير معنًى، وللمسكين معنًى.

فالفقير: هو الذي لا يَجد شيئًا.

وأما الْمِسكين: فهو الذي يَجد بعض الكفاية، فالمسكين أحسن حالاً من الفقير.

ومثل لفظ الإسلام والإيْمَان، إذا ذكر الإسلام والإيْمَان صار الإسلام معناه: الأعمال الظاهرة، والإيْمَان معناه: الأعمال الباطنة، كما فِي حديث جبريل: «**قال: أخبرنِي عن الإسلام. قال: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا اللَّه، وأن مُحمَّدًا رسول اللَّه، وتقيم الصلاة، وتؤتِي الزكاة، وتَصوم رمضان، وتَحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً**». فسره بالأركان الظاهرة.

«**قال: أخبرنِي عن الإيْمَان، قال: أن تؤمن باللَّه، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»[(١)]. فسره بالأعمال الباطنة، وهو إيْمَان القلب.

هذا إذا ذكرا جَميعًا صار لكل واحد معنًى، وإذا ذكر أحدهُما وحده دخل فيه الآخر.

ومن هنا نعرف الفرق أيضًا بين توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية.

فتوحيد الربوبية: هو الإقرار بأن اللَّه هو الخالق، والرازق، الْمُحيي الْمُميت، أي: الاعتراف بأفعال اللَّه ﷻ.

وتوحيد الألوهية: معناه إفراد اللَّه بأعمال العباد الَّتِي يتقربون بِها إليه مِمَّا

---

(١) رواه الإمام مسلم فِي صحيحه (١/ ٣٦-٣٨) (١) كتاب الإيْمَان (١) باب: بيان الإيْمَان، والإسلام، والإحسان، ووجوب الإيْمَان بإثبات قدر اللَّه ﷻ، وبيان الدليل على التبري مِمَّن لا يؤمن بالقدر، وإغلاظ القول معه، من حديث عمر بن الْخَطاب -رضي اللَّه تعالَى عنه-.

شرع». هذا معنَى توحيد الألوهية.

فهناك فرق بين توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وما دمنا قد عرفنا معنَى توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية؛ نأتِي إلَى حالة الْمُشركين الذين بُعث إليهم رسول اللَّه ﷺ، فإنَّهم كانوا مقرِّين بالنَّوع الأول الذي هو توحيد الربوبية، ولَمْ يدخلهم فِي الإسلام، بل اعتبرهم الرسول ﷺ كفارًا مشركين، وقاتلَهم وهم يقرون بتوحيد الربوبية، فهم أقروا بتوحيد الربوبية، وجحدوا توحيد الألوهية لَمَّا طلب منهم أن يفردوا اللَّه بالعبادة، ويتركوا عبادة الأصنام، قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥].

لأنه قال لَهم: قولوا: لا إله إلا اللَّه، فهم فهموا معنَى لا إله إلا اللَّه، وهو أنه لا يُعبد إلا وحده لا شريك له، وهم لَهم أصنام، ولَهم معبودات كثيرة لا يريدون تركها والاقتصار على عبادة اللَّه وهذا لا يرضيهم؛ ولذلك أنكروا وقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا﴾ [ص: ٥].

طلب منا أن نعبد اللَّه وحده، ونترك عبادة اللات والعزى ومناة وهبل وغيرها من الأصنام هذا شيء لا يعقل عندهم: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [ص: ٧]. ملة آبائهم، فهذا احتجاج بِما عليه آباؤهم؛ الْحُجة الْمَلعونة الَّتِي احتجت بِها الأمم من قبلُ إذا دُعوا إلَى عبادة اللَّه.

حَتَّى فرعون يقول: ﴿فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [طه: ٥١]. فهم لَمَّا فهموا معنَى لا إله إلاَّ اللَّه استغربوا هذا واستنكروه وتواصوا برفضه، وفِي الآية الأخرى يقول سبحانه فيهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ﴾ [الصافات: ٣٥-٣٦].

وهذا يبين معنَى لا إله إلا اللَّه تَمامًا، ويوضحه ويقطع الْجِدال، فإن فيه ردًّا على من غلط فِي معنَى لا إله إلا اللَّه، فعلماء الكلام فِي مقرراتِهم وعقائدهم يقولون: لا إله إلاَّ اللَّه معناها: لا خالق، ولا رازق ولا قادر على الاختراع

وَتَحَقَّقْت أنَّ رسول اللَّه ﷺ إنَّمَا قاتَلَهم ليكون:
الدُّعَاءُ كُلُّهُ لله، والنذر كله لله، والذَّبْحُ كُلُّه لله، والاستغاثة كُلُّهَا باللَّه، وجَميع أنواع العبادة كُلُّهَا للَّه [١٥].

إلاَّ اللَّه؛ هذا معنَى الإله عندهم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحِمه اللَّه تعالَى-:

«والْحَاذق منهم من يقول: الإله هو القادر على الاختراع، وهذا غلط وجهل كبير باللغة وبالشرع الْمُطهر؛ إذ معنَى الإله: الْمَعبود الذي تألَهه القلوب، وتَخضع له، وتتقرب إليه»(١).

فهم لَمْ يفهموا معنَى الإله؛ ولذلك يقولون: لا إله إلا اللَّه ويكثرون، ولَهم أوراد فِي الليل والنهار يرددونَها، ومع هذا يعبدون القبور والأضرحة ويستغيثون بغير اللَّه ﷻ، فلم يفهموا معنَى لا إله إلا اللَّه، وأنَّها تطلب منهم ترك عبادة القبور والأضرحة وعبادة ما سوى اللَّه من الأصنام والأشجار والأحجار، فإذا قالوها لزمهم ترك هذه الأمور وإلاَّ تناقضوا.

والْمُشركون الأولون توقفوا، ولَمْ يقولوها؛ لأنَّهم إذا قالوها لزمهم ترك عبادة الأوثان، أما هؤلاء فقالوها وعبدوا غير اللَّه، فالأولون أحذق منهم.

ولِهذا يقول الشيخ: لا خير فِي رجل جهالُ الْمُشركين أعلمُ منه بِمعنَى لا إله إلا اللَّه.

[١٥] أي: لا يكون بعض ذلك لله، وبعضه للبدوي، وبعضه لله، وبعضه للحسين، لابد أن يكون الدعاء كله لله، والذبح كله لله، والنذر كله لله، وسائر العبادات كلها لله، وهذا هو الدين الصحيح.

---

(١) انظر معنَى كلامه فِي التدمرية (ص ١٨٥-١٨٦)، تَحقيق: مُحمَّد بن عودة السعوي، وفِي مَجموع الفتاوى (١٣/ ٢٠٣).

وعرفت أنَّ إقرارهم بتوحيد الرُّبُوبيَّة لَمْ يُدخلهم فِي الإسلام [١٦].

وأنَّ قصدهم الْمَلائكة والأولياء يريدون شفاعتهم والتَّقرُّبَ إلَى اللَّه بذلك هو الذي أحلَّ دماءهم وأموالَهم [١٧].

أما أن تكون العبادة مشتركة بين اللَّه وبين القبور والأضرحة والأولياء والصالِحين فهذا ليس هو التوحيد.

بل هذا هو دين الْمُشركين، وإن كان صاحبه يعترف بتوحيد الربوبية، ويصوم ويصلي، ويَحجُّ ويعتمر إلَى غير ذلك.

[١٦] أي: لَما كان إقرارهم بتوحيد الربوبية الذي ذكره اللَّه عنهم وسجله عليهم لَمْ يدخلهم فِي الإسلام، دلَّ على أن التوحيد المطلوب ليس هو توحيد الربوبية؛ وإنَّما هو توحيد الألوهية، وهو الفارق بين المسلم والكافر.

أما توحيد الربوبية فكلٌّ مقرٌّ به: الْمُسلم والكافر، وهو لا ينفع وحده.

[١٧] أي: أنَّهم لَمْ يقولوا: إن الْمَلائكة والأنبياء والأولياء الذين يعبدونَهم يَخلقون ويرزقون ويُحيون ويُميتون، ما قالوا هذا؛ وإنَّما اتَّخذوهم شفعاء ووسائط بينهم وبين اللَّه، كما قال تعالَى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

ما أرادوا منهم إلاَّ الشفاعة، وزعموا أن هذا تعظيم للَّه يقولون: اللَّه عظيم، ما يُمكن أن نصل إليه بدعائنا لكن نتخذ من يوصل إليه حاجاتنا من عباده الصالِحين، من الْمَلائكة والرسل والصالِحين، فقاسوا اللَّه على ملوك الدنيا الذين يتوسط عندهم أصحاب الْحَاجات بالمقربين عندهم، فهم لَمْ يعتقدوا فيهم أنَّهم يَخلقون ويرزقون كما يقول الْجُهال: إن الشرك هو اعتقاد أن أحدًا يَخلق مع اللَّه أو يرزق مع اللَّه.

هذا ما قاله أحد من عقلاء بنِي آدم، وإنَّما قصدهم الشفاعة وفِي الآية الأخرى: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]. يقولون: نَحن عباد

عَرَفْت حينئذٍ التوحيد الذي دَعَتْ إليه الرُّسُل، وأَبَى عَنْ الإقرار به الْمُشركون [١٨].

ضعفاء، واللَّه -جل وعلا- شأنه عظيم، ولا نتوصل إليه، فهؤلاء يقربونا إلَى اللَّه زلفى.

شبَّهوا اللَّه بِملوك الدنيا، هذا هو أصل الكفر، فدل على أنَّهم لَمْ يعتقدوا فيهم الشرك فِي الربوبية وإنَّما اعتقدوا فيهم الشرك فِي الألوهية، فإذا سألت أي واحد الآن يذبح للقبور، أو ينذر لَها: ما الذي حَملك على هذا؟

فإنَّهم يقولون كلهم بلسان واحد: واللَّه ما اعتقدنا أنَّهم يَخلقون ويرزقون، وأنَّهم يَملكون شيئًا من السموات والأرض، إنَّما اعتقدنا أنَّهم وسائط لأنَّهم صالِحون يوصلون إلَى اللَّه حاجاتنا ويبلغونه حاجاتنا هذا قصدنا.

ومع هذا سَماهم اللَّه مشركين، وأمر نبيه بِجهادهم، كما قال تعالَى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٥].

مع أنَّهم يقولون لا نعتقد أنَّهم يَخلقون ويرزقون ويدبِّرون مع اللَّه؛ وإنَّمَا قصدنا اتِّخاذهم وسائط فنحن نذبح لَهم، وننذر لَهم، ونتوسل بِهم؛ لأن اللَّه لا يصل إليه شيء من أمورنا إلا بواسطتهم، فهم يوصلونه إلَى اللَّه، ويكونون وسائط يقربوننا إلَى اللَّه زلفى، وشفعاء عند اللَّه، هذه شبهتهم قديْمًا وهذه شبهة عباد القبور اليوم. ﴿تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [البقرة: ١١٨]. فتشابهت أقوالُهم وأفعالُهم.

[١٨] أي: إذا فهمت ما سبق من الآيات البينات الَّتِي تدل على أن الْمُشركين الأولين لَمْ يشركوا فِي الربوبية، وإنَّما أشركوا فِي الألوهية فاتَّخذوا الآلِهة من دون اللَّه لتقربُهم إلَى اللَّه عَجَّلَ وتشفع لَهم عنده.

إذا تبين لك هذا، عرفت أن التوحيد الذي دعت إليه الرسل، وجَحده

وهذا التوحيد هو مَعْنَى قولك: «لا إله إلا الله». [١٩].

فإنَّ الإله عندهم هو الذي يُقْصَدُ لأجل هذه الأمور سواءً كان ملكًا، أو نبيًّا، أو وليًّا، أو شجرةً، أو قبرًا، أو جِنِّيًّا [٢٠].

لَمْ يريدوا أنَّ الإله هو الْخَالق الرَّازق الْمُدَبِّرُ؛ فإنَّهُم يعلمون أنَّ ذلك للَّه وحده، كما قَدَّمْتُ لك، وإنَّمَا يعنون بالإله ما يعنِي الْمُشركون فِي زماننا بلفظ «السَّيِّدِ» [٢١].

الْمُشركون هو توحيد الألوهية لا توحيد الربوبية، وأن الإقرار بتوحيد الربوبية وحده لا يكفي، ولا يدخل من أقرَّ به فِي الإسلام.

ومعرفة ذلك أمر مهم جدًّا، إذ به يعرف التوحيد والشرك، والإسلام والكفر، والْجَهل بذلك ضرره عظيم، وخطره كبير؛ لأن الإنسان قد يَخرج من الإسلام وهو لا يدري.

[١٩] أي: معنَى لا إله إلا اللَّه هو توحيد الألوهية لا توحيد الربوبية؛ لأنه لو كان معناها توحيد الربوبية لَما قال الرسول ﷺ للمشركين: قولوا: لا إله إلا اللَّه؛ لأنَّهم يقولون: إن اللَّه هو الْخَالق الرازق الْمُحيي الْمُميت، وإنه حينئذٍ يطلب منهم ما هو تَحصيل حاصل، ويقاتلهم على شيء يعترفون به ويقرون به؛ وهذا القول باطل.

[٢٠] هذا تعليل لِما سبق فِي تقرير معنَى لا إله إلاَّ اللَّه، وأنه توحيد الألوهية؛ لأن الإله عند مشركي العرب، هو الذي يقصد لقضاء الْحَاجات، وتفريج الكربات، وإغاثة اللهفان، وليس الإله عندهم هو الذي يَخلق ويرزق ويدبر، ليس هذا هو الإله عندهم، فالشرك عندهم لَمْ يقع فِي توحيد الربوبية؛ وإنَّما وقع فِي توحيد الإلَهية.

[٢١] أي: ليس الإله عند الْمُشركين الأولين هو الْخَالق الرازق المدبر؛ لأن هذا معنَى الرب، وفرق بين معنَى الرب، ومعنَى الإله، وفرق بين توحيد

فأتاهم النَّبِي ﷺ يدعوهم إِلَى كلمة التوحيد وهي: «لا إله إلا الله»، والْمُراد من هذه الكلمة معناها لا مُجَرَّدُ لفظها [٢٢].

الربوبية وتوحيد الألوهية.

وإنَّما يعنون بالإله ما يعنِي الْمُشركون فِي زماننا -أي: زمان الْمُؤلف- بلفظ السيد، وإِلَى الآن يسمون هؤلاء الذين يدَّعون صلاحهم ويتقربون إليهم يسمُّونَهم السادة كالسيد البدوي، والسيد الرفاعي، والسيد التيجانِي ... إِلَى غير ذلك.

يعتقدون أن هؤلاء السادة لَهم منْزلة عند اللَّه، وتؤهلهم أن يتوسطوا لَهم عند اللَّه، وتؤهلهم أن يُدعوا من دون اللَّه، ويُذبح ويُنذر لَهم ويطاف بقبورهم ويتبرك بِها.

فالْمُشركون الأولون يسمون هذه الأشياء آلهة، والْمُشركون الْمُتأخرون يسمون هذه الأشياء وسائط ووسائل وشفعاء، والأسْمَاء لا تغيِّر الْحَقائق؛ فهي آلِهة.

[٢٢] أي: أن النَّبِي ﷺ دعا الْمُشركين إِلَى تَحقيق معنَى: **«لا إله إلا الله»**. الَّتِي هي كلمة التوحيد.

ومعناها: «لا مَعبود بِحق إلا الله»، وهو الذي بعث اللَّه به رسوله إِلَى الْمُشركين، ولَمْ يبعثه إليهم يدعوهم إِلَى توحيد الربوبية؛ لأنَّهم مقرُّون به، وهو لا يكفي؛ لأنه قاتلهم وهم يقرون به.

ومن قال: إنه يكفي؛ فإنه يلزم عليه تغليط الرسول، وأنه قاتل أناسًا مسلمين يعترفون بـ: «لا إله إلا الله». إذا فسرناها بتوحيد الربوبية، وهو الإقرار بالْخَالق الرازق القادر على الاختراع.

ومع الأسف هذا التفسير الْخَاطئ لـ: «لا إله إلا الله» موجود فِي كتب العقائد الَّتِي ألفها علماء الكلام، وعلماء المنطق من الْمُعتزلة والأشاعرة والَّتِي

تدرَّس فِي كثير من الْمَعاهد الإسلامية الآن، وعقائدهم مبنية على هذا الرأي، وأن الإله معناه القادر على الاختراع، فمن اعترف أن اللَّه هو الْخَالق الرازق يعتبر موحدًا، وأما من اعتقد أن أحدًا يَخلق، أو يرزق مع اللَّه؛ فهذا هو الْمُشرك عندهم مع أن الشرك إنَّما وقع فِي توحيد الألوهية، ولَمْ يقع فِي هذا، وليس هذا هو معنَى «لا إله إلا الله».

وإنَّما معناها: لا معبود بِحق إلا اللَّه.

فمن قال: «لا إله إلا الله»؛ وجب عليه أن يُفْرد اللَّه بالعبادة، وأن يترك عبادة ما سواه، فإن الْمَقصود من هذه الكلمة معناها، والعمل بِمقتضاها، لا مُجرد النطق بِها دون عمل بِمعناها ومقتضاها.

فمن قالَها وهو يعبد غير اللَّه لَمْ يكن عاملاً بِمقتضاها -وهو ترك الشرك-، ولا ينفعه مُجرد النطق بِها؛ لأنه قد ناقض فعله قوله.

والْمُشركون الأولون لَما سَمعوا هذه الكلمة عرفوا معناها، وأنه ليس الْمَقصود التلفظ بِها فقط، ولذلك قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥].

وفِي وقتنا هذا وجد من يفسِّر «لا إله إلا الله» بأن معناها هو: إفراد اللَّه بالْحَاكمية، وهذا غلط؛ لأن الْحَاكمية جزء من معنَى «لا إله إلا الله»، وليست هي الأصل لِمعنَى هذه الكلمة العظيمة؛ بل معناها: لا معبود بِحق إلا اللَّه بِجميع أنواع العبادات، ويدخل فيها الْحَاكمية، ولو اقتصر الناس على الْحَاكمية، فقاموا بِها دون بقية أنواع العبادات لَمْ يكونوا مسلمين.

ولِهذا تَجد أصحاب هذه الفكرة لا ينهون عن الشرك ولا يهتمون به، ويسمونه: الشرك الساذج، وإنَّما الشرك عندهم الشرك فِي الْحَاكمية فقط، وهو

والكُفَّارُ الْجُهَّالُ يعلمون أنَّ مُراد النَّبي ﷺ بِهَذِه الكلمة هو إفراد اللَّه تعالَى بالتَّعلُّق، والكُفْرُ بِمَا يُعْبَدُ من دون اللَّه والبراءة منه، فإنه لَمَّا قال لَهُم: «قولوا: لا إله إلا الله» قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾. **[٢٣]**.

ما يسمونه الشرك السياسي؛ فلذلك يركزون عليه دون غيره، ويفسرون الشرك بأنه طاعة الْحُكام الظلمة!!

[٢٣] أي: الكفار يعرفون معنَى لا إله إلا اللَّه، ولِهذا لَمَّا قال لَهم ﷺ: «**قولوا: لا إله إلا الله**» ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾.

ولَمَّا قال لَهم: قولوا: لا إله إلا اللَّه، قالوا: ﴿أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ۝٣٦ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ٣٦-٣٧]. فهم فهموا معنَى لا إله إلا اللَّه، وأبوا أن يعترفوا به؛ لأنه يُلزمهم بترك عبادة الأصنام، وهم لا يريدون هذا، وإنَّما يريدون البقاء على عبادة الأصنام.

ولَمْ يَجرءوا أن يقولوا: لا إله إلا اللَّه، ويبقوا على عبادة الأصنام؛ لأن فِي هذا تناقضًا، وهم يأنفون من التناقض، فِي حين أن كثيرًا من الْمُنتمين إلَى الإسلام اليوم لا يأنفون من هذا التناقض، فهم يقولون: لا إله إلا اللَّه بِحروفها؛ ولكنهم يُخالفونَها ويعبدون غير اللَّه من القبور والأضرحة والصالِحين؛ بل والأشجار والأحجار وغير ذلك، فهم لا يفهمون معنَى «لا إله إلا الله».

فلا يكفي التلفظ بـ: «لا إله إلا الله». دون علم بِمعناها وعمل بِمقتضاها.

بل لابد من العلم بِمعناها أولاً ثُمَّ العمل بِمقتضاها؛ لأنه لا يُمكن أن يَعمل بِمقتضاها وهو يَجهل معناها.

ولِهذا يقول -جل وعلا-: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [مُحمَّد: ١٩].

فإذا عرفت أنَّ جُهَّال الكُفَّار يعرفون ذلك، فالعجب مِمَّنْ يَدَّعِي الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرَفَهُ جُهَّال الكَفَرة.

بل يَظن أنَّ ذلك هو التَّلَفُّظ بِحُروفها من غير اعتقاد القلب لشيء من الْمَعانِي [٢٤].

والْحَاذق منهم يَظُنُّ أنَّ مَعنَاها: لا يَخْلُقُ ولا يَرْزُقُ ولا يُدَبِّرُ الأمر إلا اللَّه [٢٥].

فبدأ بالعلم قبل القول والعمل، فالذي يَجهل معنَى لا إله إلا اللَّه، لا يُمكن أن يعمل بِمقتضاها على الوجه الصحيح.

[٢٤] هذا من أعجب العجب، أن جُهال الكفار والْمُشركين فِي عهد النَّبِي ﷺ يعرفون أن معنَى هذه الكلمة هو إخلاص العبادة للَّه وترك عبادة غيره؛ فلذلك امتنعوا عن النطق بِها تَحاشيًا لترك عبادة آلِهتهم وتعصبًا لباطلهم.

ومن يدعي الإسلام اليوم لا يفهم أن معنَى هذه الكلمة هو ترك عبادة القبور والأضرحة، وإخلاص العبادة لله، فلذلك صار يقولُها وهو مُقيم على شركه لا يأنف التناقض والْجَمع بين الضدين.

فصار جُهال الكفار أعلم منه بِمعنَى لا إله إلا اللَّه، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه العظيم.

وصار هذا الْمُدعي للإسلام يظن أن الْمُراد بِهذه الكلمة هو النطق بِحروفها من غير اعتقاد لِمعناها، فصار يردد معها دعاء الْمَوتَى والْمَقبورين ليلاً ونَهارًا.

[٢٥] كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية فِي الرسالة التدمُرية وغيرها(١) عن علماء الكلام أن الإله عندهم هو القادر على الاختراع -يعني: هو الذي يقدر

---

(١) انظر: التدمرية (ص ١٨٥) تَحقيق: الدكتور مُحمَّد بن عودة السعوي، ومَجموع الفتاوى (١٣/ ٢٠٣).

فلا خَيْر فِي رَجُل جُهَّال الكُفَّار أعلم منه بِمَعْنَى: «لا إله إلا الله» [٢٦].

إذا عرفت ما قلتُ لك معرفة قَلْب [٢٧].

على الْخَلق والرزق، والإحياء والإماتة-.

ويبنون عقائدهم على هذا. ويفسرون لا إله إلا اللَّه بِهذا الْمَعنَى، ويَجعلون التوحيد هو الإقرار بتوحيد الربوبية، وهذا غلط عظيم.

فإذا كان هذا حال العالِم منهم فكيف بالْجَاهل؟!

وما هذا إلاَّ من قلة الاهتمام بدعوة التوحيد، وتقليد الآباء والأجداد، والاكتفاء من الإسلام بِمجرد الانتساب لأغراض وأهداف دنيوية اللَّه أعلم بِها، من غير تعرف على الدين الْحَقيقي الذي أساسه التوحيد الْخَالص.

[٢٦] لا خير فِي رجل يدعي الإسلام؛ بل يدعي أنه من أهل العلم، ولا يفهم معنَى لا إله إلا اللَّه، وقد فهمها كفار قريش، وعرفوا معناها.

إن الأمر خطير، والعار شنيع، والواجب على الْمُسلمين أن ينتبهوا لدينهم، ويتأملوا دعوة نبيهم، ويفقهوا دينهم فقهًا صحيحًا، ويقيموه على أساس سليم من عقيدة التوحيد والبراءة من الشرك وأهله، ولا يكتفوا بِمجرد التسمي والانتساب إليه مع البقاء على الرسوم والعادات الْمُخالفة له، وترديد عبارات جوفاء لا تسمن ولا تغنِي من جوع.

[٢٧] أي: إذا عرفت ما ذكرت لك من الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية؛ وعرفت أن الْمُشركين أقروا بالأول وجَحدوا الثانِي، فلم يدخلهم فِي الإسلام، وقُتِلُوا واستُحِلَّت دماؤهم وأموالُهم، إذا عرفت هذه الأمور معرفة قلب لا معرفة لسان فقط كأن يَحفظ الإنسان هذا الْمَعنَى ويؤديه فِي الامتحان، وينجح فيه، ولَمْ يتفقَّه فيه فِي قلبه ويفهمه تَمامًا فهذا لا يكفي، فالعلم هو علم القلب، وعلم البصيرة، لا علم اللسان فقط.

وعرفت الشِّرْكَ باللَّه الَّذِي قال اللَّه فيه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] [٢٨].

وَعَرَفْت دين اللَّه الَّذِي أرسل به الرُّسُل مِنْ أَوَّلِهِم إِلَى آخرهم الذي لا يَقْبَلُ اللَّه من أحدٍ دينًا سواه [٢٩].

---

[٢٨] أي: الشرك فِي العبادة، لا الشرك الذي هو اعتقاد أن أحدًا يَخلق ويرزق ويدبر مع اللَّه.

بل الشرك الذي حذَّر اللَّه منه هو: اعتقاد أن أحدًا يستحق العبادة أو شيئًا من العبادة مع اللَّه.

فالشرك هو دعوة غير اللَّه معه، أو صرف شيء من أنواع العبادة لغير اللَّه، هذا هو الشرك الذي حَرَّمَه اللَّه، وحرم على صاحبه الْجَنة، وأخبر أن مأواه النار، وهو الشرك الذي يُحبط جَميع الأعمال، وهو الشرك فِي الألوهية، وليس الشرك فِي الربوبية.

وهذا تنبيه من الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ إِلَى أنه كما تَجب معرفة التوحيد تَجب معرفة الشرك.

[٢٩] دين الرسل هو الإسلام وهو: الاستسلام للَّه بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والْخُلوص من الشرك وأهله، هذا هو دين الرسل وهذا هو الإسلام.

وأما الانتساب إِلَى الإسلام فِي الظاهر دون الباطن، أو الانتساب إليه بالتسمي فقط دون التزام لأحكامه، أو الانتساب إليه مع ارتكاب ما يناقضه من الشرك والوثنيات، أو الانتساب إليه مع الْجَهل بِحقيقته، أو الانتساب إليه دون موالاة لأوليائه، ومعاداة لأعدائه، فليس هذا هو الإسلام الذي جاءت به رسل اللَّه، وإنَّما هو إسلام اصطلاحي مصطنع، لا يغنِي ولا ينفع عند اللَّه تَعَالَى، وليس هو دين الرسل.

وَعَرَفْت ما أَصْبَح غالب الناس فيه من الْجَهْل بِهَذَا [٣٠].

أفادك فائدتين: الأولَى: الفرح بفضل اللَّه ورَحْمته كما قال تعالَى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]. **وأفادك أيضًا الْخوف العظيم [٣١].**

---

[٣٠] وهو الْجَهل بالتوحيد والْجَهل بالشرك، هذا هو الذي أوقع كثيرًا من الناس فِي الضلال، وهو أنَّهم يَجهلون التوحيد الصحيح، ويَجهلون الشرك، ويفسرون كلاًّ منهما بغير تفسيره الصحيح.

هذا هو الذي أوقع كثيرًا من الناس فِي الغلط والكفر والشرك والبدع والْمُحدثات إلَى غير ذلك، وذلك بسبب عدم معرفة ما أمر اللَّه به من توحيده وطاعته، وما نَهى عنه من الإشراك به ومعصيته، فالعوام لا يتعلمون، وغالب العلماء مكبون على علم الكلام والْمَنطق الذي بنوا عليه عقيدتَهم، وهو لا يُحق حقًّا، ولا يبطل باطلاً؛ بل هو كما قال بعض العلماء: لا ينفع العلم به ولا يضر الْجَهل به(١).

[٣١] أي العلم بِهذه الْحَقائق يفيدك فائدتين:

الفائدة الأولَى: أنك تفرح بفضل اللَّه حيث مَنَّ عليك بِمعرفة الْحَق من الباطل، فإنَّها نعمة عظيمة، حُرم منها الكثير من الْخَلق.

قال تعالَى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾.

وفضل اللَّه هو: الإسلام.

ورحْمَته هي: القرآن.

﴿فَلْيَفْرَحُوا۟﴾: فرح شكر واعتراف بالنعمة.

والفرح بفضل اللَّه مشروع؛ لأنه شكر للَّه ﷻ على نعمة التوحيد، ومعرفة

---

(١) انظر كتاب: الرد على الْمَنطقيين لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٣) بنحوه.

فإنَّك إذا عَرَفْت أنَّ الإنْسان يَكْفُرُ بكلمة يُخْرجُهَا مِنْ لِسَانِهِ وقد يَقُولُهَا وهو جَاهِلٌ فلا يُعْذَرُ بالْجَهل [٣٢].

الشرك، وهذه نعمة إذا وُفقت لَها فإنه قد جَمع لك الْخِير كله.

الفرح بالنعمة مشروع، أما الفرح الْمَنهي عنه، فهو الفرح بالدنيا، كما قال تعالَى: ﴿وَفَرِحُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِي ٱلْآخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ﴾ [الرعد: ٢٦]. فالفرح بالدنيا وحُطامها مذموم، أما الفرح بالدين والفرح بالعلم النافع فهذا مشروع؛ لأن اللَّه أمر به.

والفائدة الثانية: أنك إذا عرفت التوحيد الصحيح، وعرفت الشرك القبيح، فإن ذلك يُفيدك الخوف أن تقع فيما وقع فيه كثير من الناس بالْمُخالفة لِهذا الأصل والوقوع فِي الشرك وأنت لا تدري، فلا تأمن على نفسك من الفتنة فلا تغتر بعملك أو بفهمك، ولكن قل: لا حول ولا قوة إلا باللَّه، واسأل اللَّه الثبات. فإن إبراهيم الخليل الذي أعطاه اللَّه من العلم واليقين ما لَمْ يعط غيره، إلا نبيًّا، يقول: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٥-٣٦].

فإبراهيم لَمْ يأمن على نفسه الفتنة مع علمه ويقينه وهو الذي كسَّر الأصنام بيده، وألقي فِي النار بسبب ذلك، ومع هذا يَخاف على نفسه من الفتنة.

فلا تغتر بعلمك، وتأمن على نفسك من الفتنة؛ ولكن كن دائمًا على حذر من الفتنة، بألاَّ تزلَّ بك القدم، وتغتر بشيء يكون سببًا لِهلاكك وضلالك، فإن بعض الْمَغرُورين اليوم يقول: إن الناس تَجاوزوا مرحلة الْجَهل والبدائية، وصاروا مثقفين واعين، لا يتصور أن يعودوا للوثنية، أو نَحوًا من هذا الكلام الفارغ، ولَمْ يفطن لعبادة الأضرحة الَّتِي تنتشر فِي كثير من البلاد الإسلامية، ولَمْ ينظر فيما وصل إليه كثير من الناس من الْجَهل بالتوحيد.

[٣٢] قد يقول الإنسان كلمة من الكفر تُحبط عمله كله، كالرجل الذي قال:

وقد يقُولُها وهو يَظُنُّ أَنَّهَا تُقَرِّبُهُ إِلَى اللَّه تعالَى كما كان يَظُن الْمُشْرِكُون [٣٣].

خُصُوصًا إنْ أَلْهَمَك اللَّه ما قَصَّ عن قوم موسى مع صلاحهم وعلمهم أَنَّهُم أَتَوه قائلين: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾. فحينئذٍ يعْظُمُ حرصك وخوفك على ما يُخَلِّصُك من هذا وأمثاله [٣٤].

«**والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله -جل وعلا-: من ذا الذي يتألَّى علي ألاَّ أغفر لفلان، إنِّي قد غفرت له، وأحبطت عملك**»[١].

كلمة واحدة تَجرأ فيها على اللَّه وأراد أن يَمنع اللَّه أن يغفر لِهذا الْمُذنب، فاللَّه -جل وعلا- أحبط عمله وغضب عليه، والإنسان قد يتكلم بِمثل هذه الكلمة ونَحوها فيخرج من دين الإسلام، فالذين مع النَّبِي ﷺ لَما قالوا: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونًا، وأكذب ألسنًا، وأجبن عند اللقاء، يزعمون أنَّهم قالوها من باب الْمَزح، ويقطعون بِها الطريق بزعمهم، قال اللَّه فيهم: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦][٢]. دل على أنَّهم مؤمنون فِي الأول، فلما قالوا هذه الكلمة كفروا -والْعِياذ بالله- مع أنَّهم يقولونَها من باب الْمزح واللعب.

[٣٣] أي: يقول كلمة الكفر وهو يظن أنَّها تقربه إلَى مثل ما يقول الْمُشركون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾. ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾.

[٣٤] قوم موسى هم بنو إسرائيل الذين آمنوا بِموسى، خرجوا معه من مصر حيث أمره اللَّه أن يَخرج بِهم فرارًا من فرعون؛ فخفي عليهم هذا الأمر مع أنَّهم

---

(١) رواه الإمام مسلم فِي صحيحه (٤/ ٢٠٢٣)، كتاب البر والصلة والآداب (٣٩) باب: النهي عن تقنيط الإنسان من رحْمَة اللَّه تعالَى، حديث رقم (١٣٧/ ٢٦٢١) من حديث جندب ﷺ.

(٢) انظر: جامع البيان فِي تفسير القرآن لابن جرير الطبري (١٠/ ١٩-٢٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/ ٣٥١-٣٥٢)، وأسباب النُّزول للواحدي (١٨٧-١٨٨).

واعلم أن اللَّه تعالَى بِحكمتِهِ لَمْ يبعث نَبيًّا بِهَذَا التوحيد إلاَّ جَعَلَ له أعداءً، كما قال تعالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].

وقد يكون لأعداء التوحيد عُلُومٌ كثيرة وكُتُبٌ وحُجَجٌ، كما قال تعالَى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [غافر: ٨٣] **[٣٥]**.

علماء، وفيهم صلاح وتقوى، وخرجوا مع موسى مقاطعين لفرعون وقومه.

فلما أتوا على قوم يعكفون على أصنام لَهم أرادوا تقليدهم فِي ذلك، وطلبوا من موسى، فقالوا: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨].

فأنكر عليهم موسى هذه الْمَقالة، وأخبرهم أن عمل هؤلاء القوم شرك باللَّه ﷻ.

فانظر كيف خفي عليهم هذا الأمر مِمَّا يدل على خطورة الْجَهل بالتوحيد، وعدم معرفة حقيقة الشرك مِمَّا يسبب أن الإنسان قد يقول الكلمة الَّتِي تقتضي الكفر والْخُروج من الدين وهو لا يدري.

ولا يُخلصك من هذا وأمثاله إلا العلم النافع الذي به تعرف التوحيد من الشرك، وتَحذر به من القول أو الفعل اللذين يوقعانك فِي الشرك من حيث لا تدري.

وهذا يدل على بطلان قول من يقول: إن من قال كلمة الكفر أو عمل الكفر لا يكفر حَتَّى يعتقد بقلبه ما يقول ويفعل.

ومن يقول: إن الْجَاهل يعذر مُطلقًا، ولو كان بإمكانه أن يسأل ويتعلم، وهي مقالة ظهرت مِمَّن ينتسبون إلَى العلم والْحَديث فِي هذا الزمان.

[٣٥] حكمة اللَّه تعالَى فِي هذا تتلخص فِي أمرين:

الأمر الأول: أنه ما بعث نبيًّا من أنبيائه إلا جعل له أعداء من الْمُشركين،

كما فِي الآية الَّتِي ذكرها الْمُؤلف، وكما فِي الآية: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١].

ولله فِي ذلك الْحِكمة من أجل أن يتبين الصادق من الكاذب، ويتبين الْمُطيع من العاصي، إذا بعث الأنبياء يدعون إلَى الْهُدى صار هناك دعاة للضلال من أجل أن يُمتحن الناس أيهم يتبع الأنبياء، وأيهم يتبع دعاة الضلال، ولولا ذلك لكان الناس كلهم يتبعون الأنبياء، ولو فِي الظاهر، ولا يتميز الصادق فِي اتِّباعه من الْمُنَافق لأن الأنبياء يتَّبعهم الْمُؤمن الصادق ويتبعهم الْمُنافق الكاذب، والذي يُميز هذا من هذا هو الابتلاء والامتحان.

فالشدائد هي الَّتِي تبيِّن الصادقين من الْمُنَافقين، فاللَّه جعل أعداءً للأنبياء لِحكمة من أجل الابتلاء والامتحان: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٣٧]. هذه هي الْحِكمة بأن اللَّه جعل لكل نبِي عدوًّا شياطين الإنس والْجِن.

والشيطان هو الْمَارد العاصي، فكل من تَمرد عن طاعة اللَّه، فإنه شيطان سواء كان من الْجِن أو من الإنس، حَتَّى الدواب الْمُتمردة تُسَمَّى شيطانًا، وهو من شاط الشيء إذا اشتد، أو من شطن إذا ابتعد.

فالشيطان يكون من عالَم الْجِن، ويكون من عالَم الإنس، وقوله تعالَى: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ﴾ [الأنعام: ١١٢]. الزخرف فِي الأصل: الذهب، وزخرف القول هو: القول الْمُموَّه الْمُزوَّر، لأجل أن يغر الناس.

فالقول الْمُزخرف هو الباطل الْمُغلَّف بشيء من الْحَق، وهذا من أعظم الفتنة؛ لأن الباطل لو كان مكشوفًا ما قبل أحد، لكن إذا غُطي بشيء من الْحَق فإنه يقبله كثير من الناس وينخدعون بِهذه الزخرفة، فهو باطل فِي صورة الْحَق.

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام: ١١٢]. اللَّه قادرٌ على منعهم من ذلك؛ لكنه شاء أن يفعلوه من أجل الابتلاء والامتحان.

إذا عَرَفْت ذلك، وعَرَفْت أنَّ الطريق إلَى اللَّه تعالَى لابُدَّ له من أعداء قاعدين عليه، أهل فصاحة وعلم وحُجَج، فالواجب عليك أنْ تَعْلَم من دين اللَّه ما يصير سلاحًا تُقَاتِلُ به هؤلاء الشَّيَاطين الذين قال إمامهم ومُقَدَّمهم لِرَبِّك ﷻ : ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٦-١٧] **[٣٦]**.

وإذا كان هذا مع الأنبياء فكيف بغيرهم من الدعاة إلَى اللَّه، وعلماء التوحيد؟! فأتباع الأنبياء أيضًا يكون لَهم أعداء من دعاة الباطل فِي كل زمان وفِي كل مكان، هذا مستمر فِي الْخَلق، وجود دعاة الْحَق وإلَى جانبهم دعاة الباطل فِي كل زمان ومكان.

الأمر الثانِي -وهو العجيب-: أن دعاة الباطل يكون عندهم علوم، وعندهم كتب، وعندهم حجج يُجادلون بِها أهل الْحَق، كما قال تعالَى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم﴾ يعنِي: الكفار ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ الْحَقائق البيِّنة والعلم النافع ﴿فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [غافر: ٨٣]. الذي توارثوه عن أجدادهم وآبائهم والذي هو عبارة عن كتبهم وعن حججهم الَّتِي توارثوها.

وهذا واقع الآن، فكم فِي الساحة من كتب أهل الباطل ككتب الْجَهمية، وكتب الْمُعتزلة، وكتب الأشاعرة، وكتب الشيعة!! كم فِي الساحة من كتب هؤلاء؟! وعندهم حجج مركبة ومزيفة تغر الإنسان الذي ليس عنده تَمكن من العلم، فعلم الكلام وعلم الْمَنطق اعتمدوه، وجعلوه هو العلم الصحيح الذي يفيد اليقين.

[٣٦] أما أدلة القرآن والسنة فهي حجج ظنية -بزعمهم- لا تفيد اليقين، وهذا من تَمام الفتنة والتزييف على الناس؛ لأن الواقع الصحيح هو العكس، وهو أن أدلة القرآن تفيد اليقين، وأدلة الْمَنطق والْجَدل تفيد الشك والْحَيرة والاضطراب، كما أقر بذلك كبراؤهم عند الْمَوت، أو عند توبتهم ورجوعهم

ولكن إذا أَقْبَلْتَ على اللَّه وأصْغَيْتَ إلَى حُجَجِه وَبَيِّنَاتِه فلا تَخَفْ ولا تَحْزَن: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦] [٣٧].

عن علم الكلام.

إذا كان هؤلاء عندهم فصاحة وعندهم حجج وعندهم كتب فلا يليق بك أن تقابلهم وأنت أعزل؛ بل يَجب عليك أن تتعلم من كتاب اللَّه، ومن سنة رسول اللَّه ﷺ ما تبطل به حجج هؤلاء الذين قال إبليس إمامهم ومقدمهم لربك ﷻ: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ﴾ أي: لبنِي آدم، ﴿صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ أي: الطريق الْمُوصل إليك، ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٦-١٧].

تعهد الْخَبيث أنه سيحاول إضلال بنِي آدم، وكذلك أتباعه من شياطين الإنس من أصحاب الكتب الضالة والأفكار الْمُنحرفة يقومون بعمل إبليس فِي إضلال الناس.

[٣٧] كما قال اللَّه ﷻ: ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦].

فهم مهما كان عندهم من القوة الكلامية والْجِدال والبراعة فِي الْمَنطق والفصاحة إلا أنَّهم ليسوا على حق، وأنت على حق ما دمت متمسكًا بالكتاب والسنَّة، وفهمت الكتاب والسنَّة، فاطمئن فإنَّهم لن يَضروك أبدًا: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦].

لكن هذا يَحتاج إلَى الرجوع إلَى الكتاب والسنة، فإنك بذلك لا تَخاف مهما كان معهم من الْحُجج والكتب؛ لأنَّها سراب، كما قال الشاعر:

حجج تَهافت كالزجاج تَخالُها حقًّا وكلٌّ كاسر مكسور[1]

---

(١) ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية عن الإمام الْخَطابِي فِي مَجموع الفتاوى (٤/ ٢٨).

والعامِّي من الْمُوحِّدينَ يَغْلِبُ ألفًا من علماء هؤلاء الْمُشركين، قال تعالَى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧٣] **[٣٨]**.

فالسراب يزول، كذلك هذه الْحُجج إذا طلعت عليها شَمس القرآن، وبينات القرآن زال هذا الضباب الذي معهم وهذه سنة اللَّه ﷻ: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَـٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١٨].

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [سبأ: ٤٨]. قذائف الْحَق تدمر الباطل مهما كان.

[٣٨] هذا من العجائب أن العامي غير الْمُتعلم من الْمُوحدين يغلب ألفًا من علماء المشركين، ذلك لأن العامي عنده الفطرة السليمة الَّتِي لَمْ تتلوث بالشكوك والأوهام وقواعد الْمَنطق وعلم الكلام.

أما العالِم الْمُشرك فليس عنده فطرة سليمة، ولا علم صحيح، وصاحب الفطرة السليمة يتغلب على الذي ليس عنده فطرة ولا علم؛ لأن علمه جهل.

*** إذن فالناس ثلاثة أقسام:**

القسم الأول: من عنده علم صحيح وفطرة سليمة، وهذا أعلى الطبقات، وهذا هو الذي أقبل على ربه، وأصغى إلَى حججه وبيِّناته، فصار عنده علمٌ صحيح وفطرة سليمة.

القسم الثانِي: من ليس عنده علم لكن عنده فطرة سليمة، وهو العامي من الْمُوَحدين.

القسم الثالث: من ليس عنده فطرة سليمة، ولا علم صحيح؛ وإنَّما عنده سراب لا حقيقة له، فهذا يُهزم أمام العامي فكيف أمام العالِم الذي عنده علم صحيح، وفطرة سليمة؟! فهذا مِمَّا يدلك على أن تعلُّم العلم النافع يكون سلاحًا للمؤمن أمام أعداء اللَّه ورسوله.

فَجُنْدُ اللَّه هُمُ الغالبون بالْحُجَّةِ واللِّسَانِ، كما هُمُ الغالبون بالسَّيْفِ والسِّنَانِ [٣٩].

---

[٣٩] قال تعالَى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَـٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧٣]. أضاف الْجُند إليه ﷻ.

وجند اللَّه هم الْمُؤمنون، يقال لَهم: جند اللَّه، ويُقال لَهم: حزب اللَّه، كما فِي قوله تعالَى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمًا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ﴾. إلَى قوله: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [الْمُجادلة: ٢٢].

فهم حزب اللَّه وجند اللَّه، والْجُند جَمع جندي، وهو الْمُقاتل والْمُدافع عن دين اللَّه، أضافهم إلَى نفسه تشريفًا لَهم، وجعل لَهم الغلبة بالْحُجة والسلاح.

جند اللَّه هم الغالبون بالْحُجة واللسان، يعنِي: بالعلم، والْمَعرفة، ومُجادلة أهل الباطل، فما تقابل أهل حق وأهل باطل فِي خصومة إلاَّ تغلب أهل الْحَق على أهل الباطل فِي الْخُصومات والمناظرات دائمًا وأبدًا.

فهم الغالبون بالْحُجة مع الْمُبطلين، كما أَنَّهم الغالبون بالسيف والسنان فِي الْمَعَارك، إذا تقابل الْجُندان -الْمُسلمون والكفار- فإنه ينتصر الْمُسلمون على الكفار إذا توفرت شروط النصر فيهم بأن توكلوا على اللَّه، واعتصموا باللَّه، وأطاعوا اللَّه ورسوله، فإن حصل فيهم خلل لَحقت بِهم الْهَزيْمة كما حصل للصحابة فِي وقعة أحد لَما عصوا أمر الرسول ﷺ ونزلوا من الْجَبل الذي قال لَهم: لا تنْزلوا منه سواءً انتصرنا أو هُزمنا، فلما خالفوا ونزلوا من الْجَبل حلت الْهَزيْمة بالْمُسلمين[١].

---

(١) انظر: صحيح الإمام البخاري (٤/ ٢٦) كتاب الْجِهاد والسير، باب: ما يكره من التنازع والاختلاف فِي الْحَرب وعقوبة من عصى إمامه، وقال تعالَى: ﴿وَلَا تَنَـٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾ [الأنفال: ٤٦]. وقال قتادة: الريح: الْحَرب، من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

وإنَّمَا الْخَوف على الْمُوَحِّدِ الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح [٤٠].

---

[٤٠] هذا هو الواقع، فالْمُوحد الذي يسلك الطريق، ويواجه الكفار، ويقول: أنا أدعو إلَى اللَّه، وليس عنده علم لو يقف أمامه واحد من عوامهم، ويلقي عليه شبهة ما استطاع الْجَواب.

فهذا مِمَّا يوجب على طلبة العلم وعلى الدعاة إلَى اللَّه خصوصًا أن يتفقهوا فِي دين اللَّه وأن يتعلموا حجج اللَّه وبراهينه، وأن يطَّلعوا على ما عند الْخُصوم والكفار والمنافقين من الباطل من أجل أن يدحضوه ويكونوا على معرفة به.

والنَّبِي ﷺ لَمَّا أرسل معاذًا إلَى اليمن قال له: «**إنك تأتِي قومًا من أهل الكتاب**»[1]. من أجل أن يستعد لأن الذين أمامه أهل كتاب، وأهل علم، وعندهم حجج، وعندهم شبهات وعندهم تلبيس، فلابد أن يكون معاذ رضي الله عنه على استعداد من أجل أن يقوم بالدعوة، ويرد الباطل، ثُمَّ قال له: «**فليكن أول ما تدعوهم إليه: شهادة أن لا إله إلا اللَّه، وأن مُحمَّدًا رسول الله**».

فهذا مِمَّا يؤكد على الْمُوحدين عمومًا، وعلى طلبة العلم خصوصًا، وعلى الدعاة إلَى اللَّه بصفة أخص أن يتعلموا ما يدفعون به الباطل، وينصرون به الْحَقَّ، وإلا فإنَّهم سينهزمون أمام أي شبهة تعرض لَهم.

والْمُشكلة إذا عجز الداعية إلَى اللَّه أن يُجيب على شُبه الْمُلبس أمام الناس أو أجابه بِجهل؛ وهذا أشد، ولا يتعارض هذا مع قول الشيخ: «والعامي من الْمُوحدين يغلب ألفًا من علماء الْمُشركين». لأن العامي الْمُوحد وإن كان كذلك فعليه الخوف من شرهم، وأخذ الحذر منهم بتعلم العلم النافع.

وقد استشكل بعض الإخوان هذه العبارة، وهي قول الشيخ: «والعامي من الْمُوحدين يغلب ألفًا من علماء هؤلاء الْمُشركين» مع قوله: «وإنَّما الْخَوف على

---

(١) رواه الإمام البخاري فِي صحيحه (٢/ ١٢٥) كتاب الزكاة، باب: لا تؤخذ كرائم أموال الناس، من حديث ابن عباس -رضي اللَّه تعالَى عنه-.

وقد مَنَّ اللَّه تعالَى عَلَيْنا بكتابه الذي جَعَلَهُ: ﴿تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

فلا يأتِي صاحب باطل بِحُجَّةٍ إلاَّ وفِي القرآن ما يَنْقُضُهَا ويُبَيِّنُ بُطلانَهَا، كما قال تعالَى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣].

قال بعض الْمُفسرين: هذه الآية عامَّةٌ فِي كل حُجَّةٍ يأتِي بِهَا أهل الباطل إلَى يوم القيامة [٤١].

الموحد الذي يسلك الطريق، وليس معه سلاح».

والْجَواب عن هذا الإشكال: أن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقصد أن العامي عنده فطرة سليمة يستنكر بِها الباطل، أما علماء الضلال ففطرهم فاسدة، وحججهم واهية، فالعامي يغلبهم بالفطرة السليمة من حيث الْجُملة لا من حيث التفاصيل.

فالعامي الْمُوحد أحسن حالاً من علماء الكلام والمنطق، فكتاب اللَّه ما ترك شيئًا نَحتاج إليه من أمور ديننا إلاَّ وبيَّنه لنا لكن يَحتاج منا إلَى تفقه وتعلم، ولو كان عندك سلاح ولكن لا تعرف تشغيله فإنه لا يدفع عنك العدو، وكذلك القرآن لا ينفع إذا كان مَهجورًا، وكان الإقبال على غيره من العلوم.

[٤١] هذه قاعدة معروفة لأن اللَّه -جل وعلا- يقول عن القرآن: ﴿تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].

ويقول: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣].

فلا يوجد شبهة فِي الدنيا، أو باطل فِي الدنيا يُدلِي به كافر أو مُلحد إلا وفِي القرآن ما يرد عليه؛ لكن لا يتبين هذا إلا بِمعرفة القرآن والتفقه فيه، ودراسته حق الدراسة، حَتَّى يعرف ما فيه من الكنوز، وما فيه من السلاح، وما فيه من الذخيرة، الَّتِي نقاوم بِها أعداءنا فنُقبل على كتاب اللَّه حفظًا وتفهمًا وتلاوة وتدبرًا وعملاً حَتَّى نكون مسلحين بِهذا السلاح.

أما مُجرد وجود القرآن عندنا من غير أن نعتنِي به وندرسه فلا يكفي، وأهل

وأنا أذكر لك أشياء مِمَّا ذَكَرَ اللَّه فِي كتابه جوابًا لكلام احتج به الْمُشركون فِي زماننا علينا [٤٢].

فنقول: جواب أهل الباطل من طريقين: مُجْمَل، ومُفَصَّلٍ [٤٣].

أَمَّا الْمُجْمَلُ: فهو الأمر العظيم والفائدة الكبيرة لِمَنْ عقلها؛ وذلك قوله تعالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا

الكتاب ضلوا وكفروا وعندهم التوراة والإنْجيل لَما تركوا تعلمهما والعمل بِهما.

لكن لابد من دراسة القرآن على ضوء السنة النبوية وتفسير السلف الصالِح، لا على ضوء الدراسات الْمُعاصرة المبنية على التخرص والْجَهل، أو ما يسمونه بالإعجاز العلمي، فليس هذا خاصًا بالرسول ﷺ وأهل زمانه مع القرآن؛ بل هذا عام لكل أمته إلَى أن تقوم الساعة لكن يَحتاج إلَى عناية بالقرآن، ودراسة للقرآن كما ينبغي؛ لأن فيه بيان الْحَق والرد على أهل الباطل.

[٤٢] لَمَّا ذكر لك هذه القاعدة العظيمة، وهو أنه لا يأتِي مبطل بشبهته إلَّا وفِي القرآن ما يبين بطلانَها، وأن ذلك مستمر إلَى يوم القيامة، دخل فِي التمثيل من الواقع الذي جرى للشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي وقته مع خصومه.

ومن هنا إلَى آخر الكتاب كله كشف شبهات يعترضون بِها على الشيخ، وهو يُجيبهم عنها من كتاب اللَّه، ومن سنة رسوله ﷺ، ويدحض حججهم، وبذلك نصره اللَّه عليهم، وأبطل كيدهم.

[٤٣] الْمُجمل: هو القاعدة العامة فِي جواب أهل الباطل على اختلاف أصنافهم، وفِي أي زمان ومكان.

والْمُفصل: هو الرد على كل شبهة على حدة، فإذا عرفت الْمُجمل والْمُفصل فِي رد الشبهات صار عندك سلاح لِمنازلة الْمُشركين والْمُبطلين.

ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧] [٤٤].

---

[٤٤] هذا هو الرد الْمُجمل على الشبهات، قال تعالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾. يعنِي: القرآن ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧]. الْمُحكم هو الذي لا يَحتاج فِي بيانه إلَى غيره.

فالقرآن منه آيات على هذا الشكل ﴿مُّحْكَمَٰتٌ﴾ يعنِي: بيِّنات واضحات فِي معانيها لا تَحتاج إلَى غيرها: ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾. أُمُّ الشيء: هو الأصل الذي يرجع إليه، فالآيات الْمُحكمات هن الأصل الذي يرجع إليه.

﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ **الْمُتشابه**: هو الذي يَحتاج لبيان معانيه إلَى غيره فيرد إلَى الْمُحكم.

ومن الْمُتشابه: الْمُحتمل لِمعانٍ متعددة، ويَحتاج إلَى غيره فِي بيان الْمُراد منه، ومنه الْمُطلق، ومنه المنسوخ.

وقد ذكر تعالَى موقف الناس من هذين القسمين -الْمُحكم والْمُتشابه- فقال: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾ يأخذون الآيات غير الواضحة، أو الآيات الْمُحتملة، ويستدلون بِها على ما يريدون مع أنَّها مُحتملة، ليست نصًّا فيما يقولون؛ لكن هم يريدون التلبيس على الناس، ويقولون: نَحن استدللنا بالقرآن فيأخذون الآيات الَّتِي لا يتضح معناها بنفسها، أو الآيات الْمُحتملة لعدة معانٍ، فيستدلون بِها على ما يريدون: ﴿ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾؛ أي: التشكيك والتضليل، أو ﴿وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧]. التأويل يطلق على معنيين كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي رسالته التدمرية[(١)].

الْمَعنَى الأول: أن الْمُراد به التفسير، وهذا هو المعروف عند الْمُتقدمين.

ولذلك تَجد أن ابن جرير الطبري فِي تفسيره يقول: القول فِي تأويل قوله

---

(١) التدمرية (ص ٨٠٩) وما بعدها، تَحقيق: الدكتور مُحمَّد بن عودة السعوي.

وقد صح عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: «إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه، فأولئك الذين سَمَّى اللَّه فاحذروهم»(١) [٤٥].

تعالَى -أي: فِي تفسيره-، فإن كان هذا هو الْمَقصود فِي الآية: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾. فإنه يعطف الراسخون فِي العلم على لفظ الْجَلالة هكذا: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٧]. يعنِي: والراسخون فِي العلم يعلمون تأويله، وهو التفسير، وذلك بردِّه إلَى الْمُحكم الذي يُبين الْمُراد منه.

فتفسير القرآن على هذا الوجه لا يعلمه إلاَّ اللَّه، وأهل العلم الْمُختصون، وأمَّا العوام والْجُهال فلا يعلمون تفسيره، وأهل الزيغ يأخذون الْمُتشابه ولا يردونه إلَى الْمُحكم، ويقطعون بعض القرآن عن بعض فيأخذون بعض الآيات ويتركون البعض الآخر.

أما الْمَعنَى الثاني للتأويل: فهو الْحَقيقة الَّتِي يئول إليها الشيء، وما يصير إليه فِي الْمُستقبل، مثل حقائق ما فِي الْجَنة من أعناب، ونَخيل، وفواكه، ولبن، وخَمر، وعسل، وأشياء لا يعلم حقائقها إلا اللَّه ﷻ؛ لأنَّها من علم الغيب.

وكذلك كيفية أسْمَاء اللَّه وصفاته لا يعلمها إلا اللَّه ﷻ فالتأويل على هذا الْمَعنَى: ما يئول إليه الشيء فِي الْمُستقبل.

فإذا أُريد هذا الْمَعنَى تَعَيَّن الوقفُ فِي الآية على لفظ الْجَلالة؛ لأنه لا يعلم تأويله على هذا الوجه إلاَّ هو سبحانه.

[٤٥] صح عن النَّبِي ﷺ فِي الْحَديث الذي رواه البخاري ومسلم أنه قال:

---

(١) رواه الإمام البخاري فِي صحيحه (٥/ ١٦٥، ١٦٦) كتاب التفسير: سورة آل عمران، باب منه آيات مُحكمات.

ورواه الإمام مسلم فِي صحيحه (٤/ ٢٠٥٣) كتاب العلم، باب (١) النهي عن اتباع متشابه القرآن، والتحذير من متبعيه، والنهي عن الاختلاف فِي القرآن، حديث رقم (٢٦٦٥) من حديث عائشة ﵂.

مثال ذلك: إذا قال لك بعض الْمُشركين: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢].

أو إنَّ الشفاعة حقٌّ، وأنَّ الأنبياء لَهُم جاه عند اللَّه.

أو ذكر كلامًا للنَّبِي ﷺ يستدل به على شيء من باطله، وأنت لا تفهم معنَى الكلام الذي ذكره.

فَجَاوِبْهُ بقولك: إنَّ اللَّه ذكر فِي كتابه أنَّ الذين فِي قلوبِهِم زيغ يتركون الْمُحكم ويتبعون الْمُتشابه.

وما ذكرته لك من أنَّ اللَّه تعالَى ذكر أنَّ الْمُشركين يُقِرُّون بالرُّبوبيَّة، وأنَّ كُفْرهم بتعلُّقهم على الْمَلائكة والأنبياء والأولياء مع قولِهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]. هذا أمر مُحكمٌ بَيِّن، لا يقدر أحَدٌ أنْ يُغَيِّرَ معناه.

«**إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه** -أي: من القرآن والسنة، ويأخذون بالنصوص الْمُجملة، ويتركون النصوص الْمُفصلة- **فأولئك الذين سَمى اللَّه -فِي هذه الآية- ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾ فاحذروهم**»(١). أي: احذروا أصحاب هذه الطريقة لا يُلبسوا عليكم أمر دينكم.

فهذا فيه التحذير من علماء الضلال، ومن المبتدعة، لئلا يلبسوا علينا أمر ديننا، فهؤلاء من الذين ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٧].

---

(١) رواه الإمام البخاري فِي صحيحه (٥/ ١٦٥، ١٦٦) كتاب التفسير سورة آل عمران، باب: منه آيات مُحكمات.

ورواه الإمام مسلم فِي صحيحه (٤/ ٢٠٥٣) كتاب العلم، باب: النهي عن اتباع متشابه القرآن، والتحذير من متبعيه، والنهي عن الاختلاف فِي القرآن، حديث رقم (٢٦٦٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

وما ذكرت لِي -أيُّها الْمُشرك- فِي القرآن أو كلام النَّبِي ﷺ لا أعرف معناه، ولكن أقطع أنَّ كلام اللَّه لا يتناقض، وأنَّ كلام النَّبِي ﷺ لا يُخَالف كلام اللَّه ﷻ، وهذا جواب سديد ولكن لا يفهمه إلاَّ مَنْ وفقَهُ اللَّه فلا تستهن به، فإنه كما قال تعالَى: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥] [٤٦].

---

[٤٦] أي: إذا قال لك واحد من علماء الْمُشركين الذين يتعلقون بالأولياء، ويطلبون منهم المدد ويستغيثون بِهم كما هو الْحَال والواقع الآن عند عبَّاد القبور، ويقولون: إن اللَّه -جل وعلا- يقول: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢].

وهؤلاء أولياء والنَّبِي ﷺ أخبر أن الصالِحين يشفعون، وأن الأولياء يشفعون، والرسل يشفعون.

فالْجَواب: أن الشفاعة حق لا شك فِي ذلك، ولكنَّها كما ذكر اللَّه لابد لَها من شرطين:

- **الإذن للشافع أن يشفع.**
- **وأن يكون الْمَشفوع فيه من أهل التوحيد.**

ولا شك أن اللَّه سبحانه وعد الأولياء أنَّهم لا خوف عليهم ولا هم يَحزنون؛ لكن مَن الأولياء؟ هل الأولياء طائفة مَخصوصة من الناس عليهم عمائم ولباس خاص؟ أو الأولياء الذين بُنِي على قبورهم قباب؟

ليس كذلك؛ لأن اللَّه سبحانه بيَّنهم بعد هذه الآية مباشرة حيث قال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٣].

فكل مؤمن تقي فهو ولِي للَّه ليست الولاية خاصة بطائفة معينة، أو أشخاص معيَّنين لَهم لباس خاص، ولَهم سِمات خاصة، أو على قبورهم قباب وزخرفات؛ الأولياء كل مؤمن تقي فإنه ولِي اللَّه بنص هذه الآية.

والولاية تَختلف باختلاف الإيْمَان والتقوى، منهم من هو ولِي كامل الولاية

ومنهم من هو ولِي دون ذلك بِحسب إيْمَانه وبِحسب تقواه، فليست الولاية خاصة بِما تزعمون من هؤلاء الأشخاص، أو هؤلاء الْمَقبورين، والنَّبِي ﷺ يقول: «**ربَّ أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على اللَّه لأبره**»(١).

فقد يكون الولِي غير معروف، ولا له مكانة عند الناس.

هذا من ناحية، ومن الناحية الثانية لو ثبت أنه ولِي للَّه ﷻ، فإن هذا لا يعطيه شيئًا من الربوبية ولا شيئًا من حق اللَّه؛ لأنه عَبْدُ اللَّه مُحتاج إلَى ربه ﷻ لا يَملك من الأمر شيئًا، لا يَخلق، ولا يرزق، فليس الْمَعنَى أنه إذا كان وليًّا أننا نتعلق به، وننْزل حاجاتنا به، ونستغيث به، ونطلب منه؛ لأن اللَّه قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨].

وقال تعالَى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔاۖ﴾. لا من الأولياء ولا غيرهم، فاللَّه لا يرضى بِهذا ﷻ، فليس معنَى قوله تعالَى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾. أنَّهم يَملكون شيئًا من الربوبية، وأنَّهم ينفعون ويضرون، وأنَّهم يعطون الشفاعة وأنَّهم، وأنَّهم .. كما يزعم القبوريون.

فمن تعلق بالأولياء وطلب منهم الشفاعة، وهم أموات، أو طلب منهم الإغاثة وهم أموات، أو طلب منهم قضاء الْحَاجات وهم فِي قبورهم، فإنه مثل الْمُشركين الأولين الذين قال اللَّه فيهم: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: ١٨].

هم يقولون نَحن لا نعتقد أنَّهم يَخلقون، ويرزقون؛ وإنَّما من أجل أن نَجعلهم وسائط بيننا وبين اللَّه؛ لأنَّهم أولياء، ونَحن مُقصِّرون ونَحن مذنبون فهؤلاء بصلاحهم وجاههم ومكانتهم عند اللَّه يشفعون لنا.

---

(١) رواه الإمام مسلم فِي صحيحه (٤/ ٢٠٢٤) كتاب البر والصلة والآداب، باب: فضل الضعفاء والْخَاملين. حديث رقم (١٣٨/ ٢٦٢٢) من حديث أبِي هريرة رضي الله عنه.

والله رد عليهم فقال: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨]. فسمَّى هذا شركًا، وقال في الآية الأخرى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

يريدون الوساطة فقط عند الله ﷻ، وإلاَّ فإنَّهم معترفون أن الله هو الْخَالق الرازق، الْمُحيي الْمُميت، فيعترفون بتوحيد الربوبية تَمامًا كما ذكر الله عنهم؛ وإنَّما قصدوا بفعلهم هذا وساطة هؤلاء الصالِحين عند الله فنذروا لَهم، وذبَحوا لَهم واستغاثوا بِهم: يا سيدي اشفع لِي عند الله، افعل كذا، هذا الذي يقولونه عند القبور، هل هذا يَختلف عما قاله الْمُشركون من قبل، الذين رد عليهم -جل وعلا- بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ﴾؟! حكم عليهم بالكذب، وحكم عليهم بالكفر، فعملهم هذا كفر وكذب.

وفي سورة يونس نزَّه نفسه عن ذلك فقال: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨]. سَماه شركًا.

فالأولياء عباد صالِحون لَهم قدرهم ونَحترمهم، ونُحبهم ونقتدي بِهم فِي الأعمال الصالِحة؛ لكن ليس لَهم شركة مع الله ﷻ إنَّما هم مثلنا مُحتاجون إلَى الله ﷻ فقراء إلَى الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾. هذا عام ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

كل الْخَلق فقراء إلَى الله ﷻ بِما فيهم الأنبياء والرسل، بِما فيهم الملائكة ﷺ كلهم فقراء إلَى الله ﷻ، فهذا مِمَّا يزيل اللَّبس؛ لأن هؤلاء يأخذون بعض القرآن ويستدلون به، ويتركون البعض الآخر؛ يأخذون الآية الَّتِي تَمدح الأولياء، وتثنِي عليهم، ويتركون الآية الأخرى الَّتِي تبين أنَّهم لا يُعْبَدُون من دون الله ﷻ وأن مَنْ طلب منهم شيئًا وهم أموات فإنه مشرك كافر، يتركون هذه الآيات، فهذا من الزيغ الذي ذكره الله ﷻ.

فلتكن عندك هذه القاعدة: أن الإنسان مهما بلغ من الصَّلاح والكرامة

وأمَّا الْجَواب الْمُفَصَّل: فإنَّ أعداء اللَّه لَهُم اعتراضات كثيرة على دين الرُّسُل يَصُدُّون بِها الناس عنه.

منها قولُهُم: نَحن لا نُشْرك باللَّه، بل نشهد أنَّهُ لا يَخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضرُّ إلاَّ اللَّه وحده لا شريك له، وأنَّ مُحَمَّدًا ﷺ لا يَمْلِكُ لنفسه نفعًا ولا ضرًّا، فضلاً عن عبد القادر أو غيره. ولكن أنا مذنب، والصالِحُون لَهُم جاه عند اللَّه، وأطلب من اللَّه بِهِم.

فجاوبه بِمَا تَقَدَّم وهو: أنَّ الذين قاتلهم رسول اللَّه ﷺ مُقِرُّون بِمَا ذكرت، ومُقِرُّون أنَّ أوثانَهُم لا تُدَبِّرُ شيئًا وإنَّمَا أرادوا الْجَاه والشفاعة، واقرأ عليه ما ذَكَرَ اللَّه فِي كِتَابِهِ ووضَّحَهُ.

فإنْ قال: هذه الآيات نزلت فيمن يعبد الأصنام، كيف تَجعلون الصالِحين مثل الأصنام؟! أم تَجعلون الأنبياء أصنامًا؟!

فجاوبه بِمَا تقدَّم، فإنَّه إذا أقرَّ أنَّ الكُفَّار يشهدون بالرُّبوبيَّة كُلِّهَا لله، وأنَّهُم ما

والْمَنْزلة عند اللَّه، فإنه ليس له من الربوبية شيء، وأنه لا يُدعى مع اللَّه، وإنه لا يكون له شيء من العبادة، وهو لا يرضى بذلك.

فالأولياء والصَّالِحون على الْحَقيقة لا يرضون بذلك، وينهون عنه أشد النهي، إنَّما يرضى بذلك الطواغيت الذين يدعون الناس إلَى عبادة أنفسهم.

أما أولياء اللَّه فحاشاهم من هذا، لا يرضون به، وإنَّما يرضى به أولياء الشيطان هذا معنَى قول الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ.

لكن أقطع أن كلام اللَّه لا يتناقض، وأن كلام الرسول ﷺ لا يُخالف كلام الله] فيجب رد النصوص بعضها إلَى بعض، وتفسير بعضها ببعض حَتَّى يتضح الْمَطلوب، وهذا كما قال الشيخ: جواب سديد تَجب العناية به؛ لأنه مبنِي على كتاب اللَّه فمن وفِّق له فهو ذو حظ عظيم.

أرادوا مِمَّن قصدوا إلاَّ الشفاعة، ولكن أراد أنْ يفرق بين فعلهم وفعله بِمَا ذَكَرَ؛ فاذْكُرُ له أن الكُفَّار منهم من يدعو الأصنام، ومنهم من يدعو الأولياء الذين قال اللَّه فيهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧] الآية.

ويدعون عيسى بن مريَم وأمَّه، وقد قال اللَّه تعالَى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [المائدة: ٧٥-٧٦].

واذْكُرْ له قوله تعالَى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤٠-٤١].

وقوله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦].

فقل له: أعرفت أنَّ اللَّه كفَّرَ من قَصَدَ الأصنام.

وكَفَّرَ أيضًا من قَصَدَ الصالِحين.

وقاتلهم رسول اللَّه ﷺ؟!

فإن قال: الكُفَّار يريدون منهم، وأنا أشهد أنَّ اللَّه هو النَّافع الضَّارُّ الْمُدبِّر، لا أريد إلاَّ منه، والصالِحُون ليس لَهُم من الأمر شيء، ولكن أقصدهم أرجو من اللَّه شفاعتهم.

فالْجَواب: أنَّ هذا قول الكُفَّار سواء بسواء، واقرأ عليه قوله تعالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

وقوله تعالَى: ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

واعلم: أنَّ هذه الشُّبه الثَّلاث هي أكبر ما عندهم، فإذا عرفت أنَّ اللَّه وَضَّحَها فِي كتابه، وفهمتها فهمًا جَيِّدًا فما بعدها أيسر منها [٤٧].

---

[٤٧] ذكر الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي هذا الْمَقطع ثلاث شبهات للمشركين هي من أهم ما عندهم، فإذا عرفت الإجابة الصحيحة عنها فما بعدها من الشبهات أيسر منها:

□ **الشبهة الأولَى:**

أنَّهم يقولون: نَحن نشهد أن لا إله إلا اللَّه، وأن مُحمَّدًا رسول اللَّه ﷺ، ونعلم أنه لا ينفع، ولا يضر إلا اللَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وأن النَّبِي ﷺ لا يَملك نفعًا ولا ضرًّا فضلاً عن عبد القادر -يعنِي: عبد القادر الْجِيلانِي- لكن هؤلاء لَهم جاه عند اللَّه فنطلب من اللَّه بِهم؛ يعنِي: نَجعلهم وسائط بيننا وبين اللَّه لِما لَهم من الفضل.

فالْجَواب: سهل جدًّا من كتاب اللَّه بأن تقول: إن الْمُشركين مع أصنامهم ما كانوا فيها أنَّها تَخلق وترزق وتنفع وتضر؛ وإنَّما اتَّخذوها وسائط بينهم وبين اللَّه، وهذا واضح فِي قوله تعالَى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨].

نزَّه نفسه عن فعلهم، وسَمَّاه شركًا مع أنَّهم يقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند اللَّه، ويعتقدون أنَّهم لا ينفعون ولا يضرون؛ وإنَّما قصدهم التعلق بالْجَاه فقط.

فالآيات تدل على أن الْمُشركين معترفون بأنه لا يَخلق، ولا يرزق، ولا يدبر الأمر إلاَّ اللَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وأن أصنامهم ومعبوداتِهم لا تَخلق ولا ترزق، ولا تدبر، مع اللَّه؛ وإنَّما اتَّخذوها وسائط. ولا فرق بينكم وبينهم.

وإذا كنت مذنبًا فلماذا لا تستغفر اللَّه، وتطلب من اللَّه، واللَّه -جل وعلا- أمرك بالاستغفار، ووعدك بالتوبة، وأن يقبل منك، ويغفر ذنوبك، ولَمْ يقل: إذا أذنبت فاذهب إلَى قبر الولِي الفلانِي أو العبد الصالِح الفلانِي وتوسل به، واجعله

واسطة بينِي وبينك.

وتقول أيضًا: هؤلاء إذا كان لَهم جاه عند اللَّه، فإن جاههم لَهم، وصلاحهم لَهم، وأنت ليس لك إلا عملك وصلاح الصالِحين لَهم، وجاههم عند اللَّه لَهم، ما علاقتك بعمل فلان، وصلاح فلان؟ كل له عمله: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٤]. ﴿وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يس: ٥٤].

فجاههم وصلاحُهم لَهم، ولا ينفعك إذا كنت مذنبًا حَتَّى والدك أقرب الناس إليك وولدك لا يستطيع ولو كان من أصلح الناس أن ينفعك ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩].

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨].

﴿وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا﴾ [لقمان: ٣٣].

﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤-٣٦].

□ الشبهة الثانية:

إذا قرأت عليه قوله تعالَى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

وقوله تعالَى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر: ٣].

وبيَّنت له أن الْمُشركين ما أرادوا مِمَّن عبدوهم إلا الشفاعة، وقال لك: هذه الآيات نزلت فِي الذين يعبدون الأصنام، وأنا لست أعبد الأصنام وإنَّما أتوسل إليه بالصالِحين فكيف تَجعل الصالِحين أصنامًا.

والْجَواب عن هذا واضح جدًّا: وهو أن اللَّه ذكر أن الْمُشركين منهم من يعبد

الأصنام، ومنهم من يعبد الأولياء والصالِحين، وسوَّى اللَّه بينهم فِي الْحُكم ولَمْ يفرق بينهم، وأنت فرقت بينهم فِي ظنك أن عبادة الأصنام لا تَجوز وأن عبادة الصالِحين تَجوز إذا كانت بقصد التوسط.

والدليل على هذا: أن اللَّه ذكر أنواعًا من المشركين فمنهم من يعبد الصالِحين، ومنهم من يعبد الملائكة، والملائكة من أصلح الصالِحين.

قال تعالَى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤٠-٤١].

فِي يوم القيامة اللَّه -جل وعلا- يسأل الْمَلائكة، وهو أعلم ﷻ؛ لكن لأجل إبطال حجة هؤلاء: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾.

فدل على أن منهم من يعبد الْمَلائكة؛ لكن الْمَلائكة تتبرأ منهم يوم القيامة، وتقول: نَحن ما أمرناهم بذلك، ولا رضينا بذلك: ﴿سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ﴾؛ يعنِي: الشياطين هي الَّتِي أمَرَتْهم بعبادة الْمَلائكة؛ لأن الْمَلائكة لا تأمر إلاَّ بعبادة اللَّه.

﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٢٩].

فدل على أن منهم من يعبد الْمَلائكة، والْمَلائكة أصلح الصالِحين، كما قال تعالَى فيهم: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٧]. ومنهم من يعبد الأنبياء والصالِحين كالمسيح بن مريَم وأمه.

وإذا بطل التوسل بالْمَلائكة والأنبياء ودعاؤهم من دون اللَّه بطل التوسل بغيرهم من الصالِحين ودعاؤهم من دون اللَّه كما قال تعالَى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ

كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣].

لأن الواجب إخلاص العبادة للَّه ﷻ بِجميع أنواعها من الدعاء والذبح والنذر وغير ذلك، فمن ذبح لغير اللَّه ودعا غير اللَّه كان مشركًا خارجًا من الدين.

□ **الشبهة الثالثة:**

إذا سلَّم بأن الدعاء لغير اللَّه شرك؛ ولكنه قال: أنا لا أدعو النَّبِي ﷺ ولا غيره، وهذا الذي أفعله ليس دعاءً؛ وإنَّما هو طلب لشفاعة النَّبِي ﷺ، وهل تنكر شفاعة النَّبِي ﷺ!!

فإنك حينئذٍ تدخل معه فِي خصومة أخرى وشبهة أخرى، وهي أنه سَمَّى دعاء النَّبِي ﷺ والاستغاثة به طلبًا للشفاعة ولَمْ يُسمِّه دعاءً، ويقول: إن النَّبِي ﷺ أُعطِي الشفاعة فأنا أطلب منه الشفاعة الَّتِي أعطيها.

فتقول له: أنا لا أنكر الشفاعة، وأقر أن شفاعة النَّبِي ﷺ حق، وأنه شافع مشفَّع أنا لا أنكر هذا؛ ولكن الشفاعة لا تطلب من النَّبِي ﷺ وهو ميت، وإنَّما تطلب من اللَّه؛ لأن الشفاعة ملك للَّه ﷻ، قال اللَّه تعالَى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَـٰعَةُ جَمِيعًاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [الزمر: ٤٤].

فجميع أنواع الشفاعة ملك لله، وما دامت ملكًا للَّه فإنَّها لا تطلب إلاَّ مِمَّن يَملكها وهو اللَّه ﷻ، والنَّبِي ﷺ لا يَملك الشفاعة ولا أحد يَملك الشفاعة إلا بإذن اللَّه؛ وإنَّما هي ملك للَّه ﷻ.

وأيضًا الشفاعة لا تنفع كل أحد؛ وإنَّما تنفع أهل التوحيد وأنت لست من أهل التوحيد لأنك تدعو غير اللَّه.

* **فالشفاعة لَها شرطان:**

- **الشرط الأول:** أن تطلب من اللَّه ﷻ، ولا تطلب من غيره.

فإن قال: أنا لا أعبد إلا اللَّه، وهذا الالتجاء إليهم ودعاؤهم ليس بعبادة [٤٨].

- **الشرط الثانِي**: أن يكون الْمَشفوع فيه من أهل التوحيد لا من أهل الشرك والكفر.

والدليل على الشرط الأول: قوله تعالَى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]. وهو لا يرضى إلا عن أهل التوحيد.

ودليل الشرط الثانِي: قوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. لا الْمَلائكة، ولا الرسل، ولا الأولياء، ولا الصالِحون لا أحد يشفع عند اللَّه إلاَّ بعد أن يأذن الله: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٦].

فلا تطلب الشفاعة من الْمَخلوق الْمَيت، وإنَّما تطلب الشفاعة من اللَّه، فتقول: اللهم شفِّع فِيَّ نبيك، لا تطلبها من الأموات.

وهذا الذي تقول إنه طلب للشفاعة هو الذي كفَّر اللَّه به الْمَشركين، فإن الْمَشركين حينما لَجئوا إلَى الأولياء والصالِحين وإلَى الْمَلائكة وإلَى الأنبياء يطلبون منهم الشفاعة كفَّرهم اللَّه بذلك، فقال تعالَى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨]. فهذا الذي تقوله هو الذي كفَّر اللَّه به المشركين وهو عبادة الأولياء والصالِحين، طلبًا لشفاعتهم.

[٤٨] يعنِي: إذا كان يعترف أن العبادة حق للَّه ﷻ، وأنه لا يَجوز عبادة غير اللَّه؛ ولكنه يقول: الالتجاء ليس من العبادة فهو جائز.

فإنك تقول له: الالتجاء إلَى اللَّه عبادة، والالتجاء إلَى غير اللَّه فيما لا يقدر عليه إلاَّ اللَّه شرك؛ لأن من التجأ إلَى غير اللَّه فِي الشدائد فقد أشرك مع اللَّه فيما

فقل له: أنت تُقِرُّ أنَّ اللَّه افترض عليك إخلاص العبادة للَّه وهو حَقُّهُ عليك. فإنه لا يعرف العبادة ولا أنواعها. فبَيِّنْها له بقولك: قال اللَّه تعالَى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥]. فإذا أعلمته بِهَذَا، فقل له: هل علمت أن هذا عبادة للَّه؟ فلابُدَّ أنْ يقول: نعم. والدُّعَاء مُخُّ العبادة. فقل له: إذا أقررت أنَّهَا عبادة، ودعوت اللَّه ليلاً ونَهَارًا، خوفًا وطمعًا، ثُمَّ دعوت فِي تلك الْحَاجة نبيًّا أو غيره، هل أشركت فِي عبادة اللَّه غيره؟ فلابُدَّ أنْ يقول: نعم [٤٩].

لا يقدر عليه إلاَّ اللَّه ﷻ؛ لأنه هو الذي يُجيب الْمُضطر إذا دعاه ويكشف السوء، وهو الْمَلجأ سبحانه، ولذا لَجأ إليه النَّبِي ﷺ حيث يقول: «**لا ملجأ، ولا منجَى، ولا ملتجا منك إلا إليك**»(1). ﴿قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ﴾ [الْجن: ٢٢]. وقوله تعالَى: ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ [الْمُؤمنون: ٨٨].

[٤٩] أي: تسأله عن معنَى العبادة، وما الفرق بينها وبين الالتجاء.

وقل له: هل العبادة واجبة أو مستحبة؟ فلابد أن يعترف أن العبادة أمر واجب وحتم على العباد، وأنَّها حق اللَّه على العباد، فإذا اعترف بِهذا فقل له: فسِّر لِي العبادة ما معناها، وبيِّن لِي ما أنواعها، ما دمت أنك اعترفت أن العبادة لله، وأنَّها واجبة على العبد، فإنه يَجب عليك أن تعرف معناها، وأن تعرف أنواعها وإلا فكيف يُوجب اللَّه عليك شيئًا وأنت تَجهله ولا تعرفه؟!

فإنه لا يعرف العبادة، ولا يعرف أنواعها، وهذه آفة الْجَهل، ومن هنا يتعين على العباد أن يتعلموا ما أوجب اللَّه عليهم، وما فرضه اللَّه عليهم حَتَّى يؤدوه على وجهه الصحيح، ويتجنبوا ما يُخل به، وما يبطله.

أما أن تعبد اللَّه على جهل فإن هذه طريقة النصارى الضالين، يعبدون اللَّه

---

(1) رواه الإمام البخاري فِي صحيحه (٧/ ١٤٧) كتاب الدعوات، باب: النوم على الشق الأيْمَن من حديث البراء بن عازب -رضي اللَّه تعالَى عنه-.

فإذا عَمِلت بقول اللَّه تعالَى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢]. وأطعت اللَّه ونَحرت له، هل هذا عبادة؟ فلابُدَّ أنْ يقول: نعم. فقل له: فإذا نَحرت لِمَخلوق نَبِيٍّ، أو جِنِّيٍّ أو غيرهِما، هل أشركت فِي هذه العبادة غير اللَّه؟ فلابُدَّ أنْ يُقرَّ ويقول: نعم [٥٠].

على جهل وضلال، واللَّه أمرك أن تسأله أن يُجنبك طريقهم فتقول: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦-٧].

فالضالون هم: الذين يعبدون اللَّه على غير علم، وعلى غير معرفة بالعبادة؛ وإنَّما يعبدون اللَّه بالعادات والتقاليد وما وجدوا عليه آباءهم وأجدادهم دون أن يرجعوا إلَى ما جاءت به الرسل، ونزلت به الكتب، وهذا هو سبب الضلال.

والالتجاء هو طلب الْحِماية من أمر مُخوف لا يدفعه إلا اللَّه، فهو نوع من أنواع العبادة، واللَّه سبحانه يُجير ولا يُجار عليه، ويعيذ من استعاذ به، فمن التجأ إلَى ميت فقد عبده من دون اللَّه.

وكذلك من أعظم أنواع العبادة: الدعاء، حيث قال اللَّه تعالَى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥]. وأنت بالتجائك إلَى غير اللَّه قد دعوت غير اللَّه وهذا شرك.

[٥٠] أي: لابد إذا تلوت عليه الآيات والأحاديث بأن الدعاء عبادة لابد أن يعترف، فتقول له: لو دعوت اللَّه فِي الليل والنهار؛ لكنك فِي بعض الأحيان تدعو غير اللَّه، هل تكون مشركًا؟ فلابد أن يعترف ويقول: إنه مشرك؛ لأنه دعا غير اللَّه، ومن دعا غير اللَّه فهو مشرك.

وإذا كان من دعا غير اللَّه، ولو مرة واحدة فِي العمر يكون مشركًا مع أنه يدعو اللَّه فِي الليل والنهار.

فكيف بالذي يَلهج دائمًا بذلك، ويقول: يا حُسين، يا بدوي، يا عبد

وقل له أيضًا: الْمُشركون الذين نَزَلَ فيهم القرآن، هل كانوا يعبدون الْمَلائكة والصالِحين واللاَّتَ وغير ذلك؟ فلابُدَّ أنْ يقول: نعم. فقل له: وهل كانت عبادتُهُم إيَّاهم إلاَّ فِي الدعاء والذَّبْح والالتجاء ونَحو ذلك، وإلاَّ فَهُمْ مُقرُّون أنَّهُم عبيده وتَحت قهره، وأنَّ اللَّه هو الذي يدبر الأمر، ولكن دعوهم والتجئوا إليهم للجاه والشفاعة، وهذا ظاهرٌ جدًّا[٥١].

فإن قال: أتنكر شفاعة رسول اللَّه ﷺ وتَبْرَأ منها؟

فقل: لا أنكرها ولا أتبرَّأُ منها، بل هو ﷺ، الشافع والْمُشَفَّعُ وأرجو شفاعته، ولكن الشفاعة كُلَّهَا للَّه تعالَى، كما قال تعالَى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ﴾[الزمر: ٤٤]. ولاتكون إلاَّ بعد إذن اللَّه كما قال: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. ولا يشفع النَّبِي ﷺ فِي أحد إلاَّ بعد أن يأذن اللَّه فيه، كما قال تعالَى: ﴿وَلَا

القادر، يا فلان فيصدر منه الشرك الأكبر كثيرًا؟!

فإذا كان من ذبح لغير اللَّه أو صلى لغير اللَّه يكون مشركًا فكيف بِمن يلجأ إلَى غير اللَّه فِي كشف الشدائد ألا يكون مشركًا؟! بلى؛ لأن الباب واحد، وأنواع العبادات كلها بابُها واحد لا يَجوز أن يَخلص للَّه فِي بعضها، ويشرك باللَّه فِي البعض الآخر.

[٥١] أي: أن الْمُشركين الأولين ما كان شركهم إلاَّ فِي هذه الأمور، وقد نزل القرآن فِي الإنكار عليهم، والأمر بقتالِهم وإباحة أموالِهم ودمائهم.

ما كانوا مع أصنامهم يعتقدون أنَّها تَخلق وترزق وتُحيي وتُميت، وما كانوا يدعونَها إلاَّ من أجل الشفاعة، فكذلك عبَّاد القبور اليوم يدعون الأضرحة والأولياء والصالِحين ولا يعتقدون فيهم أنَّهم يَخلقون ويرزقون، وأنَّهم خلقوا السموات والأرض؛ وإنَّما اتَّخذوهم لقضاء الْحَاجات والتوسل بِهم إلَى اللَّه ليشفعوا لَهم ويقربوهم إليه زلفى، والالتجاء إليهم فِي كشف الكرب والشدائد.

يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

وهو سبحانه لا يرضى إلاَّ التَّوحيد؛ كما قال تعالَى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥].

فإذا كانت الشفاعة كُلُّها لله، ولا تكون إلا من بعد إذنه، ولا يشفع النَّبِي ﷺ ولا غيره في أحد حتَّى يأذن اللَّه فيه، ولا يأذن اللَّه إلا لأهل التوحيد، تبين لك أنَّ الشفاعة كُلَّهَا للَّه وأطلبُها منه، فأقول: اللَّهُمَّ لا تَحرمنِي شفاعته، اللَّهُمَّ شَفِّعْهُ فِيَّ، وأمثال هذا [٥٢].

---

[٥٢] شفاعة النَّبِي ﷺ لا ينكرها إلاَّ أهل الباطل، والفرق الضالة كالْخَوارج والْمُعتزلة.

أمَّا أهل السنة والْجَماعة فإن من أصول عقيدتِهم الإقرار بشفاعة النَّبِي ﷺ، وشفاعة الأولياء والصالِحين؛ ولكنها لا تطلب منهم وهم أموات، وإنَّما تطلب من اللَّه؛ لأن أحدًا لا يشفع عند اللَّه إلا من بعد إذنه، ولابد أن يكون الْمَشفوع فيه مِمَّن يرضى اللَّه عنه من أهل التوحيد.

والنَّبِي ﷺ -وهو أعظم الشفعاء يوم القيامة- إذا تقدم له أهل الْمَحشر وطلبوا منه أن يشفع لَهم عند اللَّه فِي فصل القضاء بينهم، فإنه لا يشفع ابتداءً، وإنَّما يستأذن ربه، ويطلب منه أن يأذن له بالشفاعة فيخرُّ ساجدًا بين يدي ربه ويدعوه ويتضرع إليه، ويستمر حَتَّى يقال له: يا مُحمَّد ارفع رأسك، وسل تعط، واشفع تشفع(١)؛ ولكن كيف تطلب الشفاعة؟

الشفاعة تطلب من اللَّه، ولا تُطلب من الْمَخلوق فتقول: اللهم لا تَحرمنِي شفاعة نبيك، اللهم شفِّعه فِيَّ. وأمثال هذا، والنَّبِي ﷺ بعد موته لا يطلب منه

---

(١) انظر: صحيح البخاري (٤/ ١٠٥، ١٠٦) كتاب بدء الْخَلق، باب: قول اللَّه تعالَى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾ [نوح: ١]، وانظر: صحيح مسلم (١/ ١٨٤-١٨٦) كتاب الإيْمَان، باب: أدنَى أهل الْجَنة منْزلة فيها، كلاهُما من حديث أبِي هريرة رضي الله عنه.

فإن قال: النَّبي ﷺ أُعطِي الشفاعة، وأنا أطلبه مِمَّا أعطاه اللَّه تعالَى؟

فالْجَواب: أنَّ اللَّه أعطاه الشفاعة، وَنَهَاك عن هذا؛ فقال تعالَى: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الْجن: ١٨].

فإذا كنت تدعو اللَّه أنْ يُشفع نبيَّهُ فيك؛ فأطعه فِي قوله: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الْجن: ١٨].

وأيضًا فإنَّ الشفاعة أُعْطِيها غير النَّبِي ﷺ، فصحَّ أنَّ الْمَلائكة يشفعون، والأفراط[١] يشفعون، والأولياء يشفعون، أتقول: إنَّ اللَّه أعطاهم الشفاعة وأطلُبُها منهم؟

فإن قلت هذا، رجعت إلَى عبادة الصَّالِحين الَّتِي ذكرها اللَّه فِي كتابه. وإن قلت: لا. بطل قولك: أعطاه اللَّه الشفاعة وأنا أطْلُبُهُ مِمَّا أعطاه اللَّه [٥٣].

شيء لا شفاعة ولا غيرها؛ لأن طلب الأشياء من الأموات شرك أكبر.

[٥٣] أي: ليس من لازم إعطاء النَّبِي ﷺ وغيره الشفاعة جواز طلبها منهم وهم أموات، بدليل أن اللَّه ﷻ نفي أن يشفع أحد عنده إلاَّ بإذنه ورضاه عن الْمَشفوع فيه؛ ولأن طلب الشفاعة من الأموات شرك، واللَّه قد حرم الشرك، وأحبط عمل صاحبه، وحرم عليه الْجَنة.

وقد أنكر سبحانه على الذين يدعون غيره ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند اللَّه، ونزَّه نفسه عن ذلك، وسَماه شركًا.

وأيضًا إعطاء اللَّه الشفاعة ليس خاصًا بالنَّبِي ﷺ، فهل كل من أُعطي الشفاعة تطلب منه من دون اللَّه، كما كان المشركون الأولون يفعلون ذلك ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]؟!

---

(١) الأفراط: هم الأولاد الصغار الذين ماتوا قبل آبائهم، انظر: لسان العرب (٧/ ٣٦٦)، مادة: (فرط).

فإن قال: أنا لا أُشْرِكُ باللَّه شيئًا حاشى وكلاَّ، ولكن الالتجاء إلَى الصالِحين ليس بشرك.

فقل له: إذا كنت تُقرُّ أنَّ اللَّه حَرَّم الشِّرْك أعظم من تَحريْمِ الزِّنَا، وتُقرُّ أنَّ اللَّه لا يغفره، فما هذا الأمر الذي حَرَّمَهُ اللَّه وذكر أنَّهُ لا يغفره؟

فإنه لا يدري.

فقل له: كيف تُبَرِّئ نفسك من الشرك، وأنت لا تعرفه؟ كيف يُحَرِّمُ اللَّه عليك هذا، ويذكر أنَّه لا يغفره، ولا تسأل عنه ولا تعرفه، أتظُنُّ أنَّ اللَّه يُحَرِّمُهُ ولا يُبَيِّنُهُ لنا؟

فإن قال: الشرك عبادة الأصنام، ونَحن لا نعبد الأصنام.

فقل له: ما معنَى عبادة الأصنام؟ أتَظُنُّ أنَّهُم يعتقدون أنَّ تلك الأخشاب والأحجار تَخْلُقُ، وتَرْزُقُ، وتُدَبِّرُ أمر من دعاها؟ فهذا يُكذِّبُهُ القرآن.

وإن قال: هو من قصد خشبة، أو حجرًا، أو بنية على قبر أو غيره، يدعون ذلك ويذبَحون له يقولون: إنه يُقَرِّبُنا إلَى اللَّه زُلْفَى، ويدفع اللَّه عنَّا ببركته ويُعطينا ببركته.

فقل: صدقت، وهذا هو فعلكم عند الأحجار والأبنية الَّتِي على القبور وغيرها.

فهذا أقَرَّ أنَّ فعلهم هذا هو عبادة الأصنام فهو الْمَطلوب.

ويقال له أيضًا: قولك: الشِّرْكُ عبادة الأصنام، هل مرادك أنَّ الشِّرْك مَخصوص بِهَذَا، وأنَّ الاعتماد على الصالِحين ودعاءهم لا يدخل فِي ذلك؟

فهذا يَرُدُّهُ ما ذكر اللَّه فِي كتابه مِنْ كُفر مَنْ تَعَلَّقَ على الْمَلائكة أو عيسى أو الصالِحين.

فلابُدَّ أن يُقرَّ لك أنَّ من أشرك فِي عبادة اللَّه أحدًا من الصالِحين؛ فهذا هو

الشِّرْكُ الْمَذكور فِي القرآن، وهذا هو الْمَطلوب.

وسِرُّ الْمَسألة: أنه إذا قال: أنا لا أُشرك باللَّه.

فقل له: وما الشرك بالله؟ فسِّرْهُ لِي؟

فإنْ قال: هو عبادة الأصنام.

فقل: وما معنَى عبادة الأصنام؟ فَسِّرْهَا لِي.

فإنْ قال: أنا لا أعبد إلا اللَّه.

فقل: ما معنَى عبادة اللَّه، فَسِّرْهَا لِي؟

فإن فَسَّرَها بِمَا بينه القرآن فهو الْمَطلوب، وإنْ لَمْ يعرفه؛ فكيف يَدَّعِي شيئًا وهو لا يعرفه؟

وإنْ فَسَّر ذلك بغير معناه بَيَّنْتَ له الآيات الواضحات فِي معنَى الشرك باللَّه وعبادة الأوثان، وأنه الذي يفعلونه فِي هذا الزَّمَانِ بعينه، وأنَّ عبادة اللَّه وحده لا شريك له هي الَّتِي ينكرون علينا، ويصيحون فيه كما صاح إخوانُهُم حيث قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥] [٥٤].

---

[٥٤] يبيِّن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الشرك ليس مقصورًا على عبادة الأصنام؛ لأن المشركين الأولين منهم من يعبد الْمَلائكة، والْمَلائكة أصلح الصالِحين، كما قال تعالَى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٩].

ومنهم من يعبد الصالِحين، وذلك فِي قوله تعالَى: ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٧].

قيل: إنَّها نزلت فيمن يعبد عزيرًا والْمَسيح من الأنبياء.

فإذا عرفت أنَّ هذا الذي يسميه الْمُشركون فِي زماننا «الاعتقاد» هو الشِّرْكُ الذي نزل فيه القرآن، وقاتل رسول اللَّه ﷺ الناس عليه.

فاعلم أنَّ شرك الأولين أخفُّ من شرك أهل زماننا بأمرين:

أحدهُما: أنَّ الأولين لا يشركون ولا يدعون الْمَلائكة والأولياء والأوثان مع اللَّه إلاَّ فِي الرخاء، وأما الشِّدَّة فيُخْلِصُون للَّه الدين، كما قال تعالَى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٧].

وقوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٤٠-٤١].

وقيل: نزلت فِي قوم كان يعبدون الْجِن فأسلم الْجِن، ولَمْ يعلم من يعبدهم من الإنس أنَّهم أسلموا.

والْمَقصُود من ذلك: أن اللَّه ذكر أن الْمُشركين الأولين منهم من يعبد الأصنام والأشجار والأحجار، ومنهم من يعبد الأنبياء والصالِحين وسوَّى بينهم فِي الْحُكم، وحكم عليهم بالكفر والشرك.

وأنت أيها الْمُشبه تريد أن تفرق بين من عبد الأصنام، ومن عبد الصالِحين، فتفرق بين ما جَمع اللَّه، وهذا من الْمُحادة للَّه ﷻ.

وهذا وجه رد هذه الشبهة حيث تَبيِّن أنه لا فرق بين شرك الأوَّلين، وشرك هؤلاء الذين يدَّعون الإسلام، وهم يعبدون القبور والأولياء والصالِحين؛ لأنَّهم لا يعرفون أن هذا شرك، وهذه نتيجة الْجَهل بعقيدة التوحيد الصحيحة، والْجَهل بِما يضادها من الشرك، فإن من لا يعرف الشرك يقع فيه وهو لا يدري. ومن هنا تتضح ضرورة العناية بدراسة العقيدة الصحيحة وما يضادها.

وقال تعالَى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ [الزمر: ٨].

وقوله: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [لقمان: ٣٢] **[٥٥].**

فَمَنْ فهم هذه الْمَسألة الَّتِي وضَّحَها اللَّه فِي كتابه، وهي أنَّ الْمُشركين الذين قاتلهم رسول اللَّه ﷺ يدعون اللَّه تعالَى ويدعون غيره فِي الرخاء، وأما فِي الضر والشدة فلا يدعون إلا اللَّه وحده لا شريك له، وينسون ساداتِهم؛ تَبَيَّن له الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الأولين، ولكن أين من يفهم قلبه هذه الْمَسألة فهمًا

---

[٥٥] يقول الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: إذا عرفت مِمَّا سبق أنه لا فرق بين شرك أهل الْجَاهلية الذي نزل فيه القرآن، والذي قاتل رسول اللَّه ﷺ وأصحابه، وشرك هؤلاء المنتسبين إلَى الإسلام من عُبَّاد القبور، وأصحاب الطرق الصوفية الْمُنحرفة ونَحوهم، لا فرق بين شرك هؤلاء وهؤلاء إلاَّ فِي الاسم حيث يسمونه الاعتقاد فقط.

فاعلم أن شرك هؤلاء الْمُتأخرين الْمُنتسبين إلَى الإسلام أشد وأغلظ من شرك الْمُتقدمين من أهل الْجَاهلية من وجهين:

الأول: أن شرك الأولين إنَّما يَحصل فِي حال الرخاء، وأما فِي حال الشدة فإنَّهم يتركون الشرك ويُخلصون الدعاء للَّه؛ لعلمهم أنه لا ينجي من الشدائد إلا اللَّه سبحانه، كما ذكر اللَّه عنهم فِي الآيات الَّتِي ساقها الشيخ وغيرها.

وأمَّا هؤلاء الْمُشركون الْمُنتسبون إلَى الإسلام فشركهم دائم فِي الرخاء والشدة؛ بل إن شركهم فِي الشدة يزيد على شركهم فِي الرخاء، بِحيث إذا وقعوا فِي خطر وشدة ارتفعت أصواتُهم بالشرك ودعاء غير اللَّه.

هذا هو الوجه الأول من وجوه الفرق بين الْمُشركين الأولين ومشركي زماننا.

والوجه الثانِي: سيأتِي.

راسخًا، واللَّه الْمُستعان [٥٦].

والأمر الثانِي: أنَّ الأولين يدعون مع اللَّه أناسًا مُقَرَّبين عند الله: إمَّا أنبياء، وإمَّا أولياء، وإمَّا ملائكة.

أو يدعون أشجارًا، أو أحجارًا مطيعة للَّه ليست عاصية.

وأهل زماننا يدعون مع اللَّه أناسًا من أفسق الناس، والذين يدعونَهُمْ هم الذين يَحكون عنهم الفجور من الزِّنَا والسرقة وترك الصلاة وغير ذلك [٥٧].

والذي يعتقد فِي الصالِح أو الذي لا يعصي، مثل الْخَشب والْحَجر أهون مِمَّن يعتقد فيمن يُشاهد فسقه وفساده ويشهد به [٥٨].

---

[٥٦] **يقول** رَحِمَهُ اللَّهُ: إنه لا يدرك الفرق بين شرك الأولين وشرك المتأخرين فِي أن شرك الْمُتأخرين أغلظ وأشد، إلاَّ من فهم الآيات القرآنية الَّتِي توضح ذلك، ومن لَمْ يدرك الفرق، فإنه راجع لسوء فهمه.

[٥٧] **الوجه الثانِي من أوجه الفرق:**

أن الْمُشركين الأولين يدعون أناسًا فيهم صلاح وتقرب إلَى اللَّه من الْمَلائكة والأنبياء والصالِحين، أو يدعون أشجارًا، أو أحجارًا ليست عاصية لله.

وأما الْمُشركون المتأخرون فيدعون فجرة الْخَلق وأشدهم كفرًا وفسقًا مِمَّن يزعمون لَهم الكرامات، وسقوط التكاليف عنهم من ملاحدة الصوفية الذين يستحلون الْمُحرمات، ويتركون الواجبات كالبدوي، والْحَلاج، وابن عربِي، وأضرابِهم من أئمة الْمَلاحدة، فيعبدونَهم وهم يشاهدونَهم يفعلون الفواحش، ويتركون الفرائض، ويزعمون أن هذا من كرامتهم وفضلهم حيث سقطت عنهم التكاليف.

[٥٨] هذه نتيجة الْمُقارنة بين شرك الأولين وشرك الْمُتأخرين الْمُنتسبين إلَى الإسلام، وهي أن الشرك بعبادة الصالِحين والْمَخلوقات الَّتِي لا تعصي أخف من الشرك بعبادة الفجرة والْمَلاحدة والعصاة؛ لأن ذلك يدل على تزكيتهم

إذا تَحَقَّقْتَ أنَّ الذين قاتلهم رسول اللَّه ﷺ أصحُّ عقولاً، وأخفُّ شركًا من هؤلاء؛ فاعلم أنَّ لِهؤلاء شبهة يوردونَهَا على ما ذكرنا، وهي من أعظم شبههم، فأصغ سَمْعَك لِجوابِهَا وهي أنَّهُم يقولون: إنَّ الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أن لا إله إلا اللَّه، ويُكَذِّبُون الرسول ﷺ، وينكرون البعث، ويُكَذِّبون القرآن ويَجْعَلُونه سحرًا، ونَحن نشهد أن لا إله إلا اللَّه وأنَّ مُحمَّدًا رسول اللَّه ونُصَدِّقُ القرآن، ونؤمن بالبعث، ونصلي ونصوم، فكيف تَجعلوننا مثل أولئك؟!

فالْجَواب: أن لا خلاف بين العلماء كُلِّهِم أنَّ الرَّجُل إذا صدَّق رسول اللَّه ﷺ فِي شيء، وكَذَّبَهُ فِي شيء؛ فإنه كافر لَمْ يدخل فِي الإسلام، وكذلك إذا آمن ببعض القرآن وجحد بعضه، كمن أقرَّ بالتوحيد وجحد وجوب الصلاة، أو أقرَّ بالتوحيد والصلاة وجحد وجوب الزكاة، أو أقر بِهَذَا كله وجحد الصوم، أو أقرَّ بِهَذَا كله وجحد الْحَج، ولَمَّا لَمْ يَنْقَدْ أناس فِي زمن النَّبِي ﷺ للحج أنزل اللَّه فِي حقهم: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

ومن أقرَّ بِهَذَا كله، وجحد البعث؛ كفر بالإجْمَاع، وحلَّ دمه وماله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا﴾ [النساء: ١٥٠-١٥١].

فإذا كان اللَّه قد صرَّح فِي كتابه: أنَّ من آمن ببعض وكفر ببعض؛ فهو الكافر حقًّا؛ زالت هذه الشُّبْهَةُ، وهذه هي الَّتِي ذكرها بعض أهل الأحساء فِي كتابه الذي أرسله إلينا.

وموافقتهم على كفرهم وفجورهم واعتباره صلاحًا وكرامة، وأي مُحادة للَّه أشد من هذه الْمُحادة؛ نسأل اللَّه العافية.

ويقال أيضًا: إذا كنت تُقرُّ أنَّ من صدَّق الرسول ﷺ فِي كلِّ شيء، وجحد وجوب الصلاة؛ فهو كافر حلال الدم والْمَال بالإجْمَاع، وكذلك إذا أقرَّ بكلِّ شيء إلاَّ البعث، وكذلك لو جحد وجوب صوم رمضان؛ وصدق بالباقي، فهنا لا تَختلف الْمَذاهب فيه، وقد نطق به القرآن كما قدمنا.

فمعلوم أن التوحيد هو أعظم فريضة جاء بِهَا النَّبِي ﷺ، وهو أعظم من الصلاة، والزكاة، والصوم، والْحَج، فكيف إذا جحد الإنسان شيئًا من هذه الأمور كفر ولو عمل بكل ما جاء به الرسول ﷺ، وإذا جحد التوحيد الذي هو دين الرُّسُل كُلِّهم لا يكفر؟! سبحان اللَّه ما أعجب هذا الْجَهل!!

ويقال أيضًا: هؤلاء أصحاب رسول اللَّه ﷺ قاتلوا بَنِي حنيفة، وقد أسلموا مع النَّبِي ﷺ، وهم يشهدون أن لا إله إلا اللَّه، وأنَّ مُحمَّدًا رسول اللَّه ﷺ، ويُؤذِّنُون ويُصَلُّون. فإن قال: إنَّهُم يقولون: إنَّ مُسيلمة نَبِيٌّ.

قلنا: هذا هو الْمَطلوب، إذا كان من رفع رجلاً إلَى رتبة النَّبِي ﷺ كفر، وحلَّ ماله ودمه، ولَمْ تنفعه الشهادتان، ولا الصَّلاة، فكيف بِمَن رفع شَمسان، أو يوسف، أو صحابيًّا، أو نبيًّا إلَى رتبة جبار السموات والأرض؟! سبحان الله!! ما أعظم شأنه: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٥٩].

ويقال أيضًا: الذين حرَّقَهُم عليُّ بن أبِي طالب رضي الله عنه بالنار، كُلُّهُم يدَّعُون الإسلام، وهم من أصحاب علي رضي الله عنه، وتعلموا العلم من الصحابة، ولكن اعتقدوا فِي عليٍّ مثل الاعتقاد فِي يوسف وشَمسان وأمثالِهما، فكيف أجْمَع الصحابة على قتلهم وكفرهم؟! أتظنون أنَّ الصحابة يُكَفِّرون الْمُسلمين؟!! أتظنون أنَّ الاعتقاد فِي تاج وأمثاله لا يضر، والاعتقاد فِي عليِّ بن أبِي طالب رضي الله عنه يُكَفِّرُ؟!

ويقال أيضًا: بنو عُبيدٍ القداح الذين ملكوا الْمَغرب ومصر فِي زمان بَنِي العباس، كُلُّهُم يشهدون أن لا إله إلا اللَّه، وأنَّ مُحمَّدًا رسول اللَّه، ويدَّعُون

الإسلام، ويُصَلُّون الْجُمعة والْجَماعة، فلَمَّا أظهروا مُخالفة الشريعة فِي أشياء دونَما نَحن فيه؛ أجْمَع العلماء على كفرهم وقتالِهم، وأنَّ بلادهم بلاد حرب، وغزاهم الْمُسلمون حتَّى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان الْمُسلمين.

ويقال أيضًا: إذا كان الأولون لَمْ يَكْفُرُوا إلا أنَّهُم جَمعوا بين الشرك وتكذيب الرسول ﷺ والقرآن، وإنكار البعث وغير ذلك، فما معنَى الباب الذي ذكره العلماء فِي كل مذهب: «باب حكم الْمُرتد»، وهو الْمُسلم يكفر بعد إسلامه، ثُمَّ ذكروا أنواعًا كثيرة كل نوع منها يكفر ويُحل دم الرجل وماله، حتَّى أنَّهُم ذكروا أشياء يسيرة عند من فعلها، مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه، أو يذكرها على وجه الْمَزح واللَّعب.

ويقال أيضًا: الذين قال اللَّه فيهم: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ﴾ [التوبة: ٧٤]. أما سَمعت اللَّه كَفَّرَهُم بكلمة مع كونِهِم فِي زمن رسول اللَّه ﷺ، ويُجاهدون معه، ويصلون، ويزكون، ويَحجون، ويوحدون، وكذلك الذين قال اللَّه فيهم: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦]. فهؤلاء الذين صرَّح اللَّه أنَّهُم كفروا بعد إيْمَانِهِم وهم مع رسول اللَّه ﷺ فِي غزوة تبوك، قالوا كلمة ذكروا أنَّهُم قالوها على وجه الْمَزح[1]، فتأمَّل هذه الشبهة وهي قولُهم: تُكفِّرون من الْمُسلمين أُناسًا يشهدون أن لا إله إلا اللَّه، ويُصَلُّون ويصومون. ثُمَّ تأمل جوابَهَا، فإنَّه من أنفع ما فِي هذه الأوراق [٥٩].

---

[٥٩] ما زال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ يواصل الرد على شبهات الْمُشبهين فِي مسألة

---

(١) تقدم العزو إليها.

الشرك والتوحيد، فانتهى إِلَى هذه الشبهة العظيمة الَّتِي هي من أعظم شبههم وأخطرها؛ ألا وهي: قولُهم إن من شهد أن لا إله إلا اللَّه، وأن مُحمَّدًا رسول اللَّه، وصلى وصام، وحج وأدى الأعمال، فإنه لا يكفر، ولو فعل ما فعل من أنواع الردة.

أما الذين نزل فيهم القرآن -وهم الْمُشركون الأولون- فإنَّهم ليسوا مثل هؤلاء فهم لَمْ يشهدوا أن لا إله إلا اللَّه، وأن مُحمَّدًا رسول اللَّه، ولَمْ يدخلوا فِي الإسلام فهم لا يؤمنون باللَّه، ولا بالرسول، ولا بالإسلام ولا بالقرآن.

أما هؤلاء فأظهروا الإيْمَان بالبعث، ويصلون، ويصومون، ويَحجون، ويزكون، ويذكرون اللَّه كثيرًا.

فالشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ عند هذه الشبهة خاصة قال: أصغ سَمعك لِجوابِها فإنَّها من أعظم شبههم.

*** ثُمَّ ردَّ الشيخ على هذه الشبهة من سبعة وجوه مهمة:**

الوجه الأول: أنه من آمن ببعض الأحكام الشرعية وكفر ببعضها الآخر؛ فهو كافر بالْجَميع، وهؤلاء أنكروا التوحيد الذي جاءت به الرسل، وهو إفراد اللَّه بالعبادة، فهؤلاء لَمْ يفردوا اللَّه بالعبادة؛ وإنَّما أشركوا معه غيره من الأولياء والصالِحين.

فالإسلام لا يقبل التجزئة، ولا التفرقة، وأعظم الإسلام: التوحيد، وهو دعوة جَميع الرسل، وهؤلاء جحدوا أعظم شيء، وهو توحيد العبادة، وقالوا: لا بأس أن ينذر الإنسان لفلان ويذبح لفلان؛ لأنه ولِي والولِي ينفع ويضر مِمَّا هو مثل فعل الْمُشركين الأولين.

الوجه الثانِي: ذكر الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ وقائع فِي التاريخ الإسلامي تدل على أن العلماء فِي كل زمان يُكفِّرون من آمن ببعض وكفر ببعض.

منها: أن الصحابة ومن بعدهم قاتلوا الذين يتظاهرون بالشهادتين، ويصلون

ويصومون ويَحجون؛ لكن لَما فعلوا شيئًا من الشرك، أو جحدوا شيئًا من الدين قاتلوهم واستحلُّوا دماءهم وأموالَهم وذلك كما يلي:

أولاً: بنو حنيفة اعتقدوا أن مسيلمة رسول اللَّه والذين جحدوا وجوب الزكاة بعد وفاة النَّبِي ﷺ.

وثانيًا: فِي عهد علي رضي الله عنه كفَّروا الغلاة الذين قالوا: إن عليًّا هو اللَّه. مع أنَّهم يشهدون أن لا إله إلا اللَّه، وأن مُحمَّدًا رسول اللَّه، ويصلون، ويصومون، وهم فِي جند علي رضي الله عنه؛ لكن لَما أظهروا الغلو حرَّقهم علي رضي الله عنه؛ مع أنَّهم يشهدون أن لا إله إلا اللَّه؛ ولكنه حرَّقهم لَما اعتقدوا أن شخصًا له حق فِي الألوهية كفَّرهم وحرقهم بالنار.

ثالثًا: فِي عهد العباسيين ظهرت فرقة العبيديين، وهم طائفة الشيعة الإِسْمَاعيلية؛ لأنَّهم ينتسبون إلَى إسْمَاعيل بن مُحمَّد بن جعفر، ولذلك سُموا بالإِسْمَاعيلية، وسَمُّوا الفاطمية؛ لأنَّهم يزعمون أنَّهم من ذرية فاطمة؛ ولذلك يقال لَهم الفاطميون، وفِي الْحَقيقة أنَّهم من اليهود أظهروا الإسلام؛ ولكن ظهر منهم كفريات، وفِي النهاية ادعى حكامهم الألوهية مثل الْحَاكم العبيدي.

فالصحابة قاتلوا بنِي حنيفة، وهم يشهدون أن لا إله إلا اللَّه، وأن مُحمَّدًا رسول اللَّه، ويصومون، ويَحجون لكن لَمَّا ادعوا أن مسيلمة نبِي كفَّروهم؛ لأن من اعتقد فِي شخص بعد مُحمَّد ﷺ أنه نبِي فقد كفر، وإن كان يصلي ويصوم؛ ولذلك حكم المسلمون اليوم بكفر القاديانية الذين يدعون نبوة أحْمَد القادياني.

فإذا كان من رفع رجلاً إلَى مرتبة النَّبِي كفر، فكيف لا يكفر من رفع رجلاً إلَى مرتبة رب العالَمين، وصرف له أنواعًا من العبادة، كالذبح، والنذر، والدعاء، والاستغاثة، وغير ذلك؟!

وقول الشيخ: كمن رفع تاجًا وشَمسان ويوسف ناس فِي زمانه غلا فيهم الناس بِحجة أنَّهم أولياء، ولَهم شعوذات، وخوارق، وهم على طريقة الْحَلاج

وابن عربِي.

الوجه الثالث: أن العلماء -رحِمهم الله- عقدوا بابًا فِي كتب الفقه سَمَّوه: باب الردة، وذكروا فيه نواقض الإسلام، وذكروا أشياء قد تكون صغيرة فِي أعين الناس؛ ولكن حكموا أن من فعلها، أو اعتقدها يكفر مع أنه يصلي، ويصوم، ويعبد اللَّه، ولَمْ يَحصروا حصول الردة فيما ذكرتُم.

الوجه الرابع: أن اللَّه حكم بكفر أناس لقولِهم كلمة تكلموا بِها أبطلت إسلامهم وإيْمَانَهم، كما قال تعالَى: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ﴾ [التوبة: ٧٤]. فكفَّرهم بكلمة مع كونِهم مع رسول اللَّه يصلون ويُجاهدون.

الوجه الْخَامس: أن اللَّه كفَّر أناسًا بسبب كلام قالوه على وجه الْمزاح واللعب، وأنزل فِي شأنِهم: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾. مع أنَّهم يصلُّون، وقد غزوا مع الرسول ﷺ فِي غزوة تبوك، لكن لَما قالوا هذه الكلمة كفروا بعد إيْمَانِهم، ولَمْ ينفعهم أنَّهم يصلُّون ويصومون ويُجاهدون.

فهذه الوجوه فيها إبطال هذه الشبهة، وفِي الْحَقيقة أنَّها من أعظم الشبه؛ ولكن جوابُها واضح، ولله الْحَمد.

الوجه السادس: أن قولَهم: إن الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أن لا إله إلا اللَّه، ويكذِّبون الرسول ﷺ وينكرون البعث، ويكذبون القرآن، ويَجعلونه سحرًا، ونَحن نشهد أن لا إله إلا اللَّه، وأن مُحمَّدًا رسول اللَّه، ونصدق القرآن، ونؤمن بالبعث ونصلي، ونصوم، فكيف تَجعلوننا مثل أولئك.

يُجاب عنه: أن الرجل إذا صدق اللَّه فِي شيء وكذبه فِي شيء فهو كافر مرتد عن الإسلام، كمن آمن ببعض القرآن وجحد بعضه، وكمن أقر بالتوحيد والصلاة، وجحد وجوب الزكاة، أو أقر بِهذا كله وجحد الصوم، أو أقر بِهذا

ومن الدليل على ذلك أيضًا: ما حكى اللَّه عن بَنِي إسرائيل مع علمهم وصلاحهم، أَنَّهُم قالوا لِموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨].

وقول أناس من الصحابة: «اجعل لنا ذات أنواط»(١). فحلف النَّبِي ﷺ أَنَّ هذا مثل قول بَنِي إسرائيل لِموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾. ولكن للمشركين شبهة يدلون بِهَا عند هذه القصة وهي أَنَّهُم يقولون: إنَّ بَنِي إسرائيل لَمْ يكفروا بذلك، وكذلك الذين قالوا للنَّبِي ﷺ اجعل لنا ذات أنواط. لَمْ يكفروا.

فالْجَواب: أن تقول: إنَّ بَنِي إسرائيل لَمْ يفعلوا، وكذلك الذين سألوا النَّبِي ﷺ لَمْ يفعلوا، ولا خلاف أَنَّ بَنِي إسرائيل لو فعلوا ذلك لكفروا، وكذلك لا خلاف أَنَّ الذين نَهَاهم النَّبِي ﷺ لو لَمْ يطيعوه، واتَّخذوا ذات أنواط بعد نَهْيه لكفروا، وهذا هو الْمَطلوب [٦٠].

كله وجحد الحج، وإن كان يشهد أن لا إله إلا اللَّه، وأن مُحمَّدًا رسول اللَّه.

الوجه السابع: أن مَن جحد وجوب الْحَج كفر، وإن كان يشهد أن لا إله إلا اللَّه، وأن مُحمَّدًا رسول اللَّه، ويصلي ويصوم؛ قال تعالَى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ إلَى قوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦-٩٧].

فدلت الآيات على أن من جحد وجوب الْحَج كفر وإن كان يشهد أن لا إله إلا اللَّه، فكيف بِمن جحد التوحيد وأجاز عبادة القبور؟!

[٦٠] أي: من الأدلة على أن من ارتكب ناقضًا من نواقض الإسلام يكفر،

---

(١) رواه الترمذي فِي سننه (٦/ ٣٤٣-٣٣٤٤) كتاب الفتَن، باب: ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم حديث رقم (٢١٨١)، ورواه الإمام أحْمَد فِي مسنده (٥/ ٢١٨) حديث رقم (٢١٩٤٧، ٢١٩٥٠، ٢١٩٥٢) بألفاظ متقاربة، وانظر البداية والنهاية لابن كثير (٤/ ٣٢٥) كلهم من حديث أبِي واقد الليثي ﵁.

ولكن هذه القصة تفيد أنَّ الْمُسلم -بل العالِم- قد يقع فِي أنواع من الشرك لا يدري بِها، فتفيد التعلم والتحرز ومعرفة أنَّ قول الْجُهال: التوحيد فهمناه؛ أنَّ هذا من أكبر الْجَهل ومكايد الشيطان، وتفيد أيضًا أنَّ الْمُسلم الْمُجتهد إذا تكلم بكلام كُفْر وهو لا يدري، فنُبه إلَى ذلك، وتاب من ساعته، فإنه لا يكفر، كما فعل بنو إسرائيل والذين سألوا النَّبِي ﷺ، وتفيد أيضًا أن لو لَمْ يكفر فإنه يغلظ عليه الكلام تغليظًا شديدًا، كما فعل رسول اللَّه ﷺ [٦١].

ولو كان يشهد أن لا إله إلا اللَّه، ويصلي ويصوم إلَى غير ذلك من الأعمال، ما قصَّه اللَّه عن بنِي إسرائيل حين طلبوا من موسى أن يَجعل لَهم إلَهًا كآلِهة الْمُشركين، وقصة الذين طلبوا من النَّبِي ﷺ أن يَجعل لَهم ذات أنواط.

وأن النبيين الكريْمَين أنكرا ذلك واعتبراه شركًا يُخرجهم من الْمِلة لو فعلوه مع أنَّهم يؤمنون بالنبيين الكريْمَين، ويُجاهدون معهما.

ثُمَّ أورد الشيخ اعتراضًا على هذا الاستدلال، وهو أن بنِي إسرائيل الذين طلبوا من موسى أن يَجعل لَهم إلَهًا لَمْ يكفروا، وكذلك الذين طلبوا من مُحمَّد ﷺ أن يَجعل لَهم ذات أنواط لَمْ يكفروا.

وأجاب عن هذا الاعتراض بأن الفريقين لَمْ ينفذا ما قالا، ولو فعلا لكفرا؛ ولكن لَمَّا نَهيا عن ذلك وبُيِّن لَهما أنه كفر تَجنبوه وانتهوا عنه.

ومَحل الشاهد من القصتين: أن من فعل الشرك كفر، وإن كان يشهد أن لا إله إلا اللَّه، ويؤمن بالأنبياء ويعمل الأعمال الصالِحة.

[٦١] هذا القصة فيها فوائد: الأولَى: الْحَذر من الشرك وأنه قد يدب إلَى الْمُسلمين عن طريق التقليد والتشبه بالكفار «اجعل لنا إلَهًا كما لَهم آلِهة»، «اجعل لنا ذات أنواط كما لَهم ذات أنواط».

ففي ذلك: التحذير من مُجاراة الكفار والتحذير من الفتَن الَّتِي تنجُم عن ذلك.

ومن **ذلك**: عبادة القبور الَّتِي أحدثوها وفتنوا بِها وصاروا يدعون الناس إليها، والْخَليل -عليه الصلاة والسلام- الذي كسر الأصنام بيده وأوذي وألقي فِي النار بسبب إنكار الشرك يقول: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ۝٣٥ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٥-٣٦].

خاف على نفسه -عليه الصلاة والسلام- من الفتنة، وخاف على ذريته من الفتنة، إذن كيف يقول جاهل: إن التوحيد يُمكن تعلمه فِي خَمس دقائق، والْمُهم عنده البحث فِي أمور السياسة والكلام فِي الْحُكام وفقه الواقع كما يقولون، ومعناه رصد الوقائع الدولية وتَحليلاتِها والانشغال بِها عن التفقه فِي الدين.

ومنهم من ينتقد مقررات التوحيد فِي المدارس والمعاهد والكليات ويقول: لا داعي لِهذه الكثافة فِي مقررات التوحيد، الناس مسلمون، وأولاد فطرة، وبإمكان الطلاب أن يتعلموا التوحيد من البيئة الاجتماعية . . . إلَخ هذيانِهم الفارغ . . .

ولو سألت واحدًا من هؤلاء عن أبسط مسألة فِي التوحيد ما أجابك بِجواب صحيح، أعنِي الذين يقولون هذه المقالة.

والفائدة الثانية -وهي فائدة عظيمة-: أن من نطق بكلمة الكفر عن جهل وهو لا يدري، ثُمَّ نُبِّه وتاب من ساعته فإنه لا يكفر؛ بدليل قصة بنِي إسرائيل مع موسى عليه السلام وبعض الصَّحابة مع النَّبِي ﷺ فهو لا يكفر بذلك؛ ولكن بِهذين الشرطين:

الشرط الأول: أن يكون قال هذا الكلام عن جهل ولَمْ يتعمد.

الشرط الثانِي: أن يتوب من ساعته ويترك هذا الشيء إذا تبيَّن له أنه كفر.

فهذا لا يضره الكلام الذي قاله، وهذا جواب عن شبهتهم الَّتِي سبقت، وهي أنَّهم يقولون: إن بنِي إسرائيل لَمْ يكفروا، وأصحاب مُحمَّد ﷺ لَمْ يكفروا بِهذه الكلمة.

ولَهُم شبهة أخرى يقولون: إنَّ النَّبِي ﷺ أنكر على أسامة قتل من قال: لا إله إلا اللَّه، وقال: «أقتلته بعدما قال: لا إله إلا الله»(١).

وكذلك قوله ﷺ: «أمرت أن أُقاتل الناس حتَّى يقولوا: لا إله إلا الله»(٢).

وأحاديث أخر فِي الكف عَمَّنْ قالَهَا.

ومراد هؤلاء الْجَهلة: أنَّ من قالَهَا لا يكفر، ولا يقتل ولو فعل ما فعل.

فيقال لِهؤلاء الْمُشركين الْجُهال: معلوم أنَّ رسول اللَّه ﷺ قاتل اليهود وسباهم وهم يقولون: لا إله إلا اللَّه.

وأنَّ أصحاب النَّبِي ﷺ قاتلوا بَنِي حنيفة وهم يشهدون أن لا إله إلا اللَّه، وأنَّ مُحمَّدًا رسول اللَّه، ويصلون ويدَّعون الإسلام.

وكذلك الذين حرقهم علي بن أبِي طالب.

وهؤلاء الْجَهلة مُقرُّون أنَّ من أنكر البعث كَفَرَ، وقتل ولو قال: لا إله إلا اللَّه،

نقول لَهم: إنَّهم لَمْ يكفروا؛ لأنَّهم قالوها عن جهل ونبهوا وتركوها وتابوا إلَى اللَّه ﷻ، أما أنتم فتنبَّهون بالليل والنهار وتصرون على دعاء القبور والصالِحين، ولا تصغون أسْمَاعكم لِما يقال لكم تكبرًا وعنادًا.

والفائدة الثالثة: تفيد هذه القصة أن من لَمْ يكفر بكلمة الكفر إذا قالَهَا جهلاً فإنه لا يتساهل معه؛ بل يغلَّظ عليه فِي الإنكار كما غلظ موسى عليه السلام على قومه.

وكما غلظ مُحمَّد ﷺ على أصحابه الذين قالوا هذه الْمَقالة من باب الزجر والتحذير لاجتناب ذلك، والْحَذَر منه.

---

(١) رواه الإمام البخاري فِي صحيحه (٥/ ٨٨)، كتاب الْمَغازي، باب بعث النَّبِي ﷺ أسامة ابن زيد إلَى الْحُرقات من جهينة، من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما.

(٢) رواه الإمام البخاري فِي صحيحه (٨/ ١٤٠-١٤١) كتاب الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول اللَّه ﷺ . . . من حديث أبِي هريرة -رضي اللَّه تعالَى عنه-.

وأنَّ من جحد شيئًا من أركان الإسلام كفر، وقتل ولو قال: لا إله إلا الله!! فكيف لا تنفعه إذا جحد شيئًا من الفروع، وتنفعه إذا جحد التوحيد الذي هو أصل دين الرسل ورأسه؟!! ولكن أعداء اللَّه ما فهموا معنَى الأحاديث:

فأما حديث أسامة: فإنه قتل رجلاً ادَّعَى الإسلام بسبب أنه ظن أنه ما ادَّعاه الإسلام إلاَّ خوفًا على دمه وماله، والرجل إذا أظهر الإسلام وَجَبَ الكف عنه حتَّى يُتَبَيَّن منه ما يُخالف ذلك، وأنزل اللَّه فِي ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ [النساء: ٩٤]. أي: فتثبتوا.

فالآية تدل على أنه يَجب الكف عنه والتثبت، فإن تبين منه بعد ذلك ما يُخالف الإسلام قتل؛ لقوله: ﴿فَتَبَيَّنُواْ﴾. ولو كان لا يقتل إذا قالَهَا لَمْ يكن للتثبت معنًى.

وكذلك الْحَديث الآخر وأمثاله معناه ما ذكرناه أن من أظهر الإسلام والتوحيد وجب الكف عنه إلا إن تبين منه ما يناقض ذلك.

والدليل على هذا: أنَّ رسول اللَّه ﷺ الذي قال: «أقتلته بعدما قال: لا إله إلا الله»[(١)]. وقال: «أمرت أن أقاتل الناس حتَّى يقولوا: لا إله إلا الله»[(٢)].

هو الذي قال فِي الْخَوارج: «أينما لقيتموهم فاقتلوهم؛ لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد»[(٣)]. مع كونِهِم من أكثر الناس عبادة وتَهليلاً، حتَّى أن الصحابة

---

(١) تقدم تَخريجُهُ.

(٢) تقدم تَخريجُهُ.

(٣) رواه أبو داود فِي سننه (٤/ ٣٤٣-٣٤٤) كتاب السنة، باب فِي قتال الْخَوارج حديث رقم (٤٧٦٤، ٤٧٦٧) من حديث أبِي سعيد الْخُدري، وعلي بن أبِي طالب، ورواه النسائي فِي سننه (٧/ ١١٧-١٢١) كتاب (٣٧) تَحريم الدين، باب (٢٦) من شهر سيفه ثُمَّ وضعه فِي الناس حديث رقم (٤١٠١، ٤١٠٢، ٤١٠٣) من حديث أبِي سعيد الْخُدري وعلي بن أبِي طالب وأبِي برزة -رضي اللَّه تعالَى عنهم-، وانظر مسند الإمام أحْمَد (١/ ٤٠٤) حديث رقم (٣٨٣١) من حديث عبد اللَّه بن مسعود بنحوه.

يَحْقِرُون أنفسهم عندهم، وهم تعلَّمُوا العلم من الصحابة، فلم تنفعهم لا إله إلا اللَّه، ولا كثرة العبادة، ولا ادِّعَاء الإسلام لَمَّا ظهر منهم مُخالفة الشريعة.

وكذلك ما ذكرناه مِنْ قتال اليهود، وقتال الصحابة بَنِي حنيفة، وكذلك أراد ﷺ أن يغزو بَنِي الْمُصْطَلق لَمَّا أخبره رجل أنَّهُم منعوا الزكاة حتَّى أنزل اللَّه تعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦﴾ [الْحُجرات: ٦].

وكان الرجل كاذبًا عليهم[(١)]، فكل هذا يدل على أن مراد النَّبِي ﷺ فِي الأحاديث ما ذكرناه [٦٢].

---

[٦٢] هذه شبهة من شُبه الْمُشركين عباد القبور الذين يدَّعون الإسلام، ويزعمون أن عبادة القبور والاستغاثة بالأموات، ودعاء الغائبين لتفريج الكربات، أن هذه أمور لا تضر، ولا تُخرج من الإسلام، ما دام صاحبها يقول: لا إله إلا اللَّه بدليل أن النَّبِي ﷺ أنكر على أسامة بن زيد رضي الله عنهما لَمَّا قتل رجلاً من الْمُشركين أظهر الإسلام، وقال: لا إله إلا اللَّه؛ فقتله أسامة بعد ذلك ظانًّا أنه إنَّما قالَها ليسلم من القتل، فأنكر عليه النَّبِي ﷺ.

فاستدلوا بِهذه القصة على أن من قال: لا إله إلا اللَّه فهو مسلم ولو فعل ما يناقضها من أنواع الشرك الأكبر.

وكذلك استدلوا أيضًا بقول النَّبِي ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حَتَّى يقولوا: لا إله إلا اللَّه، فإذا قالوها عصموا منِّي دماءهم وأموالَهم إلا بِحقها وحسابُهم على اللَّه عز وجل**»[(٢)].

قالوا: فهذا دليل على أن من تلفظ بِهذه الكلمة لا يقتل، ولو فعل ما فعل من

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٢١٠-٢١١).

(٢) تقدم.

أنواع الشرك فِي العبادة، مع الأموات والأضرحة وصرف العبادات لغير اللَّه، ما دام أنه يقول لا إله إلا اللَّه.

هذا حاصل شبهتهم وهي شبهة خطيرة إذا سَمعها الْجَاهل رُبَّما تروج عليه لاسيما أنَّهم طلوها بطلاء خادع وهو الاستدلال بالأحاديث الصحيحة؛ لكن فِي غير موضعها.

* **وقد أجاب الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن هذه الشبهة بستة أجوبة مُجملها:**

الْجَواب الأول: أن النَّبِي ﷺ قاتل أناسًا يقولون لا إله إلا اللَّه، فقاتل اليهود، وهم يقولون لا إله إلا اللَّه، وقاتل بنِي حنيفة، وهم يقولون لا إله إلا اللَّه، لَمَّا ظهر منهم ما ينافي هذه الكلمة، ولَمْ تنفعهم هذه الكلمة، ولَمْ تكن مانعة من قتلهم.

والْجَواب الثانِي: فِي بيان تناقض هؤلاء؛ لأنَّهم يقولون: من أنكر الصلاة، أو الزكاة، والْحَج أو أنكر البعث والنشور يكفر عندهم، وأما من أنكر التوحيد، فإنه لا يكفر عندهم!!

والْجَواب الثالث: أن معنَى حديث أسامة بن زيد ليس كما فهموا أن من قال لا إله إلا اللَّه يكون مسلمًا، ولو فعل الشرك والكفر.

وإنَّما معناه: أن من قال لا إله إلاَّ اللَّه وجب الكف عنه حَتَّى يظهر منه ما يُخالف مدلول هذه الكلمة من كفر أو شرك.

والْجَواب الرابع: أن اللَّه ﷻ قال: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾.

فأمر ﷻ بالتبيُّن يعنِي: التثبَّت بشأن من قال لا إله إلا اللَّه، فما فائدة التثبت إذا كان لا يقتل إذا قالَها ولو فعل ما فعل.

والْجَواب الْخَامس: أن النَّبِي ﷺ أمر بقتل الْخَوارج، وهم من أشد الناس عبادةً وخوفًا من اللَّه وورعًا، بل هم تتلمذوا على الصحابة، ومع هذا أمر بقتلهم

ولَهُم شبهة أخرى: وهي ما ذكر النَّبِي ﷺ: أنَّ الناس يوم القيامة يستغيثون بآدم، ثُمَّ بنوح، ثُمَّ بإبراهيم، ثُمَّ بِموسى، ثُمَّ بعيسى، فكلهم يعتذر حتَّى ينتهوا إِلَى رسول اللَّه ﷺ، قالوا: فهذا يدل على أنَّ الاستغاثة بغير اللَّه ليست شركًا.

والْجَواب أن نقول: سبحان من طبع على قلوب أعدائه؛ فإنَّ الاستغاثة بالْمَخلوق فيما يقدر عليه لا ننكرها، كما قال اللَّه تعالَى فِي قصة موسى: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ١٥]. وكما يستغيث الإنسان بأصحابه فِي الْحَرب وغيرها من الأشياء الَّتِي يقدر عليها الْمَخلوق، ونَحن أنكرنا استغاثة العبادة الَّتِي يفعلونَهَا عند قبور الأولياء، أو فِي غيبتهم فِي الأشياء الَّتِي لا يقدر عليها إلا اللَّه. إذا ثبت ذلك، فالاستغاثة بالأنبياء يوم القيامة يراد منها أنْ يدعوا اللَّه أنْ يُحاسب الناس حتَّى يستريح أهل الْجَنة من كرب الْمَوقف، وهذا جائز فِي الدنيا والآخرة، أن تأتِي عند رجل صالِح حي يُجالسك، ويسمع كلامك، فتقول له: ادع اللَّه لِي. كما كان أصحاب رسول اللَّه ﷺ يسألونه ذلك فِي حياته، وأما بعد موته فحاشى وكلاَّ أنَّهُم سألوه ذلك عند قبره،

لَمَّا فعلوا أشياء تتنافَى مع الإسلام، وهم يقولون لا إله إلا اللَّه، وهم أشد الناس عبادة وصلاة وتلاوة للقرآن.

والْجَواب السادس: قصة بنِي الْمُصطلق، وهم قبيلة دخلوا فِي الإسلام، وأرسل إليهم النَّبِي ﷺ المصدق لِجباية الزكاة، ولكنه لَمْ يذهب إليهم؛ بل رجع إِلَى النَّبِي ﷺ وقال: إنَّهم منعوا الزكاة، فهَمَّ النَّبِي ﷺ بغزوهم؛ فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾ [الْحُجرات: ٦].

فالنبِي ﷺ هَمَّ بغزوهم وقتالِهم، وهم يقولون لا إله إلا اللَّه، لِماذا؟ لَما بلغه أنَّهم منعوا الزكاة، فمنع الزكاة يتنافى مع قول لا إله إلاَّ اللَّه، هذا ملخص أجوبة الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن هذه الشبهة الخطيرة.

بل أنكر السلف على من قصد دعاء اللَّه عند قبره، فكيف بدعائه نفسه!![٦٣].

---

[٦٣] هذه شبهة أخرى من شبههم، وهي أنَّهم يقولون: إنه ثبت فِي الْحَديث الصحيح حديث الشفاعة العظمى[١]، أن الناس يوم القيامة إذا طال عليهم الوقوف، والقيام على أقدامهم خَمسين ألف سنة، والشمس قد دنت منهم، فالْخَلائق كلهم مَجموعون من أولِهم على آخرهم فِي زحام شديد، والشمس على رءوسهم قريبة منهم، وهم واقفون على أقدامهم، فعندما يَحصل لَهم هذا الكرب يتذاكرون الشفاعة عند اللَّه ﷻ، فيرون أن الأنبياء هم أول الذين يشفعون عند اللَّه فيأتون إلَى آدم يطلبون منه أن يشفع عند اللَّه لَهم ليريْحهم من الْمَوقف فيعتذر -عليه الصلاة والسلام- بسبب ما حصل منه من الْخَطيئة مع أنه تاب منها، وتاب اللَّه عليه؛ ولكن يستحيي من اللَّه ﷻ.

ثُمَّ يأتون إلَى نوح أوَّل الرسل فيعتذر، ثُمَّ يأتون على موسى فيطلبون منه فيعتذر، ثُمَّ يأتون إلَى عيسى عليه السلام آخر أنبياء بنِي إسرائيل، فيعتذر؛ لأن الْمَوقف موقف عظيم، أمام اللَّه ﷻ.

ثُمَّ يأتون إلَى مُحمَّد ﷺ فيقول ﷺ: **«أنا لَها، أنا لَها، ثُمَّ يأت ويسجد بين يدي ربه، ويَحمدُ اللَّه، ويثنِي عليه، ويدعوه، ويستمر ساجدًا بين يدي ربه حَتَّى يقال له: يا مُحمَّد، ارفع رأسك، وسل تعط، واشفع تشفع»**[٢].

لأنه لا أحد يشفع عند اللَّه إلا بإذنه، والرسول ما ذهب إلَى اللَّه، وشفع ابتداءً، بل استأذن من ربِّه، وسجد بين يديه حَتَّى أذن له، وهذا كقوله تعالَى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

---

(١) سيأتي.

(٢) رواه الإمام البخاري فِي صحيح (٨/ ١٧٢-١٧٣) كتاب التوحيد، باب: قول اللَّه تعالَى: ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص: ٧٥]. من حديث أنس بن مالك -رضي اللَّه تعالَى عنه-.

ولَهُم شبهة أخرى: وهي قصة إبراهيم عليه السلام لَمَّا أُلقي فِي النار اعترض له

فيطلب من اللَّه أن يفصل بين عباده، ويريْحهم من الْمَوقف فيستجيب اللَّه شفاعة مُحمَّد ﷺ، وهذه تسمى الشفاعة العظمى، والْمَقام الْمَحمود، وهي قوله تعالَى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء:٧٩]. بِمعنَى: أنه يَحمدُه عليه الأولون والآخرون.

قال القبوريون: فهذا فيه جواز الاستغاثة بالأنبياء والأولياء والصالِحين، وأنتم تقولون لا يستغاث إلاَّ باللَّه، وقالوا: فهذا يدل على أن طلب الشفاعة من الرسول ﷺ جائز حيًّا وميتًا وكذلك غيره.

والْجَواب عن هذا -كما يقول الشيخ-: إن هذا طلب من إنسان حي قادر على الدعاء، وعلى الاستئذان بالشفاعة والطلب من الإنسان فِي حال حياته وقدرته ليس من الْمَمنوع كما فِي قصة موسى: ﴿فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ﴾.

وكما يستغيث الإنسان بإخوانه فِي الْحَرب وغيرها.

فهذا فيه دليل على أن الاستغاثة بالْحَي فيما يقدر عليه جائزة، والذي يقع من الأمم يوم القيامة هو استغاثة بالْحَي وطلب الدعاء منه، فيجوز أن تذهب إلَى إنسان حي قادر يسمع كلامك، وتقول: يا فلان ادع اللَّه لِي بكذا وكذا.

والصحابة كانوا يعملون هذا مع النَّبِي ﷺ فِي حياته، وليس هذا من الشرك، إنَّما الذي يكون شركًا وأنكرناه: هو الاستغاثة بالميت، وهذا لا علاقة له بِحديث الشفاعة؛ لأنكم تستغيثون بأموات وتطلبون الشفاعة منهم، والأموات لا يقدرون على شيء فلا يَجوز أن يذهب إلَى قبر يستنجد به ويدعوه أو يطلب منه الدعاء أو الشفاعة أو غير ذلك، ففيه فرق بين عمل هؤلاء الْمُشركين، وبين ما فِي الْحَديث الصحيح، وفِي قصة موسى -عليه الصلاة والسلام-؛ فبهذا التفصيل زالت هذه الشبهة، والْحَمد لله.

جبريل فِي الْهَواء، فقال له: ألك حاجة؟ فقال إبراهيم: أما إليك فلا[١].

فقالوا: فلو كانت الاستغاثة بِجبريل شركًا لَمْ يعرضها على إبراهيم؟

فالْجَواب: أنَّ هذا من جنس الْهَيئة الأولَى؛ فإن جبريل عرض عليه أنْ ينفعه بأمر يقدر عليه، فإنه كما قال اللَّه تعالَى فيه: ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم: ٥].

فلو أَذنَ اللَّه له أنْ يأخذ نار إبراهيم وما حولَهَا من الأرض والْجِبَال ويُلقيها فِي الْمَشرق أو الْمَغرب لفعل، ولو أمره أنْ يضع إبراهيم عليه السلام فِي مكان بعيد عنهم لفعل، ولو أمره أن يرفعه إلَى السماء لفعل.

وهذا كرجل غنيٍّ له مال كثير، يرى رجلاً مُحتاجًا فيعرض عليه أنْ يُقرضه، أو أنْ يَهبه شيئًا يقضي به حاجته، فيأبَى ذلك الرجل الْمُحتاج أنْ يأخذ، ويصبر حتَّى يأتيه اللَّه برزق لا مِنَّة فيه لأحد.

فأين هذا من استغاثة العبادة والشرك لو كانوا يفقهون؟ ![٦٤].

---

[٦٤] هذه آخر الشبهات الَّتِي ذكرها الشيخ فِي هذه الرسالة العظيمة، فأجاب عنها بِجواب سديد موفَّق وهي: أن عبَّاد القبور الذين يطلبون الْمَدد من الأموات، ويستغيثون بِهم يقولون: إن هذه الاستغاثة ليست شركًا، وذلك بدليل قصة جبريل عليه السلام مع إبراهيم عليه السلام حينما ألقي فِي النار، فإن جبريل جاء إلَى إبراهيم كما يروى[٢].

فقال جبريل لإبراهيم عليه السلام: هل لك من حاجة. يعرض عليه الْمُساعدة لإنقاذه، وجبريل عليه السلام لا شك ذو قوة عظيمة وعنده قدرة على إنقاذ إبراهيم، وقد وصفه اللَّه عز وجل فقال: ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير: ٢٠]. وفِي الآية

---

(١) ذكر هذا الأثر ابن كثير عن بعض السلف، كما فِي البداية والنهاية (١/ ١٤٦) فِي قصة إبراهيم خليل الرَّحْمَن.

(٢) وفِي ثبوته نظر.

الأخرى: ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ [النجم:٦]. يعني: قوة، فعرض جبريل على إبراهيم أن يساعده فِي إخراجه من هذه الشدة، فلمَّا كان إبراهيم عظيم الثقة باللَّه عَجَّلَ قال له: أما إليك فلا، وأما إلَى اللَّه فبلى.

فإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يرد أن يطلب من مَخلوق أن ينقذه من هذه الشدة، وإنَّما توجه إلَى ربه كما صح فِي الْحَديث أنه قال: «**حسبنا اللَّه ونعم الوكيل**»[1].

فهذا من باب التوكل على اللَّه عَجَّلَ، وتفويض الأمر إليه، وهذه صفة أكمل الْخَلق إيْمانًا حيث إن إبراهيم رفض مساعدة الْمَخلوق، وقَبِلَ مساعدة الْخَالق، لأن مساعدة الْمَخلوق فيها منة وحاجة إلَى الْمَخلوق، ومساعدة الْخَالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا منَّةَ فيها لغير اللَّه، وهي فضل من اللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وجبريل عرض على إبراهيم شيئًا يقدر عليه وهو عرض من حي حاضر قادر كما يعرض الغنِي على الفقير مساعدته بالْمَال.

وليس هذا من جنس الاستغاثة بالأموات أو الغائبين الذين يستغيث بِهم القبوريون، فإن الأموات لا يستغاث بِهم، ولا يقدرون على ما طُلب منهم، ولا يسمعون دعاء مَن دعاهم كما قال تعالَى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبأ:٢٢-٢٣].

وقال تعالَى: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ [فاطر:١٣-١٤].

---

(١) رواه الإمام البخاري فِي صحيحه (٥/ ١٧٢)، كتاب تفسير القرآن، باب: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ [آل عمران:١٧٣] الآية، من حديث ابن عباس -رضي اللَّه تعالَى عنه-.

ولنختم الكلام -إن شاء اللَّه تعالَى- بِمسألة عظيمة مهمة جدًّا تُفْهم مِمَّا تقدم، ولكن نُفرد لَهَا الكلام لعظم شأنِهَا، ولكثرة الغلط فيها.

فنقول: لا خلاف أنَّ التوحيد لابُدَّ أن يكون بالقلب، واللِّسان، والعمل، فإن اختل شيء من هذا لَمْ يكن الرجل مسلمًا، فإن عرف التوحيد ولَمْ يعمل به فهو كافر معاند كفرعون وإبليس وأمثالِهِما.

وهذا يغلط فيه كثير من الناس، يقولون: هذا حقٌّ، ونَحن نفهم هذا، ونشهد أنه الْحَق، ولكن لا نقدر أن نفعله، ولا يَجوز عند أهل بلدنا إلاَّ من وافقهم، وغير ذلك من الأعذار، ولَمْ يدر الْمِسكين أنَّ غالب أئمة الكفر يعرفون الْحَقَّ، ولَمْ يتركوه إلاَّ لشيء من الأعذار، كما قال تعالَى: ﴿ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [التوبة: ٩]**. وغير ذلك من الآيات، كقوله: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾.**

فإن عمل بالتوحيد عملاً ظاهرًا وهو لا يفهمه، لا يعتقده بقلبه فهو منافق، وهو شرٌّ من الكافر الْخَالص: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥]**. وهذه الْمَسألة مسألة كبيرة طويلة تبين لك إذا تأملتها فِي ألسنة الناس ترى من يعرف الْحَق ويترك العمل به لِخوف نقص دُنيا أو جاهٍ أو مداراة، وترى من يعمل به ظاهرًا لا باطنًا، فإذا سألته عما يعتقد بقلبه فإذا هو لا يعرفه [٦٥].**

---

[٦٥] ختم الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ هذه الرسالة بِمسألة عظيمة مهمة يَجب تفهمها وتعقُّلها؛ لأنه إذا فهمها الإنسان فإنه يدرك أخطاء الناس فِي العقيدة.

وهذه الْمَسألة هي: أن التوحيد يكون بالقول، والعمل، والاعتقاد، لابد من هذه الأمور الثلاثة، فإذا اجتمعت هذه الأمور الثلاثة صار الإنسان موحدًا مؤمنًا باللَّه ورسوله، وإذا اختل واحدٌ منها لَمْ يكن مؤمنًا ولا موحدًا.

*** وهم فِي هذا أصناف:**

الصنف الأول: من يعتقد التوحيد بقلبه، ويعرف أنه لا إله إلا اللَّه، وأن

عبادة ما سواه باطلة؛ ولكنه لا يعمل به بِجوارحه، ولا يُقرُّ به بلسانه لطمع دنيوي؛ فهذا كافر مثل فرعون، فإن فرعون كان معترفًا بالتوحيد فِي قلبه، وأن ما جاء به موسى هو الْحق؛ ولكنه ترك العمل به وتظاهر بِخلافه وجحده تكبرًا وعنادًا كما قال تعالَى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: ١٤].

وقال موسى عليه السلام لفرعون: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ﴾ [الإسراء: ١٠٢]. لقد علمت -أي: عرفت بقلبك- ما أنزل هذه الآيات الَّتِي جئتك بِها إلا رب السموات والأرض، بصائر للناس.

فهذا دليل على أن فرعون كان مستيقنًا بقلبه صِدْق ما جاء به موسى عليه السلام؛ وإنَّما جحد ذلك وتظاهر بِجحده كحال كفار قريش الذين قال اللَّه فيهم: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣]. دلت الآية على أن كفار قريش يصدقون بالرسول بقلوبِهم؛ ولكن يَجحدون ذلك بظواهرهم وألسنتهم.

وكما قال اللَّه تعالى فِي اليهود: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦]. يعرفون هذا بقلوبِهم، ويتظاهرون بالكتمان والْجُحود مع تيقنهم فِي قلوبِهم بأن مُحمَّدًا رسول اللَّه، وأنه جاء بالْحَق من عند اللَّه عز وجل؛ ولكن منعهم الكبر والْحَسد من اتباعه.

واعتقادهم بقلوبِهم لا ينفعهم فهم كفار مُخلَّدون فِي النار، وكثير من عبَّاد القبور اليوم على هذا، يقولون: نعرف أن الذي تقولون هو التوحيد؛ ولكن ما نقدر أن نُخالف أهل بلدنا لأن أهل بلدنا عندهم أضرحة واستغاثة بالأموات، ولا نقدر أن نُخالفهم لأجل أن نعيش معهم، ولا نقدر على مُجابَهة الناس فهم يوافقون الكفار والْمُشركين على عقائدهم.

إما أن يفعلوا مثل فعلهم وهم يعتقدون بطلان ذلك، وإما ألاَّ ينكروا عليهم

*** ولكن عليك بفهم آيتين من كتاب الله:**

- أولاهما: ما تقدم قوله: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٦].

فإذا تَحَقَّقْت أنَّ بعض الصحابة الذين غزوا الروم مع رسول اللَّه ﷺ كفروا بسبب كلمة قالوها على وجه اللعب والْمَزح، تبين لك أنَّ الذي يَتَكَلَّم بالكفر،

ولا يبيِّنوا الْحَق؛ بل رُبَّما يدافعون عنهم، وهذا هو واقعهم الآن.

ويقولون لِمن دعاهم إلَى الْحَق: هذا الرجل خارجي وهذا الرجل جاء بِمذهب خامس، وهم يعتقدون أن ما جاء به هو ما جاء به الرسول ﷺ وهو مقتضى الكتاب والسنة، يعرفون هذا، وإنَّما حَملهم الْحَسد أو الكبر أو الطمع فِي أمور الدنيا؛ لأنَّهم يظنون أنَّهم إذا وافقوا على هذا الْحَق وقبلوه سيخسرون رئاستهم، ويَخسرون أموالَهم، ويَخسرون جاههم عند الناس.

والصنف الثانِي: من وافق فِي الظاهر، ونطق بالتوحيد، وقال: هذا هو الصحيح وهذا هو الْحَق، وصلى وصام مع المسلمين لكن فِي قلبه لا يعتقد هذا ويعتقد أن هذا خرافات وأنه تقاليد بالية، فهو لَمْ يعمل به، ولَمْ يتكلم به إيْمَانًا، وإنَّما عمل به وتكلم به نفاقًا كحالة المنافقين الذين هم فِي الدرك الأسفل من النار؛ لأنَّهم يقولون بألسنتهم ما ليس فِي قلوبهم: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ۝ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ [المنافقون: ١-٢].

*** فالناس مع التوحيد ثلاثة أقسام:**

القسم الأول: من يعرفه ويؤمن به باطنًا ويَجحده ظاهرًا وينكره.

القسم الثانِي: من يتكلم به ويعمل به ظاهرًا، وينكره ويكفر به باطنًا، وهم الْمُنافقون.

القسم الثالث: من يعتقده باطنًا ويعمل به ظاهرًا وباطنًا.

القسمان الأولان كافران خاسران، والقسم الثالث مؤمن مفلح.

أو يعمل به خوفًا من نقص مال، أو جاه، أو مداراة لأحد أعظم مِمَّن تكَلَّم بكلمة يَمزح بِهَا.

- والآية الثانية: قوله تعالَى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦]. فلم يعذر اللَّه من هؤلاء إلاَّ من أُكره مع كون قلبه مطمئنًّا بالإيمَان.

وأما غير هذا فقد كفر بعد إيْمَانه، سواء فعله خوفًا، أو مُدارة، أو مشحَّة بوطنه أو أهله أو عشيرته أو ماله، أو فعله على وجه الْمَزح، أو لغير ذلك من الأغراض إلا الْمُكره.

* والآية تدل على هذا من جهتين:

- الأولَى: من قوله: ﴿إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ﴾ فلم يستثن اللَّه إلاَّ الْمُكره ومعلوم أنَّ الإنسان لا يكره إلاَّ على العمل أو الكلام، وأمَّا عقيدة القلب فلا يُكره أحد عليها.

- والثانية: قوله تعالَى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [النحل: ١٠٧]. فصرَّح أنَّ هذا الكفر والعذاب لَمْ يكن بسبب الاعتقاد، أو الْجَهل، أو البغض للدين، أو مَحَبَّة الكفر، وإنَّمَا سببه أنَّ له فِي ذلك حظًّا من حظوظ الدُّنيا فآثره على الدين.

واللَّه ﷻ أعلم، والْحَمد للَّه رب العالَمين، وصلَّى اللَّه على مُحمَّد وآله وصحبه أجْمَعين [٦٦].

---

[٦٦] نعم إذا عرفت هذه القاعدة وهي معرفة ما يَحصل به الإيْمَان الصحيح، فإنه يَجب أن تعرف ما يضادها من الأقوال والأفعال، ومن ذلك الكلام الذي يتكلم به الإنسان، وهو من نواقض الإسلام؛ لكنه يَمزح به فإنه يكفر ولو كان ليس جادًّا فِي كلامه.

فالدين ليس فيه مزح والدليل على ذلك قصة هؤلاء النفر الذين خرجوا مع رسول اللَّه ﷺ فِي غزوة تبوك لغزو الروم لَمَّا بلغ الرسول ﷺ أن الروم يُجمعون على غزو الْمُسلمين.

فالنبِي ﷺ بادر فِي وقت الْحَر وشدة القيظ والصيف ووقت طيب الثمار والمسافة بعيدة من المدينة إلَى تبوك. وإن ناسًا من الذين خرجوا مع الرسول ﷺ جلسوا فِي مَجلس يَمزحون، قال واحد منهم: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونًا، ولا أكذب ألسنة، ولا أجبن عند اللقاء؛ يعنون: رسول اللَّه ﷺ وأصحابه.

وكان فِي الْمَجلس غلام من الأنصار، فأنكر عليهم، وقال: كذبت؛ ولكنَّك منافق لأخبرن رسول اللَّه، فلمَّا ذهب هذا الفتَى ليخبر الرسول ﷺ وجد الوحي قد سبقه، ونزل على الرسول ﷺ قوله تعالَى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦].

فجاء هؤلاء إلَى الرسول ﷺ يعتذرون، ويقولون: يا رسول اللَّه، ما قصدنا إلا الْمَزح، حديث الركب نقطع به عنَّا الطريق. ولا يزيد الرسول ﷺ على تلاوة الآية، ولا يلتفت إليهم[١].

فإذا كان هؤلاء كفروا باللَّه وارتدوا، وقد كانوا مسلمين من قبل بسبب كلمة قالوها على وجه الْمَزح واللعب، فكيف بِمن يقول كلام الكفر لا من باب الْمزح؛ وإنَّما من باب الْمُحافظة على ماله، وعلى جاهه، وعلى مكانته، وهذا شر من الْمَازح لأنه اشترى الحياة الدنيا بالآخرة؟!

فالْحَاصل: أن الذي يتكلم بكلمة الكفر لا يَخلو من خَمس حالات:

(١) تقدم العزو إليها.

الْحَالة الأولَى: أن يكون معتقدًا ذلك بقلبه؛ فهذا لا شك فِي كفره.

الْحَالة الثانية: ألاَّ يكون معتقدًا ذلك بقلبه، ولَمْ يُكره على ذلك؛ ولكن فعله من أجل طمع الدنيا، أو مداراة الناس، وموافقتهم، فهذا كافر بنص الآية: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [النحل:١٠٧].

الْحَالة الثالثة: من فعل الكفر والشرك موافقة لأهله، وهو لا يُحبه، ولا يعتقده بقلبه؛ وإنَّما فعله شحًّا ببلده أو ماله أو عشيرته.

الْحَالة الرابعة: أن يفعل ذلك مازحًا ولاعبًا كما حصل من النفر الْمَذكورين. وهذا يكون كافرًا بنص الآية الكريْمَة.

الْحَالة الْخَامسة: أن يقول ذلك مكرهًا لا مُختارًا، وقلبه مطمئن بالإيْمَان؛ فهذا مرخص له فِي ذلك دفعًا للإكراه.

وأما الأحوال الأربعة الْمَاضية، فإن صاحبها يكفر كما صرحت به الآيات، وفِي هذا رد على من يقول إن الإنسان لا يُحكم عليه بالكفر ولو قال كلمة الكفر، أو فعل أفعال الكفار حَتَّى يُعْلم ما فِي قلبه، وهذا قول باطل مُخالف للنصوص وهو قول الْمُرجئة الضلاَّل.

وذكر الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ قاعدة عظيمة فِي الإكراه الذي يُعذر به، والذي لا يعذر به حيث قال: «ومعلوم أن الإنسان لا يكره إلا على العمل أو الكلام، وأما عقيدة القلب فلا يكره أحد عليها».

وصلى اللَّه وسلم على نبينا مُحمَّد وآله وصحبه.

انتهى في ١٥/١١/١٤١٨هـ.

بقلم

صالح بن فوزان بن عبد اللَّه الفوزان

فهرس المصادر والمراجع

□ القرآن الكريم :

١- أسباب النُّزول : للإمام أبِي القاسم هبة اللَّه بن سلامة أبِي النصر، دار الْمَعرفة، بيروت، لبنان.

٢- الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والناس من العرب والْمُستعربين والمستشرقين : خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثامنة ١٩٨٩م.

٣- البداية والنهاية : أبو الفداء الْحَافظ ابن كثير، مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة الْخَامسة ١٤٠٤هـ.

٤- التدمرية : شيخ الإسلام أبِي العباس أحْمَد بن عبد الْحَليم بن عبد السلام ابن تيمية، تَحقيق الدكتور مُحمَّد بن عودة السعوي، الطبعة الأولَى ١٤٠٥هـ.

٥- الرد على المنطقيين : لشيخ الإسلام ابن تيمية : إدارة ترجَمات السنة معارف لاهور- باكستان، ١٣٩٦هـ، الطبعة الثانية.

٦- القاموس الْمُحيط : للفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، دار الريان للتراث، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ.

٧- تفسير القرآن العظيم : أبِي الفداء الْحَافظ ابن كثير، دار الْجِيل، بيروت، لبنان، الطبعة الأولَى ١٣٩٨هـ.

٨- زاد المعاد فِي هدي خير العباد : شَمس الدين أبِي عبد اللَّه مُحمَّد بن أبِي بكر الزرعي الدمشقي، تَحقيق شعيب الأرناؤوط، عبد القادر

الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ومكتبة المنار الإسلامية، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ.

٩- جامع البيان فِي تفسير القرآن: أبِي جعفر مُحمَّد بن جرير الطبري، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ.

١٠- سنن أبِي داود: سليمان بن الأشعث السجستانِي الأزدي، دار الريان للتراث، ودار الْحَديث، القاهرة ١٤٠٨هـ.

١١- سنن الترمذي: لأبِي عيسى مُحمَّد بن عيسى بن سوره الترمذي، المكتبة الإسلامية إستانبول -تركيا.

١٢- سنن الدارمي: عبد اللَّه بن عبد الرحْمَن الدارمي السمرقندي، تَحقيق فواز أحْمَد زمرلِي وخالد السبع العلمي، دار الريان للتراث، القاهرة، ودار الكتاب العربِي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولَى ١٤٠٧هـ.

١٣- سنن النسائي: أبو عبد الرحْمَن أحْمَد بن شعيب النسائي، اعتنَى به عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب ط١ سنة ١٣٤٧هـ، ط٢ سنة ١٤٠٦هـ، دار البشائر الإسلامية لبنان.

١٤- صحيح الإمام البخاري: أبو عبد اللَّه مُحمَّد بن إسْمَاعيل البخاري، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، توزيع دار الباز مكة المكرمة.

١٥- صحيح الإمام مسلم: أبِي الْحُسين مسلم بن الْحَجاج، تَحقيق مُحمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربِي بيروت.

١٦- فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحْمَد بن علي بن حجر العسقلانِي، دار الفكر بيروت لبنان.

١٧- لسان العرب: أبِي الفضل جَمال الدين مُحمَّد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، مكتبة العلوم والْحِكم، المدينة المنورة السعودية، دار صادر بيروت.

١٨- مَجموع الفتاوى: عبد الرحمن بن مُحمَّد بن قاسم، دار عالَم الكتب، الرياض، السعودية ١٤١٢هـ.

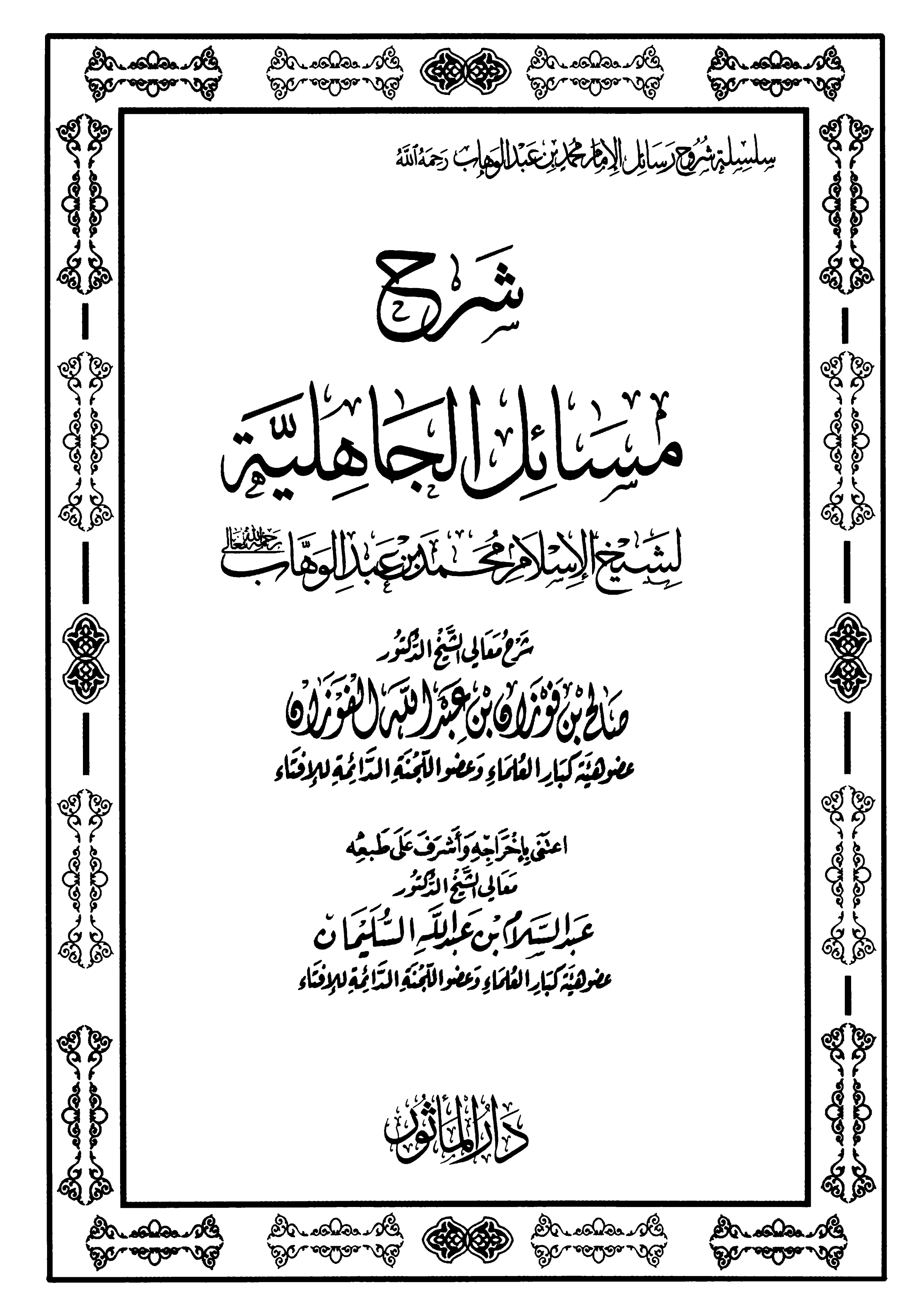
١٩- مسند الإمام أحْمَد: أحْمَد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، مصر، دار الراية، الرياض، السعودية.

٢٠- معجم الْمُؤلفين: عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولَى ١٤١٤هـ.

* * *

فهرس الموضوعات

* * *



سلسلة شروح رسائل الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

شرح
مسائل الجاهلية

لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى

شرح معالي الشيخ الدكتور

صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

اعتنى بإخراجه وأشرف على طبعه
معالي الشيخ الدكتور

عبد السلام بن عبد الله السليمان

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

دار المأثور



المقدمة

الحمد للَّه رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

فقد كنت ألقيت دروسًا في المسجد، تتضمن شرح مسائل الجاهلية التي ذكرها شيخ الإسلام المجدد: الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في رسالة مختصرة، وكان بعض الطلَّاب -وفقهم اللَّه- قد سجلوا تلك الدروس في أشرطة، وقام بعضهم -جزاه اللَّه خيرًا- بتفريغها وكتابتها وعرضها عليَّ.

فلما قرأتها استحسنت طبعها ونشرها؛ لتعم الفائدة بها، على ما في ذلك الشرح من نقص وضعف، ولكن كما يقولون: شيء خير من لا شيء.

وأرجو ممن قرأ هذا الشرح وأدرك فيه خطأً أن ينبهني عليه لاستدراكه.

وفق اللهُ الجميع للعلم النافع والعمل الصالح.

وصلى اللَّه على نبينا محمد.

المؤلف



الحمد للَّه رب العالمين، وصلى اللَّه وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

● وبعد:

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه اللَّه تعالى- في مقدمة رسالته: مسائل الجاهلية:

هَذِهِ مَسَائل خَالَفَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَهلَ الجَاهِلِيَّةِ الكِتَابِيِّينَ وَالأُمِّيِّينَ، مِمَّا لَا غِنَى لِلمُسلِمِ عَن مَعرِفَتِهَا.

فَالضِّدُّ يُظهِرُ حُسنَهُ الضِّدُّ وَبِضِدِّهَا تَتَبَيَّنُ الأَشيَاءُ

فَأَهَمُّ مَا فِيهَا وَأَشَدُّهَا خَطَرًا: عَدَمُ إِيمَانِ القَلبِ بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ، فَإِنِ انضَافَ إِلَى ذَلِكَ استِحسَانُ مَا عَلَيهِ أَهلُ الجَاهِلِيَّةِ تَمَّتِ الخَسَارَةُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى:

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٢]. [١]

---

[١] هذه رسالة من رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، اسمها:

«مسائل الجاهلية التي خالف فيها رسول اللَّه ﷺ أهل الجاهلية»

تشتمل على مائة وثماني وعشرين مسألة، استخلصها رحمه الله من الكتاب والسنة وأقوال أهل العلم، والغرض من ذلك: تنبيه المسلمين؛ من أجل أن يجتنبوا هذه المسائل؛ لأنها خطيرة جدًّا.

وبيَّن رحمه الله أن هذه المسائل مما خالف فيها رسول اللَّه ﷺ أهل الجاهلية، من الكتابيين والأميين.

والكتابيون المراد بهم: أهل الكتاب من اليهود والنصارى؛ لأن اليهود عندهم كتاب التوراة التي أنزلها اللَّه على موسى عليه السلام، والنصارى عندهم كتاب الإنجيل الذي أنزله اللَّه على عيسى بن مريم -عليه الصلاة والسلام-، فلذلك سموا بأهل الكتاب، وهم الآن يطلقون على التوراة: العهد القديم، أو الأسفار القديمة، ويطلقون على الإنجيل: أسفار العهد الجديد، هذا في اصطلاحهم.

وهما كتابان عظيمان أنزلهما اللَّه على نبيين كريمين، هما: موسى وعيسى عليهما السلام، لاسيما التوراة؛ فإنها كتاب عظيم، والإنجيل مكمل لها ومصدق لها.

ولذلك سموا بأهل الكتاب؛ فرقًا بينهم وبين غيرهم ممن ليس لهم كتاب.

وأما الأمِّيون: فالمراد بهم: العرب الذين لا يدينون بالديانتين، سموا بالأميين، جمع أُمِّي، نسبة إلى الأم (والأمي هو: الذي لا يقرأ ولا يكتب)؛ فإنهم قوم لا يقرءون ولا يكتبون في الغالب، وليس عندهم كتاب قبل نزول القرآن؛ فلذلك سموا بالأميين، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [الجمعة: ٢].

وكما قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْنَـٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾ [سبأ: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَـٰفِلُونَ﴾ [يس: ٦].

فهذا معنى الأميين.

ووصف نبيه ﷺ بأنه أمي، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

فكونه أُميًّا لا يقرأ ولا يكتب وجاء بهذا الكتاب العظيم دليل على صدق رسالته وفي ذلك معجزة له.

فالعرب أُميون، ونبيهم ﷺ أميٌّ.

أما الجاهلية فالمراد بها: النسبة إلى الجهل، والجهل: عدم العلم، والجاهلية هي التي ليس فيها رسول وليس فيها كتاب.

والمراد بها: ما كان قبل بعثة النبي ﷺ؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب:٣٣]؛ يعني: التي قبل بعثة النبي ﷺ؛ لأنه قبل بعث النبي ﷺ كان العالم كله يموج في ضلال وكفر وإلحاد؛ لأن الرسالات السابقة اندرست.

فاليهود حرفوا كتابهم التوراة، وأدخلوا فيه كثيرًا من الكفريات والضلال، والشنائع التي أدخلوها في التوراة، وكذلك النصارى حرفوا كتابهم الإنجيل عما كان عليه وقت نزوله على المسيح -عليه الصلاة والسلام-.

وذلك أن رجلًا يُقال له: بُلس، أو شاول، كان يهوديًّا حاقدًا على رسول اللَّه عيسى عليه السلام، فهذا الرجل لجأ إلى المكر والخديعة، في إفساد دين المسيح عليه السلام، حيث أظهر الإيمان بالمسيح، وأنه ندم على ما كان من قبل من عداوة المسيح، وأنه رأى رؤيا -بزعمه- فآمن بالمسيح، وصدقه النصارى فيما قال!!

ثم إنه تناول الإنجيل الذي أنزله اللَّه على عيسى، فأدخل فيه الوثنيات والشركيات والكفريات، حيث أدخل فيه عقيدة التثليث؛ أي: أن اللَّه ثالث ثلاثة، وأن عيسى ابن اللَّه، أو هو اللَّه.

وأدخل فيه الأمر بعبادة الصليب، وأدخل كفريات شنيعة، وصدقوه في ذلك على أنه عالم، وعلى أنه مؤمن ولقبوه بالرسول بُلس؛ أي: رسول المسيح -بزعمهم- وقصده إفساد دين المسيح، وحصل له ما أراد، فقد أفسد دين المسيح وأدخل فيه الوثنيات والتثليث، واعتقاد أن عيسى ابن اللَّه، أو أنه ثالث ثلاثة، وأدخل فيه وثنيات كثيرة فاتبعوه على ذلك.

هذه حالة أهل الكتاب قبل بعثة النبي ﷺ، إلا بقايا منهم كانوا على الدين الصحيح[١]، لكن الأكثرية منهم على الكفر والانحراف عن دين اللَّه.

وأما العرب: فكانوا على قسمين:

- قسم اتبع الديانات السابقة، كاليهودية والنصرانية والمجوسية.

- وقسم كانوا على الحنيفية، دين إبراهيم وإسماعيل، لاسيما في الحجاز في أرض مكة المكرمة.

إلى أن ظهر فيهم رجل يُقال له: عمرو بن لحي الخزاعي، كان ملكًا على الحجاز، وكان يظهر التنسك والعبادة والصلاح، وذهب إلى الشام للعلاج، فوجد أهل الشام يعبدون الأصنام، فاستحسن ذلك، وجاء من الشام بأصنام معه، ونقب عن الأصنام التي كانت مدفونة تحت الأرض بعد قوم نوح: (ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر) وغيرها.

كان الطوفان قد طمسها ودفنها، وجاء الشيطان فأرشده إلى أمكنتها، فنبشها وأخرجها، ووزعها على قبائل العرب وأمر بعبادتها، وقبلوا منه ذلك.

ودخل الشرك في أرض الحجاز وفي غيرها من بلاد العرب، وغيَّر دين إبراهيم -عليه الصلاة والسلام-، وسيَّب السوايب للأصنام من بهيمة الأنعام؛ ولذلك رآه النبي ﷺ يجر قُصبه في النار؛ يعني: يجر أمعاءه في النار[٢].

فكانت حالة العالم قبل بعثة النبي ﷺ في ضلال مبين، الكتابيون والأميون وغيرهم، سائر أهل الأرض، إلا بقايا من أهل الكتاب كانوا على الدين الحق، لكنهم انقرضوا قبل البعثة، فأصبح الظلام حالكًا في الأرض.

---

(١) قال الشيخ تقي الدين: إنهم انقرضوا قبل البعثة المحمدية.

(٢) فقد ثبت عن رسول اللَّه ﷺ ذلك، فقال ﷺ: «**رأيت عمرو بن عامر بن لُحي الخزاعي يجرُّ قُصْبَهُ في النار، وكان أول من سيَّب السوائب**». أخرجه البخاري رقم (٣٥٢١)، ومسلم رقم (٢٨٥٦).

وجاء في الحديث: «**أن اللَّه نظر إلى أهل الأرض فمقتهم -يعني: أبغضهم- عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب**».

في هذه الظلام الحالك، وهذه الجاهلية المستحكمة، وانطماس السبل، ودروس آثار الرسالات السماوية، بعث اللَّه نبيه محمدًا ﷺ لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]. وإن كانوا من قبل أي: قبل بعثته ﷺ.

والجاهلية -كما قلنا- منسوبة إلى الجهل وهو عدم العلم، وكل أمر منسوب إلى الجاهلية فإنه مذموم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

نهى نساء النبي ﷺ عن التبرج، وهو إظهار الزينة في الأسواق، وأمام الناس؛ لأن أهل الجاهلية كانت نساؤهم تتبرج، بل تكشف عن عوراتها، كما في الطواف عندهم، يرون أن هذا من المفاخر.

وقال تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ [الفتح: ٢٦]. وهذا من باب الذم.

فحمية الجاهلية مذمومة، ولما سمع النبي ﷺ رجلًا من الأنصار حصل بينه وبين رجل من المهاجرين في بعض الغزوات، اقتتال ونزاع، فقال الأنصاري: يا للأنصار! وقال المهاجري: يا للمهاجرين!

كل واحد منهم دعا قومه، قال النبي ﷺ: «**أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟! دعوها فإنها منتنة**»[1]؛ يعني: الاعتزاء بالقبيلة؛ لأن المؤمنين كلهم إخوة، لا فرق بين أنصاري ومهاجري، ولا بين قبيلة كذا وكذا، هم إخوة في

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٣٥١٨، ٤٩٠٥، ٤٩٠٧)، ومسلم رقم (٢٥٨٤).

الإيمان، كالجسد الواحد، والبنيان يشد بعضه بعضًا، هذا الواجب على المسلمين، أنهم لا يميزون بين عربي وعجمي، وأسود وأبيض، إلا بالتقوى، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠].

فالاعتزاء بالأنساب والاعتزاء بالقبائل من أمور الجاهلية.

وقال ﷺ: **«من مات وليس في عنقه بيعة؛ مات ميتة جاهلية»**(١).

لأن أهل الجاهلية هم أهل الفوضى، الذين لا يخضعون لسلطان ولا لأمير، هذه حالة الجاهلية.

فالحاصل: أن أمور الجاهلية كلها مذمومة، ونهينا عن التشبه بأهل الجاهلية في كل الأمور، والجاهلية انتهت ببعثة النبي ﷺ، فبعد بعثته زالت الجاهلية العامة، وجاء العلم والإيمان، ونزل القرآن والسنة، وانتشر العلم وزال الجهل.

وما دام القرآن موجودًا، والسنة النبوية موجودة، وكلام أهل العلم موجودًا، فإنه لا جاهلية حينئذٍ، أعني: الجاهلية العامة، أما أنه يبقى بعض الجاهلية في بعض الناس، أو في بعض القبائل، أو في بعض البلدان، فالجاهلية الجزئية تكون موجودة.

ولهذا لما سمع النبي ﷺ رجلًا يعيِّر أخاه بقوله: يا ابن السوداء، قال له: **«أعيَّرته بأمه؟! إنك امرؤ فيك جاهلية»**(٢).

وقال ﷺ: **«أربع في أمتي من أمور الجاهلية لا يتركونهن: الطعن في الأنساب، والفخر بالأحساب، والنياحة على الميت، والاستسقاء بالنجوم»**(٣).

---

(١) أخرجه مسلم رقم (١٨٥٠).

(٢) أخرجه البخاري رقم (٣٠، ٢٥٤٥، ٦٠٥٠)، ومسلم رقم (١٦٦١).

(٣) أخرجه البخاري مختصرًا، رقم (٣٨٥٠)، ومسلم -واللفظ له-، رقم (٩٣٤).

فدل على أنه تبقى أشياء من أمور الجاهلية في بعض الناس، وهي مذمومة، لكنه لا يكفر بها، لكن الجاهلية العامة زالت ولله الحمد.

ولهذا لا يجوز أن يقال: الناس في جاهلية، أو: العالم في جاهلية؛ لأن هذا جحود لوجود الرسالة، وجحود للقرآن والسنة.

هذا الإطلاق لا يجوز، أما أن يقال: في بعض الناس جاهلية، أو: في بعض الأشخاص جاهلية، أو: هناك خصال من خصال الجاهلية، فهذا موجود، ففيه فرق بين ما كان قبل البعثة وما بعد البعثة.

قد يقول بعض الناس: ما الداعي إلى ذكر مسائل الجاهلية، ما دامت الجاهلية قد انتهت؟ نحن مسلمون، ولله الحمد.

نقول: الداعي لذلك: الحذر منها؛ فإنه إذا عرفها طالب العلم فإنه يحذر منها، أما إذا جهلها ولم يعرفها، فإنه قد يقع فيها، فذكرها ومدارستها من أجل أن تعرف حتى تجتنب، وحتى يحذر منها، قال الشاعر:

عَرَفْتُ الشَّرَّ لا للشرِّ ولكن لتوقِّيهِ ... ومن لا يعرف الشرَّ مِنَ الخَير يَقَع فيهِ

هذا من ناحية، والناحية الثانية، أنك إذا عرفت الجاهلية عرفت فضل الإسلام، قال الشاعر:

الضِّدُّ يُظْهِرُ حُسْنَهُ الضِّدُّ ... وبِضِدِّها تتبيَّنُ الأشياءُ

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «يوشك أن تُنقض عُرى الإسلام عروة عروة، إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية».

فإذا كان الإنسان يجهل أمور الجاهلية فإنه حري أن يقع فيها؛ لأن الشيطان ما نسيها ولا نام عنها، يدعو إليها.

فالشيطان وأتباعه من دعاة الضلال لا يزالون يدعون إلى الجاهلية، وإلى إحياء أمور الجاهلية، إلى الشركيات والبدع، وإلى الخرافات، وإلى إحياء

الآثار، وكل هذا القصد منه: طمس الإسلام، وعودة الناس إلى الجاهلية، فلابد من دراسة أمور الجاهلية من أجل أن نتجنبها ونبتعد عنها.

قال الشيخ: «وأعظم مسائل الجاهلية وأخطرها: عَدَمُ إِيمَانِ القَلْبِ بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ»؛ لأن أهل الجاهلية كذَّبوا الرسول ﷺ ولم يؤمنوا به، ولم يقبلوا هدى اللَّه الذي جاء به.

قال رَحِمَهُ اللهُ: «فإذا انضَافَ إِلَى ذَلِكَ استِحسَانُ مَا عَلَيهِ أَهلُ الجَاهِلِيَّةِ تَمَّتِ الخَسَارَةُ»؛ أي: حصل فساد في الظاهر والباطن، فساد في الباطن وهو عدم الإيمان بما جاء به الرسول ﷺ، وفساد في الظاهر وهو استحسان أمور الجاهلية.

فإذا فسد الظاهر والباطن تمت الخسارة -والعياذ بالله-.

وهذا نتيجة الجهل وعدم معرفة أمور الجاهلية، فلا يجوز استحسان ما عليه أهل الجاهلية، بل يجب إنكاره واستبشاعه، أما من استحسنه فإنه يكون من أهل الجاهلية، واستدل الشيخ بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٢].

﴿ءَامَنُواْ بِٱلْبَٰطِلِ﴾؛ يعني: صدقوا بالباطل، والباطل ضد الحق.

فما خالف الحق فهذا باطل.

والباطل هو: الذاهب الزائل الذي لا فائدة فيه، قال تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: ٣٢].

* * *

دعاء الأولياء والصالحين

المسألة الأولى

أَنَّهُم يَتَعَبَّدُونَ بِإِشرَاكِ الصَّالِحِينَ فِي دُعَاءِ اللَّهِ وَعِبَادَتِهِ يُرِيدُونَ شَفَاعَتَهُم عِندَ اللَّهِ؛ لِظَنِّهِم أَنَّ اللَّه يُحِبُّ ذَلِكَ وَأَنَّ الصَّالِحِينَ يُحِبُّونَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

وَهَذِهِ أَعظَمُ مَسأَلَةٍ خَالَفَهُم فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَتَى بِالإِخلَاصِ، وَأَخبَرَ أَنَّهُ دِينُ اللَّهِ الَّذِي أَرسَلَ بِهِ جَمِيعَ الرُّسُلِ، وَأَنَّهُ لَا يَقبَلُ مِنَ الأَعمَالِ إِلَّا الخَالِصَ، وَأَخبَرَ أَنَّ مَن فَعَلَ مَا استَحسَنُوا فَقَد حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيهِ الجَنَّةَ وَمَأوَاهُ النَّارُ.

وَهَذِهِ هِيَ المَسأَلَةُ الَّتِي تَفَرَّقَ النَّاسُ من أَجلِهَا بَينَ مُؤمِنٍ وَكَافِرٍ، وَعِندَهَا وَقَعَتِ العَدَاوَةُ؛ وَلأَجلِهَا شُرِعَ الجِهَادُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩] **[٢].**

---

[٢] قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

فالعبادة حق للَّه -جل وعلا-، لا يجوز أن يُعبد معه غيره كائنًا من كان.

فالجاهلية عكسوا هذا الأمر، فتركوا عبادة اللَّه التي خُلقوا من أجلها، وعبدوا غير اللَّه -جل وعلا- من الأصنام والأشجار والأحجار والجن والملائكة والأولياء والصالحين.

فصرفوا العبادة لغير اللَّه ﷻ، فمنهم من لا يعبد اللَّه أصلًا، وهم الكفار، من الملاحدة والدهرية، ومنهم من يعبد اللَّه ويعبد معه غيره.

والحكم واحد، فالذي يعبد مع اللَّه غيره كالذي لا يعبد اللَّه أصلًا؛ لأن عبادته باطلة، واللَّه لا يرضى بالشرك، وأيضًا لابد أن يكون العمل موافقًا لما شرعه اللَّه ﷻ، فاللَّه لا يقبل العمل الذي فيه بدعة، كما لا يقبل العمل الذي فيه شرك، فأعظم أمور الجاهلية: الشرك باللَّه ﷻ والابتداع.

وبدأ الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بهذه المسألة؛ لأنها أخطر مسائل الجاهلية؛ ولأنها هي المسألة التي بدأ الرسول ﷺ في إنكارها، ودعوة الناس إلى تركها.

فالرسول أول ما بدأ -كغيره من الرسل- بالأمر بإخلاص العبادة للَّه ﷻ، وترك عبادة ما سواه، هذه فاتحة دعوة الرسل لأن هذا هو الأساس الذي يبنى عليه غيره؛ فإذا فسد الأساس فلا فائدة من الأمور الأخرى، لا فائدة من الصلاة ولا من الصيام ولا من الحج ولا من الصدقات ولا من سائر العبادات؛ إذا كان الأصل فاسدًا والتوحيد معدومًا، فلا فائدة من الأعمال الأخرى؛ لأن الشرك يفسدها ويبطلها.

وكانوا في الجاهلية يعبدون اللَّه، ويعبدون أشياء كثيرة، ومنها: عبادة الأولياء والصالحين، كما حصل لقوم نوح لما غلوا في الصالحين: ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر، وعبدوا قبورهم من دون اللَّه ﷻ، بحجة أنهم صالحون، وأنهم يقرِّبون إلى اللَّه، وأنهم شفعاء عند اللَّه.

كذلك درجت الجاهلية على هذا المنوال، فكانوا يعبدون الأولياء والصالحين والملائكة، ويقولون: ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى اللَّه زلفى، ويقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند اللَّه، ولا يقولون: هؤلاء شركاء للَّه في الربوبية، إنما يقولون: إنما هم عباد اللَّه يتوسطون لنا عند اللَّه، ويشفعون لنا، ويقربوننا إلى اللَّه زلفى، ولا يسمون عملهم هذا شركًا؛ لأن الشيطان زين لهم أن هذا ليس بشرك، وإنما هو توسل بالصالحين واستشفاع بالصالحين.

والعبرة ليست بالأسماء، العبرة بالحقائق، فهذا شرك وإن سَمَّوه تشفعًا

وتقربًا، فهو شرك؛ لأن الأسماء لا تغير الحقائق، واللَّه لا يرضى أن يُشرك معه أحد في عبادته، كما قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ٢].

وقال: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

وقال: ﴿فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [غافر: ١٤].

العبادة لا تنفع إلا مع الإخلاص، والمتابعة للرسول ﷺ.

فهذه أعظم مسائل الجاهلية، وهي عبادة الأولياء والصالحين من الأموات والغائبين والاستغاثة بهم، والاستعاذة بهم، وطلب الحوائج منهم، كما عليه عُبَّاد القبور اليوم تمامًا.

فعبادة الأضرحة الآن، والتقرب إلى الأموات، ودعاؤهم من دون اللَّه، والاستغاثة بهم، هذا هو ما كانت عليه الجاهلية، كما قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

كذلك نفس الشيء الآن، هؤلاء القبوريون إذا نوقشوا ونُهوا عن عبادة القبور، قالوا: نحن ما نعبد القبور؛ لأن العبادة لله، لكن هؤلاء وسائط بيننا وبين اللَّه، وشفعاء لنا عنده.

هذا هو الذي أنكره اللَّه على أهل الجاهلية تمامًا ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

ما عبدوهم لأنهم يرون أنهم يشاركون اللَّه في الخلق والرزق والإحياء والإماتة، هم يعترفون أن هذا لله، وإنما عبدوهم ليقربوهم إلى اللَّه زلفى، فيقولون: نحن عباد مذنبون، وهؤلاء رجال صالحون لهم جاهٌ عند اللَّه، فنريد

منهم أن يتوسطوا لنا عند اللَّه في قبول توبتنا وعبادتنا .

هكذا زين لهم شياطين الإنس والجن هذا الأمر .

والعجيب أنهم يقرءون القرآن ويمرون على هذه الآيات ولا ينتبهون لها ، ومع هذا يستمرون على عبادة القبور ، وهي من فعل الجاهلية ، وهذا لأنهم لم يعرفوا ما كانت عليه الجاهلية ؛ لم يعرفوا أن هذا من أمور الجاهلية ، هذا نتيجة الجهل بأمور الجاهلية .

ثم قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ : **«وَهَذِهِ أَعظَمُ مَسأَلَةٍ خَالَفَهُم فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَأَتَى بِالإِخلَاصِ ، وَأَخبَرَ أَنَّهُ دِينُ اللَّهِ الَّذِي أَرسَلَ بِهِ جَمِيعَ الرُّسُلِ ، وَأَنَّهُ لَا يَقبَلُ مِنَ الأَعمَالِ إِلَّا الخَالِصَ ، وَأَخبَرَ أَنَّ مَن فَعَلَ مَا استَحسَنُوا فَقَد حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيهِ الجَنَّةَ وَمَأوَاهُ النَّارُ»** .

وهذه هي المسألة التي تَفَرَّقَ لأجلها الناس بين مسلم وكافر ، وعندها وقعت العداوة ، ولأجلها شرع الجهاد ، قال اللَّه تعالى : ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ﴾ [الأنفال : ٣٩] .

أعظم مسألة خالفهم فيها رسول اللَّه ﷺ ، مسألة الشرك ؛ لأنه ﷺ لما بعثه اللَّه وأرسله إلى الناس ، أول ما بدأ ، بالدعوة إلى توحيد اللَّه ﷻ ، وإنكار الشرك ، وكان ﷺ يقول : **«قولوا : لا إله إلا اللَّه ؛ تفلحوا»**[١] .

ويقول : **«أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا اللَّه ، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم»**[٢] .

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣/ ٤٩٢) (٤/ ٦٣ ، ٣٤١) ، وابن حبان في صحيحه ، رقم (٦٥٢٨) ، والطبراني في «الكبير» (٥/ ٦١) رقم (٤٥٨٢) ، والدارقطني في «السنن» (٣/ ٤٥) ، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٣٨٠) ، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٥١٢) رقم (٤٢٧٥) ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

(٢) أخرجه البخاري رقم (١٣٩٩ ، ٢٩٤٦) ، ومسلم رقم (٢٠ ، ٢١) .

فكان ﷺ يغشاهم في مجتمعاتهم وفي منازلهم، وفي أيام الموسم في الحج، ويدعوهم إلى التوحيد، ويذهب هنا وهناك، كما ذهب إلى الطائف يدعوهم إلى التوحيد.

وإفراد اللَّه -جل وعلا- بالعبادة، هذا أول ما بدأ به ﷺ؛ لأن هذا هو الأساس، وهكذا يجب على الدعاة أن يهتموا بهذا الأمر، وأن يجعلوا الدعوة إلى التوحيد هي أهم شيء في دعوتهم.

فقد أتى ﷺ بالإخلاص، إخلاص العبادة للَّه ﷻ، وترك عبادة ما سوى اللَّه من الأولياء والصالحين أو غيرهم، هذا هو دين الرسل، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

فهذا هو منهج الرسل -عليهم الصلاة والسلام-، الدعوة إلى عبادة اللَّه، وترك عبادة ما سواه، وبقية الإصلاحات تأتي تبعًا لذلك.

واللَّه -جل وعلا- لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصًا لوجهه، ليس فيه شرك، وأيضًا لابد أن يكون العمل موافقًا لما شرعه اللَّه ﷻ، فاللَّه لا يقبل العمل الذي فيه بدعة ولا ما كان فيه شرك؛ قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦].

لم يقتصر على الأمر بعبادة اللَّه، بل نهى عن الشرك؛ لأن عبادة اللَّه لا تقبل إذا كان فيها شرك، والكفر بالطاغوت مقدم على الإيمان بالله: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وهذا هو معنى لا إله إلا اللَّه، فهي مكونة من نفي وإثبات، نفي الشرك، وإثبات التوحيد، (لا إله) إبطال لجميع المعبودات، (إلا الله) إثبات لعبادة اللَّه وحده.

فاللَّه لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصًا لوجهه، ولا يقبل العمل الذي فيه بدعة ومخالفة لمنهج الرسول ﷺ، قال ﷺ: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ**»(١).

وفي رواية: «**مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ**»(٢).

ولذلك قال العلماء: إن العمل لا يُقبل إلا بشرطين:

الشرط الأول: الإخلاص للَّه ﷻ.

والشرط الثاني: المتابعة للرسول ﷺ.

فإذا اختل أحد الشرطين؛ لم يقبل هذا العمل، ولم يكن عملًا صالحًا.

وأخبر -جل وعلا- أن من عبد ما يستحسنه من الأصنام والأولياء والأشجار والأحجار والقبور، ولم يرجع في العبادة إلى كتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ، وإنما اعتمد على الاستحسان أو على ما تهواه نفسه، ولو خالف الكتاب والسنة، أخبر اللَّه -جل وعلا- أن اللَّه قد حرم عليه الجنة ومأواه النار، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢]؛ يعني: منعه من دخول الجنة منعًا باتًّا.

فالتحريم في اللغة: المنع، فالمشرك ممنوع من دخول الجنة بتاتًا، لا طمع له فيها، ومأواه النار، هذه عاقبة الشرك باللَّه ﷻ، وإن كانوا يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

هؤلاء إذا ماتوا على ذلك غير تائبين، حرم اللَّه عليهم الجنة، وجعل النار مأواهم أبد الآباد.

---

(١) أخرجه مسلم رقم (١٧١٨/ ١٨)، والبخاري تعليقًا في كتاب الاعتصام، باب: إذا اجتهد العامل أو الحاكم فأخطأ خلاف الرسول من غير علم فحكمه مردود.

(٢) أخرجه البخاري رقم (٢٦٩٧)، ومسلم رقم (١٧١٨/ ١٧).

فالذي يريد لنفسه النجاة يتنبه لهذا، ولا يبقى على أمور الجاهلية في هذا وغيره.

وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَهَذِهِ المَسأَلَةُ هِيَ الَّتِي تَفَرَّقَ النَّاسُ لأَجلِهَا بَينَ مُسلِمٍ وَكَافِرٍ».

يعني: مسألة التوحيد والشرك، جماعة صدقوا الرسول ﷺ وآمنوا به، وأخلصوا العبادة للَّه عَزَّ وَجَلَّ، هؤلاء مؤمنون، وقوم خالفوه وبقوا على شركهم وعبادتهم، وما كان يعبده آباؤهم من قبل، كما عليه أمم الكفر الذين يعارضون الرسل؛ لأنهم يريدون البقاء على ما كان عليه آباؤهم، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣].

وقالوا: ﴿أَتَنۡهَىٰنَآ أَن نَّعۡبُدَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ [هود: ٦٢].

هذه مقالتهم وحجتهم، وهي التمسك بما عليه الآباء والأجداد، من عبادة غير الله عَزَّ وَجَلَّ.

وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَعِندَهَا وَقَعَتِ العَدَاوَةُ»؛ أي: بين الموحدين والمشركين، بين المؤمنين والكفار، فإنه يجب على المؤمنين أن يعادوا الكفار، فلا تجوز محبة الكفار حتى ولو كانوا أقرب الناس؛ قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ﴾ [المجادلة: ٢٢].

فلابد من الولاء للَّه ولرسوله وللمؤمنين، والبراء من الكفر والكافرين، والشرك والمشركين: ﴿كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤]. هذه ملة إبراهيم -عليه الصلاة والسلام-.

أما الذين ينادون الآن بالمحاورة بين الأديان، والمفاهمة بين الأديان،

وأنها كلها أديان سماوية، بل بعضهم يتجرأ ويقول: لا تكفر اليهود والنصارى.

فهذا خلاف ما جاء به الرسول ﷺ، وخلاف ما جاء به القرآن، وخلاف ملة إبراهيم التي أمرنا باتباعها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [التوبة: ٢٣].

وهؤلاء يقولون: اليهود والنصارى أهل كتاب وأهل إيمان، وكلها أديان من عند الله، نتفاهم فيما بيننا ونتعاون، ولا تكفرون اليهود والنصارى.

هذه دعوة الآن قائمة، وهي قضاء على الولاء والبراء بين المؤمنين والكفار، كل من لم يؤمن بالرسول محمد ﷺ فهو كافر، سواء كان كتابيًّا أو غير كتابي؛ لأنه بعد بعثة الرسول ﷺ لا يسع أحدًا إلا أن يؤمن به، فمن لم يؤمن به فهو كافر، واليهود والنصارى لا يؤمنون بالرسول، فهم كفار، قال ﷺ: **«والذي نَفْسُ محمدٍ بيدِه لا يَسْمَعُ بِي أحَدٌ مِنْ هذهِ الأُمَّةِ يهوديٌّ ولا نَصْرَانيٌّ، ثم يَمُوتُ ولَم يؤمِنْ بالذي أُرسِلْتُ به إلا كَانَ منْ أصْحَابِ النَّارِ»**(١).

فبعد بعثة النبي ﷺ لا يسع أحدًا الخروج عن ملته، حتى إنه قال -عليه الصلاة والسلام-: **«والله لو كان أخي موسَى حيًّا ما وسعه إلا اتباعي»**.

فبعد بعثة النبي ﷺ ليس فيه دين صحيح غير دين الإسلام وما سواه فهو باطل أو منسوخ ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

فهذه دعوة باطلة، تعقد لها الآن مؤتمرات وندوات، وتنفق فيها أموال للدعوة للتقارب بين الأديان -يسمونه- الحوار بين الأديان.

---

(١) أخرجه مسلم رقم (١٥٣).

سبحان الله! حوار بين إيمان وكفر؟! وبين شرك وتوحيد؟! بين أعداء اللَّه وأولياء اللَّه؟!

ثم قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَلأَجلِهَا شُرِعَ الجِهَادُ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]».

فالواجب علينا نحو الكفار ثلاثة أمور:

الأمر الأول: عداوتهم؛ لأنهم أعداء للَّه ﷻ، وأعداء لرسوله.

الأمر الثاني: دعوتهم إلى الإيمان واتباع الرسول ﷺ.

الأمر الثالث: جهادهم إذا دُعوا إلى الإسلام وأبوا، فالواجب جهادهم وقتالهم، قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩].

فالمرحلة الأخيرة معهم القتال، إذا كان المسلمون يطيقون القتال، قال تعالى: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ [التوبة: ٥] الآية.

وهذه الآية فيها بيان الحكمة من الجهاد في الإسلام، وأنها: إزالة الشرك، حتى لا تكون فتنة.

والمراد بالفتنة: الشرك؛ أي: حتى لا يوجد شرك، ويكون الدين كله لله، هذا هو المقصود من الجهاد، ليس المقصود من الجهاد توسيع السلطة والاستيلاء على الممالك، وحصول الثروة، ليس هذا هو المقصود، المقصود إعلاء كلمة اللَّه ﷻ، وإزالة الشرك من الأرض، هذا هو المقصود.

وكذلك ليس المقصود من الجهاد في الإسلام الدفاع، كما يقوله بعض الكتاب المخذولين، يقولون: إن الإسلام لا يأمر بقتال الكفار؛ لأنه وحشية، لكن القتال الذي في الإسلام من أجل الدفاع، يعني: إذا اعتدوا علينا نحن نقاتلهم لصد العدوان فقط.

سبحان الله! الله -جل وعلا- يقول: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٥].
﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩].

المقصود بالقتال في الإسلام: نشر الدعوة، ونشر الدين، وإزالة الشرك ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾، هذا هو المقصود منه.

فالقتال في الإسلام على نوعين:

النوع الأول: قتال دفاع، عند عجز المسلمين.

النوع الثاني: قتال طلب، عند قوة المسلمين وقدرتهم عليه.

* * *

تفرق أهل الجاهلية في عباداتهم ودينهم

المسألة الثانية

أَنَّهُم مُتَفَرِّقُونَ فِي دِينِهِم، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣٢].

وَكَذَلِكَ فِي دُنيَاهُم وَيَرَونَ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ الصَّوَابُ، فَأَتَى بِالاجتِمَاعِ فِي الدِّينِ بِقَولِهِ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

وَنَهَانَا عَن مُشَابَهَتِهِم بِقَولِهِ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

وَنَهَانَا عَنِ التَّفَرُّقِ فِي الدُّنيَا بِقَولِهِ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣]. [٣]

---

[٣] هذه هي المسألة الثانية من المسائل التي خالف فيها رسول اللَّه ﷺ أهل الجاهلية، وهي أن أهل الجاهلية كانوا متفرقين في دينهم وفي دنياهم، وصفتهم التفرق والاختلاف، كما قال ﷻ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣١-٣٢].

هذه صفة أهل الجاهلية من اليهود والنصارى والوثنيين، وسائر الملل الجاهلية كانوا على هذا النمط، متفرقين في دينهم، كل منهم له دين ينادي به وينتسب إليه، النصرانية تدعو إلى النصرانية، واليهودية تدعو إلى اليهودية، وكل من الديانتين يكفِّر الديانة الأخرى، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ

﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ﴾ [البقرة: ١١٣].

الذين لا يعلمون هم المشركون؛ لأنهم لا كتاب لهم وليس لهم دين سماوي، وهم أيضًا يكفِّر بعضهم بعضًا، ويخالف بعضهم بعضًا، ﴿فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾.

أي: بيَّن اللهُ ﷻ من هو على الحق ومن هو على الباطل ويجازى كلًّا بعمله ودين اللَّه واحد، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].

فدين اللَّه واحد لجميع الخلق من يهودي ونصراني ووثني وعربي وعجمي.

فدين اللَّه واحد، وهو عبادته وحده لا شريك له؛ لكن هؤلاء فرقوا دينهم وصار لكل طائفة منهم دين يختلف عن الدين الآخر؛ فاليهود أنفسهم كانوا مختلفين فيما بينهم، والنصارى كانوا مختلفين، كانوا فرقًا مختلفة، وهم إلى الآن على اختلاف.

وكذلك العرب الوثنيون متفرقون في عبادتهم، منهم من يعبد الشمس، ومنهم من يعبد القمر، ومنهم من يعبد الأصنام، ومنهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد الأولياء والصالحين، ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار.

هذه حالة أهل الجاهلية من كتابيين وأميين، لا يجمعهم دين، وعندهم حزبيات ﴿كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣٢].

وهذا من تمام العقوبة والابتلاء؛ كون الإنسان يفرح بما هو عليه من الباطل، كان الواجب العكس، وأن الإنسان يخاف من الضلال، ويخاف من الانحراف، ويخاف من الهلاك، لكن هؤلاء بالعكس ﴿كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ﴾، دون النظر إلى كون ما هو عليه حقًّا أو باطلًا، المهم أنها نِحْلةُ آبائهم

وأجدادهم وقومهم وعشيرتهم، ولا يهمهم هل هو حق أو باطل، وهذا من الابتلاء والامتحان، إذا فرح الإنسان بالباطل، فهذه عقوبة؛ لأنه إذا فرح بالباطل فلن يتحول عنه.

هذه صفة أهل الجاهلية، والله -جل وعلا- نهانا عن ذلك، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا﴾ [الروم: ٣١-٣٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

وأنزل على رسوله: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

هذا هو الذي شرعه الله، إقامة الدين الذي هو دين نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد -صلى الله وسلم عليهم أجمعين-، وهو دين الأنبياء جميعًا، لكن ذكر هؤلاء؛ لأنهم أفضل الرسل وأولو العزم الخمسة، نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد -صلى الله وسلم عليهم-، هم أولو العزم وأفضل الرسل.

وأخذ الله الميثاق من جميع الرسل، وعلى الخصوص على هؤلاء الخمسة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب: ٧].

وجميع الرسل دينهم واحد، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، هذا دين جميع الرسل عمومًا، والخمسة خصوصًا، لا يقبل الاختلاف ولا التفرق، فلا يكون لكل واحد دين، ولا لكل طائفة دين، وإنما دين الجميع واحد، هو دين الله -جل وعلا- على جميع الخلق ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

جميع الخلق الجن والإنس يجب أن يكون دينهم واحد، هو التوحيد، وإفراد اللَّه بالعبادة، والعبادة بينها على ألسن الرسل، ما وكلها إلى الناس؛ بل أنزل علينا كتابًا وأرسل إلينا رسلًا، وقال: هذا هو الدين، وهذه هي العبادة.

وهي توقيفية، والدين توقيفي، ليس من حق الناس أن يشرعوا لهم أديانًا؛ بل هذا من حق اللَّه ﷻ، هو الذي يشرع الدين ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاؤُا شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]. هذا إنكار منه ﷻ.

فالدين هو ما شرعه اللَّه، وأنزله في كتبه، وعلى ألسن رسله -عليهم الصلاة والسلام-، فهو توقيفي، والرسل إنما هم مبلغون عن اللَّه -جل وعلا-، يبلغون عن اللَّه ما شرعه لعباده، هذه وظيفة الرسل -عليهم الصلاة والسلام-، وهم متعبدون بهذا الدين مثل غيرهم، عباد يعبدون اللَّه -جل وعلا- بهذا الدين الذي شرعه لهم، ولأممهم.

وقال ﷻ: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

هذا نهي لنا أن نكون مثل أهل الجاهلية الذين تفرقوا في دينهم واختلفوا، ولم يكن هذا عن جهل منهم، وإنما هو عن هوى ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ تركوا البينات واتبعوا الهوى.

فالذي حملهم على هذا التفرق هو الهوى -والعياذ بالله- اتخذوا أهواءهم آلهة من دون اللَّه ﷿، واللَّه -جل وعلا- لم يترك حجة لأحد، أرسل الرسل وأنزل الكتب ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٨-٣٩].

فاللَّه -جل وعلا- ما ترك الناس، منذ أن أُهبط آدم إلى الأرض، لم يترك الناس بلا دين وبلا نبي؛ بل ما زال -جل وعلا- يرسل الرسل متتابعة، ويشرع للناس الدين ويبينه لهم، إلى أن ختمهم بمحمد ﷺ، الذي لا تنسخ ملته حتى

تقوم الساعة، ومدادها الكتاب والسنة.

فما فيه وقت من الأوقات إلا وهناك دين للَّه -جل وعلا- جاءت به الرسل، ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤].

﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

ليس لأحد حجة ﴿أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾ [المائدة: ١٩].

فاللَّه -جل وعلا- أقام الحجة على الخلق.

لكن أهل الجاهلية خالفوا ما جاءت به الرسل، لا عن جهل، وإنما هو عن عناد واتباع للهوى، خصوصًا اليهود والنصارى فهم على علم بذلك؛ ولذلك سماهم اللَّه أهل الكتاب، من باب العيب عليهم، أنهم أهل كتاب وأهل علم، ومع هذا يخالفون أمر اللَّه ﷻ، ويتبعون أهواءهم.

نهى اللَّه هذه الأمة أن تسلك هذا المسلك الجاهلي، وأمرهم أن يتمسكوا بالدين الذي أنزله على رسوله ﷺ، والذي سار عليه صحابة الرسول ﷺ، وخلفاؤه الراشدون، هذا هو الدين الذي يجب أن تتمسك به الأمة إلى أن تقوم الساعة، وإذا اختلفوا في شيء أن يردوه إلى الكتاب والسنة ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [النساء: ٥٩].

والاختلاف من طبيعة البشر، لكن اللَّه -جل وعلا- أحالنا على الكتاب والسنة إذا اختلفنا ولا ندري أيُّنا المصيب، نرجع إلى الكتاب والسنة، فما شهد له الكتاب والسنة بأنه حق أخذنا به، وما شهدا أنه غير حق تركناه؛ لأن هدفنا اتباع الحق، لا الانتصار للآراء، أو تعظيم الآباء والأجداد أو الشيوخ، ليس هذا شأن المسلمين، الحق هو ضالة المؤمن؛ أين وجده أخذه، الهدف الحق ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾، من بقائكم على النزاع ﴿وَأَحْسَنُ

تَأْوِيلًا﴾ [النساء:٥٩]؛ يعني: أحسن عاقبة.

وهذا من رحمة اللَّه ﷻ لنا؛ أنه أبقى فينا ما يحل النزاع ويدل على الحق، وهو كتابه، ولهذا قال: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:١٠٣].

وهو القرآن ﴿جَمِيعًا﴾ ليس بعضكم فقط، بل جميعًا؛ أي: جميع الخلق عمومًا، وهذه الأمة خصوصًا ﴿وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ﴾.

﴿شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ دين الجاهلية ﴿فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ﴾ أنقذكم بالإسلام، وبهذا القرآن فاشكروا نعمة اللَّه ﷻ.

والاعتصام بحبل اللَّه هو الاعتصام بالكتاب؛ لأن الكتاب هو حبل اللَّه الممدود الذي من تمسك به نجا، ومن أفلت منه هلك.

هذا ما قصَّه اللَّه علينا من حالة أهل الجاهلية: أنهم ﴿فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًاۖ كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم:٣٢].

ثم نهانا عن ذلك، نهانا أن نتشبه بهم، ثم أمرنا بالاعتصام بكتابه الذي هو أمان من الاختلاف وأمان من النزاع والهلاك، فلا نجاة إلا بالاعتصام بكتاب اللَّه -جل وعلا-، وسنة رسوله ﷺ: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾.

فأهل الجاهلية متفرقون في دينهم، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ مسرورون بمذهبهم، وإن كان باطلًا.

وكذلك كانوا متفرقين في سياسة دنياهم؛ لأن من ضيع الدين ضيع الدنيا، فكانوا في دنياهم متفرقين لا يجمعهم جماعة؛ بل كل قبيلة تحكم نفسها بنفسها، وكل قبيلة تستبيح دماء القبيلة الأخرى وأموالها.

هذه حالة العرب قبل بعثة الرسول ﷺ، لما ضيعوا دينهم ضيعوا دنياهم، وصار الخوف والقلق والجوع ملازمًا لهم دائمًا، وكانت الجاهلية كلها حروب، وكلها غارات وثارات، حتى الإخوة يتقاتلون في الجاهلية.

فالأوس والخزرج في المدينة هم إخوة من ناحية النسب، قبيلة واحدة قحطانية، لكن قامت بينهم حرب طاحنة استمرت أكثر من مائة سنة، يسمونها: «حرب بعاث» بين الأوس والخزرج، وكان اليهود يوقدونها، فلما بعث اللَّه نبيه محمدًا ﷺ، وهاجر إلى المدينة، جمعهم اللَّه به، وطفئت الحروب، وتآخى المسلمون، وصاروا يدًا واحدة مع الرسول ﷺ، وهذا ما ذكَّرهم اللَّه به ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

ألَّف اللَّه بين قلوبهم بالإسلام، وانطفأت الحروب التي بينهم، وصلحت دنياهم، كذلك بقية قبائل العرب لما دخلوا في الإسلام، صلحت دنياهم لما صلح دينهم، وأمِنوا على دمائهم وأموالهم، وصاروا يسيرون في الأرض آمنين، وصار العربي يلقى العربي الآخر من أي قبيلة فلا يعرض له بسوء؛ بل سادت المحبة بينهم، تآخوا في دين اللَّه ﷻ.

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

هذه براءة من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا، أي: أحزابًا؛ لأن المطلوب أن يكون الدين واحدًا، وأن يكون الناس جماعة واحدة على الدين، هذا هو الذي أمر اللَّه به ﷻ، فمن كان كذلك فالرسول ﷺ يواليه، وهو وليه، أما من فَرَّقَ دينه وبقي على النزاع، وبقي على أمر الجاهلية، فالرسول بريء منه.

يبقى أن نعرف حقيقة الاختلاف، أو الخلاف في المسائل الفقهية، فالخلاف واقع وموجود الآن في أمور الفقه، فهل هذا من الاختلاف المذموم؟

نقول: الاختلاف على قسمين:

القسم الأول: الاختلاف في الدين، كالاختلاف في العبادة والعقيدة، وهذا اختلاف مذموم ومحرم؛ لأن الدين ليس مجالًا للاجتهاد، وليس مجالًا للآراء، بل الدين توقيفي، والعقيدة توقيفية، لا مجال للاجتهاد فيها، علينا أن

نتمسك بما شرعه اللَّه لنا من الدين ومن العقيدة، دون أن نتدخل بآرائنا واجتهاداتنا.

كذلك العبادة توقيفية؛ ما جاءنا به دليل عملنا به، وما ليس عليه دليل؛ فإنه بدعة يجب علينا تركه؛ لحديث: **«من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ»**(١).

وحديث: **«وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار»**(٢).

فأمور العقيدة وأمور العبادة وأمور الدين عمومًا لا مجال للخلاف فيها أبدًا، وإنما تتبع فيها النصوص من الكتاب والسنة، وما كان عليه سلف هذه الأمة.

القسم الثاني: الاختلاف فيما للرأي فيه مجال، أو ما هو مسرح للاجتهاد من مسائل الفقه، واستنباط الأحكام من الأدلة، هذا يقع فيه الاختلاف؛ لأن مدارك الناس تختلف في الاستنباط من النصوص، ومسائل الإجماع محصورة، ولا يجوز مخالفتها.

لكن ما ليس عليه إجماع من المسائل الاجتهادية التي هي مجال للاجتهاد فاللَّه -جل وعلا- أعطى كل عالم بحسب ما خصه به من المدارك والفهم، وما يصل إليه من النصوص والاجتهاد مشروع في ذلك، وقد حصل الاجتهاد في عهده ﷺ كما هو معروف، فهذا اختلاف في الاجتهاد، وليس اختلافًا في العقيدة ولا في الدين، وإنما هو اختلاف في مسائل الفقه، وكان الناس في عهد

---

(١) تقدم.

(٢) أخرجه النسائي (٣/ ٢٠٩-٢١٠) رقم (١٥٧٧)، واللفظ له، وأبو داود (٥/ ١٢-١٣) رقم (٤٦٠٧)، وابن ماجه (١/ ٣٠-٣١) رقم (٤٢)، والترمذي (٥/ ٤٤) رقم (٢٦٨١) بنحوه، وأخرج الإمام مسلم قطعة منه **«وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة»** رقم (٨٦٧).

النبي ﷺ يجتهدون ويختلفون.

وهذا الاجتهاد على قسمين:

قسم: ظهر الدليل مع أحد الطرفين المختلفين فيه فيجب أخذ ما عليه الدليل، وترك ما لم يقم عليه الدليل، فتعرض آراء الفقهاء على الدليل، فما دل عليه الدليل وجب الأخذ به وترك ما خالفه، ويجب على المجتهد الذي لم يوفق للصواب وخالف الدليل أن يقبل الحق ويرجع إلى الصواب، ولا يجوز له الاستمرار في الاجتهاد الخاطئ، ولا يجوز لنا أن نتبعه على الاجتهاد الخاطئ، والأئمة يوصوننا بهذا ويقولون: اعرضوا أقوالنا على الكتاب والسنة.

فالإمام أبو حنيفة رحمه الله **يقول**: «إذا جاء الحديث عن الرسول ﷺ فعلى الرأس والعين، وإذا جاء الحديث عن صحابة رسول اللَّه ﷺ فعلى الرأس والعين، وإذا جاء الحديث عن التابعين فنحن رجال وهم رجال». هذا كلام الإمام أبي حنيفة، أقدم الأئمة الأربعة.

والإمام مالك رحمه الله **يقول**: «كلنا رادٌّ ومردود عليه إلا صاحب هذا القبر»؛ يعني: رسول اللَّه ﷺ.

ويقول رحمه الله: «أو كلما جاءنا رجل أجدل من رجل، تركنا ما نزل به جبريل على محمد لجدل هؤلاء؟!». هذا كلام الإمام مالك رحمه الله.

ويقول رحمه الله: «لا يصلح آخر هذه الأمة إلَّا ما أصلح أولها». ما هو الذي أصلح أولها؟ الكتاب والسنة. هذا كلام الإمام مالك رحمه الله.

والإمام الشافعي رحمه الله **يقول**: «أجمع المسلمون على أن من استبانت له سنة رسول اللَّه ﷺ، لم يكن له أن يدعها لقول أحد».

ويقول رحمه الله: «إذا خالف قولي قول رسول اللَّه ﷺ، فاضربوا بقولي عرض الحائط».

ويقول رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا صح الحديث فهو مذهبي». هذه كلمات الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ(١).

والإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: «عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته، يذهبون إلى رأي سفيان! واللَّه تعالى يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك، لعله إذا رَدَّ بعض قوله -يعني: الرسول ﷺ- أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك».

إذن؛ هذه أقوال الأئمة المجتهدين، اجتهدوا عن علم وعن أهلية للاجتهاد، لكن لم يَدَّعوا لأنفسهم العصمة، بل أوصوا أن يؤخذ من أقوالهم ما وافق الدليل.

فيجب على الحنبلي إذا رأى الدليل مع الشافعي أن يأخذ بقول الشافعي، وواجب على الشافعي إذا رأى الدليل مع الحنفي أن يأخذ بقول الحنفي، وواجب على المالكي إذا رأى الدليل مع الحنبلي أن يأخذ بقول الحنبلي؛ لأن الغرض هو اتباع الدليل؛ ليس الغرض قول فلان ولا فلان؛ فلا يتعصبون لأئمتهم، وإنما يتعصبون للدليل فقط.

وهذا شيخ الإسلام ابن تيمية والإمام ابن القيم والإمام محمد بن عبد الوهاب كلهم يأمرون بهذا ويقولون: انظروا في أقوال العلماء، فخذوا ما قام عليه الدليل. وكلامهم في هذا معلوم من كتبهم.

هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، لا تعصب، لكن ليس معنى هذا أن نرفض المذاهب ونتركها؛ بل نستفيد من المذاهب ومن فقه الأئمة؛ لأنه ثروة عظيمة، لكن نتابع الدليل، من كان معه دليل أخذنا بقوله، هذا هو الواجب.

---

(١) انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٣٤-٣٥).

ومن لا يعرف الدليل يسأل أهل العلم، قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

لأنك تريد براءة الذمة، فإذا كنت تعرف، فالحمد لله، خذ بالدليل، وإذا كنت لا تعرف فإنك تسأل أهل العلم، هذا هو الواجب.

القسم الثاني: من الاجتهاد الفقهي ما لم يظهر فيه دليل مع أحد القولين؛ بل كلا القولين محتمل، فهذا لا إنكار في مسائل الاجتهاد، ما دام لم يترجح شيء بالدليل، فلا إنكار على من أخذ بقول من الأقوال؛ شريطة ألا يكون عنده تعصب أو هوى، وإنما قصده الحق؛ لذلك لا ينكر الحنبلي على الشافعي، ولا ينكر الشافعي على المالكي.

والأئمة الأربعة وأتباعهم إخوة على مدار الزمان، ولله الحمد، ما وقع بينهم عداوات، ولا وقع بينهم حزازات، وإن وقع شيء من ذلك فإنما هو من بعض المتعصبة، الذين لا عبرة بهم، لكن جمهور أصحاب المذاهب الأربعة -والحمد لله- ليس بينهم عداء ولا تفرق ولا حزازات، يتزاوجون، ويصلي بعضهم خلف بعض، ويسلم بعضهم على بعض، ويتآخون، مع أن عندهم اختلاف في بعض المسائل الاجتهادية المحتملة، التي لم يظهر رجحان بعضها على بعض، ومن هنا قالوا الكلمة المشهورة: «لا إنكار في مسائل الاجتهاد».

فإذا كان أهل بلد على قول من هذه الأقوال الاجتهادية التي لم يظهر ما يخالفها ولا ما يعارضها، مجتمعين على رأي من هذه الآراء الفقهية، فلا يسوغ لأحد أن يفرق هذا الاجتماع، بل ينبغي الوفاق وعدم الاختلاف.

* * *

المسألة الثالثة

اعتبارهم: أن مخالفة ولِّي الأمر وعدم الانقياد له فضيلةٌ، والسَّمع والطَّاعة له ذلٌّ ومهانةٌ

أَنَّ مُخَالَفَةَ وَلِيِّ الأَمرِ وَعَدَمَ الانقِيَادِ لَهُ فَضِيلَةٌ، وَالسَّمعَ وَالطَّاعَةَ لَهُ ذُلٌّ وَمَهَانَةٌ، فَخَالَفَهُم رَسُولُ اللَّه ﷺ، وَأَمَرَ بِالسَّمعِ وَالطَّاعَةِ لَهُ وَالنَّصِيحَةِ، وَغَلَّظَ فِي ذَلِكَ وَأَبدَى فِيهِ وَأَعَادَ.

وَهَذِهِ المَسَائِلُ الثَّلَاثُ هِيَ الَّتِي جَمَعَ بَيْنَهَا فِيمَا صَحَ عَنهُ فِي الصَّحِيح أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّه يَرضَى لَكُم ثَلاثًا: أَن تَعبُدُوهُ وَلَا تُشرِكُوا بِهِ شَيئًا، وَأَن تَعتَصِمُوا بِحَبلِ اللَّه جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَأَن تُنَاصِحُوا مَن وَلَّاهُ اللَّه أَمرَكُم»(١).

وَلَم يَقَع خَلَلٌ فِي دِينِ النَّاسِ وَدُنيَاهُم إِلَّا بِسَبَبِ الإِخلَالِ بِهَذِهِ الثَّلَاثِ أَو بَعضِهَا [٤].

---

[٤] **من مسائل الجاهلية**: أنهم لا يخضعون لولي الأمر، ويرون أن هذا ذلة، ومعصية الأمير يعتبرونها فضيلة وحرية؛ ولذلك لا يجمعهم إمام، ولا يجمعهم أمير؛ لأنهم لا يخضعون، وعندهم أنفة وكبر.

فجاء الإسلام بمخالفتهم وأمر بالسمع والطاعة لولي الأمر المسلم؛ لما في ذلك من المصالح، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩]. فأمر بطاعة ولاة الأمور.

والرسول ﷺ حدد ذلك في غير المعصية؛ فقال: «**لا طاعة لمخلوق في**

---

(١) أخرجه مسلم رقم (١٧١٥).

معصية الخالق»[١].

وقال: «**إنما الطاعة بالمعروف**»[٢].

فتجب طاعة ولي الأمر في غير معصية اللَّه، فإذا أمر بمعصية فلا يطاع، لكن لا يخالف في بقية الأمور، لا يطاع في هذه المسألة خاصة التي فيها معصية، أما بقية الأمور فلا تنتقض بيعته بسبب ذلك، ولا يخالف، ما دام أنه على الإسلام؛ لما في طاعة ولاة الأمور من اجتماع الكلمة، وحقن الدماء، واستتباب الأمن، وإنصاف المظلوم من الظالم، ورد الحقوق إلى أصحابها، والحكم بين الناس بالعدل، حتى ولو كان ولي الأمر غير مستقيم في دينه؛ بأن كان فاسقًا، ما لم يصل إلى الكفر، كما قال ﷺ: «**اسمعوا وأطيعوا، إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم عليه من اللَّه برهان**»[٣].

فما دامت معاصيه دون الكفر، فإنه يُسمع له ويطاع، وفسقه على نفسه، لكن ولايته وطاعته لمصلحة المسلمين.

ولهذا لما قيل لبعض الأئمة: إن فلانًا فاسق لكنه قوي، وإن فلانًا صالح لكنه ضعيف، أيهما يصلح للولاية؟

قال: الفاسق القوي؛ لأن فسقه على نفسه، وقوته للمسلمين.

أما هذا الصالح؛ فإن صلاحه لنفسه وضعفه يضر المسلمين.

فيُسمع له ويطاع وإن كان فاسقًا في نفسه، بل وإن جار وإن ظلم، يقول رسول اللَّه ﷺ: «**أطع وإن أخذ مالك وضرب ظهرك**»[٤].

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ١٣١).

(٢) أخرجه البخاري بلفظ: «**لا طاعة في معصية، إنما الطاعة في المعروف**»، رقم (٧٢٥٧)، ومسلم رقم (١٨٤٠/ ٣٩).

(٣) أخرجه البخاري رقم (٧٠٥٦)، ومسلم رقم (١٧٠٩/ ٤٢).

(٤) أخرجه مسلم رقم (١٨٤٧).

لأن في طاعته مصلحة أرجح من المفسدة التي هو عليها، ولأن مفسدة الخروج عليه أعظم من مفسدة البقاء على طاعته وهو عاص؛ لأن في الخروج عليه سفكًا للدماء وإخلالًا بالأمن وتفريقًا للكلمة.

وماذا حصل للذين خرجوا على الأمراء وولاة الأمور مما قصَّه التاريخ؟

ماذا حصل لما إن نازغةً من الشذاذ في عهد عثمان ﵁ قاموا وشقوا عصا الطاعة وقتلوا أمير المؤمنين عثمان؟

ماذا حصل على المؤمنين من النكسات إلى الآن؛ بسبب الخروج على أمير المؤمنين وقتله؟ فلا يزال المسلمون يعانون من النكسات المتوالية والمفاسد، وكذلك في حق بقية الولاة الصبر على طاعته وإن كان فيه مفسدة جزئية أخف من مفسدة الخروج عليه.

فلذلك أوجب النبي ﷺ طاعته ما لم يخرج عن الإسلام، ولو كان فاسقًا، ولو كان ظالمًا، فإنه يصبر على هذه المفاسد الجزئية؛ درءًا للمفسدة العظيمة، وارتكاب أخف الضررين لدفع أعلاهما، هذا شيء معروف.

وما من قوم خرجوا على إمامهم إلا كانت المفسدة في الخروج عليه أعظم من المفسدة في الصبر على طاعته.

وهذا فرق ما بين أهل الجاهلية، وأهل الإسلام في مسألة ولاة الأمور.

أهل الجاهلية: لا يرون الطاعة لولاة الأمور، ويرون ذلك ذلة.

وأما الإسلام: فإنه أمر بطاعة ولاة أمور المسلمين، وإن كان عندهم شيء من الفسق في أنفسهم، أو عندهم ظلم للناس، يصبر عليهم؛ لأن في ذلك مصالح للمسلمين، وفي الخروج عليهم مضار للمسلمين أعظم من المفاسد التي في البقاء على طاعتهم مع انحرافهم الذي لا يخرجهم عن الإسلام، هذه القاعدة العظيمة التي جاء بها الإسلام في هذا الأمر العظيم.

وأما أهل الجاهلية -كما سبق- لا يرون انعقاد ولاية، ولا يرون سمعًا ولا طاعة، ومثلهم الأمم الكافرة الآن، الذين يقولون بالحريات والديمقراطيات، ماذا تكون مجتمعاتهم الآن؟ همجية، بهيمية، قتل وسلب وفساد أعراض، وشر واضطراب أمن، وهم دول كبرى، وعندهم أسلحة، وعندهم مدمرات، لكن حالتهم حالة بهيمية -والعياذ بالله- لأنهم باقون على ما كانت عليه الجاهلية.

وأمر النبي ﷺ بالسمع والطاعة لهم، وأمر بالنصيحة لهم سرًّا، بينهم وبين الناصح.

وأما الكلام فيهم وسبهم واغتيابهم؛ فهذا من الغش لهم؛ لأنه يؤلِّب الناس عليهم ويفرح أهل الشر، وهذا من الخيانة لولاة الأمور.

أما الدعاء لهم وعدم ذكر معائبهم في المجالس، فهو من النصيحة لهم، ومن كان يريد أن ينصح الإمام؛ فإنه يوصل النصيحة إليه في نفسه، إما مشافهة، وإما كتابة، وإما بأن يوصي له من يتصل به ويبلغه عن هذا الشيء؛ وإذا لم يتمكن فهو معذور.

أما أنه يجلس في المجالس أو على المنابر أو أمام أشرطة ويسب ولاة الأمور ويعيبهم، فهذا ليس من النصيحة، وإنما هو من الخيانة لولاة الأمور، والنصيحة لهم تشمل الدعاء لهم بالصلاح، وتشمل ستر عيوبهم وعدم إفشائها على الناس، وكذلك من النصيحة لهم: القيام بالأعمال التي يكلونها إلى الموظفين، ويعهدون بها إلى الولاة في القيام بها، هذا من النصيحة لولاة الأمور.

ثم قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَهَذِهِ الثَّلَاثُ هِيَ الَّتِي جَمَعَ بَيْنَهَا فِيمَا صَحَّ عَنهُ فِي الصَّحِيح أَنَّهُ قَالَ: «**إِنَّ اللَّه يَرضَى لَكُم ثَلاثًا: أَن تَعبُدُوهُ وَلَا تُشرِكُوا بِهِ شَيئًا، وَأَن تَعتَصِمُوا بِحَبلِ اللَّه**

جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَأَن تُنَاصِحُوا مَن وَلَّاهُ اللَّه أَمرَكُم»(١).

وَلَم يَقَع خَلَلٌ فِي دِينِ النَّاسِ وَدُنيَاهُم إِلَّا بِسَبَبِ الإِخلَالِ بِهَذِهِ الصِّفاتِ أو ببَعْضِهَا.

يقول الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد جمع النبي ﷺ هذه المسائل الثلاث؛ يعني: التي تقدَّم ذكرها، وهي:

المسألة الأولى: أنَّ أهلَ الجاهلية كانوا يعبدون الأولياء والصالحين، ويقولون: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: ١٨].

والمسألة الثانية: أن أهل الجاهلية كانوا متفرقين في دينهم ودنياهم.

والمسألة الثالثة: أنهم لا يخضعون لولي الأمر، ويرون ذلك ذلة ومهانة.

هذه المسائل الثلاث جمعها رسول اللَّه ﷺ الذي أُوتيَ جوامع الكلم وفصل الخطاب في كلمة واحدة، وذلك في قوله ﷺ: **«إِنَّ اللَّه يَرضَى لَكُم ثَلَاثًا: أَن تَعبُدُوهُ وَلَا تُشرِكُوا بِهِ شَيئًا، وَأَن تَعتَصِمُوا بِحَبلِ اللَّه جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَأَن تُنَاصِحُوا مَن وَلَّاهُ اللَّه أَمرَكُم»**(٢).

الأولى: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، ويدخل في الشرك عبادة الأولياء والصالحين.

الثانية: أن تعتصموا بحبل اللَّه جميعًا ولا تفرقوا، عكس ما كان عليه أهل الجاهلية من أنهم كانوا متفرقين في دينهم ودنياهم، وحبل اللَّه هو القرآن، والاعتصام به هو أن تتمسكوا به، فتعملوا بما أمركم به، وتجتنبوا ما نهاكم عنه؛ لأن القرآن هو المنهج الرباني الكفيل بمصالح العباد في دينهم ودنياهم، فالتمسك به رحمة، وعدم التمسك به عذاب وشقاء.

---

(١) تقدم.

(٢) تقدم.

الثالثة: أن تناصحوا من ولَّاه اللَّه أمركم، وهذا بخلاف ما كان عليه أهل الجاهلية الذين لا ينقادون لولي الأمر، وهذا فيه الأمر بالانقياد لولي الأمر، ومناصحته وطاعته، وعدم الخروج عليه، وعدم الكلام فيه أمام الناس وذكر عيوبه ونشر عيوبه بين الناس، لأن هذا من الخيانة لولي الأمر، ليس هذا من النصيحة، وإن كان بعض الناس يزعم أن هذا نصيحة، فهذا ليس نصيحة، وإنما هذا تشهير وشر، وإلقاء للعداوة بين الوالي والرعية، وليس فيه مصلحة أبدًا، بل هو مضرة محضة.

ثم بيَّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الخلل الذي يقع في دين الناس، ودنياهم، إنما سببه الإخلال بهذه الثلاث أو الإخلال ببعضها، وهو الشرك باللَّه، والتفرق، والخروج على ولي الأمر.

* * *

التقليد الأعمى ومضاره

المسألة الرابعة

إنَّ دِينَهُم مَبنِيٌّ عَلَى أُصُولٍ، أَعظَمُهَا: التَّقلِيدُ، فَهُوَ القَاعِدَةُ الكُبرَى لِجَمِيعِ الكُفَّارِ أَوَّلِهِم وآخِرِهِم، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [لقمان: ٢١].

فَأَتَاهُم بِقَولِهِ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ **الآيَة** [سبأ: ٤٦].

وَقَولِهِ: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣] [٥].

---

[٥] **من مسائل الجاهلية:** أنهم لا يبنون دينهم على ما جاءت به الرسل -عليهم الصلاة والسلام-، وإنما يبنون دينهم على أصول أحدثوها هم من عند أنفسهم، ولا يقبلون التحول عنها.

منها: التقليد، وهو المحاكاة، بأن يقلد بعضهم بعضًا، وإن كان المقلد لا يصلح للقدوة، كما قال ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣].

ومترفوها هم: أهل الرفاهية والمال في الغالب؛ لأنهم أهل الشر وعدم قبول الحق، خلاف الضعفاء والفقراء؛ فإن الغالب عليهم التواضع وقبول الحق.

فأهل الترف: هم أصحاب الجاه وأصحاب المال ﴿إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ﴾؛ أي:

أصحاب المال والجاه فيهم ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾؛ أي: على ملة ودين، وإنا متبعون لهم على دينهم؛ يعني: لسنا بحاجة إليكم أيها الرسل، يزعمون أن هذا يغنيهم عن اتباع الرسل -عليهم الصلاة والسلام-، فهذا هو التقليد الأعمى، وهو من أمور الجاهلية.

أما التقليد في الخير: فهذا يسمى اتباعًا واقتداءً، قال تعالى عن يوسف عليه السلام: ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ﴾ [يوسف: ٣٨].

وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ [التوبة: ١٠٠].

ولهذا قال اللّه تعالى في أهل الجاهلية: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠].

فالذي لا يعقل ولا يهتدي ليس محلًّا للقدوة، إنما القدوة فيمن يعقل ويهتدي، فالتقليد الأعمى من أمور الجاهلية، وهذا يسمى بالتعصب؛ لأن القدوة هو رسول اللّه ﷺ ومن اتبعه.

ثم قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [لقمان: ٢١].

وإذا قيل للمشركين والكافرين ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾، وهو القرآن ﴿قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ﴾؛ أي: يدعو هؤلاء الآباء ﴿إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾.

أتتبعونهم للسعير؟ يعني: تقتدون بآبائكم وإن كانوا من أتباع الشيطان، ومآلهم إلى السعير؟ العاقل يجب أن ينظر في أمره، وفيمن يقلد.

ثم قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فأتاهم بقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ

مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ [سبأ:٤٦].

وقوله: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:٣].

أي: أتاهم رسول اللَّه ﷺ بهذه الآية، فهم يقولون: نحن نتمسك بما عليه آباؤنا، ولا نطيع هذا الرجل، يعنون محمدًا ﷺ.

واللَّه -جل وعلا- يقول: انظروا وتفكروا فيما قال لكم هذا الرجل، تفكروا، ولا تأخذكم العصبية، ﴿أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ﴾ جماعات وفرادى، تنظرون فيما دعاكم إليه محمد ﷺ؛ فإن كان حقًّا وجب عليكم اتباعه، ولا يجوز لكم البقاء على ما كان عليه الآباء والأجداد.

﴿أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ﴾؛ يعني: لا للهوى والعصبية؛ بل يكون قيامكم لله، تريدون الحق.

﴿مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ﴾ اثنين اثنين، يفكرون ويجتمعون، ويعقدون جلسة؛ لأن تعاون الجالسين أو الجماعة فيه رجاء الوصول إلى الحق، أو فرادى، أن يخلو بنفسه ويفكر، ويتأمل ما جاء به الرسول ﷺ، وسيجد أنه حق فيجب عليه اتباعه.

﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ مَا بِصَاحِبِكُم﴾؛ يعني: محمدًا ﷺ، الذي تقولون: إنه مجنون، وهو ليس به جنون؛ بل هو أعقل الرجال وأعقل الخلق ﷺ، وأنصح الخلق وأعلم الخلق -عليه الصلاة والسلام-، فكيف تقولون: إنه مجنون؟ فكروا، انظروا في عقله، انظروا في تصرفاته، هل هي مثل تصرف المجنون؟

﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ:٤٦].

إن لم تؤمنوا به وتتبعوه، فإنه سيحل بكم العذاب الشديد، فهو جاءكم ناصح لكم، يريد لكم الخير، ويريد لكم النجاة، ويريد لكم الصلاح والفلاح في الدنيا والآخرة، فكيف تصفونه بهذا الوصف، تقولون إنه مجنون، بدون روية وبدون تفكر وبدون تأمل لما جاء به؟

وهكذا يجب على كل عاقل أن ينظر في أقوال الناس، فيميزها ويفحصها، ويرى الخطأ من الصواب، فيقبل الحق ويرد الخطأ، ولا يحمله التقليد الأعمى على البقاء على الباطل.

* * *

الاحتجاج بما عليه الأكثر دون نظر إلى مستنده

المسألة الخامسة

إنَّ مِن أَكبَرِ قَوَاعِدِهِم: الاغتِرَارُ بِالأَكثَرِ، وَيَحتَجُّونَ بِهِ عَلَى صِحَّةِ الشَّيءِ، وَيَستَدِلُّونَ عَلَى بُطلَانِ الشَّيءِ بِغُربَتِهِ وَقِلَّةِ أَهلِهِ، فَأَتَاهُم بِضِدِّ ذَلِك وَأَوضَحَهُ فِي غَيرِ مَوضِعٍ مِنَ القُرآنِ [٦].

---

[٦] **من مسائل الجاهلية**: أنهم يستدلون بالأكثرين على الحق، ويستدلون بالأقلين على غير الحق، فما كان عليه الأكثر عندهم فهو الحق، وما كان عليه الأقل فهو غير حق، هذا هو الميزان عندهم في معرفة الحق من الباطل.

وهذا خطأ؛ لأن اللَّه -جل وعلا- يقول: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦].

ويقول ﷻ: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

ويقول ﷻ: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٢]. إلى غير ذلك.

فالميزان ليس هو الكثرة والقلة؛ بل الميزان هو الحق، فمن كان على الحق -وإن كان واحدًا- فإنه هو المصيب، وهو الذي يجب الاقتداء به، وإذا كانت الكثرة على باطل؛ فإنه يجب رفضها وعدم الاغترار بها، فالعبرة بالحق.

ولذلك يقول العلماء: الحق لا يعرف بالرجال، وإنما يعرف الرجال بالحق، فمن كان على الحق فهو الذي يجب الاقتداء به.

واللَّه -جل وعلا، فيما قص عن الأمم- أخبر أن القلة قد يكونون على الحق، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠].

وفي الحديث -الذي عرضت فيه الأمم على النبي ﷺ- رأى النبي ومعه

الرهط، والنبي ومعه الرجل، والرجلان، والنبي وليس معه أحد.

فليست العبرة بكثرة الأتباع على المذهب أو على القول، وإنما العبرة بكونه حقًّا أو باطلًا، فما كان حقًّا -وإن كان عليه أقل الناس، أو لو لم يكن عليه أحد، ما دام أنه حق- يُتمسك به فإنه هو النجاة.

والباطل لا يؤيده كثرة الناس أبدًا، هذا ميزان يجب أن يتخذه المسلم دائمًا معه.

والنبي ﷺ يقول: «**بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ**»(١).

وذلك حين يكثر الشر والفتن والضلال، فلا يبقى على الحق إلا غرباء من الناس ونزاع من القبائل، يصبحون غرباء في المجتمع البشري، والرسول ﷺ بعث والعالم كله يموج في الكفر والضلال، ودعا الناس، فاستجاب له الرجل والرجلان، إلى أن تكاثروا.

وكانت قريش -وكانت الجزيرة كلها، وكان العالم كله- على الضلال، والرسول ﷺ وحده يدعو الناس، والذين اتبعوه قليل بالنسبة للعالم.

فالعبرة ليست بالكثرة، العبرة بالصواب وإصابة الحق.

نعم، إذا كانت الكثرة على صواب فهذا طيب، ولكن سنة اللَّه -جل وعلا- أن الكثرة تكون على الباطل: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣].

﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [الأنعام: ١١٦].

* * *

(١) أخرجه مسلم رقم (١٤٦).

الاحتجاج بما عليه الأقدمون دون نظر إلى مستنده

المسألة السادسة

الاحتِجَاجُ بِالمُتَقَدِّمِينَ كَقَولِهِ: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [طه: ٥١].

وقوله: ﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٤] [٧].

---

[٧] أي: إذا جاءتهم الرسل بالحق احتجوا بآبائهم، فإن موسى عليه السلام لما دعا فرعون إلى الإيمان احتج فرعون بما عليه الأولون ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [طه: ٥١].

يريد أن يحتج بما عليه القرون الأولى التي سبقته من الكفرة، وهذه حجة باطلة، وهي حجة جاهلية.

وكما قال قوم نوح لما دعاهم إلى اللَّه، قالوا: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٤].

فقابلوا دعوة نبي اللَّه نوح بما عليه آباؤهم على أنه حق، وأن ما جاء به نوح باطل؛ لأنه مخالف لما عليه آباؤهم.

وكفار قريش يقولون: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾ [ص: ٧]؛ أي: ﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾ الذي جاء به محمد ﷺ ﴿فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ ملة آبائهم وأجدادهم ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾ كذب.

فهم وصفوا ما جاء به الرسول ﷺ بأنه كذب، لماذا؟ لأنه مخالف لما عليه آباؤهم، وهو عبادة الأوثان، ولم يرجعوا إلى دين أبيهم إبراهيم وإسماعيل؛ بل رجعوا إلى ما كان عليه آباؤهم قريبًا، وهم آباؤهم وأجدادهم في مكة من كفار قريش، فهذه سنة الكفار، وهذه سنة الجاهلية؛ أن يحتجوا بمن سبقهم من الأمم.

والواجب على العقلاء أن ينظروا ما مع الرسل، ويقارنوا بينه وبين ما عليه آباؤهم؛ ليتضح لهم الحق من الباطل، أمَّا إغلاق الباب على أنفسهم، يقولون: ما نقبل إلا ما عليه آباؤنا، ولا نقبل ما يخالفه، فهذا ليس من شأن العقلاء فضلًا عن الذين يريدون النجاة لأنفسهم.

والآن عُبَّاد القبور إذا نهوا عن عبادة القبور؛ قالوا: هذا عليه البلد الفلاني، وعليه الجماعة الفلانية، وعليه قرون مضت.

وأصحاب الموالد إذا نهوا، قيل لهم: هذا بدعة.

قالوا: هذا شيء معمول به قبلنا، ولو كان باطلًا ما عملوه.

وهذا احتجاج أهل الجاهلية، فليس العبرة بما عليه الناس، وإنما العبرة بما جاء به الرسول ﷺ؛ لأن الناس يخطئون ويصيبون، لكن ما جاء به الرسول ﷺ، فهو صواب قطعًا، والواجب اتباعه، واللَّه لم يكلنا إلى آبائنا وأجدادنا، ولو كان الذي عند الآباء والأجداد يكفي ما احتجنا إلى الرسل.

وهكذا الصوفية، يقولون: أحوالنا تكفي عن اتباع الرسول، ولنا أحوال، ولنا اتصال مع اللَّه، ونأخذ عن اللَّه مباشرة، وأهل السنة يأخذون دينهم عن أموات -يعنون رجال السند-، أما نحن فنأخذ ديننا عن الحي الذي لا يموت.

ويقولون: الرسل إنما يحتاجهم العوام، أما الخواص فهؤلاء ليسوا بحاجة إلى الرسل؛ لأنهم وصلوا إلى اللَّه، وعرفوا، وليسوا بحاجة إلى الرسل، هكذا يقول لهم الشيطان، ويقول: إن أصحاب الطرق لا يحتاجون للرسل؛ لأنهم يأخذون عن اللَّه مباشرة.

وهذا من دين الجاهلية، والوقائع كثيرة من هذا النوع.

* * *

الاستدلال بما عليه أهل القوة بأنه هو الحق

المسألة السابعة

الاستِدلَالُ بِقَوم أُعطُوا قُوًى فِي الأَفهَامِ وَالأَعمَالِ وَفِي المُلكِ وَالمَالِ وَالجَاهِ، فَرَدَّ اللَّهُ ذَلِك بِقَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ﴾ [الأحقاف: ٢٦].

وَقَولِهِ: ﴿وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٨٩].

وَقَولِهِ: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦] [٨].

---

[٨] **من مسائل الجاهلية**: أنهم يستدلون أنَّ ما كان عليه الأقوياء من الناس وأصحاب الجاه وأصحاب الذكاء، أنه هو الحق.

فهذا هو الضابط عندهم لمعرفة الحق؛ أنهم ينظرون في الناس، فما كان عليه أهل القوة والمال والترف والجاه اعتبروه هو الحق، وما كان عليه الضعفاء والفقراء يعتبرونه باطلًا.

هذه حالة أهل الجاهلية.

وهذا الضابط باطل؛ فإن الله ﷻ أخبر عن الأمم السابقة الكافرة أنها كانت على قوة، وأنها كانت على ثروة، في آيات كثيرة، وأنهم أهل جاه، وعندهم ذكاء وأفهام، لكن ما نفعهم ذلك، بل كانوا على الباطل، وقد ذكر اللَّه هذا في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [مريم: ٧٣].

فقال تعالى ردًّا عليهم: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا﴾ [مريم: ٧٤].

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓاْ

أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا﴾ [ق: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾ [الأنعام: ٦].

فهذه الآيات وأمثالها تدل على أن العبرة ليست بالقوة والمال، إذا كان أهل ذلك على ضلال، فإن هذه القوة، وهذا المال، وهذا الثراء لا ينفعهم.

وبين سبحانه أنه يعطي الكفار من أجل استدراجهم، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٤-٤٥].

وقال تعالى: ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [القلم: ٤٤-٤٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آل عمران: ١٧٨].

فاللَّه يعطيهم هذه الثروة ويمكنهم في الأرض ويعطيهم الملك والسلطة، ويمكنهم من المخترعات والصناعات، كما عليه الكفار في هذا الوقت، وهذا لا يدل أن ما هم عليه حق، ولا يدل على أن اللَّه راضٍ عنهم في إعطائه لهم، وإنما هذا من باب الاستدراج لهم والإملاء؛ ليزدادوا إثمًا.

إنما يستدل بهذا الدليل أهل الجاهلية ومن شابههم، أما أهل البصيرة فإنهم ينظرون إلى ما عليه الأمم؛ فإن كان حقًّا قبلوه وإن كانوا فقراء، وإن كان باطلًا ردُّوه وإن كانوا أغنياء.

والآيات في هذا كثيرة، منها ما ذكره الشيخ هنا، وهو قول اللَّه تعالى لما ذكر هلاك قوم عاد: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم﴾ [الأحقاف: ٢٦].

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ [الفجر: ٦-٨].

أي: قبيلة إرم، أو البلد الذي كانت تسكنه هذه القبيلة، تسمى إرمًا ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ ۝ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۝ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ [الفجر: ٧-٩].

ينحتون الجبال وينقشونها، ويجعلونها مساكن لهم، وهي موجودة إلى الآن، على طريق القوافل إلى الشام ﴿فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: ٥٨].

﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا﴾ [النمل: ٥٢].

فهؤلاء أعطاهم اللَّه من القوة الشيء العظيم، وهم كفار، ولما جاءهم أنبياؤهم اغتروا بما عندهم من القوة، ومن الثروة ومن الأُبهة، فتكبروا على الرسل، وبقوا على شركهم، ولم يقبلوا الحق؛ غرورًا بما هم عليه من القوة، حتى إن اللَّه ذكر عن عاد أنهم اغتروا بقوتهم ﴿وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥].

وأما الاستدلال بالفهم، فبنو إسرائيل، اليهود، أعطاهم اللَّه فهمًا وعلمًا، وكانوا يعرفون من صفات النبي ﷺ الذي سيبعث في آخر الزمان، بما عندهم في التوراة والإنجيل، وأنه سيبعث نبي هو خاتم الأنبياء، وأن صفاته كذا وكذا، وكان بينهم وبين العرب في المدينة -من الأوس والخزرج- حروب، ﴿وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: ٨٩].

يقولون: سيبعث النبي الذي في آخر الزمان، ونتبعه، ونقتلكم معه، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾؛ أي: لما بعث محمد ﷺ؛ وكان من بني

إسماعيل، حسدوه؛ لأنهم يريدون أن تكون النبوة في بني إسرائيل، ويحتجزونها لأنفسهم، فلما كانت في بني إسماعيل، حسدوا رسول اللَّه ﷺ، وهم يعرفون أنه رسول اللَّه؛ وما نفعهم فهمهم ومعرفتهم.

فما كل من عرف الحق يعمل به، فقد يصرفه صارف: إما الحسد، وإما الكبر، وإما الطمع في الدنيا، أو الطمع في الرياسة، هناك صوارف تصرف الإنسان عن الحق وهو يعرفه.

فالهداية والتوفيق من اللَّه ﷻ، ليست عن المعرفة وعن العلم والفهم، فالأمر راجع إلى اللَّه ﷻ؛ ولهذا كان الرسول ﷺ يكثر من قول: «**يا مقلب القلوب والأبصار، ثبت قلبي على دينك**»(١).

فمجرد المعرفة والعلم والفهم والفقه، كلها أسباب جيدة، لكن لا تكفي.

فهذا مما يعطي المؤمن الحذر، وعدم الاغترار بعلمه وعدم الاغترار بفهمه، وأن يسأل ربه الثبات على الحق والهداية للصواب دائمًا وأبدًا، كما أنه لا يغتر بالقوة، ويقال: هذه دولة قوية، ما يمكن أن يتغلب عليها أحد؛ لأنها دولة قوية محصنة بالأسلحة والذخيرة الفتاكة والقنابل الذرية.

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥].

فهذه مسألة عظيمة، يغفل عنها كثير من الناس، ويحتج بالقوة والثروة والجاه والأبهة، ويقولون: هذه أمة راقية، مما يدل أنها على حق، وما توصلت إلى هذا المستوى إلا وهي على حق؛ لأن عندهم حضارة، وعندهم ثقافة وفهم.

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٥٧٣)، رقم (٣٥٩٦)، والحاكم (٢/ ٢١١)، رقم (١٩٧٠)، وابن ماجه (١/ ١٣٢)، رقم (١٩٩)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٧٩٨٧، ٧٩٨٨).

وهكذا يقول بعض المغرورين، دون نظر إلى ما هم عليه من الكفر.

ويرى أن المسلمين ليسوا على حق لما فيهم من الضعف المادي والصناعي ولا يدري أن هذا لتقصير المسلمين، لا لقصور في دينهم.

* * *

الاستدلال بأن ما عليه الضعفاء ليس حقًّا

المسألة الثامنة

الاستدلال على بطلان الشيء بأنه لم يتبعه إلا الضعفاء كقوله: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١].

وقوله: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾ **فردَّه الله بقوله:** ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣] [٩].

---

[٩] هذه المسألة عكس التي قبلها -وهي الاستدلال بالقوة على أن أصحابها على الحق- وفي هذه المسألة يستدلون بالضعف على أن الضعفاء ليسوا على الحق، لو كانوا على حق ما صاروا ضعفاء.

هذا ميزان أهل الجاهلية، في معرفة الحق من الباطل، ولا يعلمون أن القوة والضعف بيد الله ﷻ، وأن الضعيف قد يكون على الحق وهو ضعيف، وأن القوي قد يكون على الباطل، وهذا منطق قوم نوح لما دعاهم إلى الله ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١]؛ يعني: الضعفاء منا، فلو كنت على حق لاتبعك الأقوياء.

وفي الآية الأخرى: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ﴾ [هود: ٢٧]؛ أي: الذين ليس عندهم رأي، اتبعوك من غير روية ومن غير تفكير.

وكذلك المشركون في عهد رسول الله ﷺ، كانوا يسخرون من ضعفاء المؤمنين، من بلال وسلمان وعمار بن ياسر وأبيه وأمه، ويسخرون من ضعفاء الصحابة، حتى إنهم قالوا: ما نجلس معك وهؤلاء عندك، اجعل لنا مجلسًا غير مجلسهم حتى نتفاهم معك.

فالنبي ﷺ -من حرصه على هدايتهم- أراد أن يجعل لهم مجلسًا خاصًا،

فعاتبه الله ﷻ بقوله: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾ [الأنعام: ٥٢-٥٣].

وقوله: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾، هؤلاء: يعنون ضعفاء الصحابة، لا يمكن أن يسبقونا إلى الخير ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف: ١١]، ومثلهم الآن الذين يصفون العلماء بأنهم ما عندهم رأي ولا تفكير، وأن نظرهم قريب، وعندهم تحجر، وعندهم شدة، إلى آخر ما يقولون.

والشيخ ما كتب هذه المسائل للتاريخ، وإنما كتبها للتحذير، بأن يُحذر هذه الأمور؛ لأنها من أمور الجاهلية.

* * *

اقتداؤهم بفسقة العلماء وجهّال العباد

المسألة التاسعة

اقتِدَاؤُهُم بِفَسَقَةِ العُلَمَاءِ وَجُهَّال العُبَّادِ فَأتَى بِقَولِهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ﴾ [التوبة: ٣٤].

وقَولِهِ: ﴿لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧] [١٠].

---

[١٠] **من مسائل الجاهلية:** الاستدلال بفسقة العلماء، والفاسق هو: الخارج عن طاعة اللَّه في علمه وعمله، وفسقة العلماء هم: الذين لا يعملون بعلمهم، أو يقولون على اللَّه الكذب وهم يعلمون، بأن يقولوا: هذا حلال وهذا حرام، وهم يعلمون أنهم كاذبون، من أجل الوصول إلى رغباتهم واتباع الأهواء، تحت مظلة أنهم علماء، والناس يثقون فيهم، وفَسقة العباد هم الذين يعملون بغير علم، والناس يثقون فيهم يقولون: هؤلاء صالحون.

فلا يغتر بالعالم ولا بالعابد؛ حتى يكون كل منهما مستقيمًا على دين اللَّه ﷻ، قال اللَّه ﷻ في اليهود والنصارى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ﴾ [التوبة: ٣٤].

﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]. ذلك بأن حللوا لهم الحرام فأطاعوهم، وحرّموا عليهم الحلال فأطاعوهم، فصاروا بذلك أربابًا من دون اللَّه -والعياذ بالله-؛ لأن التحليل والتحريم حق للَّه -جل وعلا-، ليس لأحد أن يحرّم أو يحلل حسب هواه وحسب أغراضه، ويرضي الناس ويساير الناس، والآن هناك ناس يتحايلون على الشرع، يحلون

المحرمات لأجل مسايرة الناس وإرضاء الناس -بزعمهم- يلتمسون الحيل، ويلتمسون الرُّخَص، أو الكذب على اللّه، بأن اللّه أحل هذا، أو حرم هذا؛ من أجل مصلحة فلان.

هؤلاء هم فسقة العلماء، والفاسق هو: الخارج عن طاعة اللّه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ﴾ [التوبة: ٣٤].

وهذا نداء للمؤمنين للتحذير، والأحبار هم العلماء، وغالبًا يطلق على علماء اليهود، والرهبان هم العُبَّاد، وهذا في الغالب يطلق على عُبَّاد النصارى، فالرهبنة في النصارى، والعلم في اليهود، لكن اليهود مغضوب عليهم، والنصارى ضالون.

واللّه -جل وعلا- أمرنا في كل ركعة في الصلاة أن نقول: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٦-٧].

وهم أهل العلم والعمل ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾، وهم أهل العلم بدون عمل، وهم فسقة العلماء.

﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ الرهبان من النصارى وغيرهم، الذين يعبدون اللّه على غير دليل وعلى غير برهان، وإنما يعبدون اللّه بالبدع والمحدثات والخرافات.

واللّه نهانا عن العلماء الفسقة، والعباد الضالين، وأمرنا أن نأخذ الحق بدليله، من كتاب اللّه وسنة رسوله ﷺ.

والآن إذا صار للواحد رغبة في شيء، قال: هذا أفتى به فلان، دون نظر إلى مستنده من الكتاب والسنة، تقول له: هذه الفتوى خطأ، يقول: ما علي، ما دام قد أفتى به فلان.

وإذا صارت الفتوى لا توافق هواه، قال: هذه الفتوى ليست صحيحة أو متشددة، وصاروا يجمعون تُرَّهات وأخطاء العلماء ويجعلونها في كتاب، يظهرونه للناس، من باب التوسعة على الناس -بزعمهم- ويقولون: دين

الإسلام سمح، لا تضيقوا على الناس، وإذا قيل لهم: اعرضوها على الكتاب والسنة، قالوا: هذا كلام العلماء.

وهل العالم أكبر من الكتاب والسنة، فلا يعرض قوله على الكتاب والسنة؟!

هذا إنما يفعله أهل الأهواء -والعياذ بالله- الذين ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١].

وإذا نُهوا عن البدعة التي حَذَّرَ منها الرسول ﷺ، قالوا: هذه يعمل بها فلان، وهو عالم، أو صالح، ويعمل بها أهل البلد الفلاني، وهم عندهم صلاح وتقوى.

ونقول: الصلاح والتقوى لا يكفيان، لابد من موافقة الكتاب والسنة.

فأخذ أقوال العلماء والعباد قضيةً مسلمةً دون عرض على الكتاب والسنة، هي طريقة أهل الجاهلية، الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون اللَّه.

* * *

رميهم أهل الدين بقلة فهمهم وعدم حفظهم

المسألة العاشرة

الاستِدلَالُ عَلَى بُطلَانِ الدِّينِ بِقِلَّةِ أَفهَامِ أَهلِهِ وَعَدَمِ حِفظِهِم كَقَولِهِم: ﴿بَادِىَ ٱلرَّأْيِ﴾ [هود: ٢٧] [١١].

---

[١١] مما ذكره اللَّه عن قوم نوح قولهم: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾ [هود: ٢٧]؛ أي: الضعفاء.

﴿بَادِىَ ٱلرَّأْيِ﴾؛ أي: الذين ليس عندهم فَهْمٌ، فيعيِّرون أتباع الرسل بأن ما عندهم فهم ولا حذق للأمور، ولا عندهم بُعد نظر.

وهذا ما يتبجح به كثير من الفسقة وأعداء اللَّه اليوم، يتندرون من المسلمين ومن علماء المسلمين، بأنهم ما عندهم فَهم ولا بُعد نظر، ويتنقصونهم بهذه الفرية، مع أن علماء المسلمين هم أهل البصيرة، وهم أهل المعرفة؛ لأنهم ينظرون بنور اللَّه ﷻ، ويأمرون بأمر اللَّه، وينهون عما نهى اللَّه عنه.

ولا شك أن العلماء العاملين هم أفضل الناس بعد الرسل -عليهم الصلاة والسلام-، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، فلا يتنقص العلماء ويتهمهم بقصر النظر وعدم الفهم إلا من هو شبيه بأهل الجاهلية، وبقوم نوح الذين يصفون أتباع الرسل بهذا الوصف؛ لينفروا الناس عنهم.

وهذا يأتي على ألسنة بعض الناس اليوم، يقولون: هؤلاء العلماء علماء حيض ونفاس، وعلماء أحكام الاستجمار، وعلماء جزئيات، ولا يعرفون فقه الواقع، وفقه الواقع عندهم أمور السياسة والثورة على الولاة!!

* * *

اعتمادهم على القياس الفاسد وإنكار القياس الصحيح

المسألتان الحادية عشرة والثانية عشرة

الاستِدلَالُ بِالقِيَاسِ الفَاسِدِ كَقَولِهِم: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ [إبراهيم: ١٠].

إِنكَارُ القِيَاسِ الصَّحِيحِ، وَالجَامِعُ لِهَذَا وَمَا قَبلَهُ عَدَمُ فَهمِ الجَامِعِ وَالفَارِقِ [١٢].

---

[١٢] **المسألة الحادية عشرة والثانية عشرة:** اعتمادهم على القياس الفاسد وإنكار القياس الصحيح.

والقياس عند الأصوليين نوعان:

قياس علة وهو: إلحاق فرع بأصل في الحكم لجامع بينهما؛ فإن اختل شرط من شروطه فهو قياس فاسد، لا يعتمد عليه في إثبات حكم من الأحكام.

وهذه مسألة خطيرة، يقول ابن القيم: أكثر ضلال الناس إنما هو بسبب القياس الفاسد.

وأول من مارس القياس الفاسد إبليس، لما أمره اللَّه بالسجود لآدم ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢]. يزعم أن النار خير من الطين، فيكون هو خيرًا من آدم.

وهذا قياس فاسد؛ لأن النار ليست خيرًا من الطين، بل الطين خير من النار؛ لأن النار محرقة متلفة للأشياء، أما الطين فهو ينبت الأشياء والبذور، وفيه خير للناس.

فلو ذهبنا إلى القياس لقلنا: الطين خير من النار، مع أن الاعتماد ليس هو على القياس، بل الاعتماد على اختيار اللَّه ﷻ وتفضيله، وهو ﷻ يفعل ما يشاء ويختار، لا اعتراض عليه، وله الحكمة البالغة ﷻ.

كذلك المشركون قاسوا هذا القياس لما كذبوا الرسل، قالوا: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ [إبراهيم: ١٠].

استدلوا ببشريتهم على عدم صحة رسالتهم؛ لأن الرسالة لا تصح في البشر بزعمهم، وهذا قياس باطل، لأنه قياس مع الفارق؛ لأن الرسل فضلهم الله على غيرهم، واصطفاهم واختارهم، وهو أعلم ﷻ بحالهم وصلاحهم للرسالة ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [الحج: ٧٥-٧٦].

ولهذا لما قالوا لرسلهم: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [إبراهيم: ١٠-١١].

تقول الرسل: الله فضَّلنا بأنه منَّ علينا واختارنا للرسالة، فقياسكم قياس مع الفارق؛ لأن البشر لا يستوون، وليسوا على حد سواء، منهم المؤمن ومنهم الكافر، ومنهم الرسل والعلماء والصالحون، ومنهم الجهال والكفار والفساق، فالبشر يتفاوتون، فهناك فارق، والقياس مع الفارق يكون باطلًا؛ لأن هذا من قوادح القياس عند الأصوليين.

بل القياس الصحيح يقتضي أن يكون الرسول إلى البشر بشرًا مثلهم؛ من أجل أن يبين لهم، قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٥].

فالرسول يكون من جنس المرسل إليهم؛ من أجل تبليغ الرسالة، والحكمة تقتضي أن يكون رسول البشر من البشر، ولو كان الذين يعيشون على وجه الأرض ملائكة، لأرسل إليهم من جنسهم ملكًا.

ومن عجائب انتكاس هؤلاء: أنهم يستبعدون الرسالة في البشر، ولا يستبعدون أن تكون العبودية للحجر! فلا يستبعدون أن تكون الربوبية

والإلهية للأحجار والأشجار، ومع هذا يستبعدون ويستنكرون أن تكون الرسالة في البشر، وهذا القياس الباطل عليه سائر أئمة الكفرة من قوم نوح وغيرهم، ينكرون رسالة الرسل لأنهم بشر.

فقوم نوح قالوا: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثۡلُكُمۡ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلُۢ بِهِۦ جِنَّةٞ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٖ﴾ [المؤمنون: ٢٤-٢٥].

كذلك غيرهم، فقريش قالوا في حق محمد ﷺ: ﴿أَءُلۡقِيَ ٱلذِّكۡرُ عَلَيۡهِ مِنۢ بَيۡنِنَا﴾ [القمر: ٢٥]. فهذه قاعدة مطردة عند الكفار، وهي القياس الفاسد.

والنوع الثاني من القياس: قياس الشبه وهو أن يتردد الفرع بين أصلين فيلحق بأكثرهما شبهًا، والله -جل وعلا- لا يقاس بخلقه، لا قياس علة ولا قياس شبه يستوي أفراده، وإنما يستعمل في حقه سبحانه قياس الأولى وهو أن يقال: كل كمال ثبت للمخلوق لا يستلزم نقصًا فالخالق أولى به.

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [النحل: ٦٠].

وقال تعالى: ﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٤].

والمسألة التي بعدها، وهي:

وأنكروا القياس الصحيح، وهو: أن يكون الرسل إلى البشر بشرًا مثلهم، وأن يكون الرسل إلى الملائكة من الملائكة، هذا هو القياس الصحيح، الذي تقتضيه الحكمة والفطر السليمة؛ أن المرسل يكون من جنس المرسل إليهم، لا من جنس آخر.

والذي حملهم على هاتين المسألتين هو: الجهل بالجامع والفارق، الجامع الذي يبنى عليه القياس، والفارق الذي لا يصح معه القياس.

* * *

الغلو بأهل العلم والصلاح

المسألة الثالثة عشرة

الغُلُوُّ فِي العُلَمَاءِ وَالصَّالِحِينَ كَقَوْلِهِ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾ [النساء: ١٧١] **[١٣]**.

---

[١٣] وهذه مسألة خطيرة، والغلو معناه في اللغة: الزيادة عن الحد، يقال: غلا القِدْرُ، إذا ارتفع فيه الماء بسبب الغليان، ويقال: غلا السعر، إذا ارتفع عن الحد المعروف.

فالغلو هو: الزيادة والارتفاع عن الحد المعروف.

والغلو في الشرع هو: الزيادة في رفع شخص فوق منزلته اللائقة به، كالزيادة في حق الأنبياء أو الصالحين، ورفعهم عن قدرهم إلى الربوبية أو الألوهية.

فأهل الجاهلية غلوا في الأشخاص حتى رفعوهم عن قدرهم، إلى أن جعلوهم أربابًا مع اللَّه، كما غلا اليهود في عزير وقالوا: هو ابن اللَّه.

وكما غلت النصارى ورفعوا عيسى بن مريم -عليه الصلاة والسلام- من البشرية والرسالة إلى الألوهية، وقالوا: هو ابن اللَّه.

وكذلك قوم نوح لما غلوا في الصالحين، وصوروا صورهم وتماثيلهم، ثم عبدوهم من دون اللَّه، فرفعوهم إلى مرتبة الألوهية ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا﴾ [نوح: ٢٣]. جعلوهم آلهة.

وكذلك غيرهم من طوائف المشركين إلى اليوم، يغلون في الصالحين، ويطوفون بقبورهم، ويذبحون لهم، وينذرون لهم، ويستغيثون بالموتى ويستنجدون بهم، يطلبون منهم قضاء الحوائج.

فالغلو يجرُّ أصحابه إلى الشرك، ولهذا قال ﷺ: «**لا تُطْرُوني كما أطرت النصارى ابن مريم**» -والإطراء هو: الغلو في المدح- «**إنما أنا عبد، فقولوا: عبد اللَّه ورسوله**»(١).

والغلو في الأشخاص من الأنبياء والصالحين، هو الذي أوقع المشركين -من الكتابيين والأميين- في الشرك الأكبر.

والواجب أن يُعرف للأشخاص قدرهم اللائق بهم، فيعرف للرسل رسالاتهم، ويعرف للصالحين صلاحهم، ويعرف للعلماء علمهم، وأنهم أفضل من غيرهم، ففضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، ويُنزلون منازلهم، ولا يرفعون فوق منازلهم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ﴾ [النساء: ١٧١].

وقال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧].

والنبي ﷺ يقول: «**إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين**»(٢).

فلا يجوز الغلو في المخلوقين، ورفعهم فوق منزلتهم التي أنزلهم اللَّه فيها؛ لأن هذا يجر إلى الشرك باللَّه ﷻ، وكذلك الغلو في العلماء والعباد، قال تعالى عن اليهود والنصارى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١].

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٣٤٤٥).

(٢) أخرجه النسائي (٥/ ٢٩٦)، رقم (٣٠٥٧)، وابن ماجه (٣/ ٤٧٦)، رقم (٣٠٢٩)، وأحمد في «المسند» (١/ ٢١٥، ٤٣٧).

غلوا في علمائهم وعبادهم، حتى اعتقدوا لهم الصلاحية في تحليل الحرام وتحريم الحلال، وتغيير الشرع المطهر.

* * *

نفيهم الحق وإثباتهم الباطل

المسألة الرابعة عشرة

أَنَّ كُلَّ مَا تَقَدَّمَ مَبنِيٌّ عَلَى قَاعِدَةٍ، وَهِيَ: النَّفيُ وَالإِثبَاتُ، فَيَتَّبِعُونَ الهَوَى وَالظَّنَّ، وَيُعرِضُونَ عَمَّا جَاءَت بِهِ الرُّسُلُ [١٤].

---

[١٤] كل ما تقدم من المسائل التي ذكرها الشيخ عن أهل الجاهلية إنما هي مبنية على النفي والإثبات، فهم يثبتون ما نفاه اللَّه، وينفون ما أثبته اللَّه، ولذلك وقعوا في الضلال.

فاللَّه -جل وعلا- نفى الشرك وأثبت التوحيد، وأمر التوحيد، وهم عكسوا؛ فأثبتوا الشرك، ونفوا التوحيد، فعكسوا معنى (لا إله إلا الله) تمامًا، قال اللَّه تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٢].

الإيمان بالباطل هو المنفي، وهم آمنوا به وأثبتوه، بدلًا من أن يكفروا به، والإيمان باللَّه هو الإثبات، وهم كفروا باللَّه، فنفوا المثبت حيث آمنوا بالباطل، فأثبتوا المنفي ونفوا المثبت، حيث كفروا باللَّه.

وهذه قاعدة الجاهلية التي يسيرون عليها، ويتخبطون في ضلالهم.

فلو تتبعت أحوالهم لوجدتها لا تخرج عن هذه القاعدة، فمن أشرك باللَّه فقد نفى ما أثبته اللَّه، وأثبت ما نفاه اللَّه.

ومن أحلَّ حرامًا أو حرَّم حلالًا، فهو من هذا القبيل، فمن نفى ما أحلَّه اللهُ، وأثبت ما حرَّمه اللَّه، فهو من هذه القاعدة، التي لا يخرج عنها شيء من أفعال الجاهلية.

ومن عادى أهل التوحيد، ووالى أهل الشرك، فقد نفى ما أثبته اللَّه، وأثبت ما نفاه اللَّه؛ لأن اللَّه أمر بموالاة المؤمنين، ونهى عن موالاة المشركين.

اعتذارهم عن قبول الحق بعذر باطل

المسألة الخامسة عشرة

اعتِذَارُهُم عَنِ اتِّبَاعِ مَا آتَاهُمُ اللَّه بِعَدَمِ الفَهمِ كَقَولِهِ: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ [البقرة: ٨٨].

﴿يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ﴾ [هود: ٩١].

فَأَكذَبَهُمُ اللَّهُ وَبَيَّنَ أَنَّ ذَلِك بِسَبَبِ الطَّبعِ عَلَى قُلُوبِهِم، وَأَنَّ الطَّبعَ بِسَبَبِ كُفرِهِم [١٥].

---

[١٥] أي: اعتذروا عن قبول الحق بأنهم لا يفهمونه، كما ذكر اللَّه ﷻ عن اليهود، لمَّا دعاهم رسول اللَّه ﷺ للإسلام، قالوا: ﴿قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَقَلِيلٗا مَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ [البقرة: ٨٨].

﴿غُلۡفُۢ﴾؛ يعني: عليها غلاف، لا يصل إليها كلام الرسول، ولا تطمئن قلوبهم إلى كلامهم، فاتخذوا هذا حجة في تكذيب الرسول ﷺ، هذا هو المعنى المشهور للآية.

والمعنى الثاني: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢ﴾؛ يعني: أنها مملوءة من العلم، فلسنا بحاجة إلى كلام أحد، فليسوا -بزعمهم- بحاجة إلى الرسول ﷺ.

فاللَّه -جل وعلا- يبين أن العلة ليست ما يقولون، بل العلة أن اللَّه لعنهم بسبب كفرهم؛ يعني: طردهم وأبعدهم عن رحمته، فصاروا لا يقبلون الحق بسبب كفرهم.

فالباء سببية، فصاروا لا يفقهون قول الرسول ﷺ؛ لأنهم لا يلتفتون إليه ولا يعبئون به؛ لأن اللَّه صرفهم عقوبة لهم، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ﴾ [الصف: ٥].

فمن لم يقبل الحق ابتلاه اللهُ بالباطل، وصار بعد ذلك لا يقبل الحق، لأنه يفسد قلبه -والعياذ بالله- كما قال تعالى: ﴿بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٨٨].

﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [النساء: ١٦٠-١٦١]. هذا في اليهود.

وقولهم: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ هذا ليس صحيحًا، وإنما اللَّه صرفها؛ عقوبة لهم، وإلا أصل القلب أنه على الفطرة، يقبل الحق بفطرته، لكن إذا فسدت الفطرة صار لا يقبل الحق، مثل الأرض إذا فسدت وصارت سبخة، فإنها لا تنبت؛ لأنها فسدت، كذلك القلب إذا فسد صار لا يقبل الحق.

وكذلك قوم شعيب -عليه الصلاة والسلام-، مع أنه من أفصح الأنبياء وأبينهم خطابًا، حتى لقب بخطيب الأنبياء؛ لقوة فصاحته وتأثيره، وبلاغة كلامه -عليه الصلاة والسلام-، ومع هذا ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ [هود: ٩١].

فهم لا يفقهون كلام شعيب؛ لأن ﷻ طمس على قلوبهم، مثل ما حصل لبني إسرائيل، وهذه سُنَّة اللَّه -جل وعلا-، أن من تكبَّر عن الحق ولم يقبله إذا بلغه، فإنه يُبتلى بفساد القلب؛ عقوبة له.

وكذلك كفار قريش، ماذا قالوا للرسول ﷺ؟ ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾ [فصلت: ٥].

فالكفار طريقتهم واحدة، يقابلون دعوات الرسل بأنهم لا يفهمون كلامهم، هل هذا لقصور في بلاغ الرسل؟ لا، لكن لقصور في استعدادهم بسبب كفرهم وإعراضهم وعدم التفاتهم وعدم رغبتهم في الخير.

* * *

اعتياض اليهود عن التوراة بكتب السحر

المسألة السادسة عشرة

اعتِيَاضُهُم عَمَّا آتَاهُم اللَّهِ بِكُتُبِ السِّحرِ؛ كَمَا ذَكَرَ اللَّهُ ذَلِكَ فِي قَولِهِ: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠١-١٠٢] [١٦].

---

[١٦] اليهود لما كفروا بالتوراة التي فيها صفات محمد ﷺ، وأمرهم باتباعه، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

كما بشر به عيسى في الإنجيل حيث قال: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦].

فهذا الرسول ﷺ موجود ذكره في التوراة والإنجيل، اسمه ورسالته وصفاته -عليه الصلاة والسلام-، حتى إنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، فلما كفروا بكتاب اللَّه التوراة ولم يعملوا به باتباع محمد ﷺ ابتلاهم اللَّه -جل وعلا- بأن أخذوا بكتب السحر التي هي من عمل الشياطين، واستبدلوا عمل الشياطين بوحي رب العالمين، وهذه عقوبة لهم، فكل من أعرض عن الحق فإنه يبتلى بالباطل.

وكذلك مثلهم كل من ترك الحق، فإنه يُبتلى بالباطل، فالذي يترك منهم دعوة الرسل من الدعوة إلى التوحيد وإفراد اللَّه بالعبادة، وبيان ذلك، يُبتلى بأنه

يروِّج للشرك والخرافات، ويستدل لها، ويروجها عند الناس على أنها حق، وهذا واقع كثير من علماء الخرافيين وعلماء القبوريين، بدلًا من أن يدعوا إلى توحيد اللَّه، وإلى كتاب اللَّه وإلى سنة رسول اللَّه، يدعون إلى الباطل، ويدعون إلى عبادة القبور، والتعلق بالأموات، ويلتمسون لذلك الشبهات التي يروجونها على الناس، فيشغلون وقتهم في هذا الباطل -والعياذ باللَّه-.

* * *

نسبتهم الباطل إلى الأنبياء

المسألة السابعة عشرة

نِسبَةُ بَاطِلِهِم إِلَى الأَنبِيَاءِ كَقَولِهِ: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وَقَولِهِ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾ [آل عمران: ٦٧] **[١٧]**.

---

[١٧] **من مناهج الجاهلية**: أنهم ينسبون ما هم عليه من الكفر والضلال إلى الأنبياء، كما نسبت اليهود السحر إلى سليمان، فقالوا: السحر من عمل سليمان، وهو الذي كان يسيطر به على الجن والشياطين، وما علموا أن الشياطين من خلق اللَّه، يسخرهم سبحانه كيف يشاء، وقد سخرهم لنبيه سليمان -عليه الصلاة والسلام-، فهؤلاء اليهود نسبوا السحر إلى سليمان؛ من أجل أن يروجوه عند الناس، ويقولوا: هذا من عمل الأنبياء.

وكذلك اليهود والنصارى ينسبون كفرهم إلى إبراهيم -عليه الصلاة والسلام-، إمام الحنفاء، وأبي الأنبياء، ينسبون إليه ما هم عليه من الكفر، ويقولون: هذا دين إبراهيم، ولهذا رد اللَّه عليهم بقوله: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧].

هذا دين إبراهيم -عليه الصلاة والسلام-، أنه على دين التوحيد، والبراءة من الشرك والمشركين، عكس ما عليه اليهود والنصارى.

وأيضًا ما حدثت اليهودية والنصرانية إلا من بعد إبراهيم بقرون، فكيف تنسب إليه اليهودية والنصرانية؟! هذا من أقبح الكذب، فالتاريخ يكذبهم؛ لأن بينهم وبين إبراهيم قرونًا طويلة، والتوراة ما نزلت على موسى ﷺ، والإنجيل ما أُنزل على عيسى ﷺ إلا بعد إبراهيم -عليه الصلاة والسلام-، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ

بَعْدِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ٦٥].

﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ﴾ [آل عمران: ٩٣].

وكذلك كان في هذه الأمة من ينسب ما هو عليه من الباطل إلى النبي محمد ﷺ فيضع الأحاديث المكذوبة لنصرة باطله.

وكذلك من هذه الأمة من ينتسبون إلى الأئمة وهم يخالفونهم في العقيدة، فينتسبون إلى أبي حنيفة وإلى مالك وإلى الشافعي وإلى أحمد، وهم على عقيدة المعتزلة والأشاعرة، وينسبون هذا الاعتقاد الباطل إلى أئمة السلف، وما كان هؤلاء الأئمة -رحمهم الله- معتزلة، بل كانوا يحاربون المعتزلة وعلماء الكلام.

* * *

انتسابهم إلى الأنبياء مع مخالفتهم

المسألة الثامنة عشرة

تَنَاقُضُهُم فِي الانتِسَابِ، يَنتَسِبُونَ إِلَى إِبرَاهِيمَ مَعَ إِظهَارِهِم تَرك اتِّبَاعِهِ[١٨].

---

[١٨] **التناقض في الانتساب هو**: أن ينتسب إلى شيء وهو مخالف له، وهذا انتساب باطل وكذب.

والانتساب الصحيح هو أن ينتسب إلى الشيء ويكون موافقًا له، فالذي ينتسب إلى إبراهيم يوافق ما جاء به من توحيد الله ﷻ، وإخلاص العبادة له، والبراءة من المشركين، ولا يخالفه في شيء من ذلك.

ومن ذلك: انتساب اليهود إلى إبراهيم مع امتناعهم من الحج واستنكارهم لاستقبال الكعبة، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦-٩٧].

وكذلك: من ينتسب إلى الأئمة الأربعة، يجب أن يوافقهم في الاعتقاد، ولا يخالفهم إلى اعتقاد غيرهم من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة.

* * *

عيب الصالحين بفعل بعض المنتسبين إليهم

المسألة التاسعة عشرة

قَدحُهُم فِي بَعضِ الصَّالِحِينَ بِفعلِ بَعضِ المُنتَسِبِينَ إِلَيهِم كَقَدحِ اليَهُودِ فِي عِيسَى، وَقَدحِ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى فِي مُحَمَّدٍ ﷺ [١٩].

---

[١٩] قدحهم في الصالحين بما يفعله بعض المنتسبين إليهم من الأفعال السيئة، فينسبون أفعال الأتباع إلى المتبوعين، وهم منها براء، كقدح اليهود في عيسى بانحراف أتباعه من الصليبيين، والمعتقدين أن اللَّه ثالث ثلاثة، أو أن المسيح هو اللَّه، أو ابن اللَّه.

وكذلك من يقدح في محمد ﷺ بما يفعله بعض المنتسبين إلى دينه من القبورية، ومن الجهمية والمعتزلة والخوارج.

فنقول لمن يقدح في هؤلاء الأنبياء: ليس هذا هو دين موسى عليه السلام، وليس هذا دين عيسى عليه السلام، وليس هذا دين محمد ﷺ، وإذا كان عند الأتباع انحراف؛ فإنه لا ينسب إلى الأصل، وإنما ينسب إلى من يصدر منه هذا الشيء، فلا تُعاب رسالة موسى عليه السلام بأن اليهود حرَّفوا وبدَّلوا وغيَّروا، ولا ينسب ما عند النصارى من الشرك والصليبية والكفر القبيح إلى دين عيسى عليه السلام، ولا ينسب إلى محمد ﷺ ما عند القبوريين الذين يدَّعون الإسلام، أو الملاحدة من الرافضة والباطنية، وإن تسمَّوا بالإسلام، هذا لا ينسب إلى دين محمد ﷺ، إنما ينسب إلى النبي من اتبعه وآمن به، وينسب إلى الصالحين من اقتدى بهم واتبعهم، كما قال تعالى: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ الآية [التوبة: ١٠٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَـٰذَا ٱلنَّبِىُّ﴾ [آل عمران: ٦٨].

وكذلك لا ينسب إلى الأئمة الأربعة ما عند المنتسبين إليهم من انحراف في العقيدة ومخالفة للدليل.

اعتقادهم أن أفعال السحرة والكهان من كرامات الأولياء

المسألة العشرون

اعتِقَادُهُم فِي مَخَارِيقِ السَّحَرَةِ وَأَمثَالِهِم أَنَّهَا مِن كَرَامَاتِ الصَّالِحِينَ، وَنِسبَتِهِ إِلَى الأَنبِيَاءِ كَمَا نَسَبُوهُ لِسُلَيمَانَ عليه السلام [٢٠].

---

[٢٠] **المخاريق هي**: الأمور الخارقة للعادة، ولا يقدر عليها إلا اللَّه، وإذا جرت على يدي نبي فهي معجزة، مثل قلب العصا حية لموسى عليه السلام، ومثل ما عند عيسى عليه السلام من إبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى بإذن اللَّه، وما أعطاه اللَّه لمحمد ﷺ من المعجزات التي أعظمها هذا القرآن العظيم، الذي أعجز البشرية كلها، وأعجز الجن والإنس أن يأتوا بمثله.

أمَّا إذا جرى خارق العادة على يد عبد صالح تقي مؤمن، فهذا يسمى: كرامة من اللَّه عز وجل، أجراها على يده، إما لحجة في الدين، وإما لحاجة المسلمين، كما حصل لمريم عليها السلام في أن زكريا إذا دخل عليها المحراب وجد عندها رزقًا، وهي متفرغة للعبادة بهذا المحراب، وهو مكان العبادة، كذلك ما حصل لأصحاب الكهف من النوم الطويل، وبقائهم على حالتهم لم تأكل الأرض أجسامهم، ولم يحصل في حياتهم خلل، هذا من كرامات الأولياء.

أمَّا ما يجري مما يشبه خوارق العادات على أيدي الكفرة، من أفعال الشياطين فهذه تعتبر من الشعوذات والحيل والسحر التخييلي أو من أعمال الشياطين واستخدامهم لإفساد عقائد الإنس والإضرار بهم وليست من الكرامات، كالذي يطير في الهواء، أو يمشي على الماء، وهو فاجر، فهذا من فعل الشياطين؛ لأنهم لما تقربوا إليهم بالكفر والشرك؛ خدموهم.

فحملوهم في الهواء ومشوا بهم على الماء.

فما يجري على أيدي هؤلاء الفجرة من الشعوذات والشرك هو من أعمال

الشياطين أو من حيلهم ودجلهم على الناس وهي أمور يتعلمونها فيما بينهم كما يتعلمون السحر.

ولا ينسب إلى الأنبياء وأتباعهم شيء منها ولهذا لما نسب اليهود السحر إلى نبي اللَّه سليمان عليه السلام، رَدَّ اللَّه عليهم بأن السحر كفر ولا ينسب الكفر إلى الأنبياء، وسليمان عليه السلام منهم، ولا يليق به السحر.

* * *

تعبدهم اللَّه بالصفير والتصفيق

المسألة الحادية والعشرون

تَعَبُّدُهُم بِالمُكَاءِ وَالتَّصدِيَةِ [٢١].

---

[٢١] من مسائل الجاهلية التي خالفهم فيها رسول اللَّه ﷺ:

تعبدهم -أي: تقربهم- إلى اللَّه بالمكاء والتصدية، قال اللَّه تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال: ٣٥]؛ أي: ما كان تَقَرُّب المشركين إلى اللَّه عند الكعبة المشرفة إلا مكاء وتصدية.

والمكاء هو: الصفير.

والتصدية هي: التصفيق بالأيدي والأكف.

يعملون هذا عند البيت، ويسمونه صلاة، يتقربون بها إلى اللَّه ﷻ.

وذلك مما زينه لهم شياطين الإنس والجن؛ لأن العبادة لا تكون إلا بما شرعه اللَّه ﷻ، وهي توقيفية.

فالإنسان لا يُحدث شيئًا من عند نفسه، أو يتلقاه من غيره مما لم يشرعه اللَّه يتعبد به إلى اللَّه وهو ليس له أصل في الشرع.

ومن هنا يؤخذ تحريم هاتين الخصلتين: الصفير والتصفيق، وإن لم يقصد الإنسان بهما العبادة؛ لأن في ذلك تشبهًا بالمشركين.

والتصفيق إنما أباحه النبي ﷺ للنساء خاصة[1] عند الحاجة، كتنبيه الإمام

---

(١) فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**التسبيح للرجال والتصفيق للنساء**». أخرجه البخاري رقم (١٢٠٣)، ومسلم رقم (٤٢٢/ ١٠٦).

وفي حديث سهل بن سعد أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**ما لي رأيتكم أكثرتم التصفيق، من رابه شيء في صلاته فليُسبح، فإنه إذا سبح التُفت إليه، وإنما التصفيق للنساء**». أخرجه البخاري رقم (٦٨٤)، ومسلم رقم (٤٢١).

إذا سها في الصلاة؛ لما في صوتها -إذا كانت بحضرة الرجال- من الفتنة، ولا يجوز للرجل أن يتشبه بالكفار ولا بالمرأة في التصفيق.

وإذا كان التصفيق لا يجوز للرجل عند الحاجة من تنبيه الإمام إذا سها في الصلاة وإنما ينبهه بالتسبيح؛ فلأن لا يجوز له عند عدم الحاجة من باب أولى.

وفي هذا رد واضح على الذين يصفقون في الحفلات من الرجال تشبهًا بالكفار.

* * *

اتخاذهم الدين لهوًا ولعبًا

المسألة الثانية والعشرون

أَنَّهُمُ اتَّخَذُوا دِينَهُم لَهوًا وَلَعِبًا [٢٢].

---

[٢٢] **اللهو هو**: كل باطل يُلهي عن الحق.

واللعب هو: ضد الجد، وهو ما لا فائدة فيه، فاتخاذ اللهو واللعب دينًا يتقرب به إلى الله ﷻ هو من دين الجاهلية، وهذا موجود عند الصوفية، فيتخذون ضرب الدفوف، ويتخذون الأغاني عبادة للَّه ﷻ، يتقربون إلى اللَّه بالأغاني، ويتقربون إلى اللَّه بضرب الدفوف.

والأغاني وآلاتها لهو ولعب، وهي محرمة في حد ذاتها، فكيف إذا اتُخذت عبادة للَّه ﷻ؟

ويشبههم الآن الذين يتخذون الأناشيد التي يسمونها الإسلامية، ويجعلونها من وسائل الدعوة إلى اللَّه، كما يقولون.

والدعوة إلى اللَّه ﷻ من الدين، ولا يدخل فيها شيء من الأغاني ومن الأنغام والتنغيمات التي تلهي النفوس، وتشغل الناس عن ذكر اللَّه وعن قراءة القرآن، وهي من شعارات المناهج الحزبية، وليست من وسائل الدعوة؛ لأن مناهج الدعوة توقيفية، والنبي ﷺ كان يدعو الناس بالكتاب والسنة، والوعظ والإرشاد، والمجادلة بالتي هي أحسن، ولم يتخذ الأناشيد الجماعية وسيلة للدعوة.

وإنشاد الشعر الجيد النزيه؛ للرد على المشركين والدفاع عن الإسلام، كشعر حسان رضي الله عنه، أو للتنشيط على العمل والسير في السفر، ليس ذلك شبيهًا بالأناشيد الجماعية المستعملة الآن، فلا تُقاس عليه؛ لما بينهما من الفارق الواضح.

الاغترار بالدنيا

المسألة الثالثة والعشرون

أَنَّ الحَيَاةَ الدُّنيَا غَرَّتهُم فَظَنُّوا أَنَّ عَطَاءَ اللَّه مِنهَا يَدُلُّ عَلَى رِضَاهُ، كَقَولِهِم: ﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [سبأ: ٣٥] **[٢٣]**.

---

[٢٣] أهل الجاهلية يعتبرون إعطاءهم الأولاد والأموال من كرمهم على اللَّه ﷻ، وأن اللَّه لا يعذبهم ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ﴾ [سبأ: ٣٥-٣٧].

إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩].

فليست كثرة الأموال والأولاد والثروة دليلًا على محبة اللَّه للعبد، بل إنه قد يعطي الكافر من أجل أن يستدرجه، وفي الحديث: «**إن اللَّه يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، وأما الدين فلا يعطيه إلا من يحب**»[1].

وفي الحديث الآخر: «**لو كانت الدنيا تعدل عند اللَّه جناح بعوضة ما سقى منها كافرًا شربة ماء**»[2].

وهذا رسول اللَّه ﷺ، أكرم الخلق على اللَّه، وكذلك صحابته، يصيبهم الجوع، ويصيبهم الفقر والفاقة، وهم أكرم الخلق على اللَّه بعد النبيين،

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣٨٧)، والحاكم (١/ ١٩٣) رقم (١٠٢)، (٥/ ٢٣٠)، رقم (٧٣٨١).
وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ٥٦٠) رقم (٢٣٢٥)، وقال أبو عيسى: هذا حديث صحيح غريب من هذا الوجه.

والكفار يسرحون ويمرحون في النعم من باب الاستدراج لهم.

فلا يستدل بزهرة الدنيا على كرامة أهلها عند اللَّه ﷻ، وإنما يستدل بكرامة العبد على اللَّه إذا كان على عمل صالح، سواء كان غنيًّا أو فقيرًا، فهذا هو الكريم على اللَّه ﷻ، ومعايير الناس أن أهل الدنيا وأهل الغناء والثروة هم أكرم عند اللَّه ﷻ، وأن أهل الفقر وأهل الفاقة إنما كانوا كذلك لهوانهم على اللَّه معايير باطلة.

* * *

زهدهم في الحق إذا كان عليه الضعفاء

المسألة الرابعة والعشرون

تَركُ الدُّخُولِ فِي الحَقِّ إِذَا سَبَقَهُم إِلَيهِ الضُّعَفَاءُ تَكَبُّرًا وَأَنَفَةً، فَأَنزَل اللَّه تَعَالَى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ [الأنعام: ٥٢] **الآيَات [٢٤].**

---

[٢٤] أهل الجاهلية يرفضون الحق إذا كان عليه الضعفاء من الناس، ولهذا قالوا: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾ [الأنعام: ٥٣].

يعني: ليسوا أولى بالجنة منا، نحن أقدم منهم، وأشرف منهم، هؤلاء ضعفاء ما لهم قيمة ولا مقدار في المجتمع.

وقد ردَّ اللَّه عليهم بقوله: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾.

فاللَّه -جل وعلا- لا يعطي هذا الدين إلا لمن أحب، أما الدنيا فيعطيها لمن يشاء من أحبابه ومن أعدائه.

* * *

الاستدلال على كون الشيء باطلًا بسبق الضعفاء إليه

المسألة الخامسة والعشرون

الاستِدلَالُ عَلَى بُطلَانِهِ بِسَبقِ الضُّعَفَاءِ، كَقَولِهِ: ﴿لَوۡ كَانَ خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِۚ﴾ [الأحقاف: ١١] **[٢٥]**.

---

[٢٥] من عادات أهل الجاهلية: الاستدلال على بطلان الشيء بسبق الضعفاء إليه، كما قال اللَّه عن المشركين أنهم يقولون: ﴿لَوۡ كَانَ خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِۚ﴾ [الأحقاف: ١١].

يقولون: نحن أهل معرفة، وأهل خبرة، وأهل تفكير، نعرف الأمور، ولما رأينا أن هذا الذي جاء به محمد ليس حقًّا، تركناه، ولو كان حقًّا لسبقنا إليه، فتركنا له دليل على أنه ليس حقًّا.

وهذا من أبطل الباطل، لأن الحق ليس اتباعه موقوفًا على طبقة من الناس، بل اتباع الحق منَّة يمنُّ اللهُ بها على من يشاء من عباده ويوفقه لها.

وأتباع الرسل أكثرهم من الضعفاء، كما قال تعالى: ﴿أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١].

وقوله عن قوم نوح: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ﴾ [هود: ٢٧]؛ أي: ليس عندهم تفكير.

ويزعمون أنهم هم أهل التفكير وأهل العقول، فلو كان ما جاء به نوح ﷺ حقًّا؛ اتبعه أهل الرأي والملأ من الناس، فتركهم له دليل على أنه ليس حقًّا، وهذا باطل؛ لأن الغالب أن الذين يكفرون بالحق هم أهل الترف، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [سبأ: ٣٤].

وغالب من يتبع الحق الضعفاء والفقراء؛ لأنهم ليس عندهم تكبر.

فالاستدلال على الشيء بأنه حق باتباع الأغنياء له، أو ذوي الجاه، والاستدلال على أنه باطل باتباع الضعفاء، هذا معيار أهل الجاهلية، لا يجوز أن يتخذ ميزانًا يوزن به معرفة الحق من الباطل؛ ولهذا يقول العلماء: الحق لا يعرف بالرجال، وإنما يعرف الرجال بالحق.

* * *

تحريف أدلة الكتاب بعد معرفتها لتوافق أهواءهم

المسألة السادسة والعشرون

تَحرِيفُ كِتَابِ اللَّه مِن بَعدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُم يَعلَمُونَ [٢٦].

---

[٢٦] **من شأن اليهود والنصارى**: تحريف كتاب اللَّه، التوراة والإنجيل، فهم من بعد ما عقلوه، تعلموه وفهموه، حرفوه بزيادة أو نقصان، أو تفسير بغير المعنى الصحيح، من أجل أن توافق أهواءهم، وهذه مصيبة لا يزال المسلمون يعانون منها، وأول ما كانت عند أهل الكتاب من أهل الأهواء والرغبات والشهوات، إذا لم يقدروا على تكذيب النص وجحوده، سطوا عليه بالتحريف والتأويل والتفسير بغير معناه.

ولا يزال المسلمون يعانون من هذه الآفة من أهل الأهواء والفرق الضالة وأصحاب الشهوات.

إذا قيل لهم مثلًا: الربا حرام.

قالوا: المراد بالربا كذا، يفسرون الربا على حسب هواهم، والآن موجود لهم كتب وكتابات وفتاوى تبيح الربا!

وإذا قيل: هذا حرَّمه اللَّه ورسوله.

قالوا: ليس هذا هو الربا الذي حرَّمه اللَّه ورسوله؟! الربا الذي حرَّمه اللَّه ورسوله هو ربا الجاهلية، زيادة الدين على المعسر فقط، وأما ربا الفضل فليس محرمًا.

أو يقولون: الربا المحرم هو الربا الاستهلاكي، أما الربا الاستثماري فهو مباح، ويقولون: ربا الفضل لم يذكر تحريمه في القرآن.

فنقول لهم: صح في الأحاديث في سنة الرسول ﷺ تحريم ربا الفضل، في

الصحيحين: «**الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والبر بالبر، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح بالملح، مثلًا بمثل، سواء بسواء، يدًا بيد**»[(١)].

هذا ربا الفضل، حرَّمه رسول اللَّه ﷺ، وقد قال اللَّه تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧].

وربا الفضل داخل في عموم قوله تعالى: ﴿وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾[البقرة: ٢٧٥].

فلما كان في اليهود من يحرِّف التوراة، وكان في النصارى من يحرِّف الإنجيل، وجد في هذه الأمة من يحرِّف القرآن والسنة، من أجل إباحة ما هو عليه أو عليه غيره.

والواجب على المسلم اتباع الكتاب والسنة.

ومن تحريف اليهود: أن اللَّه لما قال لهم: ﴿وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾ [البقرة: ٥٨]؛ أي: حط عنا ذنوبنا واغفر لنا، حرفوا وقالوا: حبة في حنطة، زادوا حرف النون.

والمؤولة لصفات اللَّه، لما قال اللَّه تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

قالوا: معناه: استولى. فزادوا اللام من جنس نون اليهود.

هذا تحريف بالزيادة، وهناك تحريف بالنقص، وتحريف في المعنى، وهو تفسير القرآن بغير تفسيره الصحيح، وتفسير الأحاديث بغير تفسيرها الصحيح، هذا كله من تحريف الكلم عن مواضعه.

* * *

(١) أخرجه البخاري رقم (٢١٣٤، ٢١٧٤)، ومسلم رقم (١٥٨٤، ١٥٨٧)، واللفظ له.

تأليف الكتب الباطلة ونسبتها إلى اللَّه

المسألة السابعة والعشرون

تَصنِيفُ الكُتُبِ البَاطِلَةِ وَنِسبَتُهَا إِلَى اللَّه كَقَولِهِ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٩] [٢٧].

---

[٢٧] **من آفات اليهود:** أنهم يؤلفون المؤلفات ويكتبونها بأيديهم، ويضمنونها الباطل، ويقولون: هذا من عند اللَّه؛ ليحصلوا على مكافأة من الناس، أو يبيعوا هذه الكتب في الأسواق وتدر عليهم أموالًا.

وتصنيف الكتب الضالة وترويجها على الناس حرفة اليهود، ومَنْ تشبه بهم من هذه الأمة.

والواجب على العالم حينما يكتب شيئًا من العلم: أن يتقي اللَّه ﷻ، ولا يكتب إلا ما يوافق الكتاب والسنة؛ لأنه مسئول عن كتابته، فلا يكتب في فتواه ولا في مؤلفه، ولا في مقالته إلا ما يوافق الكتاب والسنة، ولا يكتب شيئًا من عند نفسه وهواه، ويقول: هذا من الشرع، أو هذه هي الشريعة.

وما أكثر تصنيف الكتب في هذه الأيام، أو الرسائل، أو الفتاوى الضالة الباطلة باسم الإسلام، وهذا مثل فعل اليهود.

فهذا ينبه المسلم الذي يريد أن يكتب أو يؤلف أو يفتي، أن يتوقف عند حدود اللَّه ﷻ، وأن يتقي اللَّه، وأن يكتب للحق، وإن لم يرض الناس.

* * *

رفض ما عند غيرهم من الحق

المسألة الثامنة والعشرون

أَنَّهُم لَا يَقبَلُونَ مِنَ الحَقِّ إِلَّا الَّذِي مَعَ طَائِفَتِهِم، كَقَولِهِ: ﴿قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ [البقرة: ٩١] [٢٨].

---

[٢٨] **إذا قيل لهم**: آمنوا بما أنزل اللَّه على محمد ﷺ ﴿قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ [البقرة: ٩١]؛ أي: على موسى عليه السلام.

﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾؛ أي: غيره.

﴿وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ﴾، يقولون: نحن نؤمن بالتوراة التي أنزلت على نبينا موسى.

﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾ وهو الإنجيل الذي أُنزل على عيسى، والقرآن الذي أُنزل على محمد ﷺ.

﴿وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ﴾ الإنجيل والقرآن مصدقان لما في التوراة.

فرد اللَّه عليهم بأنكم إذا كنتم تتبعون ما أُنزل على موسى، فكيف تقتلون الأنبياء؟ هل أنزل على موسى قتل الأنبياء؟ حيث قتلوا زكريا، وقتلوا يحيى، وهموا بقتل عيسى عليه السلام، فرفعه اللَّه إليه، وعصمه منهم، وهموا بقتل محمد ﷺ، فهم مهمتهم قتل الأنبياء، كما قال تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧].

بعض الرسل كذبوهم، وبعض الرسل قتلوهم، لماذا؟ لأنهم جاءوهم بما لا تهوى أنفسهم، فكيف يقولون: نؤمن بما أنزل علينا؟ وأين هذا من الإيمان بالذي أُنزل عليهم؟

وأيضًا مما أُنزل عليهم في التوراة نعت محمد ﷺ، وبيان رسالته وصفاته

-عليه الصلاة والسلام-، فلماذا لم يؤمنوا بمحمد ﷺ؟ إن الإيمان بمحمد ﷺ هو إيمان بما أنزل عليهم، وقد كفروا به، وهم يقولون: ﴿نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ [البقرة: ٩١].

وهذا يشمل من يقول: أنا لا أتبع إلا فلانًا من العلماء والواجب أنه يقبل الحق، ولا يتعصب لإمامه، أو لمدرسه، أو لشيخه، مثل مشايخ الطرق؛ يتعصب لهم المريدون والأتباع، ولا يقبلون الحق إلا ما قال هؤلاء، وهذا أمر باطل، لأنه لا يجب اتباع معين من الخلق إلا رسول اللّه ﷺ.

ومن قال: إنه يجب اتباع معين غير الرسول فإنه مرتد، يستتاب فإن تاب وإلا قتل، كما قرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية؛ لأنه جعل فلانًا مساويًا للرسول ﷺ.

فلا أحد يجب اتباعه إلا رسول اللّه ﷺ، أما غيره من الأئمة والعلماء -رحمهم الله- فيتبعون فيما وافقوا فيه الحق، وما أخطئوا فيه من الاجتهاد، فإنه لا يجوز أخذه، ولو كان من الأئمة، وهم يقولون ذلك، يقولون: لا تأخذوا من أقوالنا إلا ما وافق كلام الرسول ﷺ.

* * *

لا يعملون بقول من يزعمون أنهم يتبعونهم

المسألة التاسعة والعشرون

أَنَّهُم مَعَ ذَلِكَ لَا يَعلَمُونَ بِمَا تَقُولُهُ طَائِفَتُهُم كَمَا قَالَ تَعَالَى وَنَبَّه: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩١] **[٢٩]**.

---

[٢٩] أي: هؤلاء اليهود يدَّعون أنهم يتبعون ما أنزل إليهم في التوراة، وهذا يكذبه أمران:

أولًا: قتلهم الأنبياء، وليس في التوراة قتل الأنبياء، بل فيها الإيمان بهم، وتعظيمهم، واتباعهم والاقتداء بهم.

الأمر الثاني: أن التوراة تأمرهم باتباع محمد ﷺ: ﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

هذه صفاته ﷺ في التوراة، ولم يؤمنوا به ﷺ، فلم يقولوا بما قاله أنبياؤهم وعلماؤهم الذين يدعون الإيمان بهم، ولا يعملون بما يقولون.

* * *

الأخذ بالافتراق وترك الاجتماع

المسألة الثلاثون

وَهِيَ مِن عَجَائِبِ آيَاتِ الله: أَنَّهُم لَمَّا تَرَكُوا وصِيَّةَ اللَّه بِالاجتِمَاعِ، وَارتَكَبُوا مَا نَهَى عَنهُ مِنَ الافتِرَاقِ، صَارَ كُلُّ حِزبٍ بِمَا لَدَيهِم فَرِحِينَ[٣٠].

---

[٣٠] **من عجائب آيات الله** ﷻ: أنهم لما تركوا الاجتماع على كتاب اللَّه ﷻ، وشرعه المنزل على الرسل، والاعتصام به، ابتلاهم اللَّه بالتفرق والتشتت والتناحر، والفرح بما هم عليه من الباطل.

وهذه عقوبة لهم؛ لأن الإنسان إذا فرح بالباطل فإنه لا يتركه، أما إذا لم يفرح به وكان عنده تشكك منه، فهذا حريٌّ أنه يتوب ويرجع عنه، لكن إذا اطمأن إليه وفرح به، فإنه لا يتحول عنه، وهذه عقوبة من اللَّه -جل وعلا-؛ لأن من ترك الحق يبتلى بالباطل، ومن ترك الاجتماع فإنه يبتلى بالتفرق والتشتت، والتناحر والتطاحن، فما تجد أناسًا مختلفين فيما بينهم من أمور الدين والدنيا إلا وتجد بينهم العداوات والحزازات والبغضاء، بل ربما الاقتتال فيما بينهم، ولا تجد من يتمسك بالاجتماع على الكتاب والسنة إلا وتجد بينهم الأُلفة والمحبة والتناصر والتعاون، كأنهم جسدٌ واحد، فلا عصمة إلا بالاجتماع على الكتاب والسنة، ولا وحدة إلا باتباع الكتاب والسنة، وما عدا ذلك فإنه فرقة وعذاب.

فهؤلاء الذين يريدون توحيد المسلمين كما يقولون، يقال لهم: إذا كنتم تريدون توحيد المسلمين، وحِّدوا العقيدة؛ بأن تكونوا جميعًا على عقيدة التوحيد التي جاء بها رسول اللَّه ﷺ، ولا تتركوا الناس، هذا قبوري، وهذا صوفي، وهذا شيعي، وحدوا العقيدة أولًا، واعتصموا بلا إله إلا اللَّه، ثم وحدوا الحكم بما أنزل اللَّه، فارجعوا إلى كتاب اللَّه وسنة رسوله، وانبذوا

القوانين والأنظمة والعادات القبلية وغير ذلك.

ارجعوا إلى الكتاب والسنة، إذا كنتم تريدون الاجتماع ووحدة المسلمين، فلن يتحد المسلمون إلا على هذا، إلا على وحدة العقيدة ووحدة المرجع؛ وهو الحكم بما أنزل اللَّه، ووحدة القيادة؛ وذلك بالسمع والطاعة لولي أمر المسلمين، هذا الذي يوحد أمر المسلمين، كما قال النبي ﷺ: «**إن اللَّه يرضى لكم ثلاثًا: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل اللَّه جميعًا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولَّاه اللَّه أمركم**»[1].

* * *

(١) تقدم.

عداوتهم للدين الحق، ومحبتهم للدين الباطل

المسألة الحادية والثلاثون

وَهِيَ مِن أَعجَبِ الآيَاتِ أَيضًا: مُعَادَاتُهُم الدِّينَ الَّذِي انتَسَبُوا إِلَيهِ غَايَةَ العَدَاوَةِ، وَمَحَبَّتُهُم دِينَ الكُفَّارِ الَّذِينَ عَادُوهُم وَعَادُوا نَبِيَّهُم وَفِئَتَهُم غَايَةَ المَحَبَّةِ، كَمَا فَعَلُوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ لَمَّا أَتَاهُم بِدِينِ مُوسَى عليه السلام، وَاتَّبَعُوا كُتُبَ السِّحرِ وَهِيَ مِن دِينِ آلِ فِرعَونَ[٣١].

---

[٣١] **من مسائل أهل الجاهلية التي خالفهم فيها رسول الله ﷺ: معاداتهم** لدينهم الذي أمروا باتباعه، واتباعهم لدين عدوهم، إذ معلوم أن اليهود كانوا على دين موسى عليه السلام، وأن عدوهم هو فرعون وآل فرعون الذين كانوا يسومونهم سوء العذاب، يقتلون أبناءهم، ويستحيون نساءهم ويستعملونهم في أخس الحرف، إلى أن بعث اللّٰه نبيه وكليمه موسى عليه السلام، فخلصهم اللهُ على يده من عدوهم وأعزهم به وأكرمهم، وخذل عدوهم وأغرقهم وهم ينظرون إليه، وأقر أعينهم بذلك.

وكان في التوراة التي بين أيديهم، وهي كتاب اللّٰه الذي جاء به موسى -عليه الصلاة والسلام-، كان فيها أوصاف محمد ﷺ، والأمر باتباعه، وهو ﴿ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

بسبب أنهم شددوا، فشدد اللهُ عليهم، وحرَّم عليهم طيبات أحلت لهم، بسبب كفرهم وعنادهم، فلو آمنوا بمحمد ﷺ لوضع اللّٰه عنهم هذه الآصار وهذه الأغلال، ولكنهم أخذهم الحسد، وقالوا: كيف يكون هذا النبي الموعود في آخر الزمان من العرب ومن بني إسماعيل؟! اللائق أن يكون هذا

من بني إسرائيل، ولا يكون من بني إسماعيل، هكذا قالوا، فحسدوا محمدًا ﷺ وأمته وكفروا به، وهم يعلمون أنه رسول الله، والذي حملهم على هذا هو الحسد والكبر -والعياذ بالله-.

ولما كفروا بمحمد كانوا كافرين بموسى عليه السلام، وبكتابه الذي هو التوراة، فكفروا بالتوراة التي عندهم؛ من أجل الحسد لمحمد ﷺ، واستبدلوا التوراة بكتب السحر التي هي دين عدوهم فرعون؛ لأن السحر كان فاشيًا في قوم فرعون، فتركوا الوحي المنزل، وأخذوا بالسحر الذي كان عليه عدوهم.

وهذا من العجائب! يقول الله -جل وعلا-: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠١].

﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ هذا الرسول وصفاته وما جاء به، عملوا عمل الجهال الذين لا يعرفونه؛ تكبرًا وعنادًا.

لم يقل: لأنهم لا يعلمون، بل قال: ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾؛ لأن العالم إذا لم يعمل بعلمه، فكأنه لا يعلم؛ لأن ثمرة العلم العمل، فإذا لم يعمل صار هو والجاهل سواء، بل الجاهل يكون أخف منه إثمًا ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ [البقرة: ١٠٢]. وهو السحر.

فأصل السحر أنه من عمل الشياطين، ثم توارثه الكفرة على اختلاف الأزمان، ورثه فرعون وقومه، وورثه اليهود، بديلًا عن التوراة فالسحر قديم، ولكن تتوارثه الكفرة جيلًا بعد جيل.

فهذا من العقوبات؛ أن الإنسان إذا ترك الحق يُبتلى بالباطل، وهذه سنة لا تتبدل ولا تتغير، فبعض المسلمين تركوا كتاب الله وسنة رسوله، وأخذوا بأقوال الناس، وأخذوا علم المنطق، وأخذوا علم الكلام، هم من هذا القبيل، لما تركوا كتاب الله وسنة رسوله وأخذوا غيرهما؛ لأنهم لما أعرضوا

عن كتاب اللَّه وسنة رسوله، ولم يأخذوا عقيدتهم من الكتاب والسنة، ابتلوا بأخذ العقيدة من علوم الكفرة والملاحدة، فما أشبه الليلة بالبارحة!

وهكذا كل من ترك الحق فإنه يبتلى بالباطل، ومن ترك مذهب أهل السنة والجماعة، فإن يبتلى بمذاهب الفرق الضالة، والذي يتحزب مع الجماعات الضالة المخالفة للكتاب والسنة ومنهج أهل السنة والجماعة، يُبتلى بأن يكون مع الفرق الضالة.

هذه سُنَّة اللَّه ﷻ، فهذا مما يُحَذِّر المسلم من أن يترك الحق؛ لأنه إذا ترك الحق ابتلي بالباطل، وإذا ترك اتباع أهل الحق اتبع أهل الباطل، دائمًا وأبدًا.

* * *

كفرهم بالحق الذي مع غيرهم ممن لا يهوونه

المسألة الثانية والثلاثون

كُفرُهُم بِالحَقِّ إِذَا كَانَ مَعَ مَن لَا يَهوَونَهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ [البقرة: ١١٣] [٣٢].

---

[٣٢] **وهذه المسألة من أخطر المسائل**، وهي: كفرهم بالحق إذا كان مع من لا يهوونه؛ أي: لا يحبونه، فيتركون الحق الذي معه؛ تعصبًا لكراهتهم للشخص، فيتركون الحق من أجله.

والواجب على المسلم أن يقبل الحق ممن جاء به؛ لأن الحق ضالة المؤمن أينما وجده أخذه، مع صديقه أو مع عدوه؛ لأنه يطلب الحق، أما إذا كان يعتبر الأشخاص فقط، فهذا دين أهل الجاهلية.

ومثال ذلك: ما ذكره اللَّه عن اليهود والنصارى -وهم أهل كتاب وعلم- فاليهود رفضوا الحق الذي مع النصارى، والنصارى رفضوا الحق الذي مع اليهود، كما قال تعالى عنهم: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ [البقرة: ١١٣].

والذي حملهم على هذا هو الهوى؛ لما كان اليهود يبغضون النصارى جحدوا ما معهم من الحق، ولما كان النصارى يبغضون اليهود جحدوا ما معهم من الحق ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ الذي يأمرهم بقبول الحق.

﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾، فالذين ليس معهم كتاب ساروا على هذا المنهج، كل طائفة تكفر الأخرى، وتجحد ما معها من الحق.

والحاصل: أن الواجب على المسلم تجنب سنة اليهود والنصارى، وهي الكفر بالحق إذا كان مع من لا يحبه، فلا يحملك بغض الشخص على أن ترفض

ما معه من الحق.

ومثل هذا ما هو موجود الآن: إذا كانت طائفة أو جماعة تبغض أحد العلماء، فإنهم يرفضون ما معه من الحق، فيحملهم بغضهم لهذا العالم على أن يرفضوا ما معه من الحق، وأن يُعَتِّموا عليه، ويُزَهِّدوا فيه، ويحَذِّروا من مؤلفاته، ومن أشرطته، ولو كانت حقًّا، لماذا؟ لا لشيء إلا لأنهم لا يحبون هذا الشخص.

والواجب عليك أيها المسلم أن تقبل الحق، وإن كان مع من لا تحب، ولا تكون العداوات الشخصية والأهواء النفسية مانعة من قبول الحق.

والنبي ﷺ لما جاءه اليهودي، وقال: إنكم تشركون، تقولون: ما شاء اللَّه وشاء محمد، أمر أن يقولوا: «**ما شاء اللَّه وحده**»، ولا يقولوا: ما شاء اللَّه وشاء محمد[1].

فالنبي ﷺ قَبِل هذا الحق، وأمر أصحابه بترك الخطأ.

وكذلك الذي جاء النبي ﷺ من أحبار اليهود، وقال: إن اللَّه يطوي السموات بيمينه، ويحمل الجبال على أصبع، والأرضين على أصبع... إلى آخر الحديث.

فالنبي ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه، تصديقًا لهذا الحبر[2]، وأنزل اللَّه قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

---

(١) عن قتيلة امرأة من جهينة: أن يهوديًّا أتى النبي ﷺ فقال: «**إنكم تُنَدِّدون وإنكم تشركون تقولون: ما شاء اللَّه وشئت، وتقولون: والكعبة. فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: وربِّ الكعبة. ويقولوا: ما شاء اللَّه ثم شئت**». أخرجه النسائي (٧/ ١٠) رقم (٣٧٨٢)، وبنحوه عند ابن ماجه عن حذيفة بن اليمان (٢/ ٥٥٠) رقم (٢١١٨)، وأحمد في المسند (٦/ ٣٧١-٣٧٢)، والبيهقي في الكبرى (٣/ ٥٤).

(٢) أخرجه البخاري رقم (٤٨١١، ٧٤١٤، ٧٤١٥)، ومسلم (٢٧٨٦).

وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر: ٦٧].

فلما طابق قول هذا الحبر من اليهود الحق، قبله النبي ﷺ وسُرَّ به.

الحاصل: أن المسلم يجب عليه أن يقبل الحق، ولا تحمله عداوته الشخصية، وأغراضه النفسية، والإشاعات التي تشاع عن بعض أهل الحق، لا تحمله هذه الأمور على رفض ما يقوله هذا العالم بل ينتفع به، حتى ولو كان هذا العالم غير مستقيم، ولو كان ما يقال فيه من الذم والعيب صحيحًا، إذا قال كلمة حق وجب أن تقبل، لا لأجل هذا الشخص، ولكن لأجل الحق، هذا هو الواجب.

فيجب على طلبة العلم أن ينهجوا هذا المنهج الرباني، وهو قبول الحق ممن جاء به.

* * *

تناقضهم في الإقرار والإنكار

المسألة الثالثة والثلاثون

إِنكَارُهُم مَا أَقَرُّوا أَنَّهُ من دِينِهِم كَمَا فَعَلُوا فِي حَجِّ البيت فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة: ١٣٠] **[٣٣]**.

---

[٣٣] اليهود يدَّعون أنهم على ملة إبراهيم -عليه الصلاة والسلام-، ولكنهم لما حُوِّلت القبلة إلى الكعبة التي بناها إبراهيم أنكروا هذا غاية الإنكار -والعياذ بالله-؛ لأنهم لا يعترفون بالكعبة، ولا بالحج الذي هو من دين إبراهيم، ويكفرون بالتوجه إلى القبلة، وهم يعلمون أن هذا هو الحق، وأن الكعبة هي قبلة إبراهيم -عليه الصلاة والسلام-، وأن إبراهيم هو الذي أسس هذا البيت، وبناه بأمر الله ﷻ، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾ [الحج: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾ [البقرة: ١٢٧] الآية.

فصارت الكعبة من بناء إبراهيم، بأمر الله، وهي قبلته، وهم ينكرون هذا.

وكذلك الحج، من ملة إبراهيم -عليه الصلاة والسلام-، وهم ينكرونه مع أنهم يدَّعون أنهم على ملة إبراهيم وعلى دين إبراهيم، لكن حملهم بغض محمد ﷺ على أن أنكروا هذا كله.

فالكعبة من ميراث إبراهيم -عليه الصلاة والسلام-، والتوجه إليها بالصلاة، وقصدها للحج والعمرة من دين إبراهيم -عليه الصلاة والسلام-، وهؤلاء ينتسبون إلى دين إبراهيم وينكرون أعظم شعائره، فهذا من التناقض العجيب!

ومثل هذا كل من ينتسب إلى الإسلام، ويرفض بعض أحكامه، كالذي يقول: أنا مسلم، ثم يطوف بالقبور ويدعوها ويتبرك بها ويتمسح بها، فإذا قيل له: هذا شرك، فإنه لا يتحول عنه بل يستمر عليه ويبغض من نهى عنه.

وهذا من التناقض في الانتساب، ينتسب إلى الإسلام ويخالفه في أعظم شعائره، وهو التوحيد.

* * *

كل فرقة تزكي نفسها دون غيرها

المسألة الرابعة والثلاثون

أَنَّ كُلَّ فِرقَةٍ تَدَّعِي أَنَّهَا النَّاجِيَةُ فَأَكذَبَهُمُ اللَّه بِقَولِهِ: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١].

ثُمَّ بَيَّنَ الصَّوَابَ بِقَولِهِ: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [البقرة: ١١٢] **[٣٤]**.

---

[٣٤] من مسائل أهل الجاهلية: أن كل فرقة منهم تدَّعي أنها هي التي على الحق، وأن غيرها على الباطل، وكان هذا في اليهود والنصارى ومن شابههم ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾ [البقرة: ١١١]. حصروا الهداية ودخول الجنة في اليهود والنصارى.

ومثلهم الفرق الضالة؛ كل فرقة تدَّعي أنها هي التي على الحق، وأن غيرها على الباطل، وكل فرقة تدَّعي أنها الفرقة الناجية التي قال فيها النبي ﷺ: «**ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة**».

ولكن الرسول ﷺ بيَّن العلامة الفارقة لهذه الفرقة عن غيرها لما قالوا: «من هي يا رسول اللَّه؟ قال: «**من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي**»[1].

ولهذا قال -جل وعلا-: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾؛ يعني: هاتوا دليلكم على ما تقولون؛ أنه لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا أو نصارى؛ لأن هذه دعوى، والدعوى لا تُقبل إلا بدليل؛ ولهذا قال بعدها: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ

---

(١) أخرجه أبو داود (٥/ ٧ رقم ٤٥٩٦، ٤٥٩٧)، والترمذي (٥/ ٢٥-٢٦ رقم ٢٦٤٥، ٢٦٤٦)، وابن ماجه (٤/ ٣٥٢، ٣٥٣، رقم ٣٩٩١، ٣٩٩٢، ٣٩٩٣)، والحديث صححه الترمذي والألباني في «صحيح الجامع» رقم (١٠٨٢، ١٠٨٣).

مُحْسِنٌ﴾ [البقرة: ١١٢]؛ ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ يعني: أخلص دينه لله، وسلم من الشرك، ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾؛ أي: متبع للرسول ﷺ، فمن توفر فيه هذان الشرطان فإنه من أهل الجنة، ومن اختل فيه هذان الشرطان أو أحدهما فهو من أهل النار، وإن ادعى أنه من أهل الجنة.

فقوله: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ﴾ إلخ هذا المنهج السليم الذي من كان عليه صار من الفرقة الناجية؛ لأن النبي ﷺ قال: «**مَن كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي**». هذا ضابط من السنة، والآية ضابط من القرآن، فمن كان يريد الجنة فليسلم وجهه إلى اللَّه ويترك الشرك، ويحسن عمله على السنة، ويتجنب البدع والمحدثات التي ما أنزل اللَّه بها من سلطان.

* * *

تقرُّبهم إلى اللَّه بفعل المحرم

المسألة الخامسة والثلاثون

التَّعَبُّدُ بِكَشفِ العورَاتِ كَقَولِهِ: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ [الأعراف: ٢٨] **[٣٥]**.

---

[٣٥] يتعبد أهل الجاهلية بكشف العورات في الطواف؛ لأن الشيطان زين لهم أن من لم يكن من أهل الحرم، وجاء من الآفاق، فإنه لا يدخل الحرم بثيابه التي جاء بها؛ لأنه عصى اللَّه فيها؛ فإن وجد من أهل الحرم من يعطيه ثوبًا ليلبسه ويطوف به، وإلا فإنه يخلع ثيابه عند حدود الحرم، ويدخل عريانًا، كذا زين لهم الشيطان، حينما فعلوا هذه الفاحشة قالوا: وجدنا عليها آباءنا ﴿وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾.

فانظروا كيف سمى كشف العورة: فاحشة، وهي: ما تناهى قبحه، وكثير من الناس في هذا الزمان يعتبرونه رقيًّا وتحضرًا!

ثم رد اللَّه عليهم بقوله: ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾؛ أي: لا يشرع لعباده كشف العورات، وإنما شرع لهم سترها؛ لما في ذلك من البعد عن الفتنة، وعدم الوقوع في الجرائم الخلقية، وقد كذبوا على اللَّه وقالوا عليه بغير علم، فاحتجوا بحجتين باطلتين، إحداهما أبطل من الأخرى:

الأولى: ﴿وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا﴾.

والثانية أعظم وأخطر: ﴿وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾، كذبوا على اللَّه تعالى، فرد عليهم سبحانه بقوله: ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، والقول على اللَّه بلا علم جريمة خطيرة جدًّا.

ثم بيَّن سبحانه ما ينهى عنه فقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

الفواحش جمع فاحشة، وهي: المعصية المتناهية في القبح، ومنها كشف العورة.

﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ علانية أمام الناس.

﴿وَمَا بَطَنَ﴾ ما فعله الإنسان خفية بينه وبين اللَّه.

﴿وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾؛ يعني: حجة، فاللَّه ما أنزل لأهل الشرك حجة أبدًا، إنما أنزل الحجة على التوحيد، أما الشرك فاللَّه نهى عنه ﷻ.

﴿وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ القول على اللَّه بلا علم أعظم من الشرك، ومن ذلك: قولهم؛ اللَّه أمرنا بكشف العورات.

فليحذر الذين يقولون: هذا حلال وهذا حرام، بدون دليل من كتاب اللَّه وسنة رسوله.

إلى أن قال ﷻ: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ﴾؛ يعني: استروا عوراتكم ﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١]؛ يعني: عند كل صلاة، ومنها الطواف بالبيت.

الشاهد: أن أهل الجاهلية يتقربون إلى اللَّه بكشف العورات، ويعدونه عبادة لله، فهذا من أفحش الكذب والزور -والعياذ بالله-.

ومنه نأخذ تحريم كشف العورات مطلقًا إلا لضرورة، كالعلاج الضروري، أو ما بين الزوجين بعضهما مع بعض، وكشف العورة في غير هاتين الحالتين حرام شديد التحريم؛ لأنه يجر إلى الفاحشة والوقوع في الجريمة، والشيطان عرف أن العري يجر إلى الزنا واللواط؛ فلذلك رغَّب الناس في كشف العورات، وسمى هذا تقدمًا وحضارة ورقيًّا، ونَفَّر من الستر واللباس المحتشم، وقال: هذا تأخر ورجعية وتقاليد بالية.

وما يقال عن الحجاب الآن، والتزهيد فيه، والتمسخر من أهله شيء معروف في الصحف والمجلات والمجالس وغير ذلك، لكن هذا لا يضر أهل الإيمان إذا تمسكوا بدينهم.

تقربهم إلى اللَّه بتحريم الحلال وتحليل الحرام

المسألة السادسة والثلاثون

التَّعَبُّدُ بِتَحرِيمِ الحَلَالِ كَمَا تَعَبَّدُوا بِالشِّرْكِ[٣٦].

---

[٣٦] **من مسائل أهل الجاهلية**: تعبدهم -أي: تقربهم إلى الله- بتحريم ما أوجب اللَّه، فحرموا ستر العورة في الطواف كما سبق من حال المشركين.

وكذلك اليهود والنصارى.

فالنصارى: حرموا على أنفسهم كثيرًا من الطيبات، واليهود أباحوا لأنفسهم ما حرم اللَّه مثل الربا وقد نُهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل، والمشركون حرموا أنواعًا من بهيمة الأنعام، منها البحيرة والسائبة والوصيلة، أنواع من الأنعام يسمونها بهذه الأسماء، ويحرمونها للأصنام، وقد نهى اللهُ المؤمنين عن ذلك فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [المائدة: ٨٧].

فالمؤمن لا يتشدد في تحريم ما أحل اللَّه، ولا يتساهل ويستبيح المحرمات؛ بل يكون معتدلًا، فتحريم الحلال وتحليل الحرام من دين الجاهلية، فلا يجوز لأحد أن يحلل ويحرم إلا بدليل من كتاب اللَّه، وإذا اعتبر ذلك من التعبد، مثل ما عليه النصارى في الرهبانية، أو عليه المشركون في الطواف بالبيت، فهذا تعبد بما لم يشرعه اللَّه، وتعبد للَّه بمعصيته ﷻ، وتقرب إلى اللَّه بمعصيته، وشرع دين لم يأذن به.

فالمسألة خطيرة جدًّا، كما تعبد أهل الجاهلية بالشرك وهذا أعظم، وهو موجود قديمًا وحديثًا، فالذين يطوفون بالقبور، ويذبحون لها، وينذرون لها، ويقولون: هذا تقرب إلى اللَّه ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

هذا عند المشركين الأولين، وعند المشركين المعاصرين المنتسبين إلى الإسلام، ويقولون: هذا تقرب إلى اللَّه -جل وعلا- بواسطة هؤلاء الصالحين: فهم شفعاؤنا، ويقربوننا إلى اللَّه زلفى.

* * *

اتخاذهم الأحبار والرهبان أربابًا من دون الله

المسألة السابعة والثلاثون

التَّعَبُّدُ بِاتِّخَاذِ الأَحبَارِ وَالرُّهبَانِ أَربَابًا مِن دُونِ اللَّهِ[٣٧].

---

[٣٧] قال اللَّه تعالى في اليهود والنصارى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ﴾ [التوبة: ٣١].

والأحبار هم العلماء، والرهبان هم العبَّاد.

فاليهود والنصارى يتعبدون للَّه باتباع الأحبار والرهبان في معصية اللَّه ﷻ، حيث يحرمون ما أحل اللَّه، ويحلُّون ما حرم اللَّه، فيطيعهم هؤلاء، ويعتبرون هذا عبادة، حيث يقولون: طاعة العلماء واجبة.

فنقول: طاعتهم واجبة إذا أطاعوا اللَّه، أما من خالف طاعة اللَّه فلا طاعة له، قال ﷺ: «**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**»(١).

ولو كان علماءً أو عُبَّادًا من أزهد الناس، ما داموا ليسوا على حقٍّ فلا يجوز لنا اتباعهم، ومن اتبعهم وهو يعلم أنهم يحلون ما حرَّم اللَّه، ويحرمون ما أحلَّ اللهُ، فقد اتخذهم أربابًا؛ يعني: أشركهم مع اللَّه ﷻ؛ لأن التحليل والتحريم حق للَّه -جل وعلا-، لا يجوز لأحد أن يحلل ويحرم ويشرع إلا بدليل من كتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ١١٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [النحل: ١١٦-١١٧].

---

(١) تقدم.

فلا نطيع العلماء مطلقًا أصابوا أو أخطئوا، لكن نتبعهم إن أصابوا، ونتجنب خطأهم إذا أخطئوا، فنطيع من أطاع اللَّه، ونعصي من عصى اللَّه ﷻ، ونخالف خطأ من أخطأ ولو كان من غير قصد، هذا هو الدين الحق.

أما لو كنت لا تعلم أن هذا العالم مخطئ، فأنت معذور، أما من يقول: إذا كان أخطأ فخطأه عليه.

فنقول: هذا لا يجوز، ولا ينفعك هذا يوم القيامة، عليهم ما حُمِّلوا وعليك ما حُمِّلت، والفتاوى لا يُعتمد عليها إلا إذا كانت مبنية على دليل من كتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ، فمن كان يعلم أنها على غير دليل، فإنه يحرم عليه أن يأخذ بها، ومن كان يجهل هذا فهذا معذور، لكن يجب عليه التحري وزيادة التثبت.

* * *

إلحادهم في أسماء اللَّه وصفاته

المسألة الثامنة والثلاثون

الإِلحَادُ فِي الصِّفَاتِ؛ كَقَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٢] [٣٨].

---

[٣٨] **الصفات:** أي صفات اللَّه ﷻ التي أثبتها لنفسه، والإلحاد في اللغة معناه: الميل عن الاستقامة، والمراد به هنا: الميل في صفات اللَّه، ومن ذلك نفيها عنه ﷻ، فنفي الصفات إلحاد؛ لأنه ميل عن الحق، وانحراف عن الحق، فأهل الجاهلية يلحدون في صفات اللَّه، بمعنى أنهم يجحدونها وينفونها عن اللَّه، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٢].

حيث ظنوا أن اللَّه لا يعلم كثيرًا من أعمالهم، فنفوا صفة العلم عن اللَّه.

هذا وجه الشاهد من الآية؛ لأن العلم صفة عظيمة من صفات اللَّه سبحانه، فهو يعلم كل شيء، لا يخفى عليه شيء من أعمال عباده ومن غيرها ﴿يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [التغابن: ٤].

يعلم ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، فعلمه ﷻ شامل ومحيط بكل شيء، فمن ظن أنه لا يعلم بعض أعماله؛ فإنه يكون ملحدًا في صفات اللَّه، نافيًا لصفة العلم.

ثم قال -جل وعلا-: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ﴾ [فصلت: ٢٣]. أي: أوقعكم في الردى، وهو الهلاك ﴿فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾؛ فدل على أن من نفى صفة من صفات اللَّه ﷻ، أنه متشبه بأهل الجاهلية، ومتوعد بأشد الوعيد.

فعلى هذا يكون نفات الصفات -من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة

والماتردية- قد ورثوا هذه الخصلة القبيحة عن أهل الجاهلية، وأنهم متعرضون لهذا الوعيد الشديد، ولأنهم ظنوا باللَّه ظن السوء.

ومن الإلحاد في الصفات: تأويلها وصرفها عن معناها الصحيح إلى معنى باطل كتأويل الاستواء بالاستيلاء واليد بالقدرة وغير ذلك.

ومن الإلحاد فيها: تفويض معناها إلى اللَّه وجحد معناها الذي تدل عليها نصوصها.

* * *

الإلحاد في أسماء اللَّه تعالى

المسألة التاسعة والثلاثون

الإِلحَادُ فِي الأَسمَاءِ؛ كَقَولِهِ: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾ [الرعد: ٣٠] [٣٩].

---

[٣٩] أهل الجاهلية يلحدون في الصفات، ويلحدون في أسماء اللَّه ﷻ، فينفونها، كما قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾، والرحمن من أسمائه ﷻ، وذلك أن الرسول ﷺ لما أراد أن يكتب الصلح بينه وبين المشركين في الحديبية، فجاء سهيل بن عمرو، فقال: هات اكتب بيننا وبينكم كتابًا.

فدعا النبي ﷺ الكاتب، فقال النبي ﷺ: «**اكتب: بسم اللَّه الرحمن الرحيم**».

قال سهيل: أما الرحمن فواللَّه ما أدري ما هو[1].

قالوا: ما نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة -يعنون مسيلمة؛ لأن مسيلمة تسمى بالرحمن-، فأنزل اللَّه تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الرعد: ٣٠].

وكذلك لما كان النبي ﷺ في مكة، وكان يصلي ويدعو ويقول: يا ألله، يا رحمن، قال المشركون: انظروا إلى هذا الرجل، يزعم أنه يعبد إلهًا واحدًا، وهو يقول: يا ألله، يا رحمن، يعبد إلهين. فأنزل اللَّه تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ﴾ [الإسراء: ١١٠].

فأسماء اللَّه كثيرة، وتعدد الأسماء لا يدل على تعدد المسمى، وإنما يدل على عظمة هذا المسمَّى الذي تعددت أسماؤه.

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٢٧٣١، ٢٧٣٢).

فالشاهد: أن المشركين ينكرون أسماء اللَّه، فمن نفى أسماء اللَّه من الفرق الضالة كالجهمية، أو نفى معانيها وأثبت ألفاظها كالمعتزلة أو نفى بعض الصفات وأثبت بعضها كالأشاعرة؛ فإنه يكون وارثًا لأهل الجاهلية.

وقد قال اللَّه تعالى مثبتًا أسماءه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وقال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [طه: ٨].

وقال اللَّه تعالى: ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾.

والنبي ﷺ يقول: «**أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك**»(١).

فأسماء اللَّه كثيرة، منها ما أنزله في كتابه، وهذا كثير في القرآن، الرحمن، الرحيم، العزيز، الحكيم، الرءوف، التواب، الغفار...

وفي آخر سورة الحشر: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

فيجب الإيمان بأسماء اللَّه ﷻ، وقال ﷺ في الحديث الصحيح: «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا، من أحصاها دخل الجنة**»(٢).

والأدلة على أسماء اللَّه ﷻ كثيرة، فمن لم يؤمن بأسماء اللَّه؛ فإنه لا يؤمن باللَّه ﷻ.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٣٩١)، والحاكم (٢/ ١٨٩)، رقم (١٩٢٠)، وابن حبان في صحيحه (٢/ ١٦٠) رقم (٩٦٨)، وصححه الشيخ أحمد شاكر، حديث رقم (٣٧١٢).

(٢) أخرجه البخاري رقم (٢٧٣٦)، ومسلم رقم (٢٦٧٧).

جحود الرب ﷻ

المسألة الأربعون

التَّعطِيلُ، كَقَولِ آلِ فِرعَونَ [٤٠].

---

[٤٠] **التعطيل في الأصل**: إخلاء الشيء، يقال: عطل المكان، إذا أخلاه، ويقال: امرأة عاطل؛ يعني: خالية من الحلي، فالتعطيل هو: إخلاء الشيء عن غيره.

والمراد به هنا: إخلاء الكون عن خالقه، ونفي أن يكون هناك خالق لهذا الكون، وإنما وجد نتيجة الطبيعة كما يقولون.

وإمام المعطلة هو فرعون، حيث يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ [القصص:٣٨]. ولكن هذا من باب المكابرة والعناد.

وفي الآية الأخرى يقول: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗا﴾ [غافر:٣٦-٣٧].

﴿فَأَوۡقِدۡ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجۡعَل لِّي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [القصص:٣٨]. هذا هو التعطيل.

والفِطَرُ والعقول تدل على كذب هذا القول؛ لأنه لا يمكن وجود مخلوق بدون خالق، ولا يوجد فعل بدون فاعل أبدًا ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ٣٥ أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ [الطور:٣٥-٣٦]. ما أجابوا على شيء من هذا.

فلا هم خلقوا غيرهم، ولا هم خلقوا أنفسهم، ولم يوجدوا من غير خالق، لابد أن يكون خالق، وإذا كان هناك خالق: هل هم هذا الخالق؟

هل هم خلقوا أنفسهم؟

هل أصنامهم خلقت شيئًا من السموات والأرض؟ حاشا وكلا، فالعقول والفطر تكذب هذا القول.

وفي الآخرة الأخرى تحداهم وقال: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣]. فلم يجيبوا.

* * *

وصف اللَّه بالنقص

المسألة الحادية والأربعون

نِسبَةُ النَّقَائِصِ إِلَيهِ سُبحَانَهُ؛ كَالوَلَدِ وَالحَاجَةِ وَالتَّعَبِ مَعَ تَنزِيهِ رُهبَانِهِم عَن بَعضِ ذَلِكَ [٤١].

---

[٤١] النقائص ضد الكمالات، ونسبة النقائص إلى اللَّه ﷻ هضم لربوبيته، وذلك كنسبة الولد إليه؛ لأن الوالد يحتاج إلى الولد وهو يشبهه، فاليهود قالوا: عزير ابن اللَّه، والنصارى قالوا: المسيح ابن اللَّه، ومشركو العرب قالوا: الملائكة بنات اللَّه، مع أن النصارى ينزهون أحبارهم عن الأولاد والزوجات؛ لأن هذا نقص في حقهم، فهم لا ينزهون اللَّه عما ينزهون عنه رهبانهم!

كذلك العرب، كانوا يكرهون البنات، وينسبونها إلى اللَّه، فينسبون إلى اللَّه ما يكرهونه لأنفسهم، ويعتبرونه عيبًا ونقصًا ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ [النحل: ٥٧].

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ [النحل: ٦٢].

ومما يذكر أن عالمًا من علماء المسلمين ذهب برسالة إلى أحد ملوك الروم، فلما دخل عليه قال له: كيف الزوجة والأولاد؟ فغضب الحاضرون؛ كيف يصف رئيسهم بأن له زوجة وأولادًا؟

فقال لهم: أنتم تنزهون رئيسكم عن الزوجة والولد، وتنسبونهما إلى اللَّه ﷻ؟! ولا تنزهونه فبذلك أفحمهم، وخصمهم بهذا، وأخجلهم غاية الخجل.

* * *

الشرك في الملك

المسألة الثانية والأربعون

الشِّرْكُ فِي المُلكِ كَقَوْلِ المَجُوسِ [٤٢].

---

[٤٢] **من مسائل أهل الجاهلية**: الشرك في الملك، كقول المجوس منهم.

والمجوس: طائفة من البشر في بلاد فارس، يعبدون النيران ويقولون: إن هذا الكون له خالقان، النور والظلمة، فالنور خلق الخير، والظلمة خلقت الشر، ولهذا سُمُّوا بالثانوية، وهذا شرك في الربوبية.

وفي مذهبهم: جواز نكاح المحارم.

ومن مذهبهم: الاشتراك في الأموال والزوجات، فلا يرون لأحد تملكًا خاصًّا فيشتركون في النساء، ويشتركون في الأموال، وعليه الشيوعية في الوقت الحاضر والاشتراكية.

وهذا مذهب باطل مناقض للأديان والفطر، فخالق الكون واحد أحد، فرد صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد.

وقد أباح الملكية الفردية، وحرَّم نكاح المحارم.

* * *

جحودهم لقدر اللَّه

المسألة الثالثة والأربعون

جُحُودُ القَدَرِ[٤٣].

---

[٤٣] **القدر هو**: علم اللَّه بالأشياء، وتقديره لها -جل وعلا- قبل وقوعها، وكتابتها في اللوح المحفوظ، ثم خلقه لها.

والإيمان بذلك ركن من أركان الإيمان الستة، قال ﷺ: «**الإيمان: أن تؤمن باللَّه، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»(١).

وقال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

والقدر من أفعال اللَّه ﷻ، ولا يقع شيء في ملكه إلا وقد قدَّره وشاءه سبحانه، وذلك أن اللَّه عَلِمَ ما كان وما يكون، بعلمه الأزلي الذي هو موصوف به أزلًا وأبدًا، ثم كتب ذلك في اللوح المحفوظ، قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد: ٢٢]. أي: نخلقها.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾، والنبي ﷺ يقول: «**واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك**»(٢)، «**رفعت الأقلام وجفت الصحف**»(٣).

فلا يكون شيء إلَّا بمشيئة اللَّه ﷻ، ولا يحصل شيء إلَّا واللَّه خالقه ﴿ٱللَّهُ

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٥٠)، ومسلم رقم (١٠).

(٢) أخرجه أبو داود (٥/ ٥١-٥٢) رقم (٤٦٩٩، ٤٧٠٠)، وابن ماجه (١/ ٥٩-٦٠) رقم (٧٧).

(٣) جزء من حديث وصية رسول اللَّه ﷺ لابن عباس: «**يا غلام، إني معلمك كلمات...**». أخرجه أحمد (١/ ٢٩٣)، وصححه الشيخ أحمد شاكر، رقم (٢٦٦٩).

خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]. خلق الخير وخلق الشر، وقدَّر الخير وقدَّر الشرَّ، وهذا ما يسمَّى: مراتب الإيمان بالقدر:

أولًا: الإيمان بأن اللَّه علم كل شيء.

ثانيًا: أن اللَّه كتب كل شيء في اللوح المحفوظ.

ثالثًا: الإيمان بأن اللَّه شاء كل شيء يقع في هذا الكون، فلا يقع شيء إلا بمشيئته ﷻ.

رابعًا: الإيمان بأن اللَّه خالق كل شيء، وهو على كل شيء وكيل.

هذا هو الإيمان بالقدر.

والجاهلية كانوا ينكرون القدر، والدليل على ذلك: ثلاث آيات في القرآن:

الأولى: في سورة الأنعام: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

والثانية: في سورة النحل: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ﴾ [النحل: ٣٥].

والثالثة: في سورة الزخرف: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم﴾ [الزخرف: ٢٠].

والعلماء في تفسير هذه الآيات على قولين:

القول الأول: أن المراد بقولهم: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ١٤٨]. نفي القدر.

يقولون: لو كان للَّه مشيئة ما تركنا نعمل هذه الأشياء، فقصدهم نفي القدر، وأنهم هم الذين يفعلون هذه الأشياء بدون مشيئة اللَّه ﷻ، فنفوا القدر، وأضافوا هذه الأفعال إلى أنفسهم واستقلالهم، فيكون هذا نظير مذهب المعتزلة تمامًا؛ لأنهم يقولون: ليس للَّه مشيئة في الكفر والإيمان والخير والشر، وإنما هذا من صنع العباد.

فيكون المعتزلة قالوا بقول أهل الجاهلية.

القول الثاني: أن المراد بقولهم: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾؛ أي: أن اللَّه -جل وعلا- راضٍ عن أفعالنا هذه؛ لأنه لو لم يرضَ، لم يتركنا نعمل هذا، فيكونون يؤمنون بالقدر، لكن يحتجون به على تسويغ كفرهم، بل يبلغ الأمر إلى أن يقولوا: إن هذا طاعة للَّه؛ لأن اللَّه شاء، ونحن أطعنا مشيئته وأطعنا قدره.

فالقول الثاني -وهو الاحتجاج بالقدر على فعلهم القبيح، وأن اللَّه شاء ذلك منهم- هو قول الجبرية، حيث أثبتوا القدر واحتجوا به على استحسان أفعالهم القبيحة، ويقولون: إن العبد مجبر على أفعاله؛ فهم ورثة أهل الجاهلية في هذا.

فالآيات تدل على أحد معنيين، إما نفي القدر، وإما إثبات القدر والاحتجاج به على اللَّه ﷻ، فرد اللَّه عليهم بقوله: ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ﴾ [الأنعام: ١٤٨]؛ أي: ما هي الحجة على هذا القول -وهو أن اللَّه لم يشأ هذا الكفر-؟ وهذه الأفعال.

وعلى التفسير الثاني: ما هي الحجة على أن اللَّه رضي لكم هذه الأفعال، وهذا الكفر، وهذا الشرك، وهذه الفواحش؟

ما دليلكم أن اللَّه رضيها؟ أين الدليل؟

﴿هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٨-١٤٩].

اللَّه -جل وعلا- يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، لحكمة منه ﷻ، ويعلم من يستحق الهداية، ويعلم من لا يستحق الهداية، فلا يضع الهداية إلا في موضعها الصحيح اللائق بها.

ورد عليهم بأنه لو كان راضيًا بأفعالهم لما بعث الرسل بإنكار الشرك، والأمر بالتوحيد: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟

ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

فلو كان راضيًا بعبادة الطاغوت وراضيًا بالكفر والشرك -على زعمكم- لما أرسل الرسل تنهى عن ذلك، فدل هذا على أنه لا يرضى الكفر ولا الشرك ولا المعاصي والمخالفات، بل يبغضها وينكرها ﷻ.

فلا يلزم من تقديرها أن اللَّه يحبها.

وكذلك في سورة الزخرف رد عليهم بقوله: ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الزخرف: ٢٠].

وبقوله: ﴿هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

فهم يتقوَّلون على اللَّه ﷻ ما لا يعلمون، وهذه الأمور لا يجوز الكلام فيها إلا بدليل من الشارع، دليل من كتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ، ولا يعتمد فيها على العقول والأفكار والآراء.

* * *

الاعتذار عن كفرهم بأن اللَّه قدَّره عليهم

المسألة الرابعة والأربعون

الاحتِجَاجُ عَلَى اللَّه بِهِ [٤٤].

---

[٤٤] أي: الاحتجاج على اللَّه ﷻ بالقدر، وأنهم معذورون في كفرهم ومعاصيهم؛ لأن اللَّه قدَّر ذلك عليهم.

واللَّه -جل وعلا- ما ترك لهم حجة، بل إنه أعطاهم الاختيار، وأعطاهم القدرة، وأعطاهم المشيئة، وبيَّن لهم طريق الخير، وبيَّن لهم طريق الشر، وأعطاهم إمكانيات يستطيعون بها أن يفعلوا أو يتركوا، وليسوا مجبرين على ما يفعلون، وأيضًا اللَّه بيَّن أنه لا يرضى لعباده الكفر، قال تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧].

وإن كان قدَّره وشاءه فليس من لازم القدر الرضا، فاللَّه يقدر الكفر وهو يبغضه؛ من أجل أن يتميز الناسُ بعضهم من بعض، ويتميز الصادق من الكاذب، ويتبين المؤمن من الكافر، ويتبين المنافق من المؤمن الصحيح، فاللَّه قدَّر هذه الأمور المكروهة لحكمة منه سبحانه، ما قدرها عبثًا، ورتَّب الجزاء على أفعالهم التي يفعلونها باختيارهم.

ولذلك المجنون والمعتوه والمكره والنائم، لا يؤاخذون؛ لأنهم ليس عندهم اختيار، وليس عندهم عقل، مهما فعل لا يؤاخذ.

فمن أعطاه اللَّه العقل والتفكير، ولم يكن مكرهًا على فعله، فإنه يؤاخذ؛ لأنه أقدم على الشر باختياره، فالزاني يزني باختياره، وتارك الصلاة يتركها باختياره، وعنده القدرة أنه يقوم يصلي، والزاني أيضًا بُيِّن له أن الزنا حرام، وعواقبه وخيمة، ورتَّب اللَّه على الزنا حدًّا رادعًا، وأرسل الرسل تنهى عن الشرك والكفر، فكيف يحتجون على اللَّه -جل وعلا- على معاصيهم وكفرهم

وشركهم وضلالهم؟ وهم ليس لهم حجة على اللَّه، إنما الحجة للَّه عليهم ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ [الأنعام: ١٤٩].

فلا يجوز الاحتجاج بالقدر إلا على المصائب، إذا أصابك مصيبة فلا تجزع، وقل: هذا قَدَرُ اللَّه، وما شاء فعل، وتصبر وتحتسب.

أما المعصية فلا يحتج عليها بالقدر، بل على العاصي أن يتوب إلى اللَّه، وتجنُّب المعاصي والشرور، فالاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي هو من فعل الجاهلية.

* * *

دعواهم التناقض بين شرع اللَّه وقدره

المسألة الخامسة والأربعون

مُعَارَضَةُ شَرعِ اللَّه بِقَدَرِهِ [٤٥].

---

[٤٥] هذه المسألة أيضًا تتعلق بالقدر؛ لأن هناك من يعارضون شرع اللَّه بقدره، ويقولون: كيف يقدر اللَّه الكفر والإيمان، ثم يشرع لعباده الشرائع والأوامر والنواهي، مع أنها لا فائدة منها إذا كانت الأمور مقضية ومقدَّرة، فإن الناس يعتمدون على القدر؟

وهذه من أخطر مسائل الجاهلية، ويتبعها كل من سلك هذا المسلك إلى يوم القيامة ممن يزعمون أن بين الشرع والقدر معارضة، وهذا مذهب باطل، فلا معارضة بين الشرع والقدر أبدًا، فاللَّه قدَّر الشرك والمعاصي والكفر، ونهى عن ذلك، وشرع الإيمان والاستقامة والصلاح، ولا معارضة بينهما؛ لأن العباد هم الذين يفعلون هذه الأفعال باختيارهم وإرادتهم ومشيئتهم.

فالفعل منسوب إليهم، ولذلك يعاقبون على المعاصي، ويثابون على الطاعات، وإن كانت مقدرة من اللَّه ﷻ، فإنهم إنما يجازون على فعالهم لا على القدر.

ولمَّا بيَّن النبي ﷺ لأصحابه وقال: «**ما منكم من أحد إلا ومقعده معلوم من الجنة أو النار.**

قالوا: يا رسول اللَّه، ألا نتكل على كتابنا ونترك العمل؟

قال ﷺ: **اعملوا، فكل ميسر لما خُلق له**»[1].

فأنزل اللَّه تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٤٩٤٥، ٤٩٤٧)، ومسلم رقم (٢٦٤٧).

﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ⑧ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ⑨ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ﴾ [الليل: ٥-١٠].

فالعبد يعمل من جانبه الخير، ويتجنب الشر، وأما القدر فهو سر اللَّه ﷻ، لا تبحث فيه؛ لأنه لا يعنيك، ولن تصل إلى نتيجة.

وقد تلخَّص من هذه المسائل: أن الناس في القدر مع الشرع، انقسموا إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: من يثبت القدر، وينفي الشرع، وهم الجبرية.

القسم الثاني: من يثبت الشرع، وينفي القدر، وهم القدرية.

القسم الثالث: من يثبت الشرع والقدر، ويزعم أن بينهما تناقضًا، وهم المشركون.

القسم الرابع: من يثبت الشرع والقدر، وينفي عنهما التناقض، وهم أهل السنة والجماعة.

* * *

نسبتهم الحوادث إلى الدهر ومسبتهم له

المسألة السادسة والأربعون

مَسَبَّةُ الدَّهرِ كَقَولِهِم: ﴿وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ﴾ [الجاثية: ٢٤] [٤٦].

---

[٤٦] الذين ينسبون الحوادث إلى الدهر هم الدهرية، وذلك أنهم إذا حلَّ بهم مكروه فإنهم ينسبونه إلى الدهر، ويذمون الدهر من أجل ذلك.

والواجب أن تنسب الأشياء إلى الخالق ﷻ، والدهر إنما هو وقت مخلوق من مخلوقات اللَّه، ليس عنده تصرف، وقد أنكر اللَّه سبحانه على من يسند الحوادث إلى الدهر بقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ﴾ [الجاثية: ٢٤]؛ لأن هذا إنكار للآخرة وإنكار للبعث.

﴿نَمُوتُ وَنَحۡيَا﴾ يموت ناس ويحيا ناس، ويقولون: رحم تدفع وأرض تبلع، ويقولون: هذه طبيعة الحياة.

﴿وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ﴾ ينسبون الهلاك إلى الدهر، فسبب الموت عندهم مرور الليالي والأيام، وليس هناك آجال مقدرة، ولا هناك مَلَك يقبض الأرواح عند انتهاء آجالها.

وقد نهى النبي ﷺ عن سب الدهر فقال: «**لا تسبوا الدهر؛ فإن اللَّه هو الدهر**»(١)؛ يعني: أن اللَّه خالق الدهر، وأنَّ ما يجري في الدهر هو بتقدير اللَّه.

وفي الحديث القدسي يقول اللَّه تعالى: «**يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر، وأنا الدهر، بيدي الأمر أقلب الليل والنهار**»(٢).

---

(١) بوَّب البخاري في كتاب الأدب من صحيحه بابًا وسمَّاه: باب: «**لا تسبوا الدهر**». وأخرج فيه الحديث التالي، وأخرجه مسلم رقم (٢٢٤٦/ ٥) واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري رقم (٤٨٢٦، ٦١٨١، ٧٤٩١)، ومسلم رقم (٢٢٤٦).

فإذا سببت الدهر فقد سببت خالق الدهر ﷻ، وهذا مما يؤذي الرب ﷻ؛ لأن الذم يقع على اللَّه؛ لأنه هو مصرِّف الأمور، ومقدِّر الآجال والمصائب وكل شيء، وأما الدهر فإنه زمان مخلوق للَّه ﷻ.

فيجب على المسلمين أن يتجنبوا هذا، وإذا أصابهم شيء فإنهم يحاسبون أنفسهم، ويعترفون بذنوبهم: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ [الشورى: ٣٠].

فينبغي أن يذم الإنسان نفسه ويلومها ولا يذم الدهر.

* * *

كفرهم بنعم الله

المسألة السابعة والأربعون

إِضَافَةُ نِعَمِ اللَّه إِلَى غَيرِهِ كَقَولِهِ: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ [النحل: ٨٣] [٤٧].

---

[٤٧] إضافة النعم إلى غير اللَّه ﷻ شرك باللَّه وكفر به، وهو من عمل أهل الجاهلية، قال اللَّه تعالى فيهم: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [النحل: ٨٣].

قيل: معنى الآية: يعرفون الرسول ﷺ ورسالته، ثم ينكرون ذلك؛ عنادًا واستكبارًا، مع أنهم في قرارة أنفسهم يعلمون أنه رسول اللَّه، كما قال تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣].

فهم يعرفون نعمة اللَّه بإرسال الرسول، فالرسول ﷺ هو أكبر نعمة على البشرية، ثم يكفرون بهذا الرسول ﷺ، ويعاندونه، هذا قول في تفسير الآية.

والقول الثاني: أنهم يعرفون نعم اللَّه عليهم التي ذكرها في هذه السورة - أي: سورة النحل- ثم ينكرونها، بمعنى أنهم ينسبونها إلى غير اللَّه، ينسبونها إلى حولهم وقوتهم، وكدّهم وكسبهم، كما قال قارون: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص: ٧٨]. أي: أنا حصَّلته بخبرتي ومهارتي وكسبي فيجحد نعمة اللَّه عليه.

وكذلك غير قارون، فاللَّه -جل وعلا- ذكر أن الإنسان إذا أنعم اللَّه عليه نعمة قال: هذا لي؛ أي: هذا أستحقه، وأنا محقوق به، ليس من اللَّه، وينسب ما يحصل عليه من الخير إلى نفسه، ولا يقول هذا بفضل اللَّه وبرحمته.

* * *

كفرهم بآيات اللَّه جملة

المسألة الثامنة والأربعون

الكُفرُ بِآيَاتِ اللَّه [٤٨].

---

[٤٨] **من مسائل أهل الجاهلية**: الكفر بآيات اللَّه التي أنزلها على رسله في التوراة والإنجيل والزبور والقرآن، وغيرها من الكتب المنزلة، وقد توعد اللَّه من فعل ذلك فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأعراف: ٤٠].

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى﴾ [العنكبوت: ٢٣].

وغير ذلك من الآيات التي تذكر أن الكفار يكفرون بآيات اللَّه ﷻ، ويعارضونها بعقولهم الفاسدة، وبشبههم الباطلة، وهذا يَنْجَرُّ إلى كل من كذَّب بآية من آيات اللَّه، أو بحديث صحيح عن رسول اللَّه ﷺ، فإنه من آيات اللَّه؛ لأنه وحي من اللَّه ﷻ.

فالذي يكذب ببعض الأحاديث الصحيحة، كما يفعله بعض المغرورين والمثقفين، إذا لم توافق أفكارهم وعقولهم، وكما عليه العقلانيون، كل هذا من التكذيب بآيات اللَّه ﷻ.

والواجب على المؤمن أن يؤمن بآيات اللَّه، وأن يصدِّق بها، وأن يعمل بها؛ لأنها حق لا يعتريه الباطل ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]. لا يتطرق إليها شك ولا ريب.

* * *

كفرهم ببعض آيات الله

المسألة التاسعة والأربعون

جَحدُ بَعضِهَا [٤٩].

---

[٤٩] أهل الجاهلية متفاوتون في التكذيب بآيات اللَّه، منهم من يكذب بآيات اللَّه كلها ولا يؤمن بكتاب من كتب اللَّه، كما عليه المشركون الذين لا يؤمنون بالأنبياء جملة وتفصيلًا، ومن باب أولى لا يؤمنون بالكتب المنزَّلة من عند اللَّه ﷻ.

ومن أهل الجاهلية من يؤمن ببعض ويكفر ببعض كاليهود والنصارى، ومن آمن ببعض الكتاب وكفر ببعضه فإنه: مثل من كذب به كله، قال ﷻ: ﴿أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ﴾ [البقرة: ٨٥] الآية.

فهم لا يؤمنون إلا بما يوافق أهواءهم، وما خالف أهواءهم كذَّبوا به، فلا ينفعهم الإيمان ببعض الكتاب إذا كفروا بالبعض الآخر، ولو آية، ولو كلمة من القرآن، لا ينفعهم ذلك.

ومنهم من يقول: إن القرآن مخلوق، لفظه ومعناه أو: إنَّ ألفاظه مخلوقة دون معناه، كالأشاعرة، وهذا تكذيب بالقرآن، فمن قال: القرآن مخلوق لفظه ومعناه، كما تقول الجهمية، أو قال: إن لفظه مخلوق، وأما معناه فمن اللَّه، فهذا أيضًا كفر؛ إلا أن يكون صاحبه مقلدًا أو متأولًا فيكون ضلالًا؛ لأن القرآن كلام اللَّه -جل وعلا-، لفظه ومعناه، حروفه ومعانيه، كله كلام اللَّه ﷻ، ليس كلام اللَّه الحروف دون المعاني ولا المعاني دون الحروف.

* * *

جحودهم إنزال الكتب على الرسل

المسألة الخمسون

قَولُهُم: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٩١] [٥٠].

---

[٥٠] قالت اليهود: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٩١].

ومعناه: إنكار الرسالات كلها، وإنكار الوحي كله، والذي حملهم على ما قالوه: الحسد لمحمد ﷺ، فرد اللَّه تعالى عليهم بقوله: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [الأنعام: ٩١]؛ أي: ما دمتم تقولون الكتاب الذي مع موسى من عند اللَّه، وموسى بشر، فلماذا تقولون: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾. فهذا تناقض من اليهود -لعنهم الله- حملهم عليه الحسد، حتى كَذَّبوا بالرسل كلهم، وبالكتب كلها، من أجل محمد ﷺ، ومن أجل القرآن، نسأل اللَّه العافية.

فانظروا ما يفعل الحسد بأهله؟ ومثله قول الجهمية: إن القرآن لم ينزل من عند اللَّه.

وقول من قال: إن السنة ليست وحيًا من اللَّه، وإنما هي من اجتهاد الرسول.

* * *

وصفهم للقرآن بأنه من كلام البشر

المسألة الحادية والخمسون

قَولُهُم فِي القُرآنِ: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٥] [٥١].

---

[٥١] **من مسائل أهل الجاهلية:** أنهم يقولون: إن القرآن قول البشر، كما قاله الوليد بن المغيرة.

والقرآن كلام اللَّه ﷻ، تكلم اللَّه به حقيقة وأوحاه إلى نبيه محمد ﷺ بواسطة جبريل، فهو كلامه حقيقة، وسماه كلامه في آيات كثيرة، مثل قوله:

﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥].

وهذا هو اعتقاد أهل السنة والجماعة وأتباع الرسول ﷺ.

والمشركون يعرفون أنه كلام اللَّه، وأنه ليس من كلام محمد؛ لأنه لو كان من كلام محمد لكان باستطاعتهم أن يقولوا مثله؛ لأن محمدًا ﷺ بشر مثلهم، فلو كان من كلامه كان باستطاعتهم أن يحاكوه، واللَّه -جل وعلا- تحدَّاهم، أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور من مثله، أو بسورة واحدة مثله، فلم يأتوا بشيء من ذلك، مع كفرهم وعنادهم وحرصهم على مشاقة اللَّه ورسوله.

فلو كان باستطاعتهم أن يأتوا بسورة من مثله لما تأخروا، ولكن عجزوا عن ذلك، فدل ذلك على أنه كلام اللَّه -جل وعلا-، لا كلام غيره، لا كلام جبريل ولا كلام محمد، وإنما هو كلام اللَّه، وإنما جبريل ومحمد -عليهما الصلاة والسلام- مبلغان عن اللَّه -جل وعلا- كلامه بأمانة والكلام يضاف إلى من قاله مبتدئًا لا إلى من قاله مبلغًا مؤديًا.

والكفار يكابرون، تارة يقولون: القرآن سحر، وتارة يقولون: إنه تعلمه

محمد ﷺ من علماء أهل الكتاب، وينوعون الأقوال؛ مما يدل على كذبهم في هذا وتخرصاتهم.

فالذي يعتقد أن القرآن كلام محمد، وأنه قول البشر، فقوله هذا هو قول أهل الجاهلية، كما عليه الجهمية والمعتزلة ومن شابههم، ممن يقولون: إن القرآن ليس كلام اللَّه، وإنما خلقه اللَّه -جل وعلا- في جبريل، أو في محمد، أو في اللوح المحفوظ، أو غير ذلك من الأقوال الباطلة التي هي من جنس قول الجاهلية.

* * *

نفيهم الحكمة عن أفعال اللَّه

المسألة الثانية والخمسون

القَدحُ فِي حِكمَةِ اللَّه تَعَالَى[٥٢].

---

[٥٢] اللَّه -جل وعلا- وصف نفسه بالحكمة، وأنه حكيم.

والحكمة: وضع الشيء في موضعه، فالحكيم هو: الذي يضع الأشياء في مواضعها اللائقة بها.

واللَّه -جل وعلا- وصف نفسه بالحكمة وأنه حكيم، وأن له الحكمة البالغة.

وكذلك المخلوقات كلها مبنية على الحكمة، ما خلق اللَّه شيئًا إلا لحكمة، ما خلق اللَّه شيئًا عبثًا، خلق السموات لحكمة، وخلق الأرضين لحكمة، وخلق الأشجار لحكمة، وخلق البحار والحياة لحكمة، وخلق الجبال لحكمة، وخلق العوالم الجن والإنس والبهائم والحشرات، كل شيء خلقه اللَّه لحكمة.

وإذا تدبرت إتقان المخلوقات ونتائجها عرفت حكمة اللَّه -جل وعلا-، وأن خالقها حكيم ذو حكمة بالغة ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠].

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [ص: ٢٧].

واللَّه -جل وعلا- حكيم في خلقه، وحكيم في أمره ونهيه وتشريعه، لا ينهى عن شيء إلا وفيه مضرة خالصة أو راجحة، ولا يأمر بشيء إلا وفيه مصلحة خالصة أو راجحة.

ومن حكمته ﷻ: أنه يحاسب الخلائق، فيجازي المحسن بإحسانه، ويجازي المسيء بإساءته، ولا يترك الناس بدون جزاء كل يعمل ثم لا يجازى،

هذا يخالف الحكمة، ولهذا يقول -جل وعلا-: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ [الأنبياء: ١٦].

ويقول ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [ص: ٢٧].

ويقول -جل وعلا- ردًّا على الذين ينكرون البعث: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦]؛ يعني: لا يُؤمر ولا يُنهى ولا يُجازى؟!

وأهل الجاهلية ينكرون حكمة اللَّه ﷻ في خلقه وأمره، والمعتزلة والأشاعرة ينفون الحكمة في أفعال اللَّه ﷻ.

فالأشاعرة يقولون: اللَّه لا يفعل لحكمة، وإنما يفعل لمشيئة مجردة فقط، لا لحكمة؛ لأن الحكمة معناها: أنه يعمل لغرض، واللَّه منزَّه عن الأغراض، ولأن الحكمة تؤثر عليه فيكون خلقهم من أجل هذه العلة، واللَّه -جل وعلا- يفعل ما يشاء بمجرد المشيئة والإرادة فقط، لا لحكمة.

فينفون الحكمة في أفعال اللَّه وفي شرعه؛ تنزيهًا للَّه -بزعمهم- عن الأغراض، ولهذا يقولون: يجوز أن يأمر اللَّه بالكفر والفسق والمعاصي، وينهى عن الطاعة وعن إقامة الصلاة وعن صلة الأرحام وعن فعل الخير؛ لأن هذا راجع لمشيئته، فيجوز أن يأمر بالشر وينهى عن الخير؛ لأنه يفعل ما يشاء.

ونقول لهم: نعم، يفعل ما يشاء سبحانه، لكنه لا يفعل شيئًا إلا لحكمة.

ويقولون: يجوز أن يدخل اللَّه الكافر الجنة، وأن يدخل المؤمن التقي النار؛ لأن هذا راجع إليه، فلا تحكمه العلل.

ونقول: هذا كلام باطل لا يليق بحكمة اللَّه ﷻ، فاللَّه -جل وعلا- يقول:

﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨].

ويقول: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١].

فالذين قالوا هذه المقالة وصفوا اللَّه بالسوء والجور، تعالى اللَّه عن ذلك.

فهذا هو مذهب أهل الجاهلية ونفاة الحكمة من الأشاعرة ونحوهم، نسأل اللَّه العافية.

* * *

تحيلهم لإبطال شرع الله

المسألة الثالثة والخمسون

إِعمَالُ الحِيَلِ الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ فِي دَفعِ مَا جَاءَت بِهِ الرُّسُلُ؛ كَقَولِهِ تَعَالَى عنهم: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤].

وَقَولِهِ: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ﴾ [آل عمران: ٧٢] **[٥٣]**.

---

[٥٣] من أعمال أهل الجاهلية من الكتابيين والأميين: إعمالهم الحيل في تغيير شرع الله ﷻ؛ للتخلص منه وإنفاذ كفرهم وضلالهم؛ لأنهم لا يقدرون على المصارحة، فصاروا يلجئون إلى حيل خفية ماكرة، ومن ذلك: قوله تعالى عنهم: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٤].

والمكر هو: إيصال المكروه بطريقة خفية، واليهود حين أرادوا قتل المسيح عيسى بن مريم عليه السلام؛ لأن عادتهم قتل الأنبياء، فأرادوا أن يقتلوا المسيح عليه السلام، فذهبوا إلى ملك كافر وثني فقالوا له: إن هذا الرجل سيغير حكمك إن تركته، فأرسل هذا الملك جماعة لقتل المسيح، ودخلوا عليه في مكانه يريدون قتله، ولكن الله -جل وعلا- مكر لنبيه، فألقى شبه المسيح على رجل من أتباعه قدم نفسه لذلك يريد الأجر من الله، حتى صار كأنه المسيح، فأخذوه وقتلوه وصلبوه على الخشبة، يظنون أنه المسيح، ورفع الله المسيح إليه من بينهم وهم لا يشعرون؛ ولهذا يقول -جل وعلا-: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧].

هذا معنى قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤].

وهذا من باب المقابلة والمجازاة، وهو عدل منه ﷻ، بخلاف مكر المخلوق فإنه ظلم؛ لأنه بغير حق.

وقال تعالى: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ﴾ [آل عمران: ٧٢].

وهذا من مكر اليهود أيضًا، لما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، وظهر أمر الله ﷻ، وانتصر على المشركين في غزوة بدر، يوم الفرقان، ولما عجز اليهود عن صد الناس عن دين محمد ﷺ، لجئوا إلى حيلة ومكر، فقال جماعة منهم: أسلموا في أول النهار، وإذا صار آخر النهار ارتدوا عن الإسلام، وقولوا: ما وجدنا في دين محمد صلاحية؛ فإن الناس سيتبعونكم؛ لأنكم أهل كتاب، ويقولون: لولا أنهم ما وجدوا صلاحية في دين محمد لما خرجوا منه، فيقلدونكم.

فكشف اللهُ خطتهم بقوله: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ﴾؛ يعني: أول النهار، فوَجْهُ الشيء: أوَّله ومقدَّمه.

وكل من لجأ إلى الحيل لتغيير شرع اللَّه، والإضرار بأوليائه، فإنه على طريقة أهل الجاهلية، وكل من صانع أهل السنة وأهل التوحيد للوصول إلى غرض من أغراضه الدنيئة، فهو على طريقة أهل الجاهلية.

* * *

الإقرار بالحق؛ للتوصل إلى دفعه

المسألة الرابعة والخمسون

الإِقرَارُ بِالحَقِّ لِيَتَوَصَّلُوا بِهِ إِلَى دَفعِهِ كَمَا قَالَ فِي الآيَةِ [٥٤].

---

[٥٤] مما عليه أهل الجاهلية: الإقرار بالحق، لا اقتناعًا به، وإنما ليتوصلوا إلى دفعه، مثل ما حصل من اليهود في قولهم: ﴿ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [آل عمران: ٧٢]. وسبق بيان ذلك.

وهذه مكيدة لا تزال تحاك للمسلمين ممن يندسُّون في صفوفهم من أعدائهم، ويتظاهرون بقبول الحق، يريدون قلب الإسلام وإفساد الإسلام، وهذا وقع في عصر النبي ﷺ، وهو مستمر إلى وقتنا هذا، وإلى أن يشاء اللَّه -جل وعلا-، يندسُّ أناس من أعداء الإسلام ويتظاهرون بالإسلام من أجل إفساد الإسلام، ومن أجل بَثِّ الشُّبَه بين المسلمين وتفريق الكلمة، وإلقاء العداوة بين المسلمين وتقطيعهم إلى أحزاب وإلى جماعات، وهذا من كيد الأعداء ومكرهم.

فيجب على المسلمين أن يتنبهوا لهذا المكر الخبيث، وألا يمنحوا الثقة لكل ما هبَّ ودبَّ، بل عليهم أن يجرِّبوا الناس تجربة صادقة، ويختبروهم اختبارًا دقيقًا، فإذا ثبت صدقهم منحوهم الثقة.

* * *

تعصبهم لِمَا هم عليه من الباطل

المسألة الخامسة والخمسون

التَّعَصُّبُ لِلمَذهَبِ؛ كَقَولِهِ فِيهَا: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ [آل عمران: ٧٣] [٥٥].

---

[٥٥] التعصب الممقوت للشيء هو: التمسك به، مع العلم ببطلانه.

ومن مسائل أهل الجاهلية: التعصب للمذهب الباطل، ولهذا قالت اليهود: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ [آل عمران: ٧٣].

وفي الآية الأخرى: ﴿نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ [البقرة: ٩١]؛ أي: على أنبيائنا فقط، والواجب أن يؤمنوا بما أنزل اللَّه على أنبيائهم، وعلى غيرهم من الأنبياء، مع أنهم لا يؤمنون بما أنزل على أنبيائهم، ولهذا قال: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: هل فيما أنزل اللَّه عليكم قتل الأنبياء الذي تفعلونه؟

ومن ذلك: تعصُّب أتباع المذاهب لمذاهبهم من غير دليل، فالواجب على المسلمين عمومًا -وعلى طلبة العلم- أن يتبعوا الحق، سواء كان في مذهبهم، وفي مذهب غيرهم، فنحن لا نأخذ المذهب بكل ما فيه من إصابة وخطأ، بل نأخذ الصواب ونترك الخطأ.

فإذا كنت حنبليًّا ورأيت الصواب في مسألة من المسائل مع المالكي، أو مع الحنفي، أو مع الشافعي، خذ بقول المالكي أو الشافعي أو الحنفي، وإن كان خلاف مذهبك؛ لأن هدفك الحق، والعبرة بما قام عليه الدليل، هذا هو الواجب، هذا إن كنت من أهل العلم، أما إذا كنت لست من أهل العلم؛ فعليك أن تسأل أهل العلم الموثوقين، فما أفتوك به أخذت به، هذا هو طريق الصواب، أما التعصب للمذهب، سواء كان حقًّا أو باطلًا، فهذا من أمور الجاهلية، كما ذكر اللَّه عن اليهود.

تسميتهم التوحيد شركًا

المسألة السادسة والخمسون

تَسمِيَةُ اتِّبَاعِ الإِسلَامِ شِركًا كَمَا ذَكَرَهُ فِي قَولِهِ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٧٩] **الآيَة[٥٦].**

---

[٥٦] **من مسائل أهل الجاهلية:** تسمية التوحيد واتباع الحق: شركًا، وهذا من قلب الحقائق، أن يسموا التوحيد شركًا؛ وهذا لانتكاس الفطر، وهذه الآية نزلت في وفد نجران من النصارى، جاءوا إلى النبي ﷺ يتفاوضون معه -عليه الصلاة والسلام-، فدخلوا عليه في المسجد، وأخذوا يتفاوضون معه.

فالنبي ﷺ عرض عليهم الدخول في الإسلام، وبيَّن لهم أن الأنبياء جميعًا أخذ عليهم الميثاق لئن بعث محمد ﷺ وأحَدٌ منهم حَيٌّ ليتبعنه، قال واحد منهم: أتريد يا محمد أن نعبدك؟! سمى اتباع الحق شركًا، وعبادة للرسول ﷺ، فأنزل اللَّه قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٧٩].

لأن الأنبياء جاءوا بالتوحيد، ولم يجيئوا بالشرك، وما جاءوا بدعوة الناس إلى عبادتهم -حاشا وكلا-، بل جاءوا بإنكار ذلك، لكن هؤلاء من تعصبهم قالوا هذه المقالة، فأنزل اللَّه هذه الآية، ردًّا عليهم.

وما أشبه الليلة بالبارحة! فهناك من يسمون إخلاص العبادة للَّه كفرًا، وخروجًا عن الدين، ويسمونه شركًا، ويقولون: عبادة القبور هي التوحيد، وهي الإسلام؛ لأنها توسل بالصالحين ومحبة لهم، وعندهم أن الذي لا يعبد الرسول ﷺ ولا يستغيث به، يكون مبغضًا للرسول ﷺ، ويكون جافيًا في حق الرسول ﷺ.

وهذا مثل قول نصارى نجران في اتباع الرسول أنه عبادة للرسول ﷺ، وهذا امتداد لمذهب أهل الجاهلية، كُلٌّ سَمَّى الحقَّ باطلًا، والباطل حقًّا، والعياذ باللَّه.

والجهمية والمعتزلة سموا إثبات الصفات للَّه ﷻ شركًا؛ لأنها بزعمهم تقتضي تعدد المسمَّى والموصوف.

* * *

التحريف ولِّي الألسنة في كتاب الله

المسألتان السابعة والثامنة والخمسون

تَحرِيفُ الكَلِمِ عَن مَوَاضِعِهِ، وَلَيُّ الأَلسِنَةِ بِالكِتَاب[٥٧].

---

[٥٧] **تحريف الكلم عن مواضعه**، هو: تغيير حروفه، أو صرفه عن معناه، فأهل الكتاب من حرفتهم الخبيثة: أنهم يحرفون الكلم عن مواضعه إما بتغيير ألفاظه، وإما بتغيير معانيه، وتفسيره بغير تفسيره، فكل من حَرَّف كلام اللَّه فإنه على مذهب أهل الجاهلية، وكل أهل الباطل والمخالفين للإسلام من الفرق الضالة المنتسبة إلى الإسلام تحرِّف النصوص؛ لتوافق مقاصدها ومذاهبها، سواءً حرَّفوا الألفاظ، أو حرَّفوا المعاني وفسَّروها بغير تفسيرها، فهذا من ميراث أهل الجاهلية.

والواجبُ: الإيمانُ بما أنزل اللَّه ﷻ بألفاظه ومعانيه، والعمل بمقتضاه، من غير تغيير وتحريف، هذا هو الواجب، سواء وافق هواك ورغبتك أو خالفهما.

والآن أصحاب المبادئ الخبيثة والمذاهب الباطلة يلوون أعناق النصوص الواردة الصحيحة عن الرسول ﷺ، ويفسرونها بغير تفسيرها، إذا عجزوا عن ردها وتكذيبها، وهذه طريقة من طرائق أهل الجاهلية، ومن طرائق اليهود.

والواجب على المؤمن: أن يحترم كتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ، فيؤمن بهما لفظًا ومعنى، على ما أراده اللَّه وأراده رسوله ﷺ، ولا يحرِّف النصوص عن معانيها، ولا يغير الألفاظ عما جاءت بزيادة أو نقص، أو دسٍّ للباطل.

* * *

تلقيبهم أهل الحق بالألقاب المنفِّرة

المسألة التاسعة والخمسون

تَلقِيبُ أَهلِ الهُدَى والصَّوابِ بالصَّائِبَةِ وَالحَشوِيَّةِ [٥٨].

---

[٥٨] **من مناهج أهل الجاهلية**: احتقارهم لأهل الهدى، وتلقيبهم بالألقاب الشنيعة المنفرة، يقولون: صابئة، والصابئ هو: الخارج عن الدين، فيسمون أهل الحق بالصابئة الخارجين عن الحق؛ لأن الحق في عُرْفِهم ما كانوا عليه من الكفر والضلال، فمن اتبع الرسول فهو صابئ، أي: خارج عن عاداتهم وتقاليدهم ومذهبهم ونظامهم وما وجدوا عليه آباءهم.

ويسمونه: حشويًّا، من الحشو، وهو الشيء الذي لا فائدة منه، وحشو الكلام هو: الكلام الذي ليس فيه فائدة.

ويسمونهم سطحيين ومتأخرين وجامدين، إلى غير ذلك من الألفاظ.

لكن هذا لا يضر أهل الحق، فقوم نوح قالوا: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْيِ﴾ [هود:٢٧]؛ أي: سطحيون، ما عندهم تفكير، اتبعوك من غير تفكير، أما العقلاء والذين عندهم رزانة فلم يتبعوك.

* * *

افتراء الكذب على اللَّه والتكذيب بالحق

المسألتان الستون والحادية والستون

افتِرَاءُ الكَذِبِ عَلَى اللَّهِ، وَالتَّكذِيبُ بِالحَقِّ [٥٩].

---

[٥٩] افتراء الكذب على اللَّه وعلى رسول اللَّه ﷺ، والتكذيب بالحق، من طريقة أهل الجاهلية، مثل ما قالوا -لما كانوا يطوفون بالبيت عراة- قالوا عن هذه الوقاحة: ﴿وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ [الأعراف: ٢٨]. وهذا من الكذب على اللَّه.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الأنعام: ٢١].

﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٨].

﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ [النحل: ١٠٥].

﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [النحل: ١١٦].

وكذلك الذين يفترون الكذب على الرسول ﷺ، أنه جاء عنه كذا من الأحاديث، وهي كذب، والذي يحدث بهذا من غير توثُّق ومن غير تثبُّت، يكون أحد الكاذبين، ولهذا جاء في الصحيح أن النبي ﷺ قال: «**من حدَّث عني بحديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين**»(١).

وهذا من حرفة أهل الجاهلية أنهم يفترون على اللَّه الكذب، حيث زعموا أن اللَّه أمرهم بكشف العورة في الطواف، وحرَّموا ما أحلَّ اللهُ، وزعموا أن

---

(١) أخرجه مسلم في المقدمة، باب: رقم (١) وجوب الرواية عن الثقات وترك الكذابين والتحذير من الكذب على رسول اللَّه ﷺ.

اللَّه شرع لهم هذا ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ﴾ [النحل: ٣٥].

﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨].

﴿لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم﴾ [الزخرف: ٢٠].

وهذا كله كذب على اللَّه ﷻ؛ لأن اللَّه -جل وعلا- أرسل الرسل لإنكار ما هم عليه.

فالحاصل: أن نسبة الكذب إلى اللَّه ورسوله ﷺ، هو من أمور أهل الجاهلية، فعلى المسلم أن يحذر من هذا العمل الخبيث، وقد لا يكذب هو على اللَّه، لكن لا يتحرَّى في نقل الأمور عن اللَّه وعن رسوله، والفتاوى لا يتحرى فيها، فإذا كان ما نقله خطأ، وهو لم يتثبت فيه، ونشره على الناس، فإنه يصير أحد الكاذبين، ويصير قد ضَرَّ الناس بهذا الشيء الذي نقله لهم ونشره بينهم.

والواجب: أن الأحاديث الموضوعة المكذوبة لا تروج، ولا تُروى، بل تحاصر وتضايق، وأن الوعاظ والدعاة يتثبتون فيما يقولون عن اللَّه ورسوله.

كذلك في أمور الحلال والحرام والفتوى، عليهم أن يتثبتوا في شأنها، وألا يتعجلوا فيها؛ لأن الخطأ فيها قول على اللَّه بغير علم.

وكذلك التكذيب بالحق الثابت عن اللَّه ورسوله، لا يقل في الجريمة عن الكذب على اللَّه ورسوله، كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ﴾ [الزمر: ٣٢].

وذلك أنه إذا لم يوافق هواه، حاول رده بالتكذيب والتشكيك فيه، كفعل أهل الأهواء.

* * *

استنفار الملوك ضد أهل الحق

المسألة الثانية والستون

كَونُهُم إِذَا غُلِبُوا بِالحُجَّةِ فَزِعُوا إِلَى الشَّكْوَى لِلمُلُوكِ كَمَا قَالُوا: ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٢٧] [٦٠].

---

[٦٠] **من مسائل أهل الجاهلية**: أنهم كانوا إذا غلبوا بالحجة، لجئوا إلى الشكوى إلى السلطان، ومعنى «غلبوا بالحجة»؛ أي: أقيمت عليهم الحجة، على بطلان ما هم عليه، ولم يكن لهم حجة يقاومون بها، فإنهم يلجئون إلى القوة لمنع القائم بالحق، كما قال فرعون لموسى عليه السلام: ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩].

لما لم يكن عنده حجة يرد بها على نبي اللَّه، لجأ إلى قوة السلطان فقال: ﴿لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾.

وهذه طريقة المهزومين، وكذلك آل فرعون وهم أتباعه، لما انتصر عليهم موسى عليه السلام في المحفل العظيم الذي عقدوه، وجمع فرعون السحرة من مشارق الأرض ومغاربها؛ لأجل أن يبطل ما مع موسى من الآيات؛ لأنه يزعم أنه ساحر، فجمع السحرة، وطلب من موسى تحديد الموعد، من أجل عرض ما معه وما مع السحرة، من أجل أن يموِّه على الناس أن عنده ما يقاوم ما مع موسى من المعجزة.

فلما حان الموعد واجتمع الناس من أجل مشاهدة ما يحصل، وألقى السحرة ما معهم من السحر، وامتلأ الوادي من سحرهم، وما معهم من العصي والحبال التي حشوها بالزئبق، وبمواد تحركها كأنها حيات، يريدون أن يضاهئوا ما مع موسى من المعجزة، وهي الحية التي تتحول من العصا التي معه، فجاءوا بسحر عظيم، كما قال اللَّه تعالى، حتى إن موسى عليه الصلاة والسلام خاف

﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾ [طه: ٦٧].

خاف أن يلبِّسوا على الناس، وإلا فهو واثق بما معه، واثق بنصر اللَّه، لكنه خاف أن يلبِّسوا على الناس؛ لأنه جاءوا -كما قال اللَّه-: ﴿وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٖ﴾ [الأعراف: ١١٦].

فأمر اللَّه موسى ﷺ بإلقاء العصا، فألقاها، فصارت حية عظيمة، ابتلعت كل ما ألقوه، حتى خافوا أن تصل إليهم، وناشدوا موسى أن يمسكها عنهم؛ لأنهم خافوا أن تصل إليهم، وعند ذلك حصل النصر لموسى قال اللَّه تعالى: ﴿فَوَقَعَ ٱلۡحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [الأعراف: ١١٨-١٢٢]؛ لأنهم عرفوا أن ما مع موسى ليس سحرًا، فلما آمن السحرة وسجدوا للَّه ﷻ، هددهم فرعون بالقتل والصلب، فقتل السحرة الذين آمنوا وتابوا إلى اللَّه، وصلبهم.

ثم التفتوا إلى بني إسرائيل الذين آمنوا بموسى وقالوا لفرعون: ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٧-١٢٨].

الشاهد من هذا: أنهم طلبوا منه اللجوء إلى القوة، واشتكوا إلى فرعون ليقهر هذا الحق وهذا الإيمان وهذا فعل أشباههم في كل زمان ومكان.

* * *

رميهم أهل الحق بما هم برآء منه

المسائل الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة والستون

رَمْيُهُمْ أَهْلِ الحَقِّ بالصِّفَاتِ الذَّمِيمَةِ، رَمْيُهُمْ إِيَّاهُمْ بِالفَسَادِ في الأَرْض كَمَا فِي الآيَةِ، وبانْتِقَاصِ دِينِ المَلِكِ وآلِهَتِهِ، وتَبْدِيلِ الدِّينِ [٦١].

---

[٦١] **من مناهج أهل الجاهلية كذلك**: أنهم لا يكتفون بالشكوى إلى أصحاب القوة، والانتقام؛ بل يصفون أهل الإيمان بالمفسدين في الأرض، كما قالوا لفرعون: ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف:١٢٧]. سموا الإصلاح إفسادًا.

والحق هو العكس؛ أن الإيمان والتوحيد: إصلاح في الأرض، وأن الكفر والمعاصي والفسوق والظلم والطغيان: إفساد في الأرض، فالذي عليه موسى وقومه إصلاح، والذي عليه فرعون وقومه إفساد، لكنهم عكسوا الأمر، فسموا الإصلاح إفسادًا، وهذا دأب الكفار والمشركين والمنافقين دائمًا، يسمون المصلحين والدعاة إلى اللَّه على بصيرة، ويسمون المؤمنين الموحدين الذين يدعون إلى توحيد اللَّه وعبادته، يسمونه بالمفسدين في الأرض.

وهذا شيء مستمر في الناس إلى يوم القيامة، أهل الكفر والظلم والطغيان يسمون المصلحين بالمفسدين، وهذا منحدر من القرون الأولى من وقت فرعون وقومه، وهذا لا يضر أهل الإيمان، ولا يضر أهل الإصلاح، وإن لُقِّبوا بما لُقِّبوا، فكم لقبوا أهل الحق والدعاة إلى اللَّه بالشناعات.

لقَّبوا شيخ الإسلام ابن تيمية بألقاب شنيعة، ولقبوا الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب بألقاب شنيعة، وأنه خارجي، وأنه يريد أن يغير عقيدة الناس، ويكفِّر الناس، إلى آخر ما يقولون، مما هو موجود في كتبهم من الاتهامات والتزوير والشر وهذا موقفهم من كل مصلح.

وأما رميهم إياهم بانتقاص دين الملك، كما قال تعالى: ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ [الأعراف:١٢٧] الآية، وكما قال تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ﴾ [غافر:٢٦].

مما عليه أهل الجاهلية -ومن تشبه بهم-: وهو تحريض أصحاب السلطة على المؤمنين والدعاة إلى اللَّه على بصيرة ومنهج سليم بأنهم يفسدون على أصحاب السلطة، دينهم وسياستهم، إذا نصحوهم وأرشدوهم إلى ما فيه صلاحهم وصلاح ملكهم، كما قال تعالى حكاية عن آل فرعون، وما سعوا به عند فرعون من الوشاية، لما دعاه موسى عليه السلام إلى عبادة اللَّه وحده لا شريك له، التي فيها صلاحه وصلاح ملكه وصلاح رعيته.

وقالوا له: إنهم سيفسدون الناس عليك، ولا يكون لك ربوبية ولا إلهية على الناس، ويحولون الناس من عبادتك إلى عبادة اللَّه.

وهذا من باب إغراء فرعون بأنه إن ترك هؤلاء فإنهم سيصرفون الناس عن عبادته وربوبيته؛ لأنه قال لهم: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤].

وفي الآية الأخرى: ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ [القصص:٣٨].

ففسروا دعوة الرسل بأنها إفساد في الأرض، وأن الكفر إصلاح في الأرض، وهذا من قلب الحقائق، ومن الغش للراعي والرعية، وما أكثر هذا الصنف الذي يقوم بهذه المهمة الشيطانية اليوم، ممن يقودون الناس إلى الهاوية، ويقفون في وجه المصلحين، ويزوِّرون الحقائق، ويغررون بالسلطة، وهم بطانة السوء، الذين يحولون بين المسئولين وبين قبول النصيحة.

اللهم أصلح ولاة أمور المسلمين، وأصلح بطانتهم، واجعلهم هداة مهتدين.

وأما رميهم إياهم بانتقاص آلهة الملك، كما في الآية.

فإن هذه المسألة تابعة لما قبلها مما ذكر اللهُ في الآية من خبر آل فرعون،

حيث قالوا له: ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ [الأعراف: ١٢٧].

يعنون ألوهيتك على الناس وعبادتهم لك، يقولون: أنت لك شأن، ولك عظمة في الأرض، فلو تركتهم يدعون إلى اللَّه تنقَّصوك عند الناس، وأرخصوك عند الناس، فأنت بادر بالقضاء عليهم من أجل أن تبقى لك هيبتك ومكانتك، وهذا من الغش لفرعون، وتعريضه للهلاك.

ويا سبحان الله! يتنقَّصون اللَّه -جل وعلا- رب السموات والأرض، ولا يعيبون هذا على أنفسهم، ويعيبون على موسى وقومه إذا نصحوا فرعون وقومه، ودلوهم على طريق السعادة والنجاة، وبقاء الملك وصلاحه؟!

وهكذا تفعل بطانة السوء دائمًا وأبدًا، ولهذا على الولاة أن يتخذوا البطانة الصالحة الناصحة، ويحذروا من بطانة السوء وأصحاب المبادئ الهدامة، والأفكار المنحرفة، فإنهم يقودونهم إلى الهاوية، كما حصل من بطانة فرعون، حيث أوقعوه في الهلاك والبوار، وحالوا بينه وبين قبول الحق.

وأما رميهم إياهم بتبديل الدين، كما قال تعالى عن فرعون: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦]. ورميهم إياهم بانتقاص دين الملك، كقولهم: ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ [الأعراف: ١٢٧].

فهاتان المسألتان حصلتا من فرعون في حق كليم اللَّه موسى عليه السلام ودعوته، وتحذيره للناس من قبولها، وتظاهره بمظهر الناصح للرعية، جاءهم عن طريقة النصيحة والمحافظة على الدين، والمحافظة على صلاح الأرض، ﴿أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾، كما قال أتباعه: ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

سموا المصلحين بالمفسدين، والفساد عندهم هو التوحيد وإفراد اللَّه بالعبادة، والصلاح هو الشرك؛ لأن القلوب إذا فسدت رأت الحق باطلًا،

والباطل حقًّا.

ومن هو الذي يبدِّل الدين ويُظهر في الأرض الفساد؟ إنه فرعون الذي بدَّل دين التوحيد بالكفر والشرك.

أما موسى -عليه الصلاة والسلام-، فإنه يدعو إلى الدين الصحيح، الذي خلق اللَّه الخلق من أجله، والذي هو صلاح في الأرض؛ لأن الأرض لا تصلح إلا بعبادة اللَّه وحده لا شريك له، هذا هو صلاح الأرض، أما الشرك فإنه فساد في الأرض، والكفر فساد في الأرض، والمعاصي فساد في الأرض.

* * *

مدحهم أنفسهم بما ليس فيهم

المسألة الثامنة والستون

دَعواهُم العَمَلَ بِمَا عِندَهُم مِنَ الحَقِّ كَقَولِهِ: ﴿نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ [البقرة: ٩١]، مَعَ تَركِهِم إِيَّاهُ [٦٢].

---

[٦٢] **من مسائل أهل الجاهلية**: دعوى اليهود العمل بما عندهم من الحق، مع تركهم إياه، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ [البقرة: ٩١].

﴿بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ قيل: معناه: بما أنزل على رسلنا من أنبياء بني إسرائيل؛ لأن هذه الآية في اليهود ﴿قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾؛ أي: ما أنزل على رسل بني إسرائيل، مع أن الذي جاء به محمد ﷺ لا يخالف ما جاءت به رسلهم ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾؛ يعني: غيره، مما أنزل على عيسى ومحمد ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾.

فالذي جاء به عيسى ومحمد ﷺ، هو موافق لما جاء به أنبياؤهم من الحق، ومبيِّن لما أدخلوه في كتابهم من التحريف والتكذيب والتضليل، هذا من ناحية.

والناحية الثانية: أنهم غير صادقين في هذه المقالة، بدليل ارتكابهم هذه الجرائم المذكورة في قوله تعالى ردًّا عليهم ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٩١-٩٢]. هذا ردٌّ عليهم.

فاللَّه ردَّ عليهم بردين:

الرد الأول: أنَّ ما جاء به محمد ﷺ لا يخالف ما جاء به موسى من توحيد اللَّه وإفراده بالعبادة، وترك عبادة ما سواه؛ بل هو مصدِّق لذلك.

والأمر الثاني: أنهم غير صادقين حتى فيما ادعوا أنهم يؤمنون به، حيث عبدوا العجل، وقتلوا الأنبياء، وقولهم: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [البقرة: ٩٣].

وعدم وفائهم بالميثاق الذي أخذ عليهم، وهذا يتناول كل تعصب مذموم، أن يقول الإنسان: أنا لا أعمل إلا بما هو في مذهبي، أو مذهب إمامي؛ لأنه يجب على المسلم أن يتبع الحق في مذهبه أو في غير مذهبه، مع إمامه أو مع غيره، يقبل الحق ولا يتعصب التعصب المذموم.

* * *

زيادتهم في العبادة على ما شرعه اللَّه ونقصهم منها

المسألتان التاسعة والستون والسبعون

الزِّيَادَةُ فِي العِبَادَةِ كَفِعلِهِم يَومَ عَاشُورَاءَ، وَنَقصُهُم مِنهَا، كَتَركِ الوُقُوفَ بِعَرَفَاتٍ [٦٣].

---

[٦٣] **أما زيادتهم في العبادة**: فكما يفعلون في يوم عاشوراء، وهو اليوم العاشر من شهر اللَّه المحرَّم، وهذا اليوم حصل فيه حدث عظيم، هو إغراق فرعون وقومه، وإنجاء موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وقومه، فهو يوم انتصر فيه الحق على الباطل، وصامه موسى -عليه الصلاة والسلام-؛ شكرًا لله.

وبقي صيامه مشروعًا عند المسلمين؛ لأنه لما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة وجد اليهود يصومون هذا اليوم، فسألهم: لماذا يصومونه؟ فقالوا: إنه يوم نجى اللهُ فيه موسى وقومه، وأهلك فيه فرعون وقومه، وصامه موسى ونحن نصومه.

فقال -عليه الصلاة والسلام-: «**نحن أحق بموسى منكم**»(١). فصامه ﷺ وأمر بصيامه، وأمر بصوم يوم قبله أو يوم بعده؛ مخالفة لليهود.

هذا هو المشروع في يوم عاشوراء، وهو الصيام، لكن أهل الجاهلية يزيدون فيه على الصيام.

فاليهود يجعلونه يوم عيد يزينون فيه بيوتهم، ويزينون فيه أولادهم ونساءهم، ويعتبرونه يوم عيد، فهم زادوا فيه على المشروع، فالزيادة على الصيام في يوم عاشوراء من دين الجاهلية.

وكذلك الرافضة، زادوا في هذا اليوم واعتبروه يوم حزن، ويوم نياحة وندب؛ لأنه اليوم الذي قُتل فيه الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٢٠٠٤، ٣٩٤٢، ٣٩٤٣)، ومسلم رقم (١١٣٠، ١١٣١).

وأما نقصهم من العبادة، فكما حصل منهم في الحج، كانوا في الجاهلية يحجون البيت؛ لأنه من بقايا دين إبراهيم -عليه الصلاة والسلام-، لكن أدخلوا في الحج تغييرات وشركيات؛ لأن اللَّه شرع الوقوف بعرفة، فصاروا لا يقفون بعرفة، بل يقفون في مزدلفة، وهذا نقص في العبادة.

ولما حج النبي ﷺ كانوا يظنون أنه سيقف معهم في مزدلفة، فتجاوز -عليه الصلاة والسلام- إلى عرفة، ووقف في عرفة، وأعاد الحج على ملة إبراهيم -عليه الصلاة والسلام-، قال اللَّه تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ [البقرة: ١٩٩]؛ يعني: من عرفة.

وهذا ردٌّ على المشركين في وقوفهم بالمزدلفة وكذلك زادوا في التلبية قولهم: (إلا شريكًا هو لك، تملكه وما ملك).

وهكذا كل من نقص شيئًا من العبادة؛ فإنه على دين أهل الجاهلية، وكذلك من زاد في الدين، فإنه على دين أهل الجاهلية، فالبدع والخرافات كلها من دين الجاهلية.

* * *

تركهم ما أوجب اللَّه عليهم من باب الورع

المسألة الحادية والسبعون

تَرْكُهُم الوَاجِبَ وَرَعًا [٦٤].

---

[٦٤] أي: يتقربون إلى اللَّه بترك الواجب، مثل الوقوف بمزدلفة، بدل الوقوف بعرفة؛ يزعمون أنه ورع؛ لأنهم أهل الحرم ولا يخرجون إلى عرفة؛ لأنها من الحل، فهم يتركون الحق تورعًا، وهذا من عمل الجاهلية، نسأل اللَّه العافية.

وكذلك من تركهم الحق تورعًا: أنهم يطوفون بالبيت عراة، ويتركون ستر العورة -الذي هو الحق- من باب الورع، يقولون: لا نطوف بثياب عصينا اللَّه فيها[1].

وكذلك كل من ترك شيئًا من العبادة تورعًا، كمن لا يتصدق ولا يصلي مع الجماعة في المسجد، خشية الرياء والسمعة -كما سمعنا عن بعضهم- أولا يطلب العلم، أو غير ذلك من ترك العبادات خشية الرياء.

* * *

---

(١) قال عروة: «كان الناس يطوفون في الجاهلية عراة إلا الحُمْسَ، والحُمْسُ قريش وما ولدت، وكانت الحمس يحتسبون على الناس يُعطي الرجل الرجلَ الثيابَ يطوف فيها وتعطي المرأة المرأةَ الثيابَ تطوف فيها؛ فمن لم يعطه الحمس طاف بالبيت عريانًا. . .».
أخرجه البخاري رقم (١٦٦٥)، ومسلم رقم (١٢١٩/ ١٥٢)، و أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب: رقم (٢)، وأمر النبي ﷺ ألا يطوف بالبيت عريانًا، وكذا رقم (٣٦٩)، ومسلم (١٣٤٧).

تقربهم إلى اللَّه بترك الطيبات من الرزق وبترك الزينة

المسألتان الثانية والثالثة والسبعون

تَعَبُّدُهُم بِتَرْكِ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ، وتَرْكِ الزِّينةِ فِي اللِّبَاسِ[٦٥].

---

[٦٥] أي: تقربهم إلى اللَّه بترك الطيبات من الرزق، وترك لباس الزينة، وهذا عند النصارى ومن شابههم من الصوفية المنتسبين للإسلام، يتركون الطيبات تعبدًا للَّه ﷻ، فلا يتزوجون النساء، ولا يأكلون من الطيبات، ويتقشفون في المآكل والمشارب والملابس، يزعمون أن هذا عبادة للَّه؛ ولهذا قال اللَّه تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢].

وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٧].

وكذلك حرَّموا بعض بهيمة الأنعام، واللَّه قد أباح بهيمة الأنعام، فقال: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [المائدة: ١].

فحرموا بعض بهيمة الأنعام من أجل أصنامهم، فأنزل اللَّه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾.

فتحريم الطيبات من دين النصارى الرهبان، ومن دين الجاهلية.

ومن حرَّم حلالًا مجمعًا على حِلِّه ارتدَّ عن دين الإسلام، فإذا أضاف إلى ذلك اعتبار هذا من التعبد للَّه ﷻ، فهذا افتراء على اللَّه؛ لأن اللَّه لم يشرع لعباده ترك الطيبات، بل أمرهم بالأكل منها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢].

ولما هَمَّ جماعة في عهد النبي ﷺ بمثل هذا، غضب عليهم النبي ﷺ.

وأما تعبدهم بترك زينة الله: أي: تقربهم إلى اللَّه بترك زينة اللَّه، أي: التزين باللباس وستر العورة، حيث كانوا يطوفون بالبيت عراة، فرد اللَّه عليهم بقوله: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: ما هو دليلكم على ما تفعلون من ترك اللباس والتجمل وستر العورة وترك الطيبات من الرزق؟ لأن التحريم يحتاج إلى دليل، والأصل في اللباس والمآكل والمشارب الحل؛ لأن اللَّه خلق هذه الأشياء لعباده، وكما في الحديث الصحيح: «**إن اللَّه جميل يحب الجمال**»[(١)].

فترك التجمل من باب الورع ليس من دين الإسلام، فليتجمل باللباس، وليأكل من الطيبات، ويشكر اللَّه ﷻ.

وفي الحديث: «**إن اللَّه يحب إذا أنعم على عبد نعمة أن يرى أثر نعمته عليه**»[(٢)].

لكن يكون ذلك من غير إسراف ولا مخيلة، وكان النبي ﷺ يتجمل في جسمه وفي ملابسه، ويخص مقابلة الوفود بمزيد تجمل.

* * *

---

(١) أخرجه مسلم رقم (٩١/ ١٤٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ١٢٣-١٢٤) رقم (٢٨٢٤)، وقال: هذا حديث حسن.

دعوتهم الناس إلى الضلال

المسألة الرابعة والسبعون

دَعوَتُهُم النَّاسَ إِلَى الضَّلَالِ بِغَيرِ عِلمٍ [٦٦].

---

[٦٦] الدعوة إلى اللَّه بغير علم هي من عمل أهل الجاهلية؛ لأن اللَّه أمر بالدعوة إلى سبيله على بصيرة وبالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن.

فدعوتهم الناس إلى الضلال؛ أي: ترغيب الناس في مخالفة الحق؛ قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ [العنكبوت: ١٢].

فيدعونهم إلى الشرك، وإلى تحريم الحلال وتحليل الحرام بغير حجة، ويدعونهم إلى أشياء ما أنزل اللَّه بها من سلطان، فهؤلاء دعاة ضلال، والدعاة إلى الحق هم الذين يدعون إلى ما أنزل اللَّه ﷻ وإلى ما شرع.

ومن دعاة الضلال اليوم: الذين يدعون الناس إلى الشرك، وعبادة الأضرحة والقبور، ويدعون الناس إلى البدع والمحدثات في الدين، التي ما أنزل اللَّه بها من سلطان، ويكتبون ويؤلفون ويتكلمون بدعوة الناس إلى إحياء البدع والمحدثات، والذين يدعون الناس إلى الإباحية والفسوق والعصيان، كل هؤلاء دعاة ضلال، حذَّرنا اللَّه ﷻ منهم ومن طريقتهم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٩].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٠].

وقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ﴾ [البقرة: ٢٢١].

وقال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦].

فَبَيَّن سبحانه أن الكفار على اختلاف مللهم قديمًا وحديثًا ومن شابههم، جادون في الدعوة إلى الضلال في كل زمان وفي كل مكان، كما قال تعالى: ﴿وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ﴾ [النساء: ٨٩].

* * *

دعوتهم الناس إلى الكفر، مع العلم

المسألة الخامسة والسبعون

دَعوَتُهُم إِيَّاهُم إِلَى الكُفرِ مَعَ العِلمِ [٦٧].

---

[٦٧] وهذا صنف آخر من دعاة الضلال، وهم الذين يدعون إلى صرف الناس عن الحق مع معرفته؛ بغيًا وعنادًا، والصنف الأول يدعون الناس إلى الباطل وهم لا يعرفون الحق، وكلا الصنفين خطير وهم لا يقولون للناس: اكفروا، وإنما يأتونهم بطريقة مزخرفة، ظاهرها أنها حسنة وباطنها كفر، هكذا دعاة الضلال، وإبليس جاء إلى قوم نوح لما وجدهم قد حزنوا على الصالحين الذين ماتوا، جاءهم بطريق دين.

وقال: صَوِّروا صُورَهم من أجل إذا رأيتموها أن تنشطوا على العبادة، وتذكروا أحوالهم وصلاحهم ودينهم فينشطونكم على العبادة.

فهو جاءهم بطريق النصيحة، وطريق الدين، وهو يريد أن هذه الصور تكون أصنامًا في النهاية، فكانت أصنامًا، لما مات أهل العلم ومات هذا الجيل، جاء جيل جاهل بعدهم، فقال الشيطان: إن آباءكم ما نصبوا هذه الصور إلا ليعبدوها، وبها كانوا يُسقون المطر، فعبدوها من دون اللَّه ﷻ.

وكذلك دعاة الضلال، لا يأتون للناس بالدعوة إلى الشر المكشوف، إنما يأتونهم بطريقة مزخرفة يحسنونها للناس، ثم في النهاية يحصل لهم مقصدهم، ودعاة الضلال لما دعوا الناس إلى الشرك بعبادة الأضرحة لم يقولوا لهم: اعبدوها، بل قالوا لهم: هؤلاء أولياء وصالحون، لهم مكانة عند اللَّه، فأنتم تقربوا إليهم من أجل أن يقرِّبوكم إلى اللَّه، ويكونوا وسائط ووسائل لكم عند اللَّه ﷻ، جاءوهم بهذه الطريقة، وهي محبة الصالحين واتخاذهم وسائل ووسائط عند اللَّه ﷻ، فعبدوا القبور والأضرحة بهذه الخديعة الشيطانية،

وأشركوا بالله ﷻ.

فدعاة الكفر يدعون الناس بأساليب مختلفة، قد لا يظهر عليها شيء من الانتقاد، ولا يعرفها إلا أهل البصيرة.

وقد تبين من هاتين المسألتين أن دعاة الضلال على قسمين:

قسم: يدعو الناس بغير علم.

وقسم: يدعو الناس إلى مخالفة الحق وهو يعلمه.

والأول ضال، والثاني فاسق.

* * *

المكر الشديد لتثبيت الشرك ودفع الحق

المسألة السادسة والسبعون

المَكرُ الكُبَّارُ كَفِعلِ قَومِ نُوحٍ [٦٨].

---

[٦٨] المكر: إيصال المكروه بطريقة خفية، وهو نوعان: مكر حسن، ومكر سيئ.

والمكر السيئ هو: الحيل الخفية لإيصال الشر لمن لا يستحقه، قال تعالى في قوم نوح: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ۝٢٢ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ۝٢٣ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ [نوح: ٢٢-٢٤].

والكُبَّار هو: العظيم، فهم يمكرون بالناس مكرًا عظيمًا بهذه الحيل، وهذه الطرق الخبيثة التي يدعونهم بها إلى الشرك، وإذا جاءتهم دعوة التوحيد حذَّروهم منها، وقالوا: هؤلاء يريدون أن يترأسوا عليكم، ويريدون أن يتفضلوا عليكم.

فتحسين القبيح للناس، وتقبيح الحسن، هو المكر الكُبَّار الذي لا يزال يزاوله دعاة الضلال قديمًا وحديثًا؛ لصرف الناس عن الحق إلى الباطل، وإخراجهم من النور إلى الظلمات، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢].

أي: اتركهم وكذبهم، ولا تلتفت إليهم، فهذا فيه النهي عن الإصغاء لدعاة الضلال، إلا على سبيل معرفة باطلهم لرده.

والمكر الحسن: هو إيصال الضرر لمن يستحقه من طريق خفي عقوبة له، كما قال تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال: ٣٠].

﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٤].

* * *

اقتداؤهم بمن لا يصلح للقدوة

المسألة السابعة والسبعون

أَنَّ أَئِمَّتَهُم إِمَّا عَالِمٌ فَاجِرٌ، وَإِمَّا عَابِدٌ جَاهِلٌ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾﴾ [البقرة: ٧٥-٧٨] [٦٩].

---

[٦٩] قدوة أهل الجاهلية من اليهود والنصارى وغيرهم:

إما عالم فاجر: وهو الذي لا يعمل بعلمه، مثل: أحبار اليهود المنحرفين.

وإما عابد جاهل: وهو العامل بغير علم، مثل: رهبان النصارى، كما قال الله: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]. يحلِّلون لهم الحرام، ويحرِّمون عليهم الحلال، ويطيعونهم في ذلك.

وفي سورة البقرة يقول تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥].

فقوله: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾ هؤلاء هم العلماء الفجرة، يسمعون كلام اللَّه -وهو التوراة- ويعرفونه ويتعلمونه.

﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾ يغيِّرون ألفاظه ومعانيه.

﴿مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: من بعد ما عرفوا لفظه ومعناه الصحيح، من أجل أهوائهم وأغراضهم وشهواتهم، كما حصل منهم في قصة

الزاني في عهد النبي ﷺ في المدينة، حينما زنى رجل من اليهود بامرأة من اليهود، فقالوا: اذهبوا إلى هذا الرجل -يعنون محمدًا ﷺ-؛ لأنهم يعلمون أن التوراة فيها الرجم، وهم لا يريدون الرجم، لعله يحكم فيهما بحكم أسهل من الرجم، فجاءوا إليه يطلبون منه الحكم على هذا الزاني وهذه الزانية.

فالرسول ﷺ قال: «**ما تجدون في التوراة على من زنى؟**». وفي رواية: «**ما تجدون في التوراة في شأن الرجم؟**

قالوا: فيها أننا نُسَوِّدُ وجوههم، ونُركبهم على حمير، ونطوف بهم في الأسواق.

فسأل النبي ﷺ عبدَ اللَّه بن سلام -لأنه من أحبارهم، وقد أسلم- قال: كذبوا يا رسول اللَّه، فطلب النبي ﷺ منهم التوراة، فلما أحضروها وضع ابن صوريا أصبعه على آية الرجم، فقال له عبد اللَّه بن سلام: ارفع أصبعك، فلما رفعه إذا آية الرجم تلوح في التوراة، فأمر بهما النبي ﷺ فرجما بالحجارة حتى ماتا»[(١)].

فهذا من تحريف علمائهم لكلام اللَّه، وقد كذبوا على اللَّه ﷻ وأخفوا حكمه.

ومن تحريفهم: ما ذكره اللَّه أن اللَّه أمرهم أن يدخلوا الباب سجدًا، وأن يقولوا حطة؛ يعني: حط عنا خطايانا، فأبدلوا حطة بكلمة: حنطة، بالنون، فزادوا في كلام اللَّه ما ليس منه.

والتحريف هو: الزيادة في كتاب اللَّه، أو النقص من كتاب اللَّه، أو تفسير كتاب اللَّه بغير معناه، هذا هو التحريف؛ لأن التحريف إما أن يكون في اللفظ، وإما أن يكون في المعنى، وعلى هذا النمط كل من يحاول تفسير القرآن أو

(١) أخرجه البخاري رقم (٣٦٣٥، ٤٥٥٦، ٦٨١٩، ٧٥٤٣)، ومسلم رقم (١٦٩٩، ١٧٠٠).

الأحاديث بغير معناهما الصحيح؛ من أجل نصرة مذهبه، أو اتباع شهوته، أو حصول مطمعه، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا﴾ [البقرة: ٧٦] الآية، وهذا هو النفاق، والنفاق وتحريف النصوص طريقة اليهود.

ثم قال بعدها: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [البقرة: ٧٨].

هؤلاء هم العُبَّاد الجُهَّال، يقرءون التوراة ولكن لا يعرفون معناها، فيتخذهم هؤلاء أئمة لهم وهم جُهَّال، فلا يجوز الاقتداء إلا بعالم عامل، وهؤلاء هم الربانيون.

وكذلك العُبَّاد الجُهَّال لا يُقتدى بهم، وإن كان عندهم زهد وعبادة، لكنهم على غير طريق صحيح وغير هدًى من اللَّه ﷻ.

* * *

تناقضهم في محبة الله

المسألة الثامنة والسبعون

دَعوَاهُم مَحَبَّةَ اللَّه مَعَ تَركِهِم شَرعَهُ؛ فَطَالَبَهُمُ اللَّه بِقَولِهِ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ﴾ **الآيَةَ** [آل عمران: ٣١] [٧٠].

---

[٧٠] **من ضلال اليهود ومن شابههم: دعواهم محبة اللَّه مع أنهم يخالفون** أمره ﷻ، وعلامة محبة الله: اتباع أمره، كما قال الشاعر:

لو كان حبك صادقًا لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

وهذا كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

فاليهود والنصارى يقولون: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: ١٨].

ومع هذا يخالفون شرع اللَّه ﷻ، فدلَّ ذلك على كذبهم في دعواهم، حيث طالبهم اللَّه بإقامة الدليل على ما يدَّعونه من محبته، وذلك باتباع رسوله محمد ﷺ، فلما لم يفعلوا ظهر كذبهم، وكذلك الصوفية يبنون دينهم على أنهم يحبون اللَّه ﷻ، ويقولون: العبادة هي المحبة، فنحن لا نعبد اللَّه خوفًا من ناره، ولا طمعًا في جنته، وإنما نعبده؛ لأننا نحبه.

مع أنهم يخالفون شرع اللَّه ﷻ، فلا يتعبون الرسول ﷺ، وإنما يتبعون مشايخهم، وأصحاب الطرق التي يبايعونهم عليها على السمع والطاعة لهم، وأنهم لا يخالفون لهم أمرًا مهما أُمِروا، حتى إنهم يقولون: إن المريد مع شيخه كالميت بين يدي غاسله، ما له اختيار ولا له غير ما اختاره شيخه، فأين اتباع الرسول ﷺ؟ فهم كاذبون في هذه الدعوى.

ولهذا تحدَّى اللهُ -جل وعلا- هؤلاء المدَّعين لمحبته بهذه الآية: ﴿قُلْ إِن

كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

فعلامة محبة الله: اتباع رسوله ﷺ، فمن وجدت فيه هذه الصفة فإنه صادق في دعواه المحبة، ومن فقد هذه الصفة -وهي الاتباع للرسول- فإنه كاذب في دعواه، فقد ذكر سبحانه دليل المحبة وثمرتها، فدليلها اتباع الرسول ﷺ، وثمرتها نيل محبة اللَّه للعبد، ومغفرة ذنوبه.

وكذلك هذا يطَّرد في كل من يدَّعي محبة الرسول وهو لا يتبعه، كمن يدعون محبة الرسول ويكتبون في الصحف والمجلات: عَلِّموا أولادكم محبة رسول اللَّه ﷺ، وهم يبتدعون البدع، ويحدثون الموالد، والنبي ﷺ نهى عن البدع فهم يدَّعون محبته، ويخالفونه في إحداث البدع والخرافات التي نهى عنها وحذَّر منها.

* * *

اعتمادهم على الأماني الكاذبة

المسألة التاسعة والسبعون

تَمَنِّيهِمُ الأَمَانِيَّ الكَاذِبَةَ كَقَولِهِم: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠].

وَقَولِهِم: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ [البقرة: ١١١] [٧١].

---

[٧١] اليهود والنصارى يعتمدون على الأماني الكاذبة، ويتمنون على اللَّه الأماني، كما ذكر اللَّه تعالى عنهم أنهم قالوا: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾.

هي أيام عبادتهم للعجل -بزعمهم-، فرد اللَّه عليهم بقوله: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٨٠-٨١].

فهذا رد على قولهم: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾.

كما رد عليهم في سورة آل عمران: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٢٣-٢٥].

وقال تعالى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ١٢٣-١٢٤].

* * *

غُلوهم في الأشخاص

المسألة الثمانون

اتِّخَاذُ قُبُورِ أَنبِيَائِهِم وَصَالِحِيهِم مَسَاجِدَ [٧٢].

---

[٧٢] **مما عليه أهل الجاهلية من أهل الكتاب وغيرهم**: اتخاذ قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، وهذا كان ولا يزال عند اليهود والنصارى، وعند مشركي العرب، وعند المنتسبين إلى الإسلام ممن يعبدون القبور والأضرحة، وأهل الكتاب هم أول من عمل ذلك، قال ﷺ: «**إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد**»؛ يعني: مصليات يصلون عندها؛ لأن الصلاة عندها وسيلة إلى عبادتها، وإن كان المصلي يصلي لله، لكن إذا صلى عند قبر؛ فإن هذا وسيلة إلى عبادته، فكيف إذا دعا القبر واستنجد به واستغاث به، كما يقال الآن عند الأضرحة؟

هذا من دين الجاهلية، من يهود ونصارى وغيرهم، قال ﷺ لما أخبرته أم سلمة وأم حبيبة -رضي اللَّه تعالى عنهما- عما رأتاه في أرض الحبشة من الكنايس وما فيها من التصاوير؛ لأن أم سلمة وأم حبيبة قد هاجرتا إلى الحبشة مع زوجيهما الهجرة الأولى، فرأتا في بلاد الحبشة الكنائس المزخرفة، بها الصور، فذكرتا ذلك، فقال النبي ﷺ-: «**أولئك قوم إذا مات فيهم الرجل الصالح، أو العبد الصالح، بنوا على قبره مسجدًا، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله**»[1].

فمن دين الجاهلية: اتخاذ الأولياء والصالحين أربابًا من دون اللَّه ﷻ، يزعمون أنهم يقربونهم إلى اللَّه زلفى، وأنهم يشفعون لهم عند اللَّه، كما قال

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٤٢٧، ٤٣٤، ١٣٤١)، ومسلم رقم (٥٢٨).

تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

وهؤلاء لا يعتقدون فيهم أنهم يخلقون ويرزقون ويحيون ويميتون، بل يعترفون أن هذا خاص باللَّه ﷻ، وإنما اتخذوهم وسائط بينهم وبين اللَّه وشفعاء، فصرفوا لهم أنواعًا من العبادات؛ من أجل أن يقرِّبوهم إلى اللَّه زلفى.

فهذا دين الجاهلية، وعليه عُبَّاد القبور اليوم، نسأل اللَّه العافية والسلامة.

ومن الغلو في القبور وأصحابها البناء عليها وإسراجها ووضع الستائر عليها والكتابة عليها وتجصيصها وغير ذلك من مظاهر الغلو، ولهذا نهى الرسول ﷺ عن ذلك كله.

* * *

الغلو في آثار الأنبياء

المسألة الحادية والثمانون

اتِّخَاذُ آثَارِ أَنبِيَائِهِم مَسَاجِدَ كَمَا ذُكِرَ عَن عُمَرَ [٧٣].

---

[٧٣] **من دين الجاهلية**: اتخاذ آثار أنبيائهم مساجد، أي: يصلون عندها تبركًا بها، والفرق بين هذه والتي قبلها: أن التي قبلها غلو في الأشخاص، وهذا غلو في آثار الأشخاص، والآثار: جمع أثر، وهو المكان الذي جلس فيه نبي أو رجل صالح، أو صلى فيه، يتتبعون هذه المواطن فيتعبدون فيها للَّه ﷻ، يظنون أن الصلاة فيها؛ فيها فضيلة، مثل الذين يذهبون الآن إلى غار حراء؛ لأن الرسول ﷺ كان قد تعبَّد فيه قبل البعثة.

فهم يذهبون إليه للصلاة والدعاء فيه، ولم يكن النبي ﷺ يزوره بعد البعثة، ولا أحد من صحابته الكرام ذهب إلى غار حراء؛ لعلمهم أن ذلك غير مشروع.

كذلك يذهبون إلى غار ثور الذي اختفى فيه النبي ﷺ قبل الهجرة، ويصلون فيه، ويضعون فيه الطيب، وربما يرمون فيه النقود.

هذا كله من دين الجاهلية، فالجاهلية هي التي تُعَظِّم آثار أنبيائها، ولهذا قال عمر رضي الله عنه لما رأى الناس يذهبون إلى شجرة البيعة: «إنما أهلك من كان قبلكم أنهم تتبعوا آثار أنبيائهم»، ثم أمر بقطع الشجرة.

وهذه الأماكن لم يقصدها النبي ﷺ للتشريع، فلا يجوز قصدها للعبادة فيها، أما الأماكن التي قصدها النبي ﷺ للتشريع مثل صلاته عند مقام إبراهيم، عملًا بقوله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]؛ فإنها تشرع الصلاة فيها اقتداء بالنبي ﷺ أما جلوسه في غار حراء، وفي غار ثور، أو جلوسه في الطريق بين مكة والمدينة للاستراحة، فهذا لم يفعله من أجل التشريع، وإنما فعله اتفاقًا وللحاجة.

فيجب أن يُفَرَّقَ بين هذا وهذا، فالأماكن التي لم يقصدها للتشريع، وإنما مرَّ بها أو جلس فيها من باب العادة؛ أو للاستراحة، أو صادفته الصلاة وصلى فيها من غير قصد لها؛ فإنه لا يتخذ هذا المكان الذي صلى فيه الرسول مصلى؛ لأنه فعله لا من باب القصد، وإنما فعله لأن الصلاة أدركته في هذا المكان فصلى فيه.

وهذا المكان وغيره ليس له ميزة، ولأن تتبعها يُحدث الوثنية فيما بعد بتبرك الناس بها، ويقصدونها من بعيد، ويسافرون إليها، فيحصل في ذلك ما حصل في الأمم السابقة من الشرك، وربما يُبنى عليها، وهناك من يطالبون الآن بذلك، يقولون: ابنوا على الآثار التي مر بها الرسول وجلس فيها، ابنوا عليها من أجل الذكرى.

وهذا كلام باطل، نحن لا نفعل شيئًا لم يفعله سلفنا الصالح، لو كان هذا مشروعًا لسبق إليه الصحابة والتابعون ومن بعدهم، وما هلكت الأمم إلا بمثل هذه الأفعال، فإحياء آثار المعظِّمين يجر إلى الوثنية، كما حدث في قوم نوح والأمم السابقة، ولا يقال: إن الناس الآن على وعي من دينهم فلا يخلف عليهم؛ لأنها تأتي أجيال جاهلة فيزيِّن لها الشيطان الوثنية، ولأن الحي لا تؤمن عليه الفتنة.

ولا تؤمن الفتنة على أحد كما قال الخليل عليه السلام: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

* * *

اتخاذهم لوسائل الشرك

المسألة الثانية والثمانون

اتِّخَاذُ السُّرُجِ عَلَى القُبُورِ[٧٤].

---

[٧٤] **اتخاذ السرج على القبور**: أن يجعل فيها أنوار من المصابيح أو الفوانيس، أو الكهرباء على شكل قناديل؛ لأجل الزيارة.

ولا يجوز هذا؛ لأنه من أسباب الشرك، وإذا احتاج الناس إلى النور من أجل دفن ميت، فإنهم يأتون معه بسراج أو فانوس بقدر الحاجة، أما إنه يجعل في المقبرة أعمدة كهرباء ثابتة لأجل إنارتها، فهذا منهيٌّ عنه، قال ﷺ: «**لعن اللَّه زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج**»(١)، والحديث في السنن.

ولعن النبي ﷺ زائرات القبور يدل على أن المرأة ممنوعة من زيارة المقابر، وإنما زيارة القبور خاصة بالرجال، واللعن يفيد أن زيارة المرأة للقبور كبيرة من كبائر الذنوب.

ولعن ﷺ المتخذين عليها المساجد؛ أي: الذين يتحرون الصلاة عندها، أو يبنون عليها المساجد، وهذا أشد؛ أو الذين ينورونها لأن هذا وسيلة إلى الشرك، بأن تعبد هذه القبور وتُدعى من دون اللَّه ﷻ.

فالقبور تترك كما كانت قبور الصحابة في عهد النبي ﷺ، لا تسرج ولا يبنى عليها أبنية، وإنما تترك كما هي على حالها، وترفع من ترابها عن الأرض قدر شبر فقط، ويوضع عليها نصايب؛ لتعرف أنها قبور، ولا يزاد على ذلك.

---

(١) أخرجه أبو داود (٣/ ٣٦٢) رقم (٣٢٣٦)، والترمذي (٢/ ١٣٦) رقم (٣٢٠)، وقال أبو عيسى: حديث ابن عباس حديث حسن.

قال ﷺ لعلي بن أبي طالب: «**لَا تَدَعْ قبرًا مشرفًا** -يعني: مرتفعًا- **إلَّا سويته**»[(١)]؛ يعني: أزلت ارتفاعه وسويته بالأرض؛ لأن إشرافه وارتفاعه يغري الجهال بقصده؛ لأن الشرك أسرع إلى قلوب الجهال من السيل إلى منحدره؛ لأن شياطين الإنس والجن يزينون للناس هذه الأمور ويفتنونهم بها.

فإذا كان القبر ليس فيه ما يلفت النظر، ولا يعرف هل هو قبر نبي أو غيره، فهذا أبعد عن الفتنة، أمَّا إذا قُصد وعُظِّم وجُعل عليه بنية وزخارف، ووضع عليه أنوار، فهذا يصرف الأنظار إليه، ويقول الجهال: ما عمل فيه هذا الشيء إلا لأن له سرًّا، فيقصدونه بالعبادة.

فالواجب: أن يتبع في القبور هدي النبي ﷺ، الذي ليس فيه غلو أو بناء أبنية، أو إيقاد سرج، أو كتابات، أو تجصيص، أو غير ذلك، كما كانت القبور في عهد النبي ﷺ.

* * *

(١) أخرجه مسلم رقم (٩٦٩).

عكوفهم عند القبور

المسألة الثالثة والثمانون

اتِّخَاذ القُبُور أَعيَادًا [٧٥].

---

[٧٥] الأعياد جمع عيد، وهو: ما يتكرر ويعود، وهو ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: عيد زماني: كعيد رمضان، وعيد الأضحى.

القسم الثاني: عيد مكاني: وهو المكان الذي يجتمع فيه على مدار السنة، أو على مدار الأسبوع، أو على مدار الشهر، يجتمع فيه للعبادة، والنبي ﷺ يقول: «**لا تجعلوا قبري عيدًا**»؛ يعني: مكانًا للاجتماع حوله، والعكوف حوله، والتردد عليه، «**وصلوا عليَّ حيث كنتم؛ فإن صلاتكم تبلغني**»[(١)].

فليس للصلاة على الرسول عند قبره خاصية، بل صَلِّ عليه في أي مكان في المشرق أو في المغرب، في أي مكان صَلِّ على الرسول، ويبلغه ذلك.

وتكرار زيارته، والجلوس عنده، من اتخاذه عيدًا، وهو يئول إلى الشرك، فأهل الجاهلية يتخذون قبور الصالحين أعيادًا، يجتمعون حولها ويعكفون عندها، كما هو الآن حاصل عند قبر البدوي وغيره، يأتيه الزوار من كل مكان، ويجلسون وينصبون الخيام، ويذبحون الذبائح ويقيمون الأيام، عند قبر البدوي أو غيره، وهذا من دين الجاهلية.

وإذا كان قبر الرسول ﷺ منهيًّا عن الاجتماع حوله والتردد عليه، فكيف بقبر غيره؟ لأن هذا وسيلة من وسائل الشرك.

ولما سأل رجل النبيَّ ﷺ: أنه نذر أن ينحر إبلًا ببوانة -اسم موضع- فقال له النبي ﷺ: «**هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يُعبد؟**

---

(١) أخرجه أبو داود (٢/ ٣٦٦) رقم (٢٥٤٢).

قالوا: لا.

قال: **هل كان فيها عيد من أعيادهم** -أي: اجتماع- **يجتمعون فيه؟**

قالوا: لا.

قال: **أوفِ بنذرك؛ فإنه لا وفاء لنذر في معصية اللَّه، ولا فيما لا يملك ابن آدم»**(١).

الشاهد: قوله: «**هل كان فيها عيد من أعيادهم؟**»؛ أي: عيد مكاني، فدل على أنه لا يجوز اتخاذ مكان مخصص للعبادة، إلا ما خصصه اللَّه ورسوله، كالمساجد ومشاعر الحج والعمرة، وما عداها فالأرض كلها سواء، وكما قال ﷺ: «**جُعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا**»(٢).

* * *

(١) أخرجه أبو داود (٣/ ٣٩٤) رقم (٣٣١٣).

(٢) أخرجه البخاري رقم (٣٣٥، ٤٣٨)، ومسلم رقم (٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣).

تقربهم إلى اللَّه بالذبح عند القبور

المسألة الرابعة والثمانون

الذَّبحُ عِندَ القُبُورِ [٧٦].

---

[٧٦] قال اللَّه تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١-١٦٢]. فالذبح عبادة لله.

والذبح عند القبور: إذا كان تعظيمًا لها فهذا شرك أكبر، وإذا كان تعظيمًا لله، ولكن فعله عند القبر يظن أنه مشروع، فهذا بدعة ووسيلة إلى الشرك، فلا يجوز الذبح عند القبور حتى ولو كان الذابح لا يعتقد في القبور وإنما يذبح للَّه؛ لأنه إذا اعتاد الناس الذبح عند القبور آل هذا إلى عبادتها من دون اللَّه ﷻ، وكذلك الذبح للجن لاتقاء شرهم أو للعلاج، فهذا شرك باللَّه.

أما الذبح للأكل، أو الذبح لإكرام ضيف ويذكر عليه اسم اللَّه، فهذا لا بأس به؛ لأنه من العادات لا من العبادات.

وأما ذبح الأضحية وذبح العقيقة والذبح الذي يقصد به العبادة، فهذا عبادة للَّه ﷻ؛ ولا يذبح لمخلوق، تعظيمًا له تعظيم عبادة، ولا يذبح عند قبر مخلوق؛ لأن هذا يئول إلى عبادته.

* * *

احتفاظهم بآثار المُعَظَّمِين

المسألتان الخامسة والسادسة والثمانون

التَّبَرُّكُ بِآثَارِ المُعَظَّمِينَ كَدَارِ النَّدوَةِ، وَافتِخَارُ مَن كَانَت تَحتَ يَدِهِ بِذَلِك، كَمَا قِيلَ لِحَكِيمِ بنِ حِزَامٍ: بِعتَ مَكرُمَةَ قُرَيشٍ؟! فَقَالَ: ذَهَبَتِ المَكَارِمُ إِلَّا التَّقوَى [٧٧].

---

[٧٧] تعظيم آثار المعظمين من العلماء أو من الملوك أو من الرؤساء، بأن تحيا هذه الآثار وترمم وتصان، فهذا العمل وسيلة من وسائل الشرك، وهذا من دين الجاهلية؛ لأنه يأتي جيل فيما بعد ويقولون -أو يقول لهم الشيطان-: إن آباءكم ما احتفظوا بهذه الآثار إلا لأن فيها بركة وفيها خيرًا، فيعبدونها من دون اللَّه؛ لأن الجيل الأول هيَّأ لهم الأسباب، كما فعل الشيطان مع قوم نوح لما أمرهم بتصوير الصالحين لأجل أن تبعث فيهم النشاط على العبادة، فهم أسَّسوا هذا الشيء بنية صالحة، ولكن جاء جيل جُهَّال فعبدوها، وهذا من فعل الجاهلية، هم الذين يعظمون آثار العظماء، ويحافظون عليها ويصونونها، ثم تعبد من دون اللَّه ولو على المدى البعيد.

فلا يقل قائل: الناس الآن على دين صحيح وعلى توحيد.

نقول: لا يقتصر النظر على الوقت الحاضر، وإنما يجب النظر للمستقبل، مع أن الحاضرين لا تُؤمن عليهم الفتنة أيضًا، لكن المستقبل أشد، فلا يجوز العناية بهذه الآثار، وما هلكت الأمم إلا بمثل هذا، وهو أنهم عظَّموا آثار كبرائهم حتى صارت أوثانًا في المستقبل، فالواجب على المسلمين التنبه لهذا الأمر.

وذكر الشيخ شاهدًا لذلك؛ دار الندوة في مكة، وهي مكان يجتمع فيه أكابر قريش؛ للتشاور في الأمور المهمة.

فلما جاء الإسلام وزالت الجاهلية؛ بقي مبنى دار الندوة على حاله إلى وقت معاوية رضي الله عنه للتملك والانتفاع بسكناها وتحويلها عن هيئتها، فاشترى هذه الدار من حكيم بن حزام رضي الله عنه، فلام الناس حكيمًا على ذلك، قالوا: لِمَ بعت هذا الأثر من آثار أسلافنا، وبعت مكرمة قريش؟

قال رضي الله عنه: ذهبت المكارم إلى التقوى.

وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]. هذا هو الجواب السديد الموافق لكلام اللَّه عز وجل، وهذا من نور البصيرة ونور الإيمان.

فدل على أنه لا يجوز الاحتفاظ بالآثار القديمة؛ لأن هذا يئول إلى الشرك، ولو فيما بعد، والدين جاء بسد الطرق المفضية إلى الشرك.

* * *

من خصال الجاهلية الباقية في بعض هذه الأمة

المسائل السابعة والثامنة والتاسعة والثمانون، والتسعون

الفَخرُ بِالأَحسَابِ، الطَّعنُ فِي الأَنسَابِ، الاستِسقَاءُ بِالأَنوَاءِ، النِّيَاحَةُ على المَيِّتِ[٧٨].

---

[٧٨] هذه المسائل الأربع من مسائل الجاهلية، قال ﷺ: «**أربع في أمتي من أمور الجاهلية لا يتركونهن: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة على الميت**»(١).

والفخر بالأحساب: أن يفتخر الإنسان بأمجاد آبائه وأجداده، وهذا من دين الجاهلية؛ لأنهم كانوا يجتمعون في منى، وبدل أن يذكروا اللَّه ﷻ يذكرون مفاخر آبائهم، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: ٢٠٠].

فالواجب ذكر اللَّه ﷻ، ليس ذكر الآباء والأجداد.

والطعن في الأنساب: كأن يقول: فلان ما له أصل، فلان من قبيلة ليست هي أصيلة، وهذا معناه تنقُّص الآخرين، واللَّه -جل وعلا- يقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

والاستسقاء بالنجوم: اعتقاد أن المطر ينزل من تأثير طلوع النجم أو غروبه، وهذا من دين الجاهلية، فالمطر إنما يحصل بإرادة اللَّه ﷻ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ﴾ [الشورى: ٢٨].

فاللَّه هو الذي ينزل المطر بإرادته ومشيئته وحكمته، وينزله كيف يشاء ﷻ،

---

(١) أخرجه مسلم رقم (٩٣٤).

ينزله على أرض، ويمنع منه أرضًا أخرى ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الفرقان: ٥٠].

فالذي يعتقد أن لطلوع النجم أو غروب النجم تأثيرًا في نزول المطر، فهذا الاعتقاد شرك، تجب التوبة منه، ويجب نسبة نزول المطر إلى اللَّه -جل وعلا-.

والنياحة على الميت، تكون بالقول مثل: رفع الصوت عند موت الميت؛ جزعًا وتسخطًا، أو ذكر محاسن الميت وتكون بالفعل مثل شق الجيوب ولطم الخدود.

فالنياحة من كبائر الذنوب، قال ﷺ: «**النائحة إذا لم تتب قبل موتها، تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران، ودرع من جرب**»[١].

فالنياحة كبيرة من كبائر الذنوب، وهي من أمور الجاهلية، والواجب: الصبر والاحتساب.

ولا يدخل في هذا البكاءُ على الميت؛ لأنه ليس باستطاعة الإنسان أن يحبسه، والنبي ﷺ بكى لما مات ابنه إبراهيم، وقال: «**إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي الرب، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزنون**»[٢].

وقال ﷺ: «**إن اللَّه لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا** -يعني: اللسان- **أو يرحم**»[٣].

فإذا تكلم الإنسان بكلام يرضي اللَّه عند المصيبة، وقال: إنَّا للَّه وإنَّا إليه راجعون، وحَمِدَ اللَّه وشَكَرَه؛ غفر اللَّه له وجبر مصيبته.

---

(١) أخرجه مسلم رقم (٩٣٤).

(٢) أخرجه البخاري رقم (١٣٠٣)، ومسلم بنحوه رقم (٢٣١٥).

(٣) أخرجه البخاري رقم (١٣٠٤)، ومسلم رقم (٩٢٤).

فهذه الأربع من أمور الجاهلية، وهي باقية في الناس، فيجب التوبة منها، ودلَّ الحديث على أنه ليس كل من فيه شيء من الجاهلية يكون كافرًا، فأمور الجاهلية منها ما هو كفر، ومنها ما هو دون ذلك.

* * *

قيام مجتمعهم على البغي

المسألة الحادية والتسعون

أَنَّ أَجَلَّ فَضَائِلِهِمُ البَغْيُ، وَقَدْ ذَكَرَ اللَّه فِيهِ مَا ذَكَرَ [٧٩].

---

[٧٩] البغي هو: التعدِّي على الناس في دمائهم وأموالهم وأعراضهم، وأهل الجاهلية يعتبرون ذلك من مفاخرهم، ويتمدحون به في أشعارهم ومقالاتهم، فجاء الإسلام بتحريمه والنهي عنه، وأمر بالعدل بين الناس، وشرع لمن بُغي عليه أن يقتص لنفسه؛ حتى يرتدع الباغي وينتصر المظلوم، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣]. فقرن البغي مع الفواحش والشرك والقول عليه بغير علم.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

وقال النبي ﷺ في خطبة حجة الوداع: «**إن دماءكم وأعراضكم وأموالكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا، ألا هل بلغت؟**»(١).

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣].

وبإقامة هذه الأحكام الربانية استتب الأمن، وسادت المحبة بين المسلمين، وزالت عنهم فوضى الجاهلية وعنجهيتها، والحمد للَّه رب العالمين.

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٦٧، ١٠٥، ١٧٣٩)، ومسلم رقم (١٦٧٩).

الفخر بغير الحق أو بحق

المسألة الثانية والتسعون

أَنَّ أَجَلَّ فَضَائِلِهِمْ: الفَخرُ وَلَو بِحَقٍّ، فَنُهِيَ عَنهُ [٨٠].

---

[٨٠] **من مسائل الجاهلية**: الفخر ولو بحق، فهم يفخرون بأفعالهم وأفعال آبائهم، وهذا منهي عنه؛ لأن الفخر بالأعمال يؤدِّي إلى الإعجاب بالنفس واحتقار الآخرين، وهو منهي عنه، وهو من أفعال الجاهلية، فلا يجوز للمسلم أن يفتخر؛ لأنه مهما بذل ومهما عمل فإنه مقصر، ولا يؤدي كل ما أوجب اللَّه عليه.

فحق اللَّه عظيم، وحق الوالدين عظيم، وحق الأقارب عظيم، وعليه حقوق عظيمة، فكيف يفخر الإنسان إذا فعل شيئًا من الإحسان، أو من المعروف، أو من أفعال الخير، مع أنه إنما أتى بشيء يسير؟

هذا في الافتخار فيما بينه وبين الخلق، أما إذا افتخر بأعماله التي بينه وبين اللَّه، فهذا أشد؛ لأنه يؤدي إلى الإعجاب بالعمل، وإلى استكثار العمل، وهذا يبطل العمل.

فالواجب على الإنسان أن يعتبر نفسه مقصرًا دائمًا وأبدًا فيما بينه وبين اللَّه، وهذا واضح، وفيما بينه وبين الخلق أيضًا؛ فإنه إذا اعتبر نفسه مقصرًا، حمله ذلك على التواضع، وحمله ذلك إلى المزيد من الخير، أما إذا اعتبر نفسه مكمِّلًا، وأنه قام بالواجب، فهذا يستدعي أنه يتوقف عن فعل الخير، ويرى أنه قد بلغ النهاية، فيتوقف عن فعل الخير.

والحاصل: أن الافتخار لا ينبغي أن يصدر من مسلم، وإنما هو من أفعال

الجاهلية، والنبي ﷺ -لما ذكر أنه سيد ولد آدم- قال: «**ولا فخر**»[1] مع أن مقامه هذا لا يساويه فيه أحد، ومع هذا قال: «**ولا فخر**»؛ نفى عن نفسه الفخر، وإنما أخبر بذلك من باب التحدث بنعمة اللَّه ﷻ والشكر عليها لا من باب الفخر.

* * *

(١) فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذٍ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر...**». أخرجه الترمذي (٥/ ٣٠٨) رقم (٣١٦٠) (٥/ ٥٨٧) رقم (٣٦٢٤)، وقال في الموضعين: هذا حديث حسن صحيح.

التعصب الممقوت

المسألة الثالثة والتسعون

أَنَّ تَعَصُّبَ الإِنسَانِ لِطَائِفَتِهِ عَلَى الحَقِّ وَالبَاطِلِ أَمرٌ لَا بُدَّ مِنهُ عِندَهُم، فَذَكَرَ اللَّه فِيهِ مَا ذَكَرَ [٨١].

---

[٨١] التعصب المذموم هو الاستمرار على الباطل، مع العلم ببطلانه؛ تكبرًا وعنادًا ونصرة للشخص أو للقبيلة على حق أو باطل، وهذا من أمور الجاهلية.

ويقول شاعرهم:

وما أنا إلا مِنْ غزية إن غوَتْ غَوَيتُ وإنْ تَرْشَدْ غزية أرْشد

فأنزل اللَّه في ذلك ما أنزل، من قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟﴾ [المائدة: ٨]؛ أي: لا يحملكم بغض قوم على ألا تعدلوا في حقهم، ولو كانوا أعداءكم، فالعدل مطلوب مع الأصدقاء ومع الأعداء، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

فلا تحملك القرابة على أنك تحيف مع قريبك، بل إذا كان مخطئًا تُغيِّر خطأه، ولا تتابعه عليه بل تنصحه، ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾.

وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ﴾ [المائدة: ٨].

وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٣٥].

فالواجب على الإنسان العدل مع نفسه ومع قريبه ومع صديقه ومع عدوه،

لا تحمله عداوة أحد أن يظلمه، أو يجور عليه، هذا هو شأن المسلم، ولا يحمله حب أحد أن يحيف معه.

وأما أهل الجاهلية فإنهم يتعصبون لقومهم، ولو كان قومهم ظالمين، فأمرنا اللَّه -جل وعلا- بمخالفتهم، وأن نقول الحق ولو على أنفسنا وعلى أقاربنا وعلى أصدقائنا وعلى أعدائنا، وقال ﷺ: «**انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا**.

قالوا: يا رسول اللَّه، ننصره إذا كان مظلومًا، فكيف ننصره إذا كان ظالمًا؟!

قال: **تمنعه عن الظلم، فذلك نصره**»(١).

فنصره: أن تمنعه من الظلم، وليس نصره أن تساعده على الظلم، فهذا خذلان له.

* * *

(١) أخرجه البخاري رقم (٢٤٤٣، ٢٤٤٤، ٦٩٥٢).

أخذ البريء بجريمة غيره

المسألة الرابعة والتسعون

أَنَّ مِن دِينِهِم أَخذَ الرَّجُلِ بِجَرِيمَةِ غَيرِهِ، فَأَنزَلَ اللَّه: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الإسراء: ١٥] [٨٢].

---

[٨٢] **من مسائل الجاهلية**: أنهم يأخذون الرجل -أي: يعاقبونه- بسبب جرم غيره، فأنزل اللَّه تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾.

فالذي لم يحصل منه ظلم لا يؤاخذ بظلم غيره، حتى ولو كان قريبه ابن عمه أو والده أو ولده، لا يجني جانٍ إلا على نفسه، ولا يؤخذ البريء بجريمة المعتدي؛ فإذا أُخذ غير المعتدي بعدوان المعتدي، فهذا ظلم وجور لا يقره الإسلام.

والآن في بعض البوادي: إذا حصل اعتداء من شخص من قبيلة، وكان هذا الشخص لا وزن له، لا يقتصون منه، وإنما يقتلون أو ينتقمون من غيره من القبيلة ممن هو أشرف منه وأعز منه، ولا يأخذون المعتدي، وإنما يأخذون شيخ القبيلة أو من له قيمة أو مقام في القبيلة، وهذا من فعل الجاهلية.

الواجب أن الجريمة تختص بصاحبها، ويقتص من صاحبها، هذا هو العدل ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤].

فالحاصل: أن هذه قاعدة عظيمة: أن الجريمة تختص بمن فعلها، ولا تتناول غيره.

فإن قلت: يرد على هذا أن اللَّه جعل دية الخطأ على العاقلة، ولم يجعلها على القاتل، أليس هذا فيه تحميل لغير المذنب بذنب غيره؟

نقول: لا، هذا من العدل والتعاون، لما كان القاتل خَطَأً غير متعمد،

ناسب ذلك أن تحمل عنه عصبته، كما أنهم يرثون ماله لو مات، فكذلك يحملون عنه الخطأ الذي وقع فيه من غير قصد.

أما المتعمد للجريمة فهذا يختص جزاؤه به ولذلك لا تحمل العاقلة عمدًا.

* * *

تعيير الرجل بنقص في غيره

المسألة الخامسة والتسعون

تَعيِيرُ الرَّجُلِ بِمَا فِي غَيرِهِ فَقَالَ: «أَعَيَّرتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امرؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ»[٨٣].

---

[٨٣] هذا في قصة أبي ذر رضي الله عنه، لما قال في واحد من أفاضل الصحابة من السابقين الأولين إلى الإسلام، قال له: يا ابن السوداء؛ لأن أمه سوداء، قال له ﷺ: **«أعَيَّرتَهُ بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية»**(١).

فتعيير الشخص بشيء ليس فيه، وإنما هو في غيره، أو بدناءة نسبه، هو من أمور الجاهلية، وليس كل من كانت فيه خصلة من خصال الجاهلية يكون كافرًا.

* * *

(١) أخرجه البخاري رقم (٣٠، ٦٠٥٠)، ومسلم رقم (١٦٦١).

افتخارهم بأعمالهم الطيبة

المسألة السادسة والتسعون

الافتِخَارُ بِوِلَايةِ البَيتِ، فَذَمَّهُمُ اللّه بِقَولِهِ: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٧] [٨٤].

---

[٨٤] **من مسائل الجاهلية**: أنهم يفتخرون بقيامهم على المشاعر، بسدانتها وتنظيمها، ورفادة الوافدين إليها، وسقاية الحجيج، فهم يفتخرون بهذا العمل ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ﴾؛ أي: بولاية البيت وبخدمة البيت الشريف، وبخدمة الوافدين إليه، يفتخرون بهذا على غيرهم من العرب.

فهذا من أمور الجاهلية؛ لأن خدمة بيوت اللّه عبادة، فلا يجوز للإنسان أن يفتخر بالعبادة؛ لأنه يتقرب بها إلى اللّه، لا يريد الثناء من الناس والمدح من الناس؛ بل يحمد اللّه أن جعله ممن يقومون بهذا العمل، دون أن يتكبر به أو أن يفتخر به.

فهم بدلًا من أن يؤمنوا بالرسول وبالكتاب ويتبعوه، يفتخرون بعملهم في البيت، ويظنون أن هذا يكفيهم عن اتباع الكتاب واتباع الرسول ﷺ، هذا وجه الذم لهم؛ أنهم اعتاضوا عن اتباع الكتاب بخدمة البيت، ظنًّا منهم أنها تكفيهم، فهذا من أمور الجاهلية.

واللّه -جل وعلا- يقول: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ﴾ [التوبة: ١٩].

نعم، سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام عمل صالح، ولكن لا يفتخر الإنسان بهذا، ويظن أنه يكفيه، بل عليه أن يسهم بالأعمال الصالحة الأخرى، التي هي أجلُّ من سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام، وهي الجهاد في سبيل اللّه، والإيمان باللّه، والهجرة، وأعمال جليلة.

فالإنسان لا يقتصر على عمل ويظن أنه يكفيه، لاسيما إذا ظنَّ أنه يكفيه عن اتباع القرآن والسنة.

والآن هناك من يظنون أن سكناهم في مكة والمدينة تكفيهم عن العمل حتى قال قائلهم: النائم فيه -يعني: الحرم- خير من القائم في غيره، وهذا غرور من الشيطان.

* * *

افتخارهم بانتسابهم إلى الطيبين مع مخالفتهم لهم

المسألة السابعة والتسعون

الافتِخَارُ بِكَونِهِم ذُرِّيَّةَ الأَنبِيَاءِ؛ فَأَتَى اللَّهُ بِقَولِهِ: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ الآيَةَ [البقرة: ١٣٤] [٨٥].

---

[٨٥] **من عمل بني إسرائيل:** أنهم يفتخرون بكونهم ذرية الأنبياء، دون أن يتبعوهم، ولاسيما خاتم الأنبياء محمد ﷺ، وكان الواجب عليهم أن يتبعوه، أما أن يقولوا: نحن ذرية الأنبياء، ويكتفوا بهذا، دون أن يتبعوهم، فهذا رد الله عليه بقوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ [البقرة: ١٣٤].

فالإنسان يُعتبر بعمله هو، لا بعمل غيره، والأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- هم أفضل الخلق، ولكن هذا لا يغني عن ذريتهم إذا لم يتبعوهم، فأعمال الأنبياء لهم، وأنتم لكم أعمالكم، وكذلك كل من يفتخر بعمل آبائه وأجداده، وأنهم صالحون وأنهم علماء، ويظن أن هذا يكفيه عن أن يعمل هو، كالذين ينتسبون إلى أهل البيت، ويظنون أن انتسابهم إلى أهل البيت يكفيهم دون أن يقوموا هم بأعمال صالحة، هذا من هذا القبيل.

وكذلك الذين يتوسلون بعمل النبي، أو بجاه النبي، أو بعمل الأولياء أو الصالحين، ما علاقتهم بعمل غيرهم؟ عملهم لهم، وعملك لك، ولا ينفعك عملهم، يوم القيامة لا أحد ينفع أحدًا ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

فلا ينفعك يوم القيامة إلا عملك ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

فهذا فيه ردٌّ على الذين يتوسلون بالأولياء والصالحين أو بجاههم، أو يكتفون بانتسابهم إلى الصالحين أو إلى الأنبياء، أو قرابتهم منهم، دون أن

يعملوا لأنفسهم، يقول ﷺ: «**يا معشر قريش، اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من اللَّه شيئًا، يا عباس عم رسول اللَّه، يا صفية عمة رسول اللَّه، لا أغني عنكم من اللَّه شيئًا، يا فاطمة بنت محمد، سليني من مالي ما شئتِ، لا أغني عنكِ منَ اللهِ شيئًا**»(١).

فالرسول يقول لأقرب الناس إليه: «**لا أغني عنكم من اللَّه شيئًا**». فكونكم تنتسبون إلى الرسول، أو قرابة الرسول، أو قرابة الأولياء والصالحين، أو تتوسلون بجاههم، هذا لا ينفعكم شيئًا.

ويوم القيامة يقول اللَّه ﷻ: ﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩].

وقال تعالى: ﴿يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝٣٦ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤-٣٧].

كل مشغول بنفسه؛ حتى إن عيسى عليه السلام يقول: رب، لا أسألك مريم التي ولدتني، نفسي نفسي.

* * *

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٢٧٥٣، ٣٥٢٧، ٤٧٧١)، ومسلم رقم (٢٠٦).

افتخارهم بصنائعهم على من دونهم في ذلك

المسألة الثامنة والتسعون

الافتِخَارُ بِالصَّنَائِعِ كَفِعلِ أَهلِ الرِّحلَتَينِ عَلَى أَهلِ الحَرثِ [٨٦].

---

[٨٦] الافتخار بالصنائع، التاجر يفتخر بتجارته على الحرفي، وعلى النجار وعلى الحداد، والموظف يفتخر بوظيفته على من دونه من الموظفين.

المسلم لا يحتقر من هو دونه، بل لا يحتقر الناس عمومًا، فكيف يحتقر المسلمين لأجل حرفهم، وأنها دون حرفته؟ هذا من أمور الجاهلية، كما ذكر اللَّه عن قريش في الرحلتين.

فاللَّه ﷻ أنعم على قريش بالرحلتين التجاريتين، رحلة الشتاء إلى اليمن، ورحلة الصيف إلى الشام؛ للتجارة، فهم يفتخرون على الناس بأنهم أصحاب الرحلتين، ويفتخرون على من دونهم من المزارعين وأهل الحرث.

وهذا يتناول كل من افتخر بصنعته أو وظيفته على من دونه، فالإنسان لا يستكبر.

ومن ذلك: تنقصهم لمن حِرَفُهُمْ وصنائعهم ليست مثل حرف أشرافهم، كالحدادين والنجارين، وهذه خصلة لا تزال موجودة في بعض الناس.

ومن هذا الباب: الذين يحتقرون أئمة المساجد والمؤذنين، مع أن وظيفة الإمام هي أفضل الوظائف، وهي عمل الرسول ﷺ، وكذلك وظيفة المؤذن، فأشرف وظيفة هي وظيفة الإمام والمؤذن، فهما أشرف من عمل الوزير، وأشرف من جميع الأعمال.

* * *

نظرتهم إلى الدنيا نظرة إعجاب

المسألة التاسعة والتسعون

عَظَمَةُ الدُّنيَا فِي قُلُوبِهِم؛ كَقَولِهِم: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١] **[٨٧]**.

---

[٨٧] **من مسائل الجاهلية:** عظمة الدنيا في نفوسهم، فالذي عنده دنيا هو العزيز عندهم، والذي ليس عنده دنيا ذليل محتقر عندهم، حتى في الرسالة التي هي من اختيار اللَّه -جل وعلا- يرون أنها يجب أن تكون في الأغنياء، ولا تكون في الفقراء، ويقولون: اللَّه ما وجد إلا يتيم أبي طالب ليرسله؟! -يعنون: محمدًا ﷺ-.

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ﴾ [الزخرف: ٣١].

القريتان: مكة والطائف، وهذا الرجل هو الوليد بن المغيرة في مكة، أو حبيب بن عمرو الثقفي -وقيل: عروة بن مسعود- في الطائف، يقولون: لو كانت الرسالة في أحد هذين الرجلين؛ لكان هذا أليق بالرسالة، أما أن تذهب ليتيم فقير -وهو محمد ﷺ-، فهذا غير لائق عندهم.

قال تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ [الزخرف: ٣٢]؛ أي: يتدخلون في أعمال اللَّه -جل وعلا-، ويريدون أن يقسموا رحمة اللَّه، ولا يثقون بقسمة الله ﷻ، و﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

* * *

الاستدراك والاقتراح على الله

المسألة المائة

التَّحَكُّمُ عَلَى اللَّه كَمَا فِي الآيَةِ السَّابِقَةِ [٨٨].

---

[٨٨] التحكم على اللَّه؛ يعني: الاقتراح على اللَّه، كما في الآية: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١]. كأن اللَّه -جل وعلا- لا يعلم ما في نبيه من الصلاحية وهم يعرفون الصلاحية.

فهذا -والعياذ بالله- استدراك على اللَّه، كما قالوا: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ [الفرقان: ٣٢].

ويقترحون على اللَّه، ويقولون: كيف يفرق اللَّه القرآن وينزله منجمًا، ولم ينزله جملة واحدة؟ يتدخلون فيما لا يعنيهم وفيما لا علم لهم به.

ثم بيَّن سبحانه الحكمة في إنزال القرآن مفرقًا، وقال: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ۝٣٢ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٢-٣٣].

وقال تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦].

وأيضًا لأجل التسهيل لوقت العمل به، ولو نزل القرآن جملة واحدة ما استطاع الناس العمل به، وكذلك اللَّه نزله منجمًا على حسب الوقائع؛ لأجل أن يبين حكم كل نازلة أو كل حادثة في وقتها، هذه هي الحكمة في تنزيل القرآن مفرقًا.

ولا يخلو الزمان الآن ممن هم على هذه الشاكلة، يتدخلون في النصوص، ويقترحون على اللَّه ورسوله، أنه لو كان النص كذا، أو كان الحديث كذا وكذا،

يقول اللَّه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات: ١].
لا تقترحوا على اللَّه وعلى الرسول، عليكم بالإيمان باللَّه، والعمل بما أنزل اللَّه، دون الاقتراحات والاعتراضات.

* * *

احتقارهم للفقراء

المسألة الحادية بعد المائة

ازدِرَاءُ الفُقَرَاءِ؛ فَأَتَاهُم بِقَولِهِ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ [الأنعام: ٥٢] [٨٩].

---

[٨٩] هذه سبق لها نظير، وهو أنهم يتركون اتباع الأنبياء؛ لأن الفقراء هم الذين اتبعوهم، ﴿۞ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١]؛ أي: الفقراء والذين لا شأن لهم في المجتمع، وهذا من دين الجاهلية، حتى إنهم طلبوا من النبي ﷺ أن يمنع هؤلاء أن يجلسوا معهم عنده؛ تكبرًا، فأنزل اللَّه تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٢]. فلو طردهم -عليه الصلاة والسلام- لكان من الظالمين.

ثم قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ٥٣-٥٤].

فمن اتبع الحق -ولو كان فقيرًا- فهو الكريم عند اللَّه ﷻ، وهو الذي يستحق أن يقابل بالمقابلة الحسنة ويفسح له في المجلس، وأما من أعرض عن الحق واستكبر عنه فهذا لا يستحق التكريم؛ لأنه هو الذي أهان نفسه، فيستحق الإبعاد والإقصاء والهجر.

* * *

اتهامهم لأهل الإيمان في نياتهم ومقاصدهم

المسألة الثانية بعد المائة

رَمْيُهُم أَتبَاعَ الرُّسُلِ بِعَدَمِ الإخلَاصِ وَطَلَبِ الدُّنيَا، فَأَجَابَهُم بِقَولِهِ: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ الآيَةَ [الأنعام: ٥٢]. **وَأَمثَالُهَا [٩٠].**

---

[٩٠] **من أعمال أهل الجاهلية:** أنهم يرمون الفقراء بأنهم ما آمنوا إلا من أجل أن يحصلوا على شيء من مطامع الدنيا، كما قال آل فرعون لموسى عليه السلام هو وهارون: ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: ٧٨].

وقال قوم نوح: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ [المؤمنون: ٢٤].

يرمون الأنبياء بأنهم يريدون الشرف والرئاسة، ويرمون فقراء المؤمنين بأنهم يريدون الغنى والثروة باتباعهم الرسول ﷺ، فالله -جل وعلا- قال: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام: ٥٢].

فهذا ردٌّ عليهم بقولهم في المؤمنين: إنهم يريدون الدنيا، والله عز وجل يقول: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾؛ فأثبت لهم الإخلاص.

* * *

كفرهم بأصول الإيمان

المسائل: الثالثة، والرابعة، والخامسة، والسادسة، والسابعة والثامنة بعد المائة

الكُفرُ بِالمَلَائِكَةِ، الكُفرُ بِالرُّسُلِ، الكُفرُ بِالكُتُبِ، الإِعرَاضُ عَمَّا جَاءَ عَنِ اللَّهِ، الكُفرُ بِاليَومِ الآخِرِ، التَّكذِيبُ بِلِقَاءِ اللَّه [٩١].

---

[٩١] كل هذه المسائل من أمور الجاهلية، فهم لا يؤمنون بالكتب، ولا يؤمنون بالرسل، ولا يؤمنون بالملائكة، ولا يؤمنون باليوم الآخر، ولا يؤمنون بلقاء اللَّه؛ لأن هذه من أمور الغيب، وهم لا يؤمنون بالغيب، وإنما يؤمن بهذه الأمور من يؤمن بالغيب.

فلذلك كفروا بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر؛ ولهذا أثنى اللَّه على الذين يؤمنون بالغيب في أول القرآن فقال: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة: ٢-٣].

ويدخل في ذلك: الإيمان باللَّه، والإيمان بالملائكة، والكتب، والوحي، والإيمان باليوم الآخر، كل ذلك يدخل في الإيمان بالغيب، والجاهلية لا يؤمنون بالغيب، فلذلك يكفرون بهذه الأمور، ويكفرون بلقاء اللَّه يوم القيامة.

* * *

تكذيبهم لبعض ما أخبرت به الرسل

المسألة التاسعة بعد المائة

التَّكذِيبُ بِبَعضِ مَا أَخبَرَت بِهِ الرُّسُلُ عَنِ اليَومِ الآخِرِ كَمَا فِي قَولِهِ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ﴾ [الكهف: ١٠٥].

وَمِنهَا: التَّكذِيبُ بِقَولِهِ: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤].

وَقَولِهِ: ﴿لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

وَقَولِهِ: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦] **[٩٢]**.

---

[٩٢] منهم من يكفر باليوم الآخر جملة ﴿وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا﴾ [الأنعام: ٢٩].

ومنهم من يؤمن باليوم الآخر، ولكن يجحد بعض الأمور التي تكون فيه، كأن يجحد الحساب أو وزن الأعمال، أو الجنة أو النار، فمنهم من يكفر به جملة، ومنهم من يكفر ببعض ما يكون فيه.

فالذي يكفر ببعضه كالذي يكفر به كله، لا فرق؛ لأنه يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض، قال تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ١٠٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٥].

ومنهم من يكذب بالحساب، كما في قوله: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]. فالدين هنا هو الحساب، وهم يكذبون به، وبالجزاء على الأعمال.

وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ﴾، وهذا اليوم هو يوم الدين ﴿لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

إذا لم يكن معك عمل صالح يوم القيامة؛ فإنه لا حيلة لك في ذلك اليوم في

النجاة، فلا تجد أعمالًا تباع فتشتريها كما يشتري الإنسان الحوائج في الدنيا ﴿وَلَا خُلَّةٌ﴾ .

فإذا لم تجد أحدًا يبيع لك في الدنيا، فيمكن أن يكون لك صديق تذهب إليه، فيعطيك مما عنده، ولكن لا توجد خلة يوم القيامة، ولن ينفعك أحد ولو كان صديقك، ولكن ربما يشفع لك أحد، ويتوسط لك كما في الدنيا، وهذا أيضًا غير موجود يوم القيامة ﴿وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾ .

إذا تقطعت عنك كل الوسائل يوم القيامة، وليس لك حيلة، إلا إذا كان معك عمل صالح قدمته لنفسك، وأعظم ذلك: التوحيد والسلامة من الشرك؛ ولذلك قال تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦].

﴿شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: قال: لا إله إلا اللَّه، في الدنيا، ومات عليها، ولا يكفي أن يقول: لا إله إلا اللَّه، بل لابد أن يعلم معناها، ولذلك قال: ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ .

فلا يكفي مجرد اللفظ من غير فهم للمعنى، ولا يكفي اللفظ ومعرفة المعنى بدون العمل بمقتضاها؛ لأن العلم وسيلة للعمل، فإذا لم يكن مع العلم عمل فلن تنفعك لا إله إلا اللَّه.

* * *

اعتداؤهم على دعاة الحق

المسألة العاشرة بعد المائة

قَتلُ الَّذِينَ يَأمُرُونَ بِالقِسطِ مِنَ النَّاسِ [٩٣].

---

[٩٣] من جملة أعمال اليهود القبيحة: قتل الأنبياء، وقتل الدعاة إلى اللَّه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١].

وكذلك من قام في وجه الحق وصد عن سبيل اللَّه، وقتل الدعاة إلى اللَّه، والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، فإن الآية الكريمة تتناوله؛ لأنه سلك مسلك أهل الجاهلية، فيكون حكمه حكمهم.

* * *

الإيمان بالباطل

المسألة الحادية عشرة بعد المائة

الإِيمَانُ بِالجِبتِ وَالطَّاغُوتِ [٩٤].

---

[٩٤] قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٥١].

والجبت، قيل: هو السحر، وقيل: الشيطان.

والطاغوت: من تجاوز حدود اللَّه.

وسبب نزول الآية: أن اليهود الذين كانوا بالمدينة لما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة وعقد معهم المعاهدة على ألَّا يقاتلوا المسلمين، وأن يدافعوا عن المدينة مَنْ قَصَدَها، وأعطوا العهد على ذلك، فلما ضاقوا بالنبي وبأصحابه ذرعًا، ورأوا أن الإسلام ينتصر وينمو، ذهب سادتهم إلى قريش بمكة يستنجدون بهم على الرسول ﷺ، ويريدون منهم أن يذهبوا معهم لقتال النبي ﷺ، فألهم اللَّه قريشًا أن يسألوا هؤلاء وقالوا لهم: أنتم أهل كتاب، فأينا على الحق، محمد ﷺ أم نحن؟!

قالوا: ماذا أنتم عليه؟!

قالوا: نحن نكرم الضيف، ونصل الأرحام، ونسقي الحجيج، وكذا وكذا، وأما محمد فإنه سَبَّ آلهتنا، وعاب ديننا، وخالف دين أجداده، وقطع أرحامنا و. . . و. . . و. . . !

فقالوا لهم: أنتم على الحق، ومحمد على باطل!!! وهم يعلمون أن محمدًا على حق، وهو رسول اللَّه، وأن هؤلاء عبدة أصنام وأوثان، فقال اللَّه فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ

كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٥١].

ولاحظوا كيف أن اللَّه قال: ﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾، مع أن الأمر موافقة في الظاهر فقط، وسماه إيمانًا، فدل على أن الموافقة للكفار على ما هم عليه من غير إكراه إيمان بما هم عليه، ولو لم يعتقد بقلبه.

وهناك أناس الآن يقولون: إن الإنسان لا يكفر ولو قال الكفر حتى يعتقده بقلبه، فلو قال كلام الكفر من غير إكراه، وفعل أفعال الكفار، وسب اللَّه ورسوله، وفعل ما فعل، فإنه لا يُكفَّر عند هؤلاء حتى يُعلم ما في قلبه. وهذا مذهب غلاة المرجئة، نسأل اللَّه العافية والسلامة.

فاللَّه وصف هؤلاء بأنهم ﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾، مع أن ما حصل منهم هو موافقة في الظاهر، وهم في قلوبهم يعتقدون أنهم خاطئون، وأن محمدًا ﷺ على الحق، لكن حملهم الكبر والحسد وعداوة الرسول أن يوافقوهم في الظاهر، وكفَّرهم اللَّه بذلك.

وهذه دقيقة عظيمة من مسائل التكفير، وفيها ردٌّ على من يقول: لا يكفر الإنسان مهما قال، ومهما فعل، ومهما أتى من الكفر، ولو سب اللَّه ورسوله، حتى يعلم أنه في قلبه يوافق على هذا الشيء! نسأل اللَّه العافية من هذا الضلال.

* * *

تفضيلهم الكفر على الإيمان

المسألة الثانية عشرة بعد المائة

تَفضِيلُ دِينِ المُشرِكِينَ عَلَى دِينِ المُسلِمِينَ [٩٥].

---

[٩٥] كما حصل من اليهود مما جاء ذكره في المسألة السابقة.

وهذا يتناول كل من فَضَّل دين الكفر على دين المسلمين، أو ساوى بينهما.

ومن ذلك: الذين يحاولون التقريب بين الأديان الثلاثة: اليهودية والنصرانية والإسلام، ويقولون: كلها أديان سماوية، يجب التآخي بين أصحابها والتعاون فيما بينهم!!

* * *

خلط الحق بالباطل ليُقبل الباطل

المسألة الثالثة عشرة بعد المائة

لَبسُ الحَقِّ بِالبَاطِلِ [٩٦].

---

[٩٦] **من عادة الكفار وأهل الجاهلية** من اليهود والنصارى وغيرهم: لَبْسُ الحق بالباطل، واللَّبْسُ هو: الخلط، فهم يخلطون الحق والباطل؛ من أجل أن يروج الباطل؛ لأنه لو كان الباطل وحده ما قبله أحد، لكن إذا لبس بالحق فإن الأغرار من المؤمنين وقاصري النظر يقبلونه، ويقولون: هذا فيه حق، فيقبلونه كله، أما لو أنهم قبلوا الحق منه فقط وردوا الباطل، كان حسنًا، ولكن إذا قبلوه كله فهذا هو الخطأ.

فالواجب على أهل النظر وأهل العقول السليمة أنهم لا يقبلون الأشياء على عواهنها، بل يُمَحِّصونها ويختبرونها، فيقبلون ما كان فيها من حق، ويردون ما كان فيها من باطل.

فالكفار قد يذكرون الحق لا رغبة في الحق، ولا محبة له، وإنما يذكرونه من أجل ترويج الباطل به، والواجب التنبُّه لهذا الأمر، وهو تمييز الأشياء، وعدم التسرع في قبولها لما يظهر فيها من بريق الحق، حتى تُختبر وتُمحَّص، ويُؤخذ ما فيها من حق ويُردُّ ما فيها من باطل.

وهذا إنما يعلمه أهل العلم وأهل البصيرة، وأما العوام والجهال -وقاصرو النظر- فينخدعون في مثل هذه الأمور، وتنطلي عليهم، لكن الواجب عليهم أن يسألوا أهل العلم، ويستشيروا أهل النظر قبل قبولها؛ حتى يَسْلَمُوا من التمويه.

* * *

كتمان الحق مع العلم به

المسألة الرابعة عشرة بعد المائة

كِتمَانُ الحَقِّ مَعَ العِلمِ بِهِ [٩٧].

---

[٩٧] من مسائل الجاهلية من اليهود والنصارى والوثنيين وغيرهم من طوائف الكفر: كتمان الحق مع العلم به، وهذا يظهر في أهل الكتاب من اليهود والنصارى أكثر؛ فإنهم يعلمون الحق، ولكنهم يكتمونه، ولا يبينونه للناس؛ من أجل مصالحهم الدنيوية، أو من أجل إرضاء الناس، وأعظم الكتمان أنهم علموا أوصاف محمد ﷺ في التوراة والإنجيل، وعلموا صحة رسالته وما جاء به، ومع هذا كتموا ذلك، وأنكروا رسالة محمد ﷺ، كما ذكر اللَّه تعالى ذلك عنهم في مواضع من القرآن ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤٦ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾ [البقرة: ١٤٦-١٤٧].

وهذه الآية في سياق تحويل القِبْلَة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة، يعلمون أن رسول اللَّه ﷺ ستكون قبلته الكعبة المشرفة، قبلة إبراهيم عليه السلام، يعلمون هذا في كتبهم، ومع هذا أنكروا تحويل القبلة، وكتموا ما عندهم من العلم في ذلك.

وكذلك كل من كتم حقًّا وهو يعلمه من غير اليهود والنصارى، حتى من المسلمين، من كتم الحق ولم يبينه للناس، فإنه على طريقة اليهود والنصارى، كما قال تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ

فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٥٩-١٦٠].

شرط في قبول توبتهم: البيان لما كتموه، فلا تكفي التوبة المجملة، ولكن لابد من البيان، فيجب على من علم الحق أن يبينه للناس، ولا يشتري به ثمنًا قليلًا، فيكتمه من أجل أن يحصل على مصلحة من مصالح الدنيا، أو من أجل أن يرضي الناس.

فاللَّه أحق أن يخشاه ﷻ وأن يرضيه، فلا يجوز كتمان الحق لمن قدر على بيانه وإظهاره، أما من لم يقدر، أو يخاف بالبيان فتنة أكبر، فإنه معذور، لكن من لم يكن عنده مانع من البيان، وإنما كتم الحق من أجل رغبته هو ومصلحته هو، فهذا يلعنه اللَّه ويلعنه اللاعنون.

فهذه صفة اليهود، وهي منطبقة على كل من كتم الحق، من أجل اتباع الهوى، ولم يبينه للناس، وإذا سُئل عن حكم مسألة أجاب بغير الحق وهو يعرف الجواب الصحيح، فهذا من كتمان الحق، واللَّه -جل وعلا- أمر بقول الحق ولو على النفس: ﴿كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَۚ﴾ [النساء: ١٣٥].

فيجب بيان الحق في الشهادات وفي غيرها.

وأشد من كتمان الشهادة: كتمان العلم، الذي هو حياة الناس وهدايتهم إلى الصراط المستقيم، فالواجب بيان الحق، وعدم المداهنة.

ومن ذلك: إذا رأى الناس على باطل أو خرافات أو شرك، فإنه لا يسكت، بل يجب عليه أن يبين، ولا يترك الناس يقعون في عبادة القبور، وعبادة الأضرحة، ومزاولة البدع المضلة، ويسكت ويقول: ليس لي شأن بالناس، أو يرى الناس يتعاملون بالمعاملات المحرَّمة ويسكت.

فهذا كتمان للعلم وخيانة للنصيحة، فاللَّه لم يعطك هذا العلم من أجل أن تسكت عليه، وإنما حَمَّلك إياه من أجل أن تبينه للناس، وأن تدعو إلى اللَّه على

بصيرة، وأن تحاول إخراج الناس من الظلمات إلى النور.

فلا يسوغ للعلماء أن يسكتوا، وهم يقدرون على البيان، لاسيما إذا رأوا الناس في ضلال وشرك وبدع وخرافات، فلا يسعهم السكوت، فإن سكتوا فإن هذا من كتمان العلم الذي عاب اللَّه به اليهود والنصارى، فكيف إذا قال بخلاف الحق وهو يعلمه، وأفتى بخلافه متعمدًا، من أجل إرضاء الناس، أو من أجل تمشية الأمور، أو من أجل أن يساير الناس على ما هم عليه؟!

فالحق أحق أن يتبع، فأنت ترضي اللَّه ﷻ، ولا ترضي الناس وهم على باطل، وفي الحديث: «**من التمس رضا اللَّه بسخط الناس، رضي اللَّه عنه وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط اللَّه، سخط اللَّه عليه وأسخط عليه الناس**»(١).

* * *

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٠٩-٦١٠) رقم (٢٤١٩).

القول على اللَّه بغير علم

المسألة الخامسة عشرة بعد المائة

قَاعِدَةُ الضَّلَالِ وَهِيَ: القَولُ عَلَى اللَّه بِلَا عِلمٍ [٩٨].

---

[٩٨] **قاعدة الضَّلَال**، أي: أصل ضلال العالم ومنشؤه، القول على اللَّه بغير علم.

والقول على اللَّه بلا علم أعظم من الشرك؛ ولذلك قال اللَّه -جل وعلا-: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

فجعل القول على اللَّه فوق الشرك باللَّه ﷻ، فلا يجوز لأحد أن يقول على اللَّه بغير علم، كأن يقول: إن اللَّه حرَّم كذا، أو: إن اللَّه أباح كذا، أو: إن اللَّه شرع كذا، وهو غير مشروع، هذا قول على اللَّه بغير علم -والعياذ باللَّه-.

أو يفتي وهو لا يعلم، بل يتخرَّص، وهذا خطير جدًّا، وهذا كذب على اللَّـــه ﷻ: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [الزمر: ٣٢]. فلا يجوز القول على اللَّه بلا علم.

والرسول ﷺ إذا سُئل عن شيء لم ينزل عليه فيه وحي يؤجل الإجابة حتى ينزل عليه الوحي من اللَّه ﷻ، فكيف بغيره؟

والعالم يخفى عليه أشياء كثيرة، فإذا لم يكن عندك وضوح في المسألة ودليل من الكتاب والسنة، فقل: لا أدري، ولا ينقص هذا من علمك وقدرك، بل يزيد هذا من قدرك عند اللَّه سبحانه.

فقد سُئل الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ **عن أربعين مسألة؛** فأجاب عن بعضها، وقال عن أكثرها: لا أدري، قال له السائل: أنا جئتك من بلاد بعيدة، وتحملت سفرًا، وتقول: لا أدري، فقال له الإمام مالك: اركب راحلتك، واذهب إلى

البلد الذي جئت منه، وقل للناس: سألت مالكًا، وقال: لا أدري. وهكذا أهل العلم وأهل الخشية من اللَّه ﷻ.

وحتى في التأليف: فالإنسان لا يؤلِّف وهو ليس عنده أهلية للتأليف، فليتنا سَلِمْنا من كثير من المؤلفات والرسائل، ولم تبقَ لنا إلا الكتب الصحيحة الموافقة للكتاب والسنة، والمشكل أن هذه الكتب والرسائل ستبقى وتضلل أجيالًا بعدك، وتكون أنت المسئول عنها، الإنسان يتقي اللَّه في فتواه، وفي كتابه، وفي كلامه، وفي حديثه، وفي محاضرته، فلا يقول إلا ما يغلب على ظنه أنه صواب، وأنه موافق الكتاب والسنة.

* * *

تناقض أقوالهم وتضاربها

المسألة السادسة عشرة بعد المائة

التَّنَاقُضُ الوَاضِحُ لَمَّا كَذَّبُوا بِالحَقِّ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ [ق: ٥] [٩٩].

---

[٩٩] التناقض هو: تضارب الأقوال واختلافها، فمن ترك الحق فإنه يُبتلى بالتناقض وتضارب أقواله؛ لأن الضلال يتشعب، ولا حدَّ لشُعَبِهِ.

وأما الحق: فإنه شيء واحد لا يتشعب ولا يختلف، والله -جل وعلا- يقول: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس: ٣٢].

فمن ترك الحق وقع في الضلال، والضلال متاهة -والعياذ بالله-، فتجد أصحابه مختلفين فيما بينهم، بل تجد الواحد منهم مختلفة آراؤه؛ لأنه ليس عنده هدًى يسير عليه، وإنما يتخبط، تارة يقول كذا، وتارة يقول كذا.

قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ [ق: ٥]؛ يعني: مختلف، فأهل الباطل يختلفون فيما بينهم، ويتعادون ويضلل بعضهم بعضًا، أو يكفر بعضهم بعضًا، أما أهل الحق المتمسكون بالحق فإنهم لا يختلفون، وإن اختلفوا عن اجتهاد فإنهم لا يتعادون ولا يتقاطعون، وإذا تبين لهم الصواب رجعوا إليه، وتركوا أقوالهم، قال تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠].

﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩].

وتجدون الخلاف بين الأئمة الأربعة وبين الفقهاء، ولا أحد منهم ضلل الآخر أو كفَّر الآخر، كل يعمل بحسب ما يظهر له من الدليل، وإذا ظهر أنه مخالف رجع إلى الحق.

....

أما أهل الضلال فليس لهم مرجع يرجعون إليه، وإنما مرجع كل منهم إلى هواه، والأهواء تختلف.

* * *

الإيمان ببعض ما أنزل دون بعض

المسألة السابعة عشرة بعد المائة

الإِيمَانُ بِبَعضِ المُنَزَّلِ دُونَ بَعضٍ [١٠٠].

---

[١٠٠] الإيمان ببعض المُنزل من عند اللَّه ﷻ دون بعض سمة اليهود والنصارى، قال اللَّه ﷻ لما حرَّم اللَّه عليهم أن يقتل بعضهم بعضًا أو أن يخرجوهم من ديارهم وأن يفادوا أسراهم.

فعملوا بواحدة من هذه الخصال الثلاث وتركوا البقية: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ﴾ [البقرة: ٨٣-٨٥].

تؤمنون ببعض الكتاب: وهو فداء الأسير، وتكفرون ببعضه، وهو القتل والإخراج من الديار فتستحلونه.

﴿فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ٨٥-٨٦].

هذا جزاء من يؤمن ببعض الكتاب ويكفر بالبعض الآخر؛ لأن الواجب الإيمان بالكتاب كله، ولا يأخذ الإنسان ما يوافق هواه ويترك ما يخالف هواه ورغبته، هذه صفة اليهود ومن حذا حذوهم من كل من يأخذ من الكتاب ما يوافق هواه، ويترك ما يخالف هواه.

وفي الآية الأخرى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة:٨٧]؛ أي: إذا جاءهم الرسول بما يوافق أهواءهم قبلوه، وإذا جاءهم بما يخالف أهواءهم رفضوه، ثم يكون موقفهم مع هذا الرسول الذي جاءهم بما لا يهوونه: إما أن يكذبوه، وإما أن يقتلوه، والعياذ بالله.

وفي هذا عظة للمسلمين ألا يفعلوا مثل فعلهم، فيصيبهم مثل ما أصابهم.

* * *

الإيمان ببعض الرسل دون بعض

المسألة الثامنة عشرة بعد المائة

التَّفرِيقُ بَينَ الرُّسُلِ [١٠١].

---

[١٠١] التفريق بين الرسل بالإيمان ببعضهم والكفر بالبعض الآخر من صفة أهل الكتاب خاصة، أما الوثنيون والمشركون فلا يؤمنون بالرسل أصلًا، بل يكفرون بالرسل جميعًا، أما اليهود فإنهم كفروا بعيسى عليه السلام، وكفروا بمحمد ﷺ، والنصارى كفروا بمحمد ﷺ.

ومن كفر بنبي واحد فهو كافر بالجميع؛ لأن الرسل طريقتهم واحدة ودينهم واحد، وهم إخوة، فمن كفر بواحد منهم، فقد كفر بالجميع، فالحجة التي مع الرسول الذي كفر به هي الحجة التي مع الرسل الذين آمن بهم؛ فلا يفرق بينهم، ولهذا يقول -جل وعلا-: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

لا نفرق بين أحد من رسله، فالإيمان بالرسل هو أحد أركان الإيمان الستة، التي جاءت في حديث جبريل، لما سأل رسول اللَّه ﷺ فقال: أخبرني عن الإيمان.

قال: **«أن تؤمن باللَّه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»**[1].

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٥٠)، ومسلم رقم (١٠).

ولا يكفي الإيمان ببعضهم؛ بل لابد من الإيمان بهم جميعًا، وإلا فمن كفر بواحد منهم فهو كافر بالجميع؛ ولهذا يقول -جل وعلا-: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٥].

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٢٣].

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٤١].

مع أنهم ما كذبوا إلا نبيهم، فلما كذبوا نبيهم كانوا مكذبين لجميع الرسل.

* * *

المحاجَّة فيما ليس لهم به علم

المسألة التاسعة عشرة بعد المائة

مُخَاصَمَتُهُم فِيمَا لَيسَ لَهُم بِهِ عِلمٌ [١٠٢].

---

[١٠٢] أي: أن أهل الجاهلية يجادلون ويخاصمون فيما ليس لهم به علم.

والواجب: أن الإنسان لا يجادل إلا بعلم، أما ما لا يعلمه فإنه يسكت عنه، قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ [يونس: ٣٩]؛ يعني: حقيقته التي يئول إليه.

وهذا يتضمن ناحيتين:

الناحية الأولى: أن الإنسان لا يدخل فيما لا يعلم، ولا ينكر ما لا يعلم، بل يقول: اللَّه أعلم؛ ولهذا يقول اللَّه لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

فالإنسان لا يدعي أنه أحاط بالعلم، بل يتقاصر، ويعرف قدر نفسه، ولو كان عنده علم كثير، فما خفي عليه أكثر، واللَّه -جل وعلا- يقول: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦]. حتى ينتهي العلم إلى اللَّه سبحانه وتعالى.

الناحية الثانية: أنه لا ينكر الشيء الذي يعلمه غيره، فإذا كان عند غيرك علم خفي عليك، فلا تنكر ما عند غيرك، فما أحد من البشر أُعطي العلم كله.

ولهذا يقول العلماء: هذه العبارة التي يكررونها دائمًا: «مَنْ حَفِظ حجة على مَنْ لم يحفظ».

والدهريون والمشركون ومعطلة الصفات وسائر أهل الضلال، أنكروا ما أنكروه؛ لجهلهم به، وكونه لا تدركه عقولهم؛ لأنهم لا يؤمنون بالغيب، وبنوا مذاهبهم على القياس الفاسد، فضلوا عن سواء السبيل.

تناقضهم في اتباعهم لغيرهم

المسألة العشرون بعد المائة

دَعوَاهُمُ اتِّبَاعَ السَّلَفِ مَعَ التَّصرِيحِ بِمُخَالَفَتِهِم [١٠٣].

---

[١٠٣] عامة اليهود والنصارى، وأهل الضلال من المنتسبين إلى الإسلام، كلهم يدَّعون أنهم يتَّبعون مَنْ سبقهم من المؤمنين قبلهم.

فاليهود يدَّعون أنهم من أتباع موسى عليه السلام ومن آمن به، والنصارى يدَّعون أنهم يتبعون المسيح عليه السلام ومن آمن به، وأهل الضلال من هذه الأمة يدَّعون أنهم يتبعون سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين وأتباعهم، وأن ما هم عليه هو مذهب السلف.

وما كل من ادَّعى أنه على مذهب السلف أو على منهج السلف تكون دعواه صحيحة؛ حتى يعرض ما عنده على منهج السلف الصالح؛ فإن طابق فهو على منهج السلف، وإن خالف فإنه ليس على منهج السلف، وإن ادعى هذا.

كل الطوائف الضالة الآن تدَّعي أنها على مذهب السلف، ولكنهم ليسوا على منهج السلف؛ لأنهم لا ينطبق عليهم قول الرسول ﷺ -في ضابط مذهب السلف-: «**من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي**»(١). هذا الذي يكون على منهج السلف.

أما من خالف هذا فإنه ليس على منهج السلف، وإن ادَّعى ذلك، والعبرة ليست بالدعوى، وإنما العبرة بالحقيقة، فالذين يدَّعون السلفية كثيرون، لكن لابد من عرض ما هم عليه على منهج السلف الصالح؛ فإن طابق فهذا حق، وإن خالف فإنهم ليسوا على منهج السلف الصالح.

---

(١) تقدم.

وكذلك الذين ينتسبون إلى المذاهب الأربعة وهم يخالفون الأئمة في الاعتقاد، فانتسابهم غير صحيح؛ لأنهم خالفوهم في أهم الأشياء وهو العقيدة.

* * *

الصَّدُّ عن سبيل الله

المسألة الحادية والعشرون بعد المائة

صَدُّهُم عَن سَبِيلِ اللَّه مَن آمَنَ بِهِ [١٠٤].

---

[١٠٤] **الصد عن سبيل اللَّه هو**: صرف الناس عن الدخول في دين اللَّه، وهذا عمل الكفار قديمًا وحديثًا، من يهود ونصارى ومشركين، فمن مناهج الجاهلية في كل زمان ومكان: الصد عن سبيل اللَّه، والفرق الضالة الآن على هذا النهج، تحاول تضليل المسلمين، وجلبهم إلى نحلهم الباطلة، وكذلك اليهود والنصارى، لا يزالون يحاولون في المسلمين صدهم عند الإسلام، ويقولون: تعالوا نتحاور فيما بيننا، ويقولون بحرية الأديان.

هذا من الصدِّ عن سبيل اللَّه ﷻ، هل نحن على شك من صحة ديننا وبطلان دينكم حتى نتحاور معكم؟! لسنا على شك من ديننا، وبطلان ما أنتم عليه.

فهؤلاء يريدون من هذه الدعايات الحوار بين الأديان، والتعاون بين الأديان، يريدون به الصد عن سبيل اللَّه، هذا مرادهم، وهذا مقصدهم، ولا يزال الكفار إلى الآن يحاولون إضلال المسلمين، ويقتلونهم، ويشردونهم، ويعذبونهم، من أجل دينهم وصدهم عنه.

وهم الذين يقولون: نتحاور فيما بيننا، ويقولون بحرية الأديان والمعتقدات، لكنهم يقصدون أديانهم ومعتقداتهم، قال اللَّه تعالى: ﴿وَوَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ﴾ [الممتحنة: ٢].

﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ﴾ [البقرة: ٢١٧].

﴿وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ﴾ [النساء: ٨٩].

لكنهم يريدون لبس الحق بالباطل، ومساواة الدين الباطل بالدين الحق، ثم

لا يثبتون على هذا، بل يريدون إزالة الإسلام، فهم يقتلون المسلمين ويشردونهم من أجل أن يصرفوهم عن دينهم، ويريدون ألا يبقى على وجه الأرض مسلم، هذه أمنيتهم، وهذا قصدهم.

* * *

موالاة الكفار

المسألة الثانية والعشرون بعد المائة

مُوَدَّتُهُم الكُفرَ وَالكَافِرِينَ [١٠٥].

---

[١٠٥] **من مسائل الجاهلية**: أنهم يَوَدُّون الكفر والكافرين، كما ذكر الله ﷻ ذلك عن بني إسرائيل؛ أنهم اتخذوا الكفار أولياء، قال تعالى: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [المائدة: ٨٠].

وقد حرَّم اللَّه موالاة الكفار، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١].

نهى اللَّه المسلمين أن يفعلوا مثل ما فعل اليهود من موالاة الكفار ومحبة الكفار ﴿لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ [آل عمران: ٢٨].

الأمر واضح في هذا، وأنه تجب معاداة الكفار والبراءة منهم ومن دينهم، والولاء والبراء من أعظم الواجبات في الإسلام.

* * *

اعتمادهم على الخرافات

المسائل الثالثة، والرابعة، والخامسة، والسادسة، والسابعة، والثامنة والعشرون بعد المائة

العِيَافَةُ، وَالطَّرْقُ، وَالطِّيَرَةُ، وَالكِهَانَةُ، وَالتَّحَاكُمُ إِلَى الطَّاغُوتِ، وَكَرَاهَةُ التَّزوِيجِ بَينَ العِيدَينِ [١٠٦].

---

[١٠٦] من خصال الجاهلية هذه الأمور الباطلة ومزاولتها والعمل بها وهي:

١- **العيافة والطيرة وهما**: زجر الطير، وكذلك الطيرة؛ لأنهم في الجاهلية كانوا يتشاءمون بالطيور؛ فإذا رأوها تطير على شكلٍ يكرهونه تراجعوا عما عزموا عليه من أسفارهم وغيرها.

والله -جل وعلا- أمرنا بالتوكل عليه وحده، والمُضِيِّ فيما فيه مصلحة للإنسان، وإذا أشكل عليه شيء من أموره، أو تردد في شيء؛ فإنه يصلي صلاة الاستخارة، ويدعو بعدها أن يهديه الله للصواب، وكذلك يستشير أهل الخبرة والمعرفة.

٢- **والطَّرق**: الخَطُّ يخط بالأرض، وهذا إنما يكون عند المشعوذين الذين يخطون في الرمل، ويقولون: سيحصل كذا، سيحدث كذا.

وهذا من فعل الجاهلية؛ لأنه من ادِّعاء علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله، وهو خَرْصٌ وتخمين، ولكن قد يقع ما قالوا؛ من باب الفتنة والاستدراج للناس، فالواجب تجنب هؤلاء والابتعاد عنهم.

٣- **والكهانة**: وهي دعاء علم الغيب بواسطة استخدام الشياطين الذين يسترقون السمع وقد حرم الله الكهانة وحرَّم الذهاب إلى الكهان وتصديقهم؛

فقال النبي ﷺ: «من أتى كاهنًا فصدقه بما يقول؛ فقد كفَرَ بما أُنزل على محمد ﷺ»[١].

٤- **والتحاكم إلى الطاغوت هو**: التحاكم إلى غير كتاب اللَّه تعالى وسنة رسوله ﷺ، من القوانين الوضيعة، وحكم العوائد، عوائد البادية وسوالفها، أو علم الكلام والقواعد المنطقية.

وكانوا في الجاهلية يتحاكمون إلى الطاغوت، وهو مشتق من الطغيان، وهو مجاوزة الحد، والمراد به هنا: من حكم بغير ما أنزل اللَّه.

والواجب على المسلمين التحاكم إلى كتاب اللَّه وسنة رسوله، قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ [النساء: ٥٩].

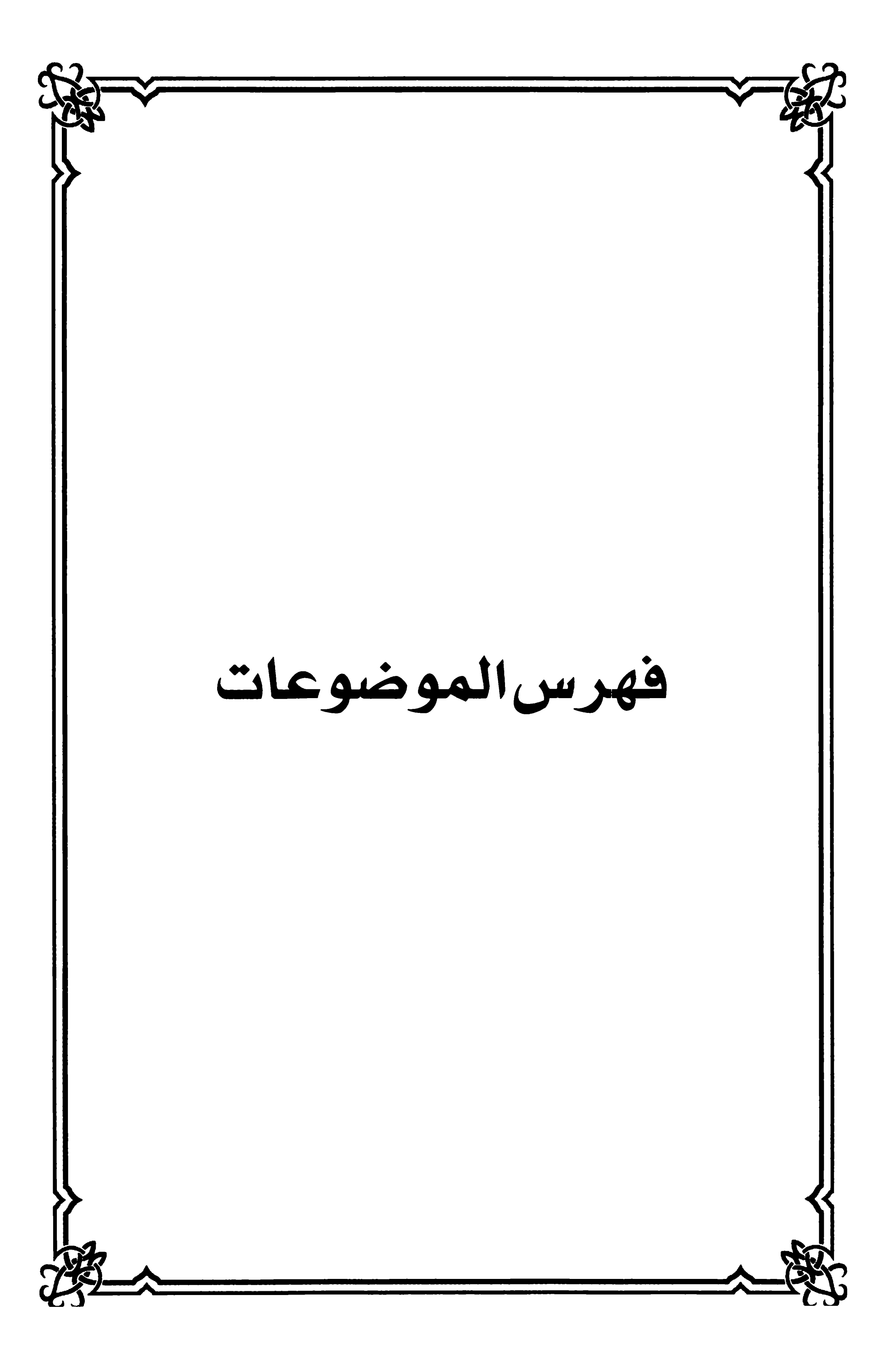
٥- **وكراهة التزويج بين العيدين**: عيد الفطر وعيد الأضحى، هو من التشاؤم بالأيام المنهي عنه، وهو نوع من الطيرة.

وقد شرع اللَّه التزويج في جميع الأوقات، ما عدا حالة الإحرام بحج أو عمرة، ولا دخل للأيام في نجاح التزويج أو فشله، وإنما هذا بيد اللَّه ﷻ، واللَّه تعالى أعلم.

وصلى اللَّه على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٤٢٩)، والحاكم (١/ ٨)، وقال: هذا حديث صحيح على شرطهما جميعًا.



فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

* * *